

ريون كوهيل

النظرية الجنوبية

علم الاجتماع والديناميات العالمية للمعرفة

ترجمة: فاروق منصور



التنظيرية الجنوبية

علم الاجتماع والديناميات العالمية المعرفية

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يشجع بها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، ألغى سلسلة ترجماته بتعريف قائم الرأى، والشعب العربي والسياسة والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري البعيد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الآلية المتوافقة المأقولة للأعمال والمؤلفات الأجنبية البعيدة أو ذات القيمة المبيضة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتنطلي سلسلة ترجماته وتسرشد بقاء نخبه من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاخراج الأعمال المبعثرة بالترجمة ومختلفة الإنشكلات التي يراجيحها المدارس والباحثون والطلبة الجامعون العرب، لاكتفاد إلى النتاج العلمي والثقافي الموزكين والمفكرين الأجانب، وتوسيع الترجمة المتفرعة أو البعيدة المستوى.

وتسمى هذه السلسلة من عملاء الترجمة من مختلف اللغات الأجنبية إلى الصحافة في تعزيز برامج المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الرامية إلى إنقاذ روح البحث والاستقصاء والتفكير وتطوير الأفكار والمفاهيم وآليات التوثيق المعرفي، والتأثير في الحيز العام، التوصل لها رسائلها في عمدة التفرع الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

النظرية الجنوبية

علم الاجتماع والديناميات العالمية للمعرفة

ريون كوشيل

ترجمة

فازوق منصور

مراجعة

فازوق العنتي

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



1111

المحتويات

7	مقدمة الناشر
11	مقدمة
23	شكر وتقدير

القسم الأول النظرية التسمائية

27	الفصل الأول: الإمبراطورية وإبداع علم اجتماع
61	الفصل الثاني: النظرية العامة المحدثة بفراماتيا المحلية
88	الفصل الثالث: تفصيل العولمة

القسم الثاني النظرية الجنسية

121	الفصل الرابع: اكتشاف أسرارها
-----	------------------------------

القسم الثالث النظرية الجغرافية

149	الفصل الخامس: المعرفة لدى السكان الأصليين والهيمنة الأفريقية
176	الفصل السادس: الإسلام والهيمنة العربية
208	الفصل السابع: التبعية والحكم الذاتي والطفلة

243	الفصل الثامن: الشائقة والعنف وأسس الاستعمار
-----	---

القسم الرابع

أسئلة فكرية التيمونة

281	الفصل التاسع: سميت الأرض
-----	--------------------------

383	الفصل العاشر: عالم الاجتماع علي سعيد عالمي
-----	--

391	المراجع
-----	---------

398	فهرس عام
-----	----------

مقدمة الناشر

من المتوقع أن يستحوذ كتاب روبرت كونيل النظرية الاجتماعية: علم الاجتماع والديناميات العالمية للمعرفة - وهي من أسرارها متخصصة في علم الاجتماع ولها دراسات رائدة في مجال الجندر مع التركيز على الذكورية - على اهتمام كبير في أوساط علماء الاجتماع العرب وذلك لأسباب عدة أهمها الموضوع الجديد الذي يتناوله الكتاب وارتباطه المباشر بما يشهده علماء الاجتماع العرب والمواد التي يدرسونها في الجامعات والمعاهد. ناهية عن الكتب المتوافرة باللغة العربية - إن وجدت - والتي تتناول النظريات والمفاهيم في مجال علم الاجتماع من حيث شروطها الخارجية، وإنما المتعلقة بصفة علمية تدعي قابليتها للتطبيق في كل زمان ومكان، بالطبع هناك كتاب الأستاذ لوكوردي سعيد والمترجم إلى العربية، إلا أن هذا الكتاب الذي يعالج علاقات سيطرة «الغرب» بالمعروف التي أنتجها عن «الشرق» لا يتناول هذا الموضوع بالعمل والتفصيل اللذين قد يهمنا الباحث كونيل في ما يتعلق بنظريات علم الاجتماع. والأهم من ذلك أن كونيل في الوقت الذي نشر بوضوح إلى ما نسبته «هيئة النظرية المتروبولية» على الدراسات عن المجتمعات «الطرفية»، تخصص في الوقت نفسه معظم صفحات الكتاب لمناقشة نهج من كتابات صادرة عن المجتمعات المستعمرة أو ما بعد المستعمرة لتأكيد أسرار: الأول وجود كتابات صادرة عن كتاب يتمون إلى المجتمعات «الطرفية» وتتفكك من النظرية المتروبولية وما تنميتها من مفاهيم ونظريات فأعربها «علمي» و«موضوعي»، وسبقوها يؤدي إلى تسهيل سيطرة

«المنويول» على المجتمعات «الطرفية» وتسويقها وإعادة إنتاجها. والثاني، التأكيد أنه على الرغم من هيئة نظريات «المنويول» في المحلل الأكاديمي المتعلق بعلم الاجتماع وأهميم صلاحيتها على المجتمعات كلها، فإن ذلك لا يلغي كتابات «مضادة» تسعى إلى كسر احتكار المنويول لإنتاج المعرفة السوسيولوجية المتعلقة بالمجتمعات «الطرفية». باختصار، نحن إذن، محقق أكاديمي، نخترقه علاقات قوى رمزية متنازعة تقسب في مصلحة نظريات ومفاهيم صادرة عن المنويول.

صحيح أن السيطرة في مجال العلوم الاجتماعية هي للكليات المنويولية التي تقدم في نهاية الأمر مصالح الغرب الرأسمالي. وتنبعث بالتعريف الكتابات المغيرة لسلطانها الأساسية (على سبيل المثال، السريعة المعتمدة في علم الاجتماع تقول إن الآباء المؤسسين لهذا العلم هم ماركس وفورتهام وغيرهم) من نظري الحدالة الرأسمالية، ويجري قياس باقي المجتمعات وتحليلها على أساس لربها أو بعدها من هذا المسار، وصحيح أيضًا أن هذه السيطرة مبنية في البرامج التعليمية وسياسات دور النشر والمجلات المحكمة والتسويق البحثي والمناهج البحثية ومعايير الترفي الجامعي، إلا أن ذلك كله لا يمنع وجود معرفة علم اجتماعية مخررة من القيود الأيديولوجية والمفاهيم والنظريات الآتية من المراكز المنويولية. والكتاب مليء، بتعريف القارئ بهذا النوع من الكتابات، والتي تتميز من الشرق الأوسط والهند وإفريقيا.

أغلب هذه الكتابات، في نظر كونيل، لا تكمن في سعيها إلى تحرير النظرية الاجتماعية من مفاهيم ومناهج خاصة بتاريخ الغرب الرأسمالي ومجتمعاته والمشاكل التي يواجهها وحسب، وإنما أيضًا في الإشارة إلى أن نظريات علم الاجتماع السائدة تغيب في معظمها ارتباط المسار التاريخي لتشكيل المجتمعات الرأسمالية المتطورة بما قامت به في البلدان التي استعمرتها.

وفي مقابل هذا النوع من الكتابات، بالطبع، لا ندعو كونيل إلى تبني أعادي للكتابات الصادرة من المجتمعات «الطرفية» وممارسة عملية إقصاء «مكروس» للكتابات الصادرة في «المنويول». بل نطالب بإنتاج المعرفة الاجتماعية

ومناقشتها على قاعدة اشتغال تجارب جميع البلدان بما فيها البلدان النامية والبلدان للبلدان المسيطرة والمتطورة بالمعنى الرأسمالي المعاصر. ومن الشروط الأساسية لتحقيق هذه المطالبات تخلي الجميع عن الدعوة إلى إنتاج نظرية شاملة وعامة وصالحة في كل زمان ومكان وتبني فكرة إنتاج فكر اجتماعي أكثر تصادفاً بـ «الأرض» التي يقف عليها الباحث، وكما يقول كوليل، ليس بحاجة إلى نظريات ومفاهيم وتداول إرشادية مجردة ونظرية، بل إلى نظريات ومفاهيم مرصعة بتجاربها باحثون يتعلمون أخذك مسيكة.

وفي زمن تسود نظريات ما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية، تسارع إلى القول إن الكتاب لا يوازن على تلك النظريات وينعتها على إنتاج المعرفة في مجال علم الاجتماع، إذ يؤكد عدم التخلي عن مشروعية إنتاج معرفة اجتماعية قابلة للعصم، وهو شرط من شروط صحتها العلمية، بل يدعو إلى الإصغاء جيداً إلى الواقع (أو الأصبح الواقع) العربي الملموس وجعله في «حوار وتفاهل» دائم مع النظرية والمفاهيم التي تسعى إلى تفسير هذا الواقع، إذ ليس المطلوب دراسة «تفاهل» الحقيقة ورمضانها بحسب نظري ما بعد الحداثة وحسب، وإنما أيضاً السعي الدؤوب إلى امتلاك الحقيقة مع الاعتراف الدائم بشروطيتها في الزمان والمكان. وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى الأهمية التي توليها كوليل لفتح قنوات التواصل بين علماء الاجتماع أكتوا في «الشمالية» أم في «الجنوب» وإلى إطلاق الحوار الحر بينهم والاعتراف المتبادل بضرورة هذا الحوار والسعي إلى تخطي الحواجز المؤسسية (والعرقية) التي تحول دون ذلك، قدر الإمكان. بكلمة وجيزة، إنها دعوة إلى خلق مناخ ديمقراطي لإنتاج المعرفة الاجتماعية لجهة الظروف المادية المحيطة بذلك الإنتاج (سياسات تمويل البحوث على سبيل المثال) من جانب، ولجهة إغلاق نقاش وحوار حر بين علماء الاجتماع في المنزليات والأطراف على السواء من جانب آخر.

أخيرًا أود أن أشير إلى ملاحظتين: في سياق مناقشة كوليل كتابات مفيدة لتلك السائدة عالمياً والعاصرة عن المنزليات، تكفي الكتابة بمناقشة بعض

كتابات المؤلف الغربي واحد وهو جمال الدين الأفغاني. بالطبع، الخيار هذا محكوم باعتبارات عدة منها عدم معرفة الكتابة باللغة العربية وعدم توفر الترجمة الإنكليزية أصلاً للكتابات العربية بصورة عامة، والكتابات الاجتماعية بصورة خاصة. إلا أن هذا الأمر يجعلنا نشير، وهذا بدعنا في تقديم الملاحظة الكتابية، إلى أنه لو تولدت ترجمات إنكليزية لعدد أكبر من الكتابات بأقلام علماء اجتماع عرب أو لو أنها كتبت باللغة الإنكليزية في الأساس، كما هي الحال بالنسبة إلى كتابات عدة صادرة من الهند، لحصلت الكتابة كوزيل علي البريد من الشواهد التي تؤكد حيوية تحليلها لجهة إنتاج عدد أكبر من علماء الاجتماع العرب كتابات متحررة، ولو محدودة إلى حد بعيد من هيمنة التقاليد العربية السائدة، وشكلت لها نقاط تشابه بين ما ينتجه البعض وما ينتجه آخرون في البلدان الغربية الأخرى. وأشير هنا إلى التشابه الذي وجدته بين مفهوم «السيطرة بلا هيمنة» للكتاب الهندي والباحث صفا في وصف النمط السلطة الثلاثة في الهند أوهي الاجتماعي والإقليمي والبرجوازي، ومفهوم «الاستيعاب» لآين غلسون الذي استخدم منذ منتصف العقد السابع من القرن العشرين في تحليل نمط السلطة في لبنان (ويمكن تطبيقه على بلدان عربية أخرى). كذلك التطابق في الاستنتاج الذي توصل إليه كل من الكتاب الأوغندي محمود مداني والكتابة الهندية داس من جهة، وكثير من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين الكينانيين من جهة أخرى، بأن آخرهم أسامة مدني في كتابه ثقافة الطائفة، عدد وصفهم التشكلات الطائفية والقبلية بأنها حديثة مصنوعة سياسياً بالتعاون مع الدول والغوى الكولونيالية، لا تشكلات أولية.

من هنا الأهمية القصوى التي تضعها الباحثة كوزيل علي ضرورة فتح الحوار والتواصل العربيين الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية في المجتمعات كلها ومن دون أفكار مسبقة غالباً ما تكون بقصد أو بغير قصد أدوات رمزية ذات طابع «علمي» لسيطرة المارويول الرأسمالي الغربي على المجتمعات الطرفية.

مقدمة

الغاية من هذا الكتاب اقتراح طريق جديد إلى نظرية اجتماعية تساعد علم الاجتماع في خدمة الأفراخ الديمقراطية على مستوى عالمي. تسعى القوى المسيطرة الأعداء في إعاقة تشكيل عالما إلى إنهاء معرفة الذات لدى المجتمع، بدلا من منحها فرصة. وفي عالم كهذا فإن لعلم الاجتماع دورا ديمقراطيا حيوا ليؤديه.

لكن علم الاجتماع هو، في أحسن الأحوال، ديمقراطي على نحو غامض. وتعتبر أرواح المسيطرة العالم كما يراه الناس والرأسماليون والمتفقون والأكرياء. وما هو أكثر أهمية، أنهم يصورون العالم من منظور البلدان الغنية المهيمنة لرأس المال في أوروبا وأمريكا الشمالية المشروبول القوي⁽¹⁾. تعطل معرفة المجتمع الأساسية في التجارب الأخرى مشروطا هذا. ومع ذلك، فإن المعرفة المنتجة على مستوى عالمي هي واحدة الملائمة لدعم فهم الذات عند المجتمعات التي يعاد تشكيلها الآن، خاصة على مستوى عالمي. وهذا الكتاب معني بالكيفية التي يمكن من خلالها أن يعمل علم الاجتماع ديمقراطيا على مثل هذا النطاق.

القسم الأول: النظرية الشمالية، يدرس كيف يوسع علم الاجتماع

(1) المشروبول (Shroobol) على الرغم من أن المعنى العربي الفارج للكلمة هو الحائز، إلا أن الدولة المتعدية في هذا الكتاب (LPL) على المركز الذي قد يكون بعيدا أو جالسا أو قد كانت متطرفة (LPL) على أوروبا وأمريكا الشمالية مقابل الأفراخ أو المحيط (Shroobol) (المعجم)

المعديت وجهات نظر المجتمع المثرويولي وروا ومشكلات، بينما يقدم نفسه معرفة عالمية. وقد تناولت قضية السوسولوجيا (علم الاجتماع) واستكشفت أولاً تاريخها، مبتدئة بأسطورة «آباء المؤسسين» (founding fathers) العظيمة. ثم نظرت بعدها في أنواع النظرية العامة، مركزة على ثلاثة مؤلفين معاصرين قوي تأثير كبير جداً، وأخيراً، درست محاولة السوسولوجيين المثرويولين التخلص من ضيق الأفق في التفكير عبر نظريات العولمة.

القسم الثاني، «النظر جنوباً»، يستكشف ما حدث لعلم الاجتماع نفسه في مستعمرة امبيطانية، هي أستراليا. تعززت العلاقة الفكرية مع المثرويول بصورة دراماتيكية كبيرة خلال القرن الأخير، من دون أن نشي أبداً وجهة نظر مميزة. ولقد استكشفت - بشي، من المحزون التابع من سبرتي الثانية - تناقضات علم الاجتماع في حالة التبعية الاقتصادية والثقافية.

القسم الثالث والأطول، «النظرية الجنوبية»، يتناول التطور الاجتماعي الذي يرب في أربعة أوجهات تم فيها تعدي التبعية: أفريقيا ما بعد الاستعمار، وإيران المحتلة، وأميركا اللاتينية منذ الحرب العالمية الثانية، والهند منذ حالة الطوارئ¹²¹ في سبعينيات القرن العشرين. وفي كل من هذه الفصول، حاولت أن أتيح خطوط الحجج بصرف النظر عن مراميها، بمعنى أنني أخذتها بجدية أنها نظرية: نصوصي للتعليم منها، وليس عنها لمجرد. ولقد استكشفت أيضاً ما تظهره هذه المناقشات في شأن مشروع التطوير في المحيط العالمي، مشكلاته الفكرية والعملية، وأشكاله المتنازلة.

وفي القسم الأخير، «تأملات فكرية استبدادية»، استكشفت تبعات وجهات النظر الجنوبية للعلوم الاجتماعية بوصفها مشروعاً على عتبات عالمي. إحدى المهدات هي إعادة التفكير في دور الأرض في البنى والديناميات الاجتماعية، وهذه قضية تبرزها حركات السكان الأصليين

¹²¹ أعلنت وفاة الزعيم الفكري حالة الطوارئ في الهند ما بين 25 حزيران/يونيو 1975 و27 أيلول/سبتمبر 1977، محطاً نفسها سلطة إصدار القوانين والقوانين وإلغاء الانتخابات وإ تعليق الحريات العامة. وهي مجرد معظم مظاهرها وأخطرها: الصحف، المراكب، المهرجانات

Indigenous peoples، ومهمة أخرى هي إعادة النظر في طبيعة المعرفة العرقية - الاجتماعية (الإنسيتولوجيا) ومناهج الاتصالات وأنسكالها) في سياق احترام للتقاليد الفكرية من مناطق الأطراف في العالم. وفي الفصل الأخير، قدمت بعض المقترحات في شأن كيفية القيام بذلك، واقتُرحت كيف أن المهمة متصلة بمشروع الديمقراطية.



لقد استخدمت تعبير «النظرية العنصرية» لأسباب كثيرة، أولاً: التعبير يستدعي الانتباه إلى علاقات الأطراف - المركز في عالم المعرفة. ولقد استخدم محررو الدورية الهندية «South South Studies» (دراسات التابع) تعبير «التابع» (subordinate) ليس لتسمية فئة اجتماعية، ولكن لإبراز علاقات السلطة (أنظر الفصل الثامن). وبالمثل، فإني أستخدم التعبير «جنوبي» ليس لتسمية فئة محددة بوضوح من الدول والمجتمعات، لكن لتأكيد العلاقات - من قبل دراسة السلطة والخصم والاستبعاد والمهمة والمشاركة والرحابة والاستحواد - بين المفكرين والمؤسسات في الحروب والولاء الذين في أطراف العالم.

ثانياً: يؤكد العنوان أن عالم الأكثرية ينتج فعلاً نظرية «South» يعصف الفيلسوف بولان هوتونديجي (Polan Houtondji) نمطاً في العلم الاستعماري، المحمول فعلاً إلى عالم ما بعد الاستعمار، حيث يتم جميع البيانات والتطبيق في المستعمرة بينما يحدث التفكير في المتروبول (أنظر الفصل الخامس). ولا يزال معظم علم الاجتماع ينتج هذا النمط. مع ذلك، لا بد من الاعتراف بأن النظريات بروز أيضاً من التجربة الاجتماعية للأطراف، وفي أنواع وأساليب عدة.

ثالثاً: بلغت العنوان إلى حقيقة أن الفكر الاجتماعي ينشور في أماكن معينة. أنا أكتب هذا الكتاب في أستراليا، وهي دولة يعني اسمها الذي أعطاه لها المستعمرون البريطانيون في أوائل القرن التاسع عشر، الأرض الجنوبية. ومثل التشيليين، فإن الأستراليين البيض غالباً ما ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يعيشون في آخر الأرض، وإن يُدعم من المتروبول ينتج تأثيراً عرقياً في علم الاجتماع. لكن في أستراليا أيضاً سكان أصليون يرون أن بلادهم ليست

لهيئة الأرض، بل هي المركز. وحضارة السكان الأصليين الأسترالية هي أقدم الحضارات التي استمرت بلا انقطاع في العالم. والعلاقة بالأرض هي سنة راسية في عاداتهم وشؤونهم السياسية وفنهم، وهذه هي نقطة انطلاق المناقشة في الفصل التاسع.

9-9-9

إن المسائل التي ناقشناها في هذا الكتاب ليست جديدة، قليل جيل كانت تُناقش في الهند، عندما أطلق عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي الشهير لوي دومون (Louis Dumont) التصريح الكلاسيكي القائل إن فكرة علم اجتماع هندوسي لحمل نقاشها في العبارات¹³. كما أن فكرة علم الاقتصاد لتدور التامة التي أعقبتها الأرجنتيني دابولوف بريش (Dabulov Presh) لم تمنعها بالفسوة نفسها من علماء اقتصاد أمريكا الشمالية (أنظر الفصل السابع). وفي ثمانينيات القرن العشرين، ناقشت الجمعية السوسولوجية الدولية (International Sociological Association) مسألة «علوم اجتماع السكان الأصليين» وحظيت بنجاح محدود (أنظر الفصل الخامس).

إن اعتقاد دومون بأن علم الاجتماع يمكن أن تكون له مجموعة عالمية واحدة فحسب من المفاهيم والمناهج، وهي تلك التي صيغت في بلدان الشمال لا يزال سيطراً، والافتراض الثقافي يرد في جميع العلوم الاجتماعية، باستثناء علم دومون نفسه. وفي الفصل الثاني، أوضحنا هذا الافتراض المستخدم في الكلاسيكيات الحديثة للنظرية السوسولوجية. وبين الفصل الثالث، المتطرفة، أنه يرد أيضاً في سوسولوجيات العولمة الراحلة.

يمكن رؤية قوة هذا الافتراض في مئات المحافل، بذات الجهات الداعمة للبحوث وانتهاءً بالمناهج الجامعية. وثمة حالة معاصرة وهي تقرير مؤسسة فولينكران (Collaboration Foundation) بعنوان «فتح المجال للعلوم الاجتماعية» (Opening the Social Science) (2005).

Vinay Das, *Critical Issues in Anthropological Perspectives on Contemporary India* (1) (New Delhi: Oxford University Press, 1999), p. 74.

العلوم الاجتماعية^{٥٠}. فقد أصبحت هيئة دولية مرموقة برئاسة إيمانويل فالرشتاين (Emmanuel Vallentyne)، طوال عامين، للتفكير ملياً في ماضي علم الاجتماع ومستقبله. وكان يُنوع مصادر شيء يفتح الطريق. لكن ما تبين أن تاريخ علم الاجتماع الذي كبرته الهيئة ركّز على أوروبا حصراً، ووجهة النظر التي تبنت عليها مناقشة المشكلات المعاصرة كانت أميركية شمالية. أما الأفكار الآتية من بقية أنحاء العالم فقد عوملت كمعاشي «شركات» كوت^{٥١} وغير^{٥٢} أوماركس^{٥٣} وسبيت^{٥٤} وراكه، وغيرهم.

إن فكرة علم عالمي للسلوك البشري والمجتمع لها فائدة معينة، ولكنها تبين تشبهاً بوليك^{٥٥} في استكشافها للنسوة في العالم، أنه مهما كنا حذرين في اعترافنا بالاختلاف الثقافي والاقتصادي، فإن الأفكار العالمية مثل الحقوق والمساواة تبقى مهمة للسياسة الديمقراطية. لكن عندما يكون الادعاء بالمعرفة العالمية أو القيم العالمية صانداً عن مواقع امتياز، فإنه يحيل إلى أن يستخدم الهيمنة لا التحرر.

أعطت العلوم الاجتماعية شكلها المؤسسي الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مع ذروة مذهب الإمبريالية الأوروبية. وكما أكد أليسز ناندي (Aليسز Nandy)، حمل الأوتواط الاستعماري في القرنين مذهباً فقد تأثر المتروبول أيضاً إلى حد بعيد (يُنظر الفصل الثامن). لقد أصبحت الإمبريالية

٥٠ Galbraith Commission on the Reinventing of the Social Sciences, *Open the Social Sciences* (Stanford: Stanford University Press, 1996).

٥١ أوجست كوت (1910-1937) عالم رياضيات وفيلسوف فرنسي. يعتبر مؤسس الفلسفة

الوجودية (المترجمة)

٥٢ ماكس فيبر (1864-1920) عالم موسيولوجيا، واقتصاد وسياسة، وفيلسوف ألماني.

يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث. (المترجمة)

٥٣ كارل ماركس (1818-1883) فيلسوف اجتماعي ألماني. أشهر أعماله وفكر العمل. يعتبر

مؤسس للاقتصاد الماركسية. (المترجمة)

٥٤ أيم سبيت (1921-2002) فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد استقلندي. يعتبر مؤسس

علم الاقتصاد الكلاسيكي. (المترجمة)

٥٥ Chiba Ballarín, *Reinventing Western Civilization: France's Struggle as a Postcolonial World* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

شرط الوجود للمجتمع المتروبولي بحلول الوقت الذي «عُطيت فيه العلوم الجديدة» المجتمع» موضوعاً لنظرية نظامية.

كان هذا الارتباط واضحاً تماماً للمفكرين في القرن التاسع عشر، وكما عرّضت في الفصل الأول، فإنه أصبح بطريقة مشروعة أساس السوسيولوجيا بوصفه مشروعاً فكرياً. لكن سوسيولوجيا القرن العشرين رفضت بعض الفكرة الخلقية الفكرة لـ «التطور الاجتماعي»، ورفضت في الآن نفسه معنى الارتباط مع العالم الاستعماري الذي ارتكزت عليه تلك الفكرة. ومع الأكتوريولوجيا التي هي اليوم الحاوية الفكرية المهيمنة للمجتمعات البدائية، فإن باقي علم الاجتماع شكل نفسه على التفاعلات المتمركزة إتيّا لفرق إلى درجة كلية خاطئة، وهي أن الحضارة خلقت نفسها ضمن عالم الشمال الأخلاقي، باستقلال عن باقي البشرية. والمناقض التي بنيت على أساس هذه الكيفية، حال السوسيولوجيا الوطنية، ونظرية التطعيم، والاقتصاديات الكلاسيكية الجديدة، تم بالتالي تصديرها إلى باقي العالم مع كل السلطة التي امتلكتها المعرفة الأكثر تقدماً، وكل ثقل نزوة «العالم الأول» (First World) وفلورنت.

هوت محاولات لتصبح هذا، عبر إخفاء طابع موضوعاتي على فكرة الاستعمار وعدم المساهمة في العالم ضمن علم الاجتماع المتروبولي. ومن بين المحاولات كانت نظريات الصور الاستهلاكية¹¹¹ ونظريات الماركسية عن الإمبريالية، من هوبسون إلى لينين وما بعده، ومقاربة «النظام العالمي» (world system) التي طورها إيمانويل فالرشتاين ورفاقه. وفي مشاريع مرقود، مثل كتاب ديفيد سميث في «sociology» (سوسيولوجيا أفريقيا السوداء) الذي وضعه جورج بالاديه¹¹²، تمت بصورة مباشرة مواجهة التخصصات المرتبطة بقوة بممارسة علم الاجتماع في «الحالة الاستعمارية». حال هذا العمل ملهم، وسيدّ الفهم في مواضيع عدة من هذا الكتاب، لكنه ينطوي على مشكلة كبيرة جداً: إنه يعيد

111 في النظريات التي تروى الأزمات الاقتصادية إلى زيادة الإنتاج مع ضعف الاستهلاك.

المترجم

Georges Sahadine, *The Sociology of Black Africa: Social Dynamics in Central Africa* (1971) (London: South Britain, 1973).

من خلال تصنيف ألتج في المتروبول¹¹²، ولا يتعارض مع المفكر التي يتبعها العالم المستعمر.

يستمر تطوير العلوم المتروبولية التي يتم تعديلها بصورة مستمرة في وقتها، ويتضمن الاختصاص الآن أعمال فوكو وهيرمانس ونظرية اللغة¹¹³، والنمذجة الاقتصادية، وعلم النفس التطوري. وتلزم النظرية المتروبولية من خلال شبكة عالمية من المؤسسات تتضمن الجامعات والمنظمات العلمية والمجلات - كما أوضح أرتورو إسكوبار بيلانغا¹¹⁴ - ومؤسسات التنمية بقدا من البنك الدولي.

إن هيمنة المعرفة المتروبولية لا تمنح المعارف الأخرى كلها فلا تزال طرائق بديلة للتفكير بالعالم كواصل بمرم. لكنها مبرحان ما تُهملش - على ما أظهرت المناقشات الأخرى المعارف السكان الأصليين - وتُحطّم فكرًا، وتُسلط من مناهج المدارس والجامعات، أو تُمرق من جهة شركات بحث عن حقوق الملكية الفكرية¹¹⁵. ونشير فيما يلي¹¹⁶ إلى الطريقة الخاصة التي يعمل فيها هذا المبرحان من الحق لمصلحة النظرية الاقتصادية. ففي ظل هيمنة النظرية المتروبولية، يتم إلحاق الفكر الهندي على إرجاع مشاكل الفكر المحلية إلى الماضي، وعلى معاملتها بوصفها «تقاليد» ذات أهمية تاريخية أو إثنوغرافية، لكن ليس كمصادر للسلطة الفكرية في الحاضر.

112) انظر: هذا كلفا المتروبول في الآلية *metropolis* تعني «جامعة المقاطعات» في حين أنها

في لغة اليونانية *metropolis* تعني «البلدية الأم» باللغة المستعمرات. (المرجعية)

113) هي عقل دراسات تابع من «النظرية النقدية» ما بعد البنيوية التي ظهرت في مطلع تسعينات القرن العشرين على قاعها دراسات النسا والدراسات النسوية. وقد لعبت هذا الاسم النظرة النسوية للإيطالية ليريزا فو-لوريس *Donna E. Haraway* وهذه النظرية تهتم بالعلاقات ما بين الجنس والمصدر والطريقة من خلال دراسة كل حالة علاوة بالسلطة الجنس والسلطة. (المرجعية)

Arthur Escobar, *Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World* (Bloomington: Indiana University Press, 1995).

Catherine A. Odora-Rappaport (ed.), *Indigenous Knowledge and the Integration of Local Knowledge Systems: Towards a Philosophy of Integration* (Trenton, New Africa Books, 2002).

Das, p. 36

114)

لذلك، لا بدوني من تعدي السيطرة المتروبولية باكتشاف «آباء مؤسسين» بدلاء لعلم الاجتماع نفسه على سبيل المثال، بالادعاء بأن ابن حطرون أوجد علم الاجتماع في القرن الرابع عشر¹¹. فهذا يعطي الرخص البلاغي نفسه الذي تعطيه فكرة أن الثقافة اليونانية الكلاسيكية لها أصول أفريقية¹². لكنه لا يفعل شيئاً لتغيير شروط الإنتاج الفكري في المعاصر، بل إن حركات كهذه قد تكون غير مشروعة إذ تعيق بنات أمجاد الأفكار العربية أو الأفريقية إلى المعاصر البعيد.

وما يدعيه هذا الكتاب هو أن المجتمعات المستعصرة ومجتمعات الأطراف نتج فكرًا اجتماعيًا من «العالم الحديث» له السلطة الفكرية نفسها التي للفكر الاجتماعي المتروبولي، كما أنه ذو صلة سياسية. وحيث إن الأرضية مختلفة، فإن الشكل التطور مختلف أيضًا في الأقطاب. وهناك حاجة إلى العمل على تطوير الروابط، كما التناقضات، بين هذه المجموعات من الأفكار وتلك التي للمتروبول.

يتطرق هذا الكتاب إلى مسائل توفقت في نظرية ما بعد الاستعمار في الدراسات الآسيوية، وعلى الرغم من سعادتي بالأطراف، فإنهم إخوان سعيد في تحليله الاستشراق (Orientalism) والأعمال الأخرى من هذا النوع، إلا أن المشكلة المركزية للبحوث التي تناقشها هنا مختلفة. فهذا الكتاب مهتم بالبحث والنظرية حول الاجتماعي، و«محمور» هو بناء علم الاجتماع، وإعماله ذاته، يجب فهم علم الاجتماع في سياقاته الثقافية والسياسية والاقتصادية؛ لكنه لا ينفصل بأي من هذه.



لقد شرحت في هذا العمل بإجراء دراسة للتصوم، وهذا بحاجة إلى تبرير، فهو تونديجي¹³ في عمله الكتابي African Philosophy: Myth and Reality.

Rysz Hołdaś Adams, «The International, the Universal and the Future of Sociology», 1172 Current Sociology, vol. 44, no. 1 (2006).

Martin Bernal, Black Athena: The Afroasiatic Roots of Classical Civilization, vol. 1 (1987) (London: Free Association Books, 1987).

Paulin I. Hountondji, African Philosophy: Myth and Reality, B. Osofsky & J. R. H. (trans.) (1981) (London: Routledge, 1981).

(الفلسفة الأنثروبولوجية: الأسطورة والواقع)، يدلي بالملاحظة الحاسمة التي تقول إن الفلسفة شكل من المعرفة يعتمد على النص. وهذا صحيح بالنسبة إلى النظرية الاجتماعية أيضًا. فالكثير من المجتمعات لها تطورات اجتماعية وعلمية ووجودية [أنطولوجية] معبر عنها براء في أشكال شفوية وبصرية واجتماعية. الفصل التاسع يلمح بالمعرفة الاجتماعية المضطربة في مثل هذه الأشكال. لكن النصوص المكتوبة فحسب هي التي تسمح بالمناقشة المستدامة والتفكير المنهجي. والمعرفة الشفهية قد تراكمت والتأليف لكن وحدها النصوص تسمح لنا أن تتبع العملية ونعلق عليها. وأكثر من ذلك، فإن النصوص المكتوبة فحسب هي التي تسمح بإيجاد معرفة اجتماعية متعددة عبر مسافات كونية.

ذكرت على عدة صغائر نسبيًا من النصوص. هناك نوع من الكتابات على المرء أن يمر فيه عبر عدد كبير من المصادر. والتصالان الأول والرايع يمتدان هذه في محاولة لإيجاد بناء المسار التاريخي للأنثروبولوجيا في المايورول وفي أسبانيا. والفصل الثالث يفعل ذلك أيضًا حيث يحاول رسم خريطة لحيات العلماء. وبالنسبة إلى باقي الكتاب، فقد عملت برانيز أيزر واندو. أريدت أن أضيف بشكل معقول المشروعات النظرية للمؤلفين الذين أنشأوها، سواء أكانوا في المايورول أم في الأندلس. وهذا يعني الاكتفاء بنصوص معينة ومحاولة فهم كيفية عملها بشيء من التفصيل.

والنصوص قد امتازت نفسها جريًا بحسب تواريخها في المكتبات الأسترالية، أو سهولة الوصول إليها لأي مسافر. يمكنني قراءة لغات عدة، لكنني أظن الإنكليزية فحسب بطلاقة. ولهذا اعتمدت بقدر كبير على الترجمات وبعضها - كما يقول الحقلي الإيطالي (Gustavo Gullone) - «مهيئة للنص» مع ذلك فإن معظم الترجمات التي عملت بها بدت محاولات ترفيق للمهمة الصعبة للاتصال بين اللغات، ولذا كثرة الأخطاء للمراجعين لغياهم بذلك.

لقد بحثت عن إشارات مؤثرة عن الفكر الاجتماعي، مهما كان نوعها. وهي تراوح بين البحث العمودي والأصل الأدبية الواقعية. وبين مقالات المجالات

العلمية والمخطب الوضعية، والمتموز عليها أصبحت بتصانح أصدقاء وزملاء، في عدد من البلدان.

يركز النصف الأول من الكتاب على السوسيولوجيا، وهو علم الاجتماع الذي عملت فيه منذ أطول من غيره، وسأعاطف على هذا التركيز لجعل نقد النظرية الشمالية دقيقًا قدر الإمكان. وعندما انتقت إلى النظرية الجنوبية في النصف الثاني، فإن المدى يتسع، وتعميرات تخصصية، تتكفل هذه الفصول بين الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس والفلسفة والاقتصاد والدراسات الثقافية، إضافة إلى السوسيولوجيا كما أنها تعالج نصوصًا في أنواع غير قليلة للتصنيف في هذا المجال.

والفصلان الخامس والسادس ليسا محاولة لكتابة تواريخ الفكر الاجتماعي الأنثروبي، أو الإيروني، أو الأسيركي اللاتيني، أو الهندي. وأنا لا أملك المعرفة التقنية للقيام بذلك. يتطلب فهم نص ما بالتأكيد بعض المعلومات الأساسية، وأمل بالنسبة إلى القراء غير المتعودين هذه الآداب أن يلتفتوا شيئًا من التواريخ الساحرة المتداولة، لكن العملي المركزي يذهب على قراءة النظرية الاجتماعية، ويهتم هذا بالضرورة بالطريقة التي تتراكم فيها التصور وراء سياقاتها المباشرة. في نهاية المطاف، يتعلق الأمر بطريقة دمجها الاتصال العالمي للمعرفة.

لهذا يسجل النصف الثاني سلسلة من المقارنات بين قارئ معين ونصوص معينة. وهي تقارن عبر مسافات اجتماعية وتاريخية، وجغرافية أيضًا. بالنسبة إلى الشخص مثلي، فإن تعاملتي مع مصطلحات علي السرحي الشيعة الثورية (ينظر الفصل السادس)، على سبيل المثال، أو مصطلحات القضاة أكرم الشجرة لراؤول بريش (ينظر الفصل السابع)، ليس بالأمر البسيط، لكن يجب أن يكون ممكنًا إذا كان الحوار العالمي عن المعرفة الاجتماعية أن يحدث.

هذه بصراحة، تجربة. ولو لم يكن في الأمر جزء أكثر من اللازم لحدوث هذا الكتاب: قصة تجريبي مع الحقيقة، وهو يطوي بالتأكيد على كفاف طويل لفهم المواقف التي بدأت منها منذ سنوات طريقة وإعادة التفكير تجريبيًا فيها.

لكتب الصومع للجمهور. وهذا ما يتم تجاهله ببساطة في علم الاجتماع الماروي، حيث «الجمهور» المستهدف هو عادة الجمهور المهني المسلم بدلاً به. ومن المستحيل تجاهل ذلك مع نص مثل غرب زده كسي (زوجة الغرب، أو التسمم بالغرب)¹²⁴ لجلال آل أحمد مكتوب بأسلوب شخصي راقٍ لقراء إيرانيين من الطبقة الوسطى الحضرية في لحظة معينة من التغير الاجتماعي. مع ذلك، فإن أهمية هذا الكتاب، كما جردت في الفصل السادس، تنطلي تلك المكانة والتمتع المتحققة.

مع كتابات جلال آل أحمد، ومع بعض الصومع الأخرى، فإن لدى إيراني أن الكتابة تخلق قطعاً الجمهور الذي تخاطبه، مجتمعاً قراء لم يتم فهمهم من قبل. واجتماع جندابور جديدة غير مناطق مختلفة من العالم هي طائفة حيوية لعلم الاجتماع، إذا كان سيحصل كالمعرفة الذاتية للمجتمع العالمي.

طاية علم الاجتماع المعرفية ليست ثابتة أبداً. وبالتالي، تأثر البنى المجتمعية لكل جزء من العالم بأجندة السوق للسياسة النيولبرالية ومدى الوصول الأحدث في الأنواع للأعمال التجارية العابرة للأقطار. والجهل الذاتي المحفز لمجتمع السوق المحلية وعطية أمام علم الاجتماع. وقد أصبح التحول النيولبرالي بؤرة قوية للنظرية الاجتماعية في أميركا اللاتينية مع أنه ليس كذلك في أماكن أخرى (انظر الفصل السابع). وعلى الأمد الطويل، لا بد من أن يطول التحول علم الاجتماع الماروي أيضاً.

في الفصل العاشر، بحثت في التشكيلات الجديدة للمعرفة التي قد نتج عندما يتم احترام النظرية الجنوبية في كل مكان. والعطريات المتشكلة بصورة مختلفة ككلمة هذا. وهذا النقاش بداية مهذبة في أحسن الأحوال، وإذا ما استطعت إنتاج القراء بأنها البداية التي يجب تحسينها، يكون الكتاب قد حقق غايته.

124 Jalal Ali Ahmad, *Shikharshag* (Shikharshag), Jalal Ahmad & Ahmad Alimzadeh (trans.) (1981) (London, UK: Studio, 1982).

شكر وتقدير

تستند فصول عدة من هذا الكتاب إلى بحوث منشورة سابقًا، وأنا ممتن للمصاح
لي بإعانة طابعة موات من: «Why is Classical Theory Classical?», *American*
Journal of Sociology, 1997, vol. 102, no. 6, 1511-1527

«Australia and World Sociology», in: John Germov and Tara Brown McGorry
(eds.), *History of Australian Sociology* (Melbourne: Melbourne University Press,
2003), pp. 3-27.

«Northern Theory: The Political Geography of General Social Theory», *Theory*
and Society, vol. 33 (2004), 231-264.

«Conocimiento indígena y poder global: lecturas de los debates africanos»,
Summa, no. 25 (2006), pp. 86-97.

«Sociological Theories of Globalization: The View from the global North»,
Sociological Theory, vol. 25, no. 4 (2007).

ورائي لشكر الغراء والمحررين المعينين على نصائحهم.

العمل الفكري هو دائمًا عمل جماعي. وعلى الرغم من أنني المسؤولة
عن هذا الكتاب، فإنه ما كان لي بى الثور لولا مساعدة آخرين. وقد اقترح
الكتاب في البدء شريكى بام بتون (Pam Burton) التي يقف إلهامها حاضراً في
كل جزء منه. بدأ العمل المنهجي في إطار تعليمي عن «النظرية الكلاسيكية»
في جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز، وأنا ممتن للمشاركين والزملاء بمن فيهم
جون ساتونماتس (John Sathornmats) وويل لوبيك (Paul Lohbeck) وتيرى برك
(Terry Barker). وقد ساعد الزملاء في أستراليا والخارج بتقديم النصيح، وفوائم
المطالعة، والتعليق النقدي على المبررات، ونماذج من الأعمال ذات الصلة.
ورائي لشكر بصورة خاصة روبرت موريل (Robert Morrell) تيريزا فالديز (Teresa

«Believe (Chamari)» بهروز شمباري «Believe (Chamari)» بهروز شمباري
 فريدريك فاندربرغ «Frederic Vandenberg» تشيلا بوليك «Chilla Bolk»
 وجاين كينوي «Jane Kenney» ساندرا كسلر «Sandra Kusler» روبرا لي «Roberta Lee»
 «Katie» إضافة إلى أعضاء مجموعة النظرة الاجتماعية في جامعات سيدني
 وقراء ناشري الأكين بولتي برس «Polity Press» وأثن أند ألين أستراليا «Allen & Unwin Australia»
 «Linda Armstrong» وسبكون تاكر بولان هوتونديجي «Pauline Houtondy» ملحوظا
 في كتابي، والذي أمل بأن يقدم أفكاره لجمهور جديد.

على الرغم من أن هذا الكتاب لم يكتسب من دون الاستضافة من أي
 منتج بحثي، إلا أن له أستاذنا ماركو قدمت جامعة سيدني وزملائي في كلية التربية
 والعمل الاجتماعي، والذين أقرن لهم بالكثير، وكان المساعدان الباحثان جون
 فيشر «John Fisher» ومولي ليكلسون «Molly McLuskey» والمساعدة الإدارية
 نيكورا يونغ «Nicola Young» مساهمين مهمين في هذا المشروع.

وهناك أيضا أساس عاطفي لتعمل الفكري، والمعروف جيدًا لدى
 المؤلفين، على الرغم من أنه معروف بدرجة أقل لدى المشيرين النيوليبيين.
 ما كان لي أن أكمل هذا الكتاب لولا الدعم المستمر من بالريشيا سلكورك
 «Patricia Selkirk» وتوتي سكلوك «Tuti Scholok» وويلين ميكلوشا «Helen McKelusha»
 «Modestine McKelusha» وكيرستن غومارد «Kirsten Gornard» وينا تليكر «Peta Teller»
 وباري لورن «Barry Lorne» ولقد اعتمدت بصورة خاصة على دعم كاتلي
 ريتون كوني «Kylie Duncan-Conrad» التي أعدي إليها كل ما هو جيد هنا، ولقد
 في أنها وأفراد جيلها سيحملونه قدامًا.

القسم الأول

التفريغ الشماعي

الفصل الأول

الإمبراطورية وابتداء علم اجتماع

إذا خرج الرجل المتوحش من حالة يهيبة الإنسان بدائي يتحذر من إنسان جنوا (*Pithecanthropus*) وإذا خرج الرجل الهمجي من الرجل المتوحش، وإذا خرج الرجل نصف المنحصر من الرجل الهمجي، وإذا خرج الرجل المنحصر من الرجل نصف المنحصر، وإذا خرج الرجل المستقر من الرجل المنحصر القديم، إذاً هناك تقدم دائم على الرغم من مرور الألفاظ وجميع الإلفاعات التي تعرض لها هذه السلسلة من القواعد الطبيعية.

استر داور (1901)

لغة حليفة مألوفة كذلك وهي أن النساء اللاتي يشغلن مواقعاً محورية، يمتنع بعضهم الأعمال التي لا تتطلب مهارة ويحفظن أعيانهم، ويمكن أن تعيد إلى تلك حليفة ألين كجزءاً ما فمن في أثناء الحرب يحصل الموتى كما في آسيا في أوساط حضارة البهلين (*Behns*) والمغوليين (*Mongols*) وفي بوليفيا في أوساط سكان كاليديوا الجديدة وسكان جزر سالونتي، وكما في أمريكا في أوساط الكوماشين (*Comanches*) والمونكروكوس (*Manducos*) والباتاغونيين (*Patagonians*) ..

هربرت سبنسر (1879)

تخصص الأصل

افتح أي كتاب منهجي تمهيدي في السوسيولوجيا ومن المحتمل أن تجد في الصفحات القليلة الأولى، بحثاً عن الآباء المؤسسين يركز على ماركس ووركرهايم وغير. وقد يشهد الفصل الأول أيضاً بكونت وميسنر وتونيز وزيجلر وربما بعضاً آخرين. وفي النظرة التي تقدم عادة إلى الظلام، فإن هؤلاء الرجال أنشأوا السوسيولوجيا استجابة للتغيرات الدراماتيكية في المجتمع الأوروبي: الثورة الصناعية، الصراع الطبقي، العلمنة، التغريب، الدولة الحديثة. وهذا المنهج الدراسي مشهور بكتاب تاريخ على كتاب أن سوينجورد¹¹ تاريخ موجز للفكر السوسيولوجي *A Short History of Sociological Thought*. ويقدم هذا النص البريطاني الذي يحظى بتقدير كبير سرباً من جزئين: الأسس السوسيولوجيا الكلاسيكية (مركزاً على ماركهايم وغير وماركس)، والسوسيولوجيا الحديثة، والجزءان يشتركان الاعتقاد بأن ماركس وغير ووركرهايم هم أب السوسيولوجيا الحديثة¹². وقد حصل علماء الاجتماع هذه الرواية عن أصولهم محمل الجدل، وقبل عشرين سنة، بدأت مجموعة من أبرز علماء الاجتماع بمراجعة كتاب النظرية الاجتماعية اليوم *Social Theory Today* مع إعلان مشدّد مركزية الأصيل الكلاسيكية¹³. وفي القرن الجديد، بقيت التعديلات على النصوص الكلاسيكية نواتج مهلكة من الكتابة النظرية¹⁴.

تعمّد فكرة النظرية الكلاسيكية مبدأ معتدلاً بمعنى النظرية الأبدية: مجموعة مميزة من النصوص التي يحدد تفسيرها وإعلاناً لتفسيرها، التحلل¹⁵.

Alan Swingewood, *A Short History of Sociological Thought*, 3rd ed. (Basingstoke: Palgrave, 2005).

Ibid., p. x.

Jeffrey C. Alexander, *The Centrality of the Classics in* Anthony Giddens & Jonathan W. Turner (eds.), *Social Theory Today* (Cambridge: Polity Press, 1987), pp. 11-12.

Peter Hall, *Practical Classics* (Cambridge: Modern European and the Origins and Development of Sociology & Sociology (New Brunswick: Transaction, 2002).

Steven Seidman, *Classical Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era* (Cambridge, MA: Blackwell, 1994).

ويخفي هذه المبدأ المعين عقيدة باطنية لتاريخ السوسيولوجيا بوصفه علم اجتماع. وتتألف القصة من معقدة تأسسية تبرز من التحول الباطني للمجتمع الأوروبي، ومن التصووس الكلاسيكية المعرفة للموضوع والمكتوبة من مجموعة صغيرة من المؤلفين الألمان ومن خط مباشر منحصر منهم إليها.

لكن، لم يكن لدى السوسيولوجيين في العصر الكلاسيكي تلك القصة الأصل هذه. وعندما قام فرتكليف غوبنغر⁶²، أول بروفسور في علم الاجتماع في جامعة كولومبيا بنشر كتابه *مبادئ السوسيولوجيا*، سمي كتاب مؤسسا لدم حديث، وفي كافيته له مؤسسي السوسيولوجيا في لندن، سمي فيكتور براغورد⁶³ كاشفعية مركزية؛ كوندورسيه (Condorcet).

ومع إطلاق القرن (العشرين) لم يكن في السوسيولوجيا قائمة بالتصووس الكلاسيكية بالمعنى المعاصر. وكان المؤلفون الذين يقدمون الموضوع بشيرون إلى كونت على أنه مخترع الاصطلاح، وإلى هابز على أنه الشخصية الرئيسة في نظرية التطور، ومن لم إلى سلسلة واسعة من الشخصيات في مشهد التفكير التطوري. انظر إلى الرواية عن المنهج الدراسي في الطبعة الثانية من *السوسيولوجيا القديمة*⁶⁴ لـنستر وارد الذي أصبح في ما بعد الرئيس المؤسس للجمعية السوسيولوجية الأمريكية (American Sociological Society). ففي زمن إنجاز الطبعة الأولى، في عام 1883، لاحظ وارد أن المصطلح «سوسيولوجيا» (sociology) لم يكن شائع الاستعمال مع ذلك، ففي العقد القاصي، أسست سلسلة من المصاحفات العلمية التابعة السوسيولوجيا بوصفها ظهورا تلقيا، أصبح هناك مجالات بحثية، ومقررات تعليمية جامعية، وجمعيات، والسوسيولوجيا أصبحت على الأرجح العلم الرئيس في القرن العشرين، كما كانت البيولوجيا [علم الأحياء] في القرن التاسع عشر. وقد أفرج وارد سبعة

Franklin Henry Giddings, *The Principles of Sociology* (New York: Macmillan, 1894). 62

Vitor Braund, «The Foundation of Sociology», *American Journal of Sociology*, vol. 10, 671 no. 1 (1904).

Leone F. Ward, *Dynamic Sociology: or Applied Social Science as Based upon General Sociology and the Law Complex Science*, 3rd ed. (New York: Appleton, 1897).

وثلاثين مساهماً بارزاً في العلم الجديد. وتضمنت القائمة هوركهليم وتوليز، لكن ليس ماركس أو غير.

لقد أصبحت قائمة المشاهير مزجة شائعة في الكتب المنهجية للسوسيولوجيا التي تضافت في الولايات المتحدة اعتباراً من تسعينيات القرن التاسع عشر. وكان كتاب المصنفين (Presidents) غيدنزل من أولها ذلك. ضمن وزره في كتابه غيدنزل الذي قام من باب التباينة بتضمين وزره في كتابه، والإنجيل الأخضر (Green Bible) الشهير لمدرسة شيكاغو (Chicago School)، وهو كتاب مقدمة في علم السوسيولوجيا تأليف باريك ويرغيس¹⁰ أخرج ثلاثة وعشرين «معلوماً معطلاً في السوسيولوجيا المنهجية». وكان زيميل وهوركهليم من بينهم، لكن ليس ماركس أو غير أو باريتو. وقد أُشير إلى عمل واحد فقط من أعمال غير في هذا المجال ذي الألف صفحة، وفي الملاحظات للحسب.

بعد ذلك، ضمن عشرينيات القرن العشرين، لم يكن ثمة مغزى في كون تصور كلاسيكيات معرفية بالاختصاصي يتطلب دراسة خاصة، بل كان هناك شعور بتقدم حرفي، وتقريباً غير شخصي، للمعرفة العلمية. وكان البارزون يساهمة أعضاء الفريق الرائد. وقد تقلب علماء السوسيولوجيا وجهة النظر التي صاغها في وقت مبكر من تاريخ الاختصاص شارك لوتوردنو¹¹ الذي شغل أول كرسي لعلم الاجتماع في العالم، وهي ابتداء أي علم، مهما كان بسيطاً هو دائماً عمل جمعي. إنه يتطلب العمل الدائم للعديد من العاملين الصوريين¹².

لهذا فإن لدينا أسباباً قوية لشك في الصورة التقليدية لاستحداث السوسيولوجيا، وهذا ليس لتشكيك في تأثير بعض الأفراد فحسب. ينبغي لنا أن نضع تاريخ السوسيولوجيا كإنتاج جمعي، لناحية الاقتصادات المشتركة،

Robert E. Park & Ernest W. Burgess, *Introduction to the Science of Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1924).

Charles Loomans, *Sociology: Based upon Ethnography* (London: Chapman & Hall, 1941) 184, p. 4.

والإنجازات، والمؤسسات التي صنعت المنهج الدراسي في أوقات مختلفة، والشكل الذي أعطى لتاريخ العلوم الاجتماعية المتغيرة التي بنت العلم الجديد.

الاختلاف العالمي والإمبراطورية

كانت السوسيولوجيا بوصفها تخصصًا تعليميًا وعطفاً عالمياً خلال العقود الأربعين من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين في المدن الكبرى، وبمؤسسات الجامعات في فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وبعدها بوقت وجيز روسيا. وترى قصة التأسيس الداخلية¹³¹¹ (nationalisation) في هذه الأمثلة مواقع لعملية تحديث، أو تصنيع رأسمالي، مع النظر إلى السوسيولوجيا كمنهجية لتفسير ما كان يبرز هناك. «لقد كان قبل كل شيء علم المجتمع الصناعي الجديد»¹³¹².

الصعوبة الرئيسة في وجهة النظر هذه أنها لا تتسجم مع أكثر الأدلة عمداً: أي مع ما كتبه السوسيولوجيون في ذلك الوقت، وبمعظم الكتب المنهجية العامة للسوسيولوجيا حتى الحرب العالمية الأولى، لم يكن فيها الكثير ليقوله حول تحديث المجتمع الذي عاش فيه المؤلفون، ولا كتاباً غيدنفز قراءته في السوسيولوجيا الوصفية والنظرية¹³¹³. وهو النموذج في هذا المجال، بحرض مسائل تفرج بين تعدد الأزواج في ميلان، غير يلاءم التسل الأمومي بين التبار، ومطيمات ضلال المناجم في كاتينوربا، في حين كان قليل التركيز على الثقافة التي تناولها في قراءته حول «السبابة» كاستعداد من القرون الوسطى لأسطورة الملك آرثر.

ليس بالضرورة أن يطابق ما هو موجود في كتب الجامعات مع محور

1311 الداخلية لأن على نولف، ينظر بصفة العلم واجتماعيات المعرفة بعلوم على إعتاد

الأسئلة للتعامل الداخلية في تحديث المعرفة والحقيقة والفعل. المترجم

Tom Bottomore, *Sociology: A Guide to Problems and Literature*, 2nd ed. (London: Allen & Unwin, 1967), p. 7.

Franklin Henry Childs, *Readings in Descriptive and Historical Sociology* (New York: 1312 (Macmillan, 1966).

تركيز البحث في السوسيولوجيا، لكن لدينا عن هذا أيضًا وفرة من البراهين. فبين عامي 1888 و1913 أنتج إميل دوركايم ومعاونوه العاملون بذاته التي عشر إصدارات الحولية السوسيولوجية (*Sociological Yearbook*)، وهي عمل غير هادي لمسيح عالمي لجميع منشورات العالم في السوسيولوجيا، أو التي لها علاقة بها. وفي هذه الإصدارات الأثني عشر جرى نشر ما يقرب من 2400 مراجعة نقدية عدت المراجعات التي يخطئ كثير فحسب، مهما كان طولها، وليس الملاحظات المختصرة بالباطل الصغير في الإصدارات الأولى، ولا لقوائم العائدين من دور مراجعاتها. والمراجعات المتعلقة بأوروبا الغربية الشمالية وأمريكا الشمالية الحديثة تزداد بمرور الوقت؛ معدلها 24 في المئة من جميع المراجعات في أول ستة إصدارات، و28 في المئة في الإصدارات الخمسة التالية، و32 في المئة في الإصدار الأخير لسنة التي سبقت الحرب.

كان المجتمع الصناعي الحديث مشغولًا بالتأكيد بالمجلة نشرت مراجعات عن العامل الأمريكي، وعن الطفلة الوسطى الأوروبية، وعن التكنولوجيا في المصانع الألمانية، وكتب للزوجين جيب (Sidney and Beatrice Webb) وروبرت (Robert Sewall)، وروث (Charles Booth) من النظر في لندن، وحتى أعمال راسبي ماكدونالد (Ramsay MacDonald)، رئيس وزراء بريطانيا من حزب العمال في ما بعد. لكن الأعمال التي ركزت على المجتمعات الأخيرة أو المعاصرة لأوروبا وأمريكا الشمالية شكلت جزءًا لحسب من محتويات الحولية السوسيولوجية: حوالي 22 في المئة من جميع المراجعات. وركزت حتى أقل من ذلك على المجتمع الصناعي الجديد، حيث إن المراجعات حول أوروبا نقصت أطروحات عن العنصرية الشعبية للفلاحين، وأعمال المسرح في اسكتلندا والجريمة في أستراليا (Macdonald)، ونيلس الجصاص.

انغم ما يصل إلى ضعف المراجعات بالمجتمعات القديمة ومجتمعات القرون الوسطى، أو المجتمعات الاستعمارية أو التالية أو المشرق العالمية للتاريخ الإسلامي. أما الدراسات عن الحرب المقدسة في إسرائيل العالقة وسحر الملايو، والهند البوذية، ونقاط غنية في القانون الروماني، والتأثر في القرون

الوسطى، والقرابة بين السكان الأصليين في أستراليا الوسطى والنظم القانونية للمجتمعات البدائية فكانت من سمات السوسيولوجيا، كما تروي في السوسيولوجيا، أكثر من الدراسات عن التكنولوجيا أو البيروقراطية الجديدة.

والطيف الهائل للتاريخ الإنساني الذي اتخذ السوسيولوجيون مجالاً لهم كان ينظم حول فكرة رئيسة: الفرق بين حضارة المبرورين والثقافات الأخرى التي كانت تحتها الرئيسة بدائيتها. وأنا سأدعو هذا بفكرة الاختلاف العالمي. وهذا الشاطئ المعروف في أشكال عدة مختلفة منذ سوسيولوجيا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

طُرحت فكرة الاختلاف العالمي من خلال مناقشة «الأمور» الخاصة وعرضي السوسيولوجيون في هذا النوع من الكتابة حالة أصلية من المجتمع، ثم يفكرون في عملية التطور التي لا بد من أنها حصلت بذلك حتى الآن، والجزء الأكبر من الأجواء الثلاثة لكتاب هربرت سبنسر ميادين السوسيولوجيا *Principles of Sociology* والذي صدر لأول مرة في سبعينيات القرن التاسع عشر، روى مثل هذه الحكاية لكل نوع من المعاهد التي استطاع سبنسر التفكير فيها: المعاهد المحلية، والمؤسسات السياسية، والمعاهد التكنولوجية، وعلم جزأ، وقد تصرفه سبنسر وكان يوهان التطور الاجتماعي لم يكن قائماً من دون سره تطوري لكل حالة، من الأمور حتى الشكل المعاصر.

التشريد صيغة التطور من أصل بدائي إلى شكل متقدم في الفكر الفينكتوري¹¹¹. وقد طبق علماء الاجتماع بساطة منطقاً كان جمهورهم سيحدثه مألوفاً. ويمكن العثور على هندسة العنارة نفسها في أعمال معروفة تدلنا على تقسيم العمل في المجتمع لـ *موركلهايم*¹¹²، وأعمال مفهورة مثل *طبعة في السوسيولوجيا لـ فيرديناند*¹¹³.

J.H. Elliott, *Emile and Society: A Study in Historical Social Theory* (Cambridge: Cambridge University Press, 1966).

Emile Durkheim, *The Division of Labor in Society* (New York: Free Press, 1983). 111

Arthur P. French, *Introduction to Sociology*, 7th ed. (New York: Scribner, 1986). 112

لم تكن فكرة الأصل في أي من هذه الأعمال قد أصبحت كمناسبة ترميزية متداخلة أو صلبة. وكان يمكن أن يحدث ذلك لأن معرفة المؤرخين بالمجتمعات الأولى كانت تنمو بشكل كبير في تلك الفترة، وقد نادى شلايمان (Schliemann) وإيفانز (Evans) عن طروادة وميتة وكوموس، وروبي فلندرز بيري (Flinders Petrie) مناج أكثر مصر، وتم اكتشاف أول دليل على الثقافة السومرية في لجيش (Lagash) ونينور¹⁰⁷ (Nippur). لكن السومريولوجيين لم يهتموا بمكان ونوع حدث مزحل بعينه وزمان وقوعه، ولم يشغلوا في الزمن الذي حصلت فيه التطورات الرئيسة فعلاً. وقد عمل الزمن في الفكر السومريولوجي بصورة رئيسة كعلامة على الاختلاف العالمي.

لم يكن على دوركهام أن يحدد وقتاً دقيقاً في الماضي لـ المجتمعات القبلية (tribes)، فقد وجدت في زمانه من. وقد استخدم دوركهام مثال قبائل الجزائر إضافة إلى العبرانيين القدماء، ولم يقع أي تمييز منهجي بين الاثنين. كان سلفاً على أعمال العبرانيين لأن النصوص القديمة كانت في مكتبته. لكن كيف عرف أعمال القبائل؟ لأن الفرنسيين احتلوا الجزائر في وقت سابق من ذلك القرن، وفي الوقت الذي كتب دوركهام، كان المستعمرون الفرنسيون يجعلون السكان المحليين من القبل الأمازيغي¹⁰⁸. وإذا أخذنا في الاعتبار التاريخ الحديث للغزو وثورة الفلاحين والنقاش حول الاستعمار، فإن آباء من المفكرين الفرنسيين لا يستطيع إلا أن يعرف شيكاً عن القبائل. في الواقع، إن الحياة الاجتماعية لرحابا فرنسا في شمال أفريقيا قد وُثقت بتفصيل كبير بسلسلة من التحقيقات الخاصة والرسمية¹⁰⁹.

لم تكن الجزائر حالة معزولة. ففي عشرات السنين قبل نشر تقسيم العمل،

William B. Stalling, *Uncovering the Past: A History of Archaeology* (Boulder 1972) Prometheus Books, 1993.

Mohamed Benissou, *The Making of Contemporary Algeria, 1830-1987* (Cambridge 1981) Cambridge University Press, 1981.

Edmond H. Burns, «The French Tradition of the Sociology of Islam» in Mohamed Kour 1981 and J. Islamic Studies (Thama Studies, C.A. Indiana University Press, 1986).

كانت جيوش الجمهورية الفرنسية قد تمركزت من الجزائر لتحتل تونس، وعاصمتها، حرقاً في الهند الصينية، واحتلت ألبان وتونكين لإتقان الهند الصينية، وسيطرت على لاوس وكامبوديا، وأسست محمية في مدغشقر، وبموجب معاهدة برلين في عام 1885، أصبحت مراكز التجارة الفرنسية في وسط أفريقيا وغربها الأساس للإمبراطورية كاملة جديداً. وفيما كان دوركهايم يكتب القسم العمل، وقواعد المنهج السوسيولوجي¹²⁰ ونشرهما، كانت الجيوش الفرنسية متحركة في سلسلة مذهلة من الحملات ضد الأنظمة الإسلامية في عدن وأرضي شمال أفريقيا وغربها والتي أنتجت فتوحات واسعة من الأطلسي وحتى النيل الغربية.

هذا كله كان جزءاً من عملية أكثر. فالإمبراطورية البريطانية، وهي أيضاً إمبراطورية بحرية في تاريخ ما قبل الصناعة، اكتسبت بالمثل دينامية جديدة ونمت إلى حجم كبير شاسع في القرن التاسع عشر¹²¹. وأصبحت الولايات المتحدة باستعماراتها الثلاث عشرة من أكثر القوى الإمبريالية دينامية في القرن التاسع عشر، مع حوالي ثمانين سنة من الفتح البري والاستيطان الاستعماري نحو الغرب، بدءاً خصوصاً بعدة قصور من الفتوحات الخارجية. وفتوحات القراصنة البرية التي بدأت في ثرون سابقة، تمت توسعتها إلى شمال شرق آسيا ووسطها. وفي الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، تم توحيدها مع المستوطنات الروسية. وبدأ توسع بروسيا يوصلها قوياً إمبريالية بفتوحات داخل أوروبا. في أثناء العملية، أصبح إقامة علاقات بين الأجناس المهيمنة والمقهورة في الشرق الموضوع الأساس للشباب ماكس فيبر¹²². في قول بحث سوسيولوجي، وابتعت المستعمرات الألمانية ما وراء البحار في أفريقيا والمحيط الهادئ تشكلت الرابع في عام 1871. وبحلول الوقت الذي واجه فيه نظام الإمبراطوريات المتنافسة

Ends Dethroned, *The Rules of Sociological Method* (Glencoe, IL: The Free Press, 1984), 1281.

P. J. Cain & A. J. Hopkins, *British Imperialism: Innovation and Expansion, 1688-1914* (New York: Longman, 1993).

Max Weber, 'developmental' tendencies in the Situation of East Asian Rural Laboratory', 1221 in: Karl Weber (ed.), *Reading Weber* (London: Routledge, 1998) pp. 156-167.

ازدهت في الحرب العظمى بين عامي 1914 و 1918، فكان توسع القوة الغربية إلى مستوى عالمي قد وصل إلى ذروته.

في هذه الفترة انشط عمل السوسولوجيا كأحد جيلتها، فباتت المراكز الحضرية والثقافة للقوى الإمبريالية الرائدة هي الأماكن التي تركز فيها الاختصاص في دراسة المد الإمبريالية الحديثة. لقد كانت هي «المثربول» في الاصطلاح الفرنسي الجديد، للعالم الاستعماري الأخير. وكان المفكرون الذين ابتدعوا السوسولوجيا على علم كبير به.

ومنذ فتح كارل مان¹²¹ الواقع لورقات الجنس الإنساني في *The Sexual Machine* بدأ المؤرخون يبرزون التأثير الكبير للتوسيع العالمي للقوة الشمال أطلية في الثقافة الشعبية¹²² والميدان الفكرية¹²³ في المثربول. كما تأثروا في المستعمرات. وسيكون من المدهش في ما لو أن العلم الجديد للمجتمع قد نجا من تأثير التغير الاجتماعي الأعظم في العالم ذلك الوقت. في الواقع، العلاقة كانت حميمة. السوسولوجيا تشكلت ضمن ثقافة الإمبريالية، وجسدت استجابة فكرية للعالم المتغير للاستعمار. وهذه الحقيقة حاسمة لفهم مفهوم السوسولوجيا ومنهجها، إضافة إلى الأهمية الثقافية الأوسع للموضوع.

محتوى السوسولوجيا ومنهجها

كما لاحظ المنحصر أوتو تود الأول بروفيسور للسوسولوجيا وربما لا يزال الوحيد الذي قدم رسومات (زهور الفكر) اليابانية في مناقشة نظرية اجتماعية،¹²⁴ فقد توافق علماء السوسولوجيا من كونت فصاحتاً، بشكل عام معتبر، على أن الدور الوحيد لأعلم عن المجتمع هو في مساهماته في نظرية عملية للتقدم¹²⁵.

V. G. Kiernan, *The Lords of 'Human Kind': Black Men, Yellow Men, and White Men in an 1211 Age of Empire* (Boston: Little, Brown, 1969).

Robert H. MacKenzie, *The Language of Empire: Myths and Ideologies of Popular 1241 Imperialism, 1880-1914* (Bloomington: Manchester University Press, 1994).

Edward W. Said, *Culture and Imperialism* (New York: Vintage, 1993). 1221

Arthur James Hall, *Phonics of Social Progress: A Critical Study of the Attempts to 1241 Formulate the Conditions of Human Advancement* (New York: Macmillan, 1906), p. xii.

لما هوذا سيواته بل، النبع الطويل بين جميع من تشكلت أفكارهم عن علم اجتماع من قبل كونت، فكل من مساواة التغير التاريخي بالتحسن¹²¹، وتقليد من علماء الاجتماع من أتبه، في حين جعلت محاولة سينر الأولى في النظرية الاجتماعية، في مؤلفه *المكونات الاجتماعية*¹²²، التحسن الأخلاقي حجر الزاوية في تحليل *المحاولة الاجتماعية* (*the social quest*)، وكان اكتشاف قوانين التقدم ونشرها جوهر ما غتته السوسيولوجيا في الجيلين اللاحقين.

في كتابات أوجست كونت، كان التركيز غالباً على تسلسل القديم - القرون الوسطى - الحديث في أوروبا، وقد رفض الفناء في أواخر القرن التاسع عشر اعتباطية نظام كونت، وطالبوا بإعادة تجريبية مفهوم التقدم.

كانت هذه هي الأرضية المشتركة بين سينر ولانورنو، وإنها الحقيقة عظيمة الأهمية أن كلا المؤلفين التفت إلى العائد الإكتوفاقي للإمبراطورية بوصفه مصدراً رئيساً للبيانات السوسيولوجية. وقد وثقت مبادئ السوسيولوجيا لسينر قصصه النظرية من كتابات الرحالة الأوروبيين والمبشرين والمستوطنين، والمؤرخين الرسميين المستعمرين، كما من المؤرخين، فعلى سبيل المثال، راجعت قائمة مراجع سينر لبحثه في «المؤسسات السياسية» ما بين يوميات المستكشفين الشمال أميركيين: لويس (Lewis) وكلاك (Clark) عبر مجلة الجمعية الآسيوية للبحوث (*Journal of the Asiatic Society of Bengal*) وسجلت ثلاث وثلاثون سنة في تسمانيا وفيكتوريا *Thirty-three years in Tasmania and Victoria*، إلى ذلك العمل الثلاث لاتجاه عالم بفراسة التضاع بين قبائل القوفا (*A Phenomenon among the Quovs*)، وفي حين أن عمل لانورنو السوسيولوجيا المبينة على الإكتوفا¹²³ ضبط الواقع بعلميات أكثر دقة، إلا أنه كان بسيطاً في مصادر.

وفي الوقت الذي تمتد مأسسة السوسيولوجيا في العقد الأخير من القرن، فإن اليرقان المركزي على التقدم - وبالتالي الأرضية الفكرية الرئيسة

John Stuart Mill, *A System of Logic* (London: Longmans-Green, 1843), p. 346.

[121]

Herbert Spencer, *Social Statics* (New York: Robert Schalkenbach Foundation, 1895).

[122]

Comtean Sociology.

[123]

التي استقر عليها العلم الجديد - فإن التماس بين المجتمعات المتروية والاستعمارية ولم يعامل علماء الاجتماع في أهمية هذا التماس، بل جعلوا في كيفية تفسيره في ما إذا كان من خلال التطور البشري من الأدنى إلى الأعلى من الأنماط البشرية، أو من خلال تطور العقل والأشكال الاجتماعية، وفي ما إذا كانت المنافسة أم التعاون محرك التقدم. وفي هذا السياق، فإن عمل دوركايم تقسيم العمل (*Division of Labour*) لم يكن نصاً مؤسسا. لقد كان تدخلا متأخرا في جدل طويل الأمد.

لم يكن الاهتمام بالتقدم «البناء» قابلة للفصل عن العلمية بل كان ناسبا في المعرفة السوسيولوجية. ومناقشات وارد وهوبهاوس ودوركايم وسبنر وحتى كونت نفسه كانت حثية لأنها لم تقع في حسابها مسبقا حقيقة التقدم. لقد كانت وكأنها تقرير عن تقدم نشرته السوسيولوجيا في ما وراء المتروبول. فسوسيولوجيا سبنر، على سبيل المثال، كانت قد توفقت كثيرا في الهند في أواخر القرن التاسع عشر، وأصبحت في الترجمة مؤثرا ذا أهمية على مفكري اليابان في حقبة الميجي [الحكومة المستعمرة] والحركة الجندهرية الصينية.¹⁰²

المواضيع التي يعالجها هذا الاختصاص الجديد لحية بالمعلومات، فعلم اجتماع مبني على العلاقات الاجتماعية للإمبراطورية يجب أن يتعامل مع العرق، وعلم اجتماع مهتم بالتقدم التطوري وهرميات السكان يجب أن يتعامل مع الجندر [النوع الاجتماعي] والجنسية. في الواقع كان العرق والجنس والجنسية قضايا جوهرية في السوسيولوجيا المبكرة. وعندما اقترح ميرزا في عام 1901 أن عاجز القرن كان مشكلة القرن العشرين، فإنه لم يكن يقول شيئا غير عادي في ذلك الزمن.¹⁰³ وكان الاختلاف العالمي يُعشر باستمرار من

Karl-Helm Tiedtke, «European Sociologists and the Modernization of Japan», in: Wright (1981) *Modernism in Asia*; Tiedtke (eds.), *Sociology in Japan* (Berlin: Walter de Gruyter, 1994); Inoue Chieko, *Intellectuals and the State in Modern China: A Narrative History* (New York: Free Press, 1981).

W. E. B. Du Bois, «The Problem of the Twentieth Century is the Problem of the Color Line», in: *The Sociology and the Black Community* (Chicago: University of Chicago Press, 1966), p. 284.

حيث العرق. وحدث «إثنوغرافيا» لوتورنو علم العروق العرقية. وقد ابتدأ مؤلفه السوسولوجيا بتعداد الأعراق البشرية مع تمييز الأسود والأصفر والأبيض منها بحسب حجم الجماعة. وكان وارداً¹³² وألفاً من أن التراجع العرقي العالمي يعكس تفوق الأعراق الأوروبية، وأن التقدم العالمي كان معتمداً على انتصارها العالمي.

هنا لعكس السوسولوجيا، وأكثر الطرائق مباشرة العلاقات المجتمعية للإنسانية. وهذا لا يعني القول إن السوسولوجيين كلهم كانوا مختصرين بصراحة على الرغم من أن بعضهم كان بالتأكيد كذلك¹³³. فلقد قاسى الآخرون ومن بينهم ترويا ووردكهايم من آثار العنصرية. والمسألة، بالأحرى، هي أن العنصرية العنصرية على مستوى العالم كانت إدراكاً مبدئياً في مفهوم «التقدم»، وكانت جزءاً مركزياً عما كان يُظن أن السوسولوجيا ستكونه.

كما لم يكن هناك أي سؤال حول أهمية الجندر والجنسية. فقد أعطى كورت في كتابه نظام السياسة الاجتماعية (Social System) أهمية معينة لدور الاجتماعي للجنس ونزاعه الشهير مع بيل تومسن اختلافات حادة حول خطوط البراءة. وعندما وصل ميسر إلى كتابة الجزء الأساس الكبير من مباني السوسولوجيا كانت أول مجموعة من المؤسسات التي تناولها هي المجموعة «العائلية» (Kinship) وقد عني بهذا ما نسميه الآن قضايا الجندر: القرابة والعائلة، ومكانة النساء. وقد عالج لوتورنو الزواج والعائلة من قبل بإسهاب عظيم إسهام في معالجة البيئية. وتعامل مع الفريزة الجنسية الحاجة التواليفية في بداية السوسولوجيا الغربية مع غياب شير للكتابة التيكوريز. فالعيسى والزواج والاعتراف والاختلاط والكراهة، كانت جميعها على أجناسه. وفي الجيل التالي تابع ولره وتونيز وسومر (Sumner) وتوماس التركيز على الجنس والعنصر.

¹³² Ward, *Dynamic Sociology*.

[131]

[132] رافلز: *Sociology Applied to Practical Politics* London: Longmans.

Ward, *Dynamic Sociology*, 198-9.

يمكن تفسير بعض هذا بالمخطوط الداخلية، من خلال تأثير الموجة الأولى للمدافعين عن حقوق المرأة¹¹⁴. لكن الطريقة التي تم بها تناول قضايا الجنس والجنس في السوسيولوجيا كانت شديدة التأثر بالهواجس التطورية وبفكرها الإمبراطورية. وفي السباق الإمبريالي، لم تكن القضايا العرقية والجنسية منفصلة. وفي أواخر القرن التاسع عشر، كان توسع قوى شمال الأطلسي مصحوبًا بخوف متزايد من التمزج الجنسي، وبهاجز لوني متصلب، وباحتفاظ المستعمرين المتنامي الغريزة المستعمرين الجنسية أوذكوريته¹¹⁵، وبمخاوف من الإفراق العنصري. إن الأصداء لتروند في أكثر النصوص المتروية ليجزك. وقد لاحظ جودنغر¹¹⁶ وهو وسط فكرته عن نوعي النوع، أن «المخلوقات الحية لا تتزاوج عادة مع أفراد من غير نوعها». وكان مثال الأول: «الرجل الأبيض لا يتزوجون عادة نساء سوداوات».

كان أكثر مزيانة المنهج السوسيولوجي إيمانيًا هو تجرده الجري. لقد فُهم كونت «قوانين» تكافئة واسعة النطاق؛ وفي الاجتماع الاتحادي للجمعية السوسيولوجية الأميركية (American Sociological Society) بعد ستين سنة، كانت الجمعية لا تزال تحتفل بقوانين رابطة التطور الاجتماعي. وقد جادل دوركايم¹¹⁷ بطريقة متفجرة بأن هذه المقاربة كانت الأساس لكل مشروع: «السوسيولوجيا المقارنة ليست فرعًا معيّنًا من السوسيولوجيا، إنها السوسيولوجيا نفسها»¹¹⁸. وعلى المنهج المقارن، جميع أمثلة من «الأنواع» (species) الاجتماعية المحددة الجاري دراستها، ولجميع اختلافاتها.

ويستند هذا المنهج إلى طريق في التجاء واحد لتدقيق المعلومات، ومقدرة على فحص نطاق أو سلسلة من المجتمعات من الخارج، وإجابة لتحرك

Henry L. Popenoe, George Ellery Smith and Herbert Spencer: *Evolution, Eugenics, and the 1941 Reconstruction of Gender* (Princeton: Princeton University Press, 1991).

Miriam M. Shtet, *Colonial Masculinity* (Baltimore: Maryland University Press, 1995). (114)

Collings, *The Principles*, p. 101. (115)

Ernst Haeckel, *The Study of Developmental Biology* (Chicago: U. of Chicago Press, 1895). (116)

Ibid., p. 119. (117)

المطاطرة الواضحة هنا هي الكلاسيكية، ويمكن التغلب على هذه المشكلة بواسطة شكل مختلف من المنهج المقارن الذي أنتجت نوعيته الثنائية بعض أفضل ما يُذكر من النصوص «الكلاسيكية». وأما أدور هذه المقاربة الإثنوغرافية الشاملة (ethnographic) على التلخيص من العمل الميداني المتحكم التركيز لفرانز بوا (Franz Boas) أو لوليام إدموند بورهاردت (E. B. de Bore) أو للمختصين الفرنسيين بالجزائر والمغرب. وقد بُني النمط المعتاد للإثنوغرافيا الكبرى على فكرة الاختلاف العالمي، مقدماً روايات شمولية عن المجتمعات عند نشوء التقدم وإنهائه.

والتنافس الشهير بين «الجماعة» (community) و«المجتمع» (society) هو الإثنوغرافيا الشاملة بهذا المعنى، محددة حالات التنافس للمجتمع. وتقسيم العمل لدوركهيلم كان إثنوغرافيا إجمالية أكثر دقة، محددة أساس التنافس في تقسيم العمل. وأبدت التحولية السوسولوجية اعتماداً غريباً بمحاولات تمييز الفنون البدائي من التحديث، والتطبيقات الألمانية حول «الشعوب البدائية» (Völkervorsch) وتبنيها من «الشعوب المتحضرة» (Kulturvorsch) وبمحاولات صراع طبيعة الدين البدائي. لقد مثّلت الإثنوغرافيا الشاملة الذروة الفنية للسوسولوجيا الكونتية، والصيغة الأنثوية التي اتخذتها نظرية التقدم في حين تم تجاوز خطاب الصراع من أجل الوجود.

السوسولوجيا في الثقافة السياسية للإمبراطورية

كان في مجتمع المتروبول أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مجموعات عدة من المفكرين تصارع على تحليل المجتمع. وأنتج حراك العاملين الأوروبيين والأمريكيين الخطوط الفكرية واحداً في حين أنتجت نملة النساء الخطوط الأخرى. والادعاء بأن هاريت مارتنر (Harriet Martineau) كانت تقول عالمة اجتماع¹⁴ على طيه الزمن، لكن قصة مارتنر - الرواية والباحثة

Susan Hanlon-Bryce, *Harriet Martineau: First Woman Sociologist* (New York: 1921) St Martin's Press, 1992.

في الاقتصاد السياسي، ومنهجية كونيت، والرحالة الكتابية والمصليحة - يجب أن تنبثق إلى لعقيد الوسط الذي برزت فيه السوسولوجيا.

وما وراء المتروبول، كان هناك مفكرون كثيرون في هذه الفترة، نظروا إلى الحضارة من وجهة نظر ثقافات غير أوروبية، وإلى الأوروبيين من وجهة نظر المستعمرين. وكانت الثقافات في الثقافة والحياة الاجتماعية قضايا مركزية لمثقفين متنوعين كالألماني في الشرق الأوسط الإسلامي (أنظر الفصل السادس) وتشارلي (Chubb) وطافور في الهند (أنظر الفصل الثامن) وحيون بات جين¹⁰⁰ في الصين.

تنبثت من هذه المجموعات سلسلة من الخطابات حول المجتمع، كانت السوسولوجيا مجرد واحدة منها. والفوضوي باكوتين¹⁰¹، ينتقده كونيت من ناحية، وماركس من ناحية أخرى. لمارك ماركزا ويشكل مدعى أن «علم المجتمع» قد يمزج مصالح مجموعة مجتمعية معينة. وروغن مابرة باكوتين، علينا النظر في المواقع الاجتماعي الذي تطورت فيه السوسولوجيا، والثقافة الثقافية التي كانت رداً عليها.

لقد تطورت السوسولوجيا في موقع اجتماعي محدد: بين رجال الرحالة الليبرالية المتروبولية. كان أولئك الذين كتبوا السوسولوجيا خليطاً من مهندسين وأطباء وأكاديميين وصحافيين ورجال دين، وقلة قليل غير بعد. انهياره المعاصر هم الذين استطاعوا العيش اعتماداً على رسائيل عائلاتهم.

إن هذا لا يعني القول إن السوسولوجيين كانوا يشكل عام، من الأقليات أو المدافعين عن قضايا الأقليات. وتشير روس¹⁰² إلى المسافة الاجتماعية بين صانعي السوسولوجيا الأمريكية والمستعمرين (المثاليين) الرأسماليين للتصنيع

Sam Yaman, Sam Shih Chu & The Elites Principles of the People, Frank W. Price (trans.), 1911
L. T. Chen (ed.) (New York: Da Capo Press, 1975).

Michael Bakunin, «Nation and Anarchy», in Sam Seligson (ed.), Bakunin on Anarchy 1941
London: Allen & Unwin, 1979.

Charley Ross, The Origins of American Social Science (Cambridge: Cambridge 1911)
University Press, 1994).

الأميركي- فغير كان نافلاً عتياً للعليلة المعاكسة في الرابع الألماني، ولم يكن دوركهام صديقاً للأستطراطية الفرنسية. مع ذلك، فتكلامها التضع من حرية الطبقة والجنس. ومعظمهم عاش حياة برهناوية متواضعة، مدعومة بالعمل المنزلي للنساء في الأسر الأبرية. وقد وصف مصالحهم الاجتماعية بصورة جيدة شعار كوليت «النظام والتقدم».

بدأ رجال من هذا الصنف بمناقشة «علم الاجتماع» (The Social Sciences) كما دعاه بل، من خمسينيات القرن التاسع عشر فصاعداً في حركة منتشرة لتطبيق التفكير العلمي على المجتمع ولتحفيز التحسينات الخلقية. وقد أُنشئت جمعية جامعة لعلم الاجتماع في لندن في وقت مبكر يعود إلى عام 1857¹⁰⁰، وسرعان ما لم استنسخها في بوسطن. وأُنشئت الحركة نفسها منهج «علم اجتماع» خلقياً إلى حد بعيد في كليات أميركا الشمالية اعتباراً من ستينيات القرن التاسع عشر¹⁰¹. والمحاولات القومية لتوليف حقائق الحياة البدائية مع التقدم الاجتماعي، مثل (أميل) إيموردي ديلور «ثقافة البدائية»¹⁰²، طابقت محاولات لتأسيس معاهد لعلوم علم للإنسان. ولدت الأخيرة، في فرنسا، إلى ظهور أول كرسي أكاديمي سمي «السوسولوجيا» (sociology) عُيّن فيه لورنورنو في عام 1885¹⁰³.

في تسعينيات القرن التاسع عشر، بدأت تحول محل منهج علم الاجتماع في الولايات المتحدة الذي كان قد تصدح فعلاً، مقررات علمية أكثر وعياً ذاتاً أطلق عليها اسم «السوسولوجيا». وكان ادعائهم بالعملية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالتحول إلى الطريق المطارد والنظرة الإمبريقية التي بُحِثت أعلاه. ومن

Ellen Jane Yeo, *The Context for Social Science: Relations and Representations of 1901 Gender and Class* (London: Bloomsbury Press, 1996).

L. L. Bernard & Jessie Bernard, *Origins of American Sociology: The Social Science 1871 Movement in the United States* (New York: Russell & Russell, 1965).

Edward B. Tylor, *Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, 1901 Philosophy, Religion, Language, Art, and Custom*, 2nd ed. (London: Murray, 1879).

Ernst Hahnel Clark, *Prophet and Pioneer: The Fernal University and the Emergence of 1901 the Social Sciences* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1975).

هذا كان هذا المحتوى الذي يشمل العالم للمجلد الأول من الكتب الدراسية للوسبولوجيا. وتم إنشاء أقسام وسبولوجيا بالاسم، وتضاعفت المقررات الجامعية، وتطورت بسرعة سوق للكتب الدراسية¹⁰⁰.

كانت أوروبا أيضاً قليلاً في إنشاء أقسام وسبولوجيا لكنها أكثر سرعة في الجمعيات والمجلات العلمية. ومع اندلاع الحرب العظمى، كانت الجمعيات السبولوجية والمقررات الجامعية في السبولوجيا متعاذة معزولة بها في معظم الأنظار الأوروبية، وأُنشئت روابط عالمية على سبيل المثال، من خلال معهد السبولوجيا الدولي (Institut International de Sociologie) في باريس (France) التي تم إنشاؤه في عام 1899، ومن خلال الزيارات في الاتحاديين عبر شمال الأطلسي، ومن خلال المجلات. وقد وفرت هذه لائحة عملية للوسبولوجيا من أجل التطور بوصفه تشكيلاً عالمياً. وبفضل المؤرخون الذين يؤكدون تميز التقاليد الوطنية للوسبولوجيا¹⁰¹ من أهمية الخطار الذي رأى فيه علماء تلك الحقبة أنفسهم جزءاً من وسط أكاديمي عالمي، ولهموا السبولوجيا بوصفها علماً كونيًا.

كان تدخل المبادرات الأكاديمية نوعاً من الكتابة السبولوجية الشعبية. وكان يمكن كتابتها مثل التطور الاجتماعي (Social Evolution) لينجامين كيد (Benjamin Kidd) أن يكون الأكثر مبيعاً بصورة معتبرة. خلال أربع سنوات من نشره في عام 1894، أعيدت طباعة هذا الكتاب أربع عشرة مرة في إنكلترا، وكانت له طبعات أمريكية وألمانية وسويدية وفرنسية وروسية وإيطالية.

انتشر الفكر السبولوجي أولاً بوصفه جزءاً من الأدب الملهم الغني بالمعلومات والذي يطلعه جمهور قارئ متعلم جديد قرأ الروايتين مثل ديكتر واليوت، ولطاف القافيين مثل روسكين وأرنولد، ولعلماء مثل فاروين وهنكلي.

1. Graham Morgan, «Crises and Crisis in Sociology: Journal of the History of 1961 Sociology» vol. 2, no. 1 (1968).

Donald N. Levine, *History of the Sociological Tradition* (Chicago: University of Chicago Press, 1968).

وتم تناول الفكر السوسيولوجي عبر القنوات نفسها التي استخدمها هؤلاء المؤلفون. وهكذا فإن (كتاب) دراسة السوسيولوجيا لسنة 1954 نشر لأول مرة على صفحات في مجلات عامة مثل: *Contemporary Science* (مراجعات معاصرة) في بريطانيا و*Popular Science Monthly* (شهرية العلم الشعبي) في الولايات المتحدة. ونشر بعد ذلك على شكل كتاب في مجموعة تعليمية شعبية جديدة أطلق عليها اسم *International Scientific Series* (السلسلة العلمية العالمية). وبعدها السوسيولوجيا لسنة، وهو جزء متكامل مع المسح الواسع جدًا للمعرفة الإنسانية والذي دعى الفلسفة التركيبية (*Synthetic Philosophy*) صدر في صورة أجزاء للمشتريين. وظهر المجلد الأول في عشرة أجزاء على ثلاث سنوات، فيما كان سنسر لا يزال يكتبه.

مكنا فإن العلاقة بين المؤلفين والقراء كانت أكثر إتاحة مما أصبحت عليه الكتابة السوسيولوجية السهية في ما بعد. وقد اقترح لينينز¹⁵² أن السوسيولوجيا الأوروبية كانت متروكة لقائما بين الأدب والعلوم، لكن هذا يتسبب التباين. وكانت العلوم أيضا مشحونة أخلاقيا وسياسيا. فداروين، على سبيل المثال، ندد طويلا في نشر عمله عن التطور لأنه خاف عواقبه الدينية والسياسية¹⁵³. وكان يتوقع من السوسيولوجيين، بوصفهم علماء أن يقدموا علينا أخلاقيا وسياسيا. وقد عالجت مبادئهم بشكل خاص المعضلة التي كان لا يمكن تجنبها بالنسبة إلى أبناء الطبقة البرجوازية الليبرالية: التوتر بين الالتزام المادي والمبدأ الإصلاحي.

كانت ليبرالية القرن التاسع عشر نفسها حركة معقدة. وكثيرا ما كانت على خلاف مع الحركات الراديكالية والديمقراطية. لكن في المراجعات الليبرالية ضد النظام القديم تشكلت الروايات، أعلمها بشكل مثير أوتارد نزلوني هوبهاوس *E. T. Hobsbawm* حديثا لأول كومي السوسيولوجيا في

¹⁵² Herbert Spencer, *The Study of Sociology*, 10th ed. (London: Robert Paul, 1973). 1521

¹⁵³ Will Durant, *History of Civilization and Science: The Rise of Sociology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1988). 1521

¹⁵⁴ Adrian Desmond and James Moore, *Darwin (London: Penguin, 1991).* 1541

كان هذا على الرغم من حقيقة أن سينر كان شطحيًا معارضة للغزو
الإمبريالي. واستنكر بشدة «الأعمال الوحشية الشيطانية المرتكبة من الغزاة
الأوروبيين» في أمريكا والبحار الجنوبية ومناطق أخرى. وعلى غلاستون
(Glaston) الذي بحث معه المسألة، رأى سينر في الاحتلال القسري علامة
على النزعة العسكرية. لكن لم يكن لديه مثل هذا الاعتراض على الاستيطان
الحثي والشخص الاقتصادي. وفي القرارات نفسها كان واضحًا في اعتباره
المستعمرين «أجناسًا حليفة» يرجح أن يظهروا في المناقشة التطورية¹⁹¹.
وحتى هوبهاوس¹⁹²، إذا التفت في ترجمته ميلتون الليبرالية، شوش عليهم في
حالة الإمبراطورية إذ تداخل ما إذا كان العرق الأسود قادرًا على حكم نفسه.

لم تكن هناك أي مسافة قط لدى المؤرخين الآخرين بين إسباغ الصفات
الطبيعية على التقدم ونزير الإمبراطورية. ودرو ما بلغه كتاب التطور الاجتماعي
Social Evolution لتكيد كانت نيرًا لحكم المناطق الاستوائية من العالم - التي
لعاني الآن تحت الإدارة السيئة «للأجناس السوداء والمولودة» - من شعوب
أكثر تقدمًا وذات أصول أوروبية. وتوقف كيد بين الحكم الإمبريالي، وإيمانه
بأن الاعتبار الطبيعي مال نحو المزيد من السلوكين الديني والأخلاقي، بلخص
العمل الأثيرولوجي الذي قامت به السوسولوجيا.

نزع التحليل الذي قدمه السوسولوجيا لمعطيات الليبرالية بابوكه
مكتبة العلم. وقد أصر بل وكونت بشكل مبرمج على أن السوسولوجيا يجب
أن تصدر قوانينًا. وهذه المهمة قبل بها الكتاب الأكاديميين والشعبيين في
السوسولوجيا. وشجعت الشرعية لقوانين التقدم بنية الجيولوجيا وعلم الأحياء
التطوري. وهكذا لذلك فإن البحوث عن السوسولوجيا غالبًا ما شرحت التطور
المعشوي، وحتى أنها قد تبدأ بتطور النجوم والنظام الشمسي¹⁹³.

Spencer, *The Study*, p. 202; Basil Darwin, *The Life and Letters of Herbert Spencer* (1901)
London: Methuen, 1909, p. 264.

Hollander, *Liberalism*, p. 42.

[191]

Ward, *Dynamic Sociology*

[192] 1901

مكن هذا التصور لقوانين التقدم السوسولوجيا من صنع مشكلات الإمبراطورية مع مشكلات المتروبول. وعلم الاجتماع لسنوات القرن التاسع عشر وسبعيناته لبني التورات الاجتماعية للمتروبول كمشكلات خلقية وعملية. وحضرت أيضا قضايا الفقر والصراع الطبقي والإصلاح الاجتماعي - «القفزة الاجتماعية» بمصطلحات اليوم - على أجندة الجمعيات السوسولوجية والمجلات العلمية في تسعينيات القرن التاسع عشر والعهود الأول من القرن العشرين. وفي مدن مثل لندن وشيكاجو وباريس، كان هناك اتصال مهم وتفاعل بين السوسولوجيين الأكاديميين، والاشتراكيين الفاعلين¹³¹، ورجال الأعمال والمسؤولين بين الرجل والمرأة والبرلمان التقدميين، والمصلحين الدينيين والأخلاقيين، والعمالقة الاجتماعيين¹³². كان ما ساهم به «علم الاجتماع» في «القفزة الاجتماعية» هو تفسير لمشكلات المتروبول في ضوء نظرية جديدة للتقدم، وكانت المناقشة الموجودة في بحوث سوسولوجية عدة عن الاشتراكية مثالا مثيرا. وكان النهج العام للسوسولوجيين هو توفير أهداف حركة العمال (الشغلة) بحسب النموذج السوسولوجيين أنفسهم للتقدم التطوري - سواء أكانت النتيجة دائما لاشتراكية خلقية معتدلة (كما مع ماركس وباريس ودوركايم وسمول (Smol) أم رافا مدونا (كما مع سبنسر وسومرر).

أزمة السوسولوجيا وإعادة صياغتها

في مؤلفه السوسولوجيا المحظية: دراسة في التمر الذاتي والتطوري للمجتمع (*Pure Sociology: A Treatise on the Origin and Spontaneous Development of Society*) قدم وارنر¹³³، كيرهان على التقدم، حقيقة أن الفطاح نازا ما تكون

1311 القليل (Hobbes) ملخص التواقي بغير الماركسية وفكرة الصراع الطبقي والمثاقورة البروليتارية، ويرى أن الانتقال إلى الاشتراكية يتم من طريق الديمقراطية الرأسمالية. (الترجمة) Philippe Bénédi ed's, *The Sociological Context: The Christianism and the Founding 1821 of French Sociology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989, Oxford, June-July, '90, The Context.

1312 Louis E. Wirth, *Pure Sociology* (New York: Macmillan, 1903), pp. 491-493.

1313

ممثلة في المجتمع الحديث. وبعد ثلاثين سنة فقط، حصر الجيش البريطاني 60,000 من الشبان الذين قتلوا أو جرحوا في يوم واحد في معركة السوم (Somme).

مثلت الحرب العظمى أزمة الإمبريالية القديمة وأخلقت تحولات رئيسية في القوى العالمية. وبدأت الإمبراطوريات الأوروبية تصدع مع استقلال إيرلندا وتلكت أوصال إمبراطورية هابسبورغ. واستمرت الأنظمة الفرنسية والبريطانية والأميركية في التوسع بالاستيلاء على المناطق العشوائية والألمانية السابقة، وفي زيادة تدخلاتها الاقتصادية في الصين وأمريكا اللاتينية. وظهرت الولايات المتحدة قوة صناعية رائدة. وشهدت أربعينيات القرن العشرين أزمة ثانية للإمبريالية، مع الهجوم الياباني على القوى الغربية في آسيا، واستقلال الهند عن البريطانيين، وإندونيسيا عن الهولنديين، وحرب التحرير الجزائرية ضد الفرنسيين. وأعيدت القوة السوفياتية لتشكيل الإمبراطورية القيصيرية القديمة، لكنها أبدت تفكك الإمبراطوريات الأخرى. ووقعت كساداً للرأسمالية العالمية. وبحلول منتصف القرن، كانت الولايات المتحدة المسلحة نووياً قد أصبحت المستثمر الدولي الأول، والقوة العسكرية المهيمنة، ومركز الاتصالات الصناعية، والثقافة تجارية عالمية أهلة في النرويج.

حوالت هذه التغييرات شروط الوجود السوسولوجية، بدءاً بالحرب العظمى نفسها. مزقت الحرب المجتمع الفكري لعلماء السوسولوجيا الذي كان يتطور حول شمال الأطلسي إلى أجزاء. وبعضهم، من أمثال هوبهاوس، زوّجوا بالقتال في حين أصبح آخرون مشتركين في الحرب. وفي شيكاغو، انقطع سمول حين كان يتواصل معهم من الألمان، مضطراً مع زيجل على وجه الخصوص¹⁴⁰. والتحل غير بالجيش، كما فعل الأعضاء الشبان في مجموعة الحولية السوسولوجية، الذين قُتل بعضهم. وحصلت الجمعية السوسولوجية الألمانية (German Sociological Society) التي نفسها عندما اندلعت الحرب،

Robert Rabinovitz, *Sociology and Anarchism: The American Quest for Objectivity*, 300, 1341 (Mait-Chapel Hill University of North Carolina Press, 1987).

ووجهت أنوالها لمتدوق الدعاية الحرية الألمانية في الأنظار المعطاة¹⁰⁰. وكان هذا هو تماثل العمل الذي قام به دوركهيلم في الجانب الآخر.

كان التأثير الأكثر أهمية هو على مستوى الأفكار. فالتطور الاجتماعي كان يُفهم بشكل عام على أنه نمو العقل والسلوك الحضاري: «فالإنسان، موضوعنا، هو تواصل متزايد، وعلاقات متطابقة، وتقدم في الرفاهية المادية وليس في السكان، وتطور السلوك العقلائي. إنه المشهد الأخير في مسار التحولات الكبير للتطور التكويني»¹⁰¹. وكانت نظرة كهله مبنية مائلاً على العصر تبعاً العصب الاستعماري. ومع عزيمة تجربة التطور إلى حذر المربوبول، تداعيت أساسيات نظرة العالم السوسيولوجية المربوبولية. ما عاد من الممكن أخذ التقدم على أنه الحقيقة الواجب مراقبته كموضوع للمعرفة. «الفضائل الرئيسية» (Chase-arbiters) ما أدرك هوبهولس¹⁰² في أثناء الحرب، محطون من التاريخ، والطفلة التكوينية التي كانت عبارة الجذور خُبرت على الفور، لكن في ما بعد الحرب، فإن استحقاقات التقدم عمّدت بسرعة كبيرة. وعندما استنكر فليشرينو باريت¹⁰³ في دراسة للسوسيولوجيا العامة «الأخلاق العاطفية» بوصفها أساساً للسوسيولوجيا وبطالِب برافعة أكثر فسوء، كان يدأى بنفسه عمداً كان قد رآه حلماً زائفاً لكونت وبيسر، وعن أثيريته هو في وقت سابق.

إذا رأينا حشد العنصرييات من القرن الماضي على أنه اللحظة التاريخية الأعظم مشروع كونت وبيسر ولوتورنو وخطابهم، فإننا نستطيع أن نرى أيضاً ردات فعل عديدة. هناك كان يمكن هجر المشروع بمسألة كما حدث لبعض علوم القرن التاسع عشر الجديدة على سبيل المثال. علم دراسة الدماغ (phrenology) وبدلاً من ذلك، كان يمكن السوسيولوجيا أن تندمج في

Harry Lieberstein, *East and Empire in German Sociology, 1870-1933* (Cambridge, MA: MIT Press, 1982).

Chubb, *The Principles*, p. 129.

[101]

L. T. Hobhouse, *The World as Capital* (London: Faber Press, 1914).

[102]

Vilfredo Pareto, *The Ideal and Society: A Treatise on General Sociology* (New York: Harcourt Brace, 1916).

الحركات الثقافية التقدمية. وهذه الاحتمالية اقترحها أوزفالد شينغلر في كتابه *لتطور الحضارة الغربية*¹⁷¹، وهو كتاب كان له تأثير هائل في عشرينيات القرن العشرين. وقد وجه شينغلر نقدًا لاذعًا إلى المركزية الأوروبية والمفكرين الأوروبيين ونظرتهم إلى التاريخ الإنساني. ورأى التوسع الأوروبي كمرحلة قبلية للثقافات الأخرى، كالثقافة الأزتكية العليا (Ancient Mayas) في أمريكا الوسطى. وهكذا عامل الإنسيالية المعاصرة لا بوصفها اتصالًا للثقور، لكن بوصفها علامة على «الأيام الأخيرة» (Dying Days). ولا يمكن أن تكون القطيعة مع إطار التقدم أكثر اتصالًا.

يبدأ في فترة أن مشروع السوسولوجيا الثقافية سيباعث. وفي ألمانيا فليشار داتشمان (Friedrich Schlegel) وماتيهيلم (Matthias Schlegel) على سوسولوجيا للمعرفة¹⁷²، كانت موضوع جدل عنيف منذ قصود. طور ماتيهيلم¹⁷³ وهو في المنفى، مثله مثل علماء مدرسة فرانكفورت، توليفة من التحليل النفسي الفرويداني مع السوسولوجيا البنيوية لتفسير كاتارث الثقافية. وكان شونتر¹⁷⁴ في النمسا قد اقترح توليفة علم الظواهر مع السوسولوجيا، كما اقترحت نظرية اجتماعية مبسطة في الفلسفة المثالية من جيتلي (Gottlieb) في إيطاليا¹⁷⁵.

لدت الحركات الثورية أيضًا إلى ظهور سوسولوجيات محتملة. ففي روسيا، أنتج القائد البولشفي بوشكين¹⁷⁶ نظامًا سوسولوجيًا طموحًا كأى نظام آخر في العالم الرأسمالي آنذاك. وما يتم تذكره بصورة أفضل بكثير هو النظريات الاجتماعية للثوري الإيطالي غرامشي (Gramsci). وربط جو بول¹⁷⁷ الذي كان قد ترك السوسولوجيا الأكاديمية ليمارس أنشطة اتصال بالحقوق المدنية، قضايا

Oswald Spengler, *The Decline of the West* (London: Allen & Unwin, 1918-1922). 171

Karl Mannheim, *Man and Society in an Age of Reconstruction* (London: Routledge & Kegan Paul, 1951). 172

Alfred Schütz, *The Phenomenology of the Social World* (London: Heinemann, 1939). 173

Richard Bellamy, *Modern Italian Social Theory* (Cambridge: Polity Press, 1985). 174

Herbert Goldhamer, *Marxism's Metamorphosis: A System of Sociology* (New York: Russell & Russell, 1975). 175

W. E. B. Du Bois, *Autobiography* (New York: International Publishers, 1968). 176

العرف في الميثولوجيا مع حركات في العالم الاستعماري، وبصورة متزايدة مع بنية الرأسمالية العالمية.

في أي حال، فإن آثار من هذه المبادرات لم ينتج بديلاً مؤسسياً للسوسيولوجيا القديمة. ومعظم الأوروبيين الذين تمت الإشارة إليهم فُتقوا أو جرى عليهم. وظلت المهمة الاستعمارية في أفريقيا راسخة، وهو بواء الذي عاد إلى الأنثروبولوجيا في ثلاثينيات القرن العشرين، لم يجد جمهوراً لأرائه القولية الواجدة.

لأن هناك مكان واحد فقط ترعرعت فيه السوسيولوجيا الأنثروبولوجية بين عامي 1920 و1940: في سلطة العالم الجديد، الولايات المتحدة. لكن الشاهد هنا تم تحويله في تغيير كان جوهرياً إلى حد أنه يمكن اعتباره - واستعمل لغير التفسير - انفصلاً معرفياً (إيستيمولوجياً)¹⁷¹.

كان الموضوع الجديد للمعرفة هو المجتمع، وبخاصة الاختلاف الاجتماعي والاضطراب الاجتماعي داخل الميثولوجيا. وعلامات متأخرة لهذا الانطلاق هي بروز البحوث الحضرية لمدونة شيكاغو، ونمو التخصص داخل السوسيولوجيا، وقد عُرف الكثير منها بمشكلة اجتماعية أو أداة إدارية للمجتمع الميثولوجي.

ومن حيث النتائج، فحين ركزت السوسيولوجيا القديمة على الاختلاف بين الميثولوجيا والبشر، ركزت السوسيولوجيا الجديدة على الاختلاف داخل المجتمع الميثولوجي. ويمكن رؤية هذا بوضوح في نظريات الإحصاء من مقاييس الارتباط المبكرة، مروراً بقياس الموقف في عقود ما بين الحربين، وصولاً إلى تشكيل تحليل البنية الكامنة للأزواج (latent structure) عند منتصف القرن¹⁷². وقد شهدت عشرينيات القرن العشرين والثلاثينات ازدهاراً للبحث التجريبي في الحياة الاجتماعية في البلدات والمدن والضواحي الأمريكية.

Louis Althusser & Étienne Balibar, *Reading Capital* (London: New Left Books, 1978). 171
Gary Hooper, *A History of Social Research Methods* (London: Longman, 1974). 172

وكانت هناك ابتكارية كبيرة في المنهج، مثل أول الصهار للتشليل السيكولوجي مع مجال السوسولوجيا¹⁷¹، ولم تشغل مدرسة شيكاغو بالإنثوغرافيا المضربة وحسب، إنما أصبحت نظامًا شاملًا للمراقبة التي أثير اليقين الأميركي، التي كانت في ذلك الوقت أكثرها اضطرابًا¹⁷².

أصبح التطور السريع للسوسولوجيا في هذا الاتجاه ممكنًا بتحويل من الشركات والحكومة، والذي بدأ قبل الحرب لكنه تسارع كثيرًا في عشرينيات القرن العشرين. أخذت روس¹⁷³ مبلغًا طفيفًا مقداره 41 مليون دولار من أموال روكفيلر المستقصية لعلم الاجتماع والعمل الاجتماعي في أمريكا بين عامي 1922 و 1928. وتم يلوح مستوى عالٍ عندما أسست الحكومة الوطنية في الولايات المتحدة لجنة معنية بالانتماءات الاجتماعية الحديثة، مع اثنين (أولغون وStogdole) رئيسًا للجمعية السوسولوجية الأميركية والمفاهيم الرئيس فيها عن التجريبية، برصه مدبرًا للبحوث.

مع ذلك، لمع تزايد الخبرة البحثية، طاق مفهوم الاختصاص. فالجامعات في أمريكا الشمالية قدمت تعريفًا تنظيميًا لتنافس مع الرقابة الكونية. فالسوسولوجيا يمكن أن تعيش هنا ليس بوصفها علمًا فوقيًا، لكن بوصفها قسمًا بين سلسلة من أقسام العلوم الاجتماعية، مبررًا من التاريخ والعلوم السياسية والاقتصاد وعلم النفس، فقط من خلال تركيزه الخاص على اختصاص معين وحسب. تكمن الصعوبة في المنهج الدراسي الذي كانت مزاجه المبكرة واسعة جدًا في تعريف ذلك التركيز الخاص. العلاقات الاجتماعية¹⁷⁴ والمجتمعات، والشكل العلاقات والعلاقات الإنسانية¹⁷⁵.

John Doolard, *Case and Clinic in a Southern Town* (New Haven: Yale University Press, 1931) 1933.

T. V. Smith & Leonard B. White (eds.), *Chicago: An Experiment in Social Science* (1961) Research (Chicago: University of Chicago Press, 1969).

Ross, p. 402. 1701

R. M. Maclver, *Society* (New York: Free Press, 1955). 1702

E. T. Hiller, *Principles of Sociology* (New York: Harper & Row, 1953). 1703

والعملية الاجتماعية¹¹²، ما من صيغة كانت مقتصة للغاية، ولم تصبح أي واحدة مقبولة عمومًا.

وقد تروى تاريخ تأسيس¹¹³ المستوحب للعلمية السوسولوجية (sociological sciences) في الولايات المتحدة في هذه الحقبة، أن النجاح التجريبي فشل في إنتاج برنامج فكري للسوسولوجيا. وحلّ بتريم سوروكين¹¹⁴، الناقد المزدوج للتجريب، في نهاية مسحة النظريات الاجتماعية المعاصرة (Contemporary Sociological Theories) أن «المجال يكامله يُدثر المرء» بغاية وطنية تصطبغ بروية أكثر من هدفية مخططة بعناية. لقد بدأت السوسولوجيا الحديثة الحقبة حين ماتت السوسولوجيا القديمة مع نقص شديد في الشرعية.

مفهوم السوسولوجيا الجديد وحكاية الأصل الجديدة

في هذا الفراغ المفهومي - كما وصف هينكل¹¹⁵ بجذارة الحفاة بعد انهيار التطورية - بدأ تشكيل مجموعة القواعد الكلاسيكية. وكان شرطًا لهذا التطور تغير في جمهور السوسولوجيا. ما عاد الجمهور القانوني الليبرالي الفيكتوري السابق موجودًا. ومع ذلك، فإن الثروة الهائلة التي تراكمت في الولايات المتحدة جعلت ممكنًا أول مرة في التاريخ، نظرًا شاملاً للتعليم العالي. وهذا توسعت السوسولوجيا بشكل هائل في العقود الثلاثة بعد الحرب العالمية الثانية¹¹⁶. واحتل جمهور ضخم من الطلاب برنامجًا تدريبيًا للمعلمين، ثم كلفهم بتوسيع برنامج الدكتوراه للسوسولوجيا. وكان في ذلك الوسط، وفي تلك اللحظة، أن تطورت البيداغوجيا (pedagogy) [علم أصول التدريس أو التربية] للمعوص الكلاسيكية.

U. B. Smith & C. W. Ellis, *Introduction to Sociology* (New York: McGraw-Hill, 1939). [112]

Quantitative Sociology and Statistics. [113]

Patton A. Sorokin, *Contemporary Sociological Theories* (New York: Harper Bros., 1938), [114] p. 707.

Roscoe C. Butler, *Development in American Sociological Theory, 1913-1950* (Albany: State University of New York Press, 1994), p. 109. [115]

Stephen P. Turner & Jonathan H. Turner, *The Imperfect Science: An Institutional Analysis of American Sociology* (Pittsburgh: Paoli: Saps, 1990). [116]

جرى الخطأ الخطوة الخامسة في كتاب بنية الفعل الاجتماعي (1937) *Structure of Social Action: A Study in Social Theory with Special Reference to a Group of Recent European Writers* (New York: Meridian-BB, 1957). لم يكن بارسونس المنظر الشمال أيرني الأول الذي يتناول التفكك الفكري للسوسيولوجيا¹⁰¹، لكن لا يمكن إنكار عبقرية العمل الذي طرحه. فقد ظهر تاريخ السوسيولوجيا معترفًا بالهيار الأجنبي التكوينية. وتناول المشكلة التجريبية لسوسيولوجيا ما بعد الأزمنة والاختلاف والفرع في المنريول، وجعلها المحور النظري للاختصاص (مشكلة النظام الهويسية). وقد وفر عمل بارسونس اللامع المؤسس لفكرة «نظام اجتماعي» منهاجًا للتفكير في مجتمع المنريول كوحدة مستقلة. لم يكن بارسونس مؤرخًا، ولم يدع أنه يكتب تاريخ السوسيولوجيا، لكن إضافة هيكله لـ «نوع» النموذج الفعل الاجتماعي في المنظر النظري المارشالي، وبازينو وغير وودوكهايم، تمت قراءتها بشكل مفهوم على أنها سرد أصيل، وأن هذه التحفلة خلقت معايير للاختصاص¹⁰².

كان لا بد من تأسيس رؤية معترف بها في مواجهة التغيرات الأخرى للسوسيولوجيا. غير أن رؤية بارسونس اكتسبت حلفاء القوياء. وفي كتابه الثاني قرى على نطاق واسع المتخيل السوسيولوجي (The Sociological Imagination) بني نشارلز دويت ميلر¹⁰³ صورة مركبة لـ «المحلل الاجتماعي الكلاسيكي» الذي عرضه كنموذج لتكيفية إنجاز السوسيولوجيا. و«السوسيولوجيا الكلاسيكية» بالنسبة إلى ميلر، كانت أسلوبًا من العمل أكثر منها مرحلة، على الرغم من أنه قلل إحسانًا محددا أنها مورست بشكل أكبر في الماضي، وشملت ماركس وغير وودوكهايم بين الأمثلة التي أرفقها. وتعرزت أيضًا نظرة مقبولة من قبل

¹⁰¹ Talcott Parsons, *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory with Special Reference to a Group of Recent European Writers* (New York: Meridian-BB, 1957).

¹⁰² Turner & Turner, pp. 75-8.

[103]

Charles C. Smith, «Introduction after 50 Years: The Anatomy of a Classic American Journal» [1993] of *Annals*, vol. 90, no. 1 (1999).

C. Wright Mills, *The Sociological Imagination* (New York: Oxford University Press, 1961) 1993.

منظرين وذهبوا في توليد مسألة معينة بوصفها مهمة. فمثلاً، ساعد تفسير ميرتون للمدخل الاجتماعي¹⁰¹ في ترسيخ دور كهانيم بوصفه كلاسيكية.

المزيد ترجمة النصوص الأوروبية الرئيسة المدرجة في مجموعة المبادئ إلى الإنكليزية بين عامي 1930 و1950، كما ظهر أدب للثقافتين. ويعلق ليفين¹⁰² بشكل ملائم على مستويات القرن العشرين وسبعينياته بأن الترجمات الجديدة، وطبعات، وتحليلات ثانية للمؤلفين الكلاسيكيين أصبحت واحدة من الصناعات الأسرع نمواً ضمن السوسيولوجيا. ويصدر في عام 1980 عمل بنديكس الذي أقرئ بشكل واسع بعنوان ماكس فيبر: صورة فكرية (Max Weber: An Intellectual Portrait). وكان كتاب وظائف الصراع الاجتماعي¹⁰³ (Flanagan's *Conflict and Social Structure*) في جزء كبير منه تعليفاً على زيبيل. وحتى أن الاهتمام الشمال الأمريكي ساعد على إحياء فيبر في السوسيولوجيا الألمانية بعد فترة من عدم الاهتمام إلى ماخيه الكلاسيكية، كما وضعها توشن بلياقة¹⁰⁴. وأقام السوسيولوجيون الألمان احتفالاً بفيبر في مؤتمرهم الوطني في عام 1984.

في دراسة رائعة لثقفي أميركا الشمالية لدور كهانيم، لاحظت بلان¹⁰⁵ بحث تعقيد التأثيرات الكامنة وراء اختيار الأبناء المؤسسين: طرف تاريخي محدد، رواد أعمال أكاديميون أو أقسام أكاديمية معينة، إلخ مع الاتجاهات الجارية في المهنة. ويبدو أن هذه العوامل صبت في مصلحة فيبر ودور كهانيم، لكنها عوقبت مرسليج بارسونز الأخرى، باريتو. ومع أن باريتو كان أجدر بصفتي منظراً منهجياً، إلا أن سفرته ونزعتي التسالامية حالاً حول تصور كته إلى أسس الاختصاص متجذرة.

Ralf H. Martin, *Social Theory and Social Structure*, 2nd ed. (Glencoe, IL: The Free Press, 1949).

Levin, p. 65.

[102]

Levin A. Cooley, *The Function of Social Capital* (Glencoe, IL: The Free Press, 1941).

Charles Lindbergh, «CD Theory of German Sociology after World War II: Institutionalization, 1941 and Theory», *Sociological*, no. 2 (1994), p. 11.

Jessie Rhee, «The United States Reception of Buckle's The Rules of Sociological Method», *Sociological Perspectives*, no. 36 (1993).

كانت التغييرات أكثر درامية في حالة ماركس. فهو بالنسبة إلى بارسونز في كتابه *بنية الفعل الاجتماعي* (*The Structure of Social Action*) جزء من الخلفية، تقعي، الذي يشكل أساس. وبعض الكتب المنهجية الأمريكية عن السوسيولوجيا في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته كانت تشتت من غير أي اهتمام بماركس على الإطلاق. لكن الماركسية بقيت قوة في الثقافة العالمية. فعلى سبيل المثال، أصبحت هي التأثير الفكري الرئيس في السياسة الأمريكية في عقود إنهاء الاستعمار. وكان يمكن أي سوسيولوجي أمريكي تقديم في ذلك الوقت أن يجد هنا مصدرًا مهمًا. وفي أسلوبه الأفضل لوضع مجموعة مبادئ، أصدر ميلز في عام 1962 مجموعة من النصوص الماركسية، مع تعليق عليها.

في أي حالة لم يصبح ماركس أيا مؤسسا بشكل كامل في السوسيولوجيا حتى توسع الاهتمام في ستينيات القرن العشرين، مع التحول الراديكالي لطلاب الجامعات المتروبولية. وقد ركزت «السوسيولوجيا الراديكالية» التي اقترحتها حركة طلاب الولايات المتحدة على ماركس والماركسية²²، فاستجابت السوسيولوجيا الأكاديمية. ولقد تضمن الاجتماع السنوي للجمعية السوسيولوجية الأمريكية في عام 1965 جلسة عامة لكامل الأعضاء دعيت «إعادة تقييم لكارل ماركس». وشغل ماركس مكانًا أكثر بروزًا في مقالات تاريخ النظرية السوسيولوجية²³، وظهر في كثير من الأحيان في الكتب المنهجية الجامعية، وتضاعفت الأعمال الأدبية السوسيولوجية لتعطي على ماركس.

هكذا، مثل تالوت ماركس وهوركهيلم وغير تطورًا حادًا في إقامة مجموعة المبادئ، وكان هوركهيلم وغير هذا الناجين في مشروع إقامة مجموعة المبادئ في هيل بارسونز، وجرى التطعيم بماركس في الجيل التالي، بينما سقط المرشحون الآخرون. وظهر الثلاثة كأباء مؤسسين في الكتب الدراسية

David Horowitz (ed.), *Radical Sociology: An Introduction* (San Francisco: Chandler, 1961) 1971.

Tom Bottomore & Robert Nisbet (eds.), *A History of Sociological Analysis* (London: Heinemann, 1975).

الابتدائية في سبعينيات القرن العشرين¹⁹⁹. وفي السوسيولوجيا النظرية تألب بعضهم على فهم الهدف الكامن وراء تصنيف مجموعة داركنس - فورتكهايم - فير كمبدعين لنظرية الحدائق²⁰⁰.

في معظم البلاد الأخرى التي كان يمكنها التحلل أن يكون لديها سوسيولوجيا لأن الاختصاص أُنشئ أو أُعيد صممه في خمسينيات القرن العشرين وسنيناك على أساس من التقنيات البحثية والمشكلات البحثية واللغات النظرية، هذا فضلاً عن الكتب المنهجية والمدرسين المستقمن من الولايات المتحدة²⁰¹. ومع الاختصاص المعادة هيكلته جاءت قصة تأسيسه التي أُعيد بناؤها. وهكذا وصلت سوسيولوجيا العالم إلى حالة وصلت في الفترات الانتقالية لهذا الفصل.

تأملات فكرية

لقد ناقشت في أن مجموعة البيانات الكلاسيكية في السوسيولوجيا قد أُنشئت بصورة رئيسة في الولايات المتحدة بوصفها جزءاً من جهد لإعادة البناء بعد انهيار أول مشروع أوروبي - أمريكي للسوسيولوجيا وأن قصة تأسيس جديدة جعلت محل الروايات الأقدم والمختلفة كثيراً لتصبح السوسيولوجيا وأن مسار الأحداث بتكامل هذا يمكن فهمه فقط في إطار التاريخ العالمي، وعصومتها تاريخ الإمبريالية.

من ناحية واحدة إن هذا لا يهم؛ فالكلاسيكيات التي تم اختيارها بأكبر دمج

Karin McKinnell (ed.), *Sociology (Oxford): Oxford Press*, 1977.

1991: 25.

Anthony Giddens, *Capitalism and Modern Social Theory* (Cambridge: Cambridge University Press, 1971); Anthony C. Alexander, *Theoretical Logic in Sociology*, vols. 1-3 (Berkeley: University of California Press, 1981-1985).

Torringa, *European Sociology*.

1981: على سبيل المثال، أيلاند.

Chris E. Hildred & Ian Lally, *Sociology in Australia and New Zealand: Theory and Methods*, Contributions in Sociology, no. 36 (Wanquet, CN: Greenwood Press, 1974).

Edw. Shils, *Germanic Sociology and its European Roots and Elements*, in: (Kluwer Academic Publishers & Science Publishers).

لا علاقة لها فعليًا بالنشآت الإبداعية للسوسيولوجيا الحديثة. لكن القوة الرمزية «السوسيولوجيا الكلاسيكية» تبقى، وأولئك صورة مشوهة عن تاريخ السوسيولوجيا، وعن نطاق السوسيولوجيا ولحياتها. لقد كانت قاعدة نسبت¹⁴¹ «وحدات أفكار السوسيولوجيا» (المجتمع، السلوك، المشكلة، المقدس، التعريف) صورة زائفة عن التاريخ، لكن فيها بعض المغولية كخريطة للمنطقة الضيقة المتبقية بعد أن كانت عملية صنع مجموعة المبادئ في أوج نشاطها. وفوق كل شيء، فإن قصة الداعليتين (innovative) وجهت كتيبة السوسيولوجيا بعيدًا من تحليل العالم الاجتماعي الذي يأتي من المفكرين ما وراء المتروبول.

لقد جرى تقديم ارتباطات الفصل، وكما بين بورك¹⁴²، في الوقت نفسه تمامًا الذي كان فيه دوركهام ورفاقه يتنون النظرة الأميركية في داخل سوسيولوجيتهم، فإن علماء الاجتماع فراسين آخرين عايطوا مفكرين من العالم الإسلامي في حوار حول الحضارة والاستعمار والثقافة. وفي الجيل نفسه، انتقل دو بوا من التركيز على علاقات العرق داخل الولايات المتحدة إلى منظور دولي بطور مع اهتمام خاص بأفريقيا. وفي النصف الأول من القرن العشرين، تجاوز مفكرون أخلاقه سوا مثل سول بلاتيه (Sol Plantie) وجوسو كيتانا (Joso Kertana) مع المتروبول عبر علم الاجتماع (إضافة إلى الكفاح السياسي) يُنظر الفصل الخامس). ولم يستطع هؤلاء العلماء سوسيولوجيا المتروبول إلا قليلًا من حق هذه الاتصالات، لكن هذا التاريخ الآخر هو حقيقي أيضًا. ونحن في حاجة إلى أن نعيد عليه اليوم.

Robert A. Nisbet, *The Sociological Tradition* (London: Routledge, 1967).
Parsons, *of the French Tradition*.

[141]

[142]

الفصل الثاني

النظرية العامة الحديثة واقتراضاتها الخفية

لكن يجب أن لا يغفل المرء عن رؤية الخفي.

فروغمان (1953)

سأحاول في هذا الفصل الاتحاد الفكري نحو العالم، كما هو موجود في أكثر أنواع العمل في السوسيولوجيا وقتاً، وهو النظرية العامة. وأعتقد أن الأعمال في النظرية العامة ليست بحاجة لتجلب الغراء، مع ذلك، فإن لها تأثيراً كبيراً في تحديد القضايا التي يجب أن يركز بها المختصون معرفي، والمفاهيم أو المناهج التي يجب أن تستخدم.

ولذا أعتني بالنظرية العامة التطوير الذي يحاول أن يشكل أو يصور رؤية عريضة للاجتماعي، ويقدم المفاهيم التي تنطبق في ما وراء أي مجتمع، أو مكان، أو زمان بعينه. وبخصوص هؤلاء قدمت مقترحات أو فرضيات صالحة في أي مكان، أو اقترحت نتائج للتعميل تعمل في جميع الأحوال. ومن الصعب القيام بهذا بصورة جيدة. ويشكل سرور، فإن الأعمال ذات الصلة العالية للنظرية العامة تحصل وزناً كبيراً.

وعلى نحو خاص، يجري إنتاج النظرية العامة في المتروبول. فهل لهذا أهمية؟ سوسيولوجيا المعرفة تقول بذلك. ومن ناحية أخرى، فإن العمومية ذاتها للنظرية العامة، والتطلع إلى أن تكون عالمية، تعني أنها مستبعد من التحديثات المحلية.

والأكثر، دراسة هذه المسائل من خلال تخصص دقيق لتخصص واسع. ولقد ركزت على ثلاثة من أكثر المفكرين السوسيولوجيين تأثيراً في الجيل الأخير، وهم جيمس هابريك كولمان (James S. Coleman)، وأنتوني غيدنز (Anthony Giddens)، وباري برونو (Barry Brunnell). وفي كل حالة، ركزت على النص الذي يذكر بهرارة منظوراً عاماً للتطبيق الاجتماعي. وليس هدفي أن أراجع الأعمال الكاملة لهؤلاء المؤلفين، على الرغم من أنني سأراجع إلى كتاباتهم الأخرى للسباق، بل أتمنى من خلال تخصص الطريقة التي تعمل بها هذه التخصص أن أستخرج الاختراعات الجيو-سياسية التي تقوم عليها نظرية عامة على هذا النحو.

بالطبع، ثلاثة تخصص لا تمثل التحليل بأكمله، لكن هذه تبدو مكاناً جيداً للبدء. وهي تأتي من أقطار ثلاثة ذات تأثير في تاريخ السوسيولوجيا، وهي أساليب متعلقة في العمل، إذ يبنى أحدها نظراً اقتصادياً متوجهاً بالحكماء، والثاني نظام ذات منفصل، والثالث مجموعة أدوات عملية للتحليل الاجتماعي. ومؤخراً هذه التخصص جميعاً لهم سمعة بوصفهم نظرين رئيسين. وأصلهم، على سبيل المثال، بارز في مسح التطورات المعاصرة في النظرية السوسيولوجية¹ لشارلز كاميك (Charles Camic)، وويل غروس (Neil Gross). وأقدم قاعدة البيانات على الإنترنت *Hand of Science* (شبكة العلم) دليلًا قويًا على أن هذه الكتب بعضها معروفة ومستعملة على نطاق واسع. وفي السنوات العشر الأخيرة، سجل كتاب غيدنز تكوين المجتمع (*The Constitution of Society*) 2278 استشهاده وكتاب برونو منطق الممارسة (*Logic of Practice*) 1236 استشهاده، وكتاب كولمان *أسس النظرية الاجتماعية* (*Foundations of Social Theory*) 1842 استشهاده.

المنظرون الثلاثة: «أسس النظرية الاجتماعية» لكولمان

صدر *أسس النظرية الاجتماعية* لجيمس هابريك كولمان في عام 1980 كمحاضرة لمسيرة مهنية فكرية متميزة جدًا. وكان المؤلف طوال ثلاثة عقود

¹ Charles Camic, *Introduction after 50 Years: The history of a century's research journal* (1) of *Sociology*, vol. 39, no. 1 (1997), pp. 35-107.

شامعية بارزة في سوسيولوجيا الولايات المتحدة، خاصة في مجالات متنوعة مثل دراسات الشباب، والمنهجية الكمية، والطفولة، والفردية، ونظرية الاختيار العقلاني. تجاوزت شهرة كولمان علم الاجتماع في تقرير كولمان¹¹ الذي كتبه عن العرق والتعليم، فقد كان لديه أيضًا جدول أعمال لإعادة صياغة الاختصاص.

استطاع كتاب أسس النظرية الاجتماعية، عبر ألف صفحات، تنفيذ عبور بطولي إلى مشكلات اجتماعية تمتد من الاشتراكية والمثالية إلى إدارة الشركات والنبوة والكور، وفي كل فصل، يزن كولمان كيف أن المعرفة القديمة يمكن إعادة كتابتها بلغة واحدة من الاختيارات والمختارين. وفي المبحث الأخير من الكتاب، تطور إعادة الكتابة هذه إلى تشكيل رياضي، مقدمًا نماذج حسابية لعمليات اجتماعية متأثرة بقوة بنظرية المبارزة¹² James G. Thompson. ففي الكتاب الترحاب من بعض المراجعين كالمعم عمل عن النظرية الاجتماعية منذ بداية الفعل الاجتماعي (James G. Thompson, *Foundations of Social Theory*)، واستقبل كولمان كمسيد الفكر الاجتماعي على قدم المساواة مع فير وديورنهم¹³.

يعلن عن طموح كولمان النظري في جملته الأولى: «المشكلة الرئيسة في علم الاجتماع هي في المحاسبة عن أداء ما في النظام الاجتماعي». وهو يعترف النظام الاجتماعي بأنه مجموعة من الأفراد تربطهم معادلات، يجب أن يتدخلوا فيها لإنتاج مصالحهم لأن الأفراد الآخرين لديهم بعض السيطرة على الموارد التي يحتاجونها، والتفاعل بين الفرد والنظام، أي الرابط الجزئي - الكلي، يصبح مشكلة تأسيسية في تطوير كولمان، هي بشكل عام مشكلة أساسية في الوضعية الحديثة.

¹¹ نظرية المبارزة أو نظرية الألعاب، وسيلة من وسائل التحليل الرياضي لتحليل الظروف المتصاح للمصالح. إلى التحليل المبررات المسألة لأشياء الأفراد في ظل الظروف المعطاة من أجل الحصول على النتائج المرغوبة فيها. (المترجم)

¹² Peter Hall, *Review Article: James S. Coleman, Foundations of Social Theory* (1990); Thomas J. Sarna, *Review of James S. Coleman, Foundations of Social Theory* (1990); *Social Science Quarterly*, vol. 71, no. 1 (1990); Michael Harkin, *Review of James S. Coleman, Foundations of Social Theory* (1990).

هناك أمر لا يلاحظ بسهولة لأنه شائع جدًا في التطوير السوسولوجي، وهو افتراض كولمان أن لغة الفرد والنظام والمصلحة والسيطرة والموارد والمجزي والكلي، ذات أهمية عالمية، فالمطالع يمكن تطبيقها في أي وقت وأي مكان، وهذا يتوافق مع نظرية المعرفة (الإپستيمولوجيا) المقصودة الوضعية التي أتى كولمان منها. وكانت استراتيجيتهم الرئيسة في بناء النظرية هي دائمًا محاولة إصدار بيانات عالمية - «مفروحات شديدة العمومية» بحسب عبارة ماربون ليفي¹²¹ - قابلة للاختيار التجريبي.

وكولمان صريح حول نقطة بدايته: «الفرد» يُدعى أيضًا «الشخص» أو «الشخص الطبيعي». وهؤلاء هم «القاهلون الأولون» (elementary actors) في النظرية الاجتماعية حتى اللغة التي يُقدّم فيها «القاهلون الاختياريون» (dispositional actors) وفي أحد المقاطع القليلة التي اقرب فيها من القضاة، يشرح كولمان على أنه حتى في العمليات حيث تتغل السيادة إلى الجماعات، يظل «الاشخاص الأفراد» الصادرة بالتأكيد¹²².

ورأى القلاء من أمثال نيل سميتر¹²³، هذا الضعف المركزي في عمل كولمان معاملة متناقضة لبناء علم اجتماع من افتراضات فردية، والمشكلة الأهم هي تحديد ذلك الفرد المعنى في هذه العملية. وكولمان ناقد حاد للفوضى الفكرية في السوسولوجيا الناتجة من التصورات المتطورة للشخص:

المسار الصحيح لنظرية الاجتماعية هو مسار أكثر صعوبة: الحفاظ على تصور واحد، هذا يكون عليه الأفراد والوحدات الوظيفية النظامية المتطورة، ليس من الأنواع المختلفة من المخلوقات، بل من الهيكل المختلفة للمخلوقات التي نجد فيها هذه المخلوقات نفسها¹²⁴.

William J. D. Long, *Scientific Analysis as a Subtype of Comparative Analysis*, in: J. G. 041 (McLennan & E. A. Torgler (eds.), *Statistical Sociology* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1956).

James S. Coleman, *Foundations of Social Theory* (Cambridge: Harvard University Press, 041 1990), pp. 3, 32, 185, 490, 511.

Niel J. Smelser, «On Individualism and Sociology», *Contemporary Sociology*, 041 vol. 19, no. 6 (1990).

Coleman, *Foundations*, p. 197.

071

إنه، أي نوع من المخطوقات يحافظ عليه كولمان؟⁹ الأشخاص الطبيعيون في كتابه يسعون وراء مصالحهم الخاصة، هم يعبرون مصائد حول التكاليف والمنافع، وهم يسامون الآخرين؛ كذلك هم يتنازلون عن حقوق أو يتلون حقوقاً، وهم يشتغلون بأعمال هادئة نحو غاية ما، باختصار، هم يعبرون مصائد في السوق، طوال الوقت.

إن هذا ليس مستغرب. إنه، في النهاية، النموذج الفرد في الاقتصاديات الهامشية التي كان كولمان يستعير منها. لكن هذا بين أن كولمان لم يكن مصيباً تماماً في راحته أن الفرد هو نقطة البداية في نظريته. وبالمثل، إن نقطة بدايته هي مفهوم السوق، أي البنية الاجتماعية التي سبقت ظهور تلك النوع من الفرد. وكولمان أكثر سوسيولوجية في تحليله الأساس مما يعترفه. وتظهر، هو اعتمد شائع لرؤية الناس والعلاقات الاجتماعية التي تميز النيوليبرالية المعاصرة.

يتبع كولمان الاستراتيجية العريقة للانتقال من الظواهر البسيطة أكتما تبدأ إلى المعقدة أكتما تبدأ. في الحقيقة، إن هذا يقدم أسلوب بناء الكتاب بأكمله، إضافة إلى الكثير من الخطوات داخلية على سبيل المثال: «العلاقات الاجتماعية بين الشخصين هي، بالطبع، كتل بناء النظام الاجتماعي»¹⁰. وهذا يتيح له أن يبدأ بتجرد دافئ، وتبسيط لبني استنتاجاً أقل بساطة، ويعدّها بقانون المنتج بمجموعة فعلية من الأحداث. ونقود الاستراتيجية النظرية إلى إخراج الأحداث المشتقة من سياقاتها التاريخية.

تتحرك الجهات الفاعلة لدى كولمان في رقعة ملقعة بالحرية، بحسبونه ويسامونه، ويخاضون على أرضية رافض لا ملائح لها. وليس مصادفة بالكامل أن نماذج العمل البصرية لديه تشبه مخططات تاروس لرافسني (الفوكسوتوت Sources) ووالس الجاز (Jazz) ورواية أرضية الرافس تخرج بالضرورة المنهج اللاكاريخي. وفي كل اشتقاقه فإن المجموعة المحددة نفسها من العناصر

والعلاقات الممكنة توضع في الحركة. هذا المنطق النظري لن يعمل أكثر من استطاعة المرء رفض التوكسنوتات إذا كانت أرضية الرخص وعرة بأكثر أقدام الرخصات السابقة أو بأجساد الرخصين السابقين.

لنستعمل استعارة أخرى خاصة بكولمان: عند كل خطوة مهمة في المناقشة، كان علي كولمان أن يتناول قضاء يمكن فيه بناء «استحضر» كمال البناء باستمرار) النظام الاجتماعي أن يتحقق. ويقترح تحليله مسبقاً القضاء المثالي لموقع البناء. وليس في كتابه اسم لهذا القضاء الذي يمكن فيه تصور وجود «مجموعة» من الأفراد «المستقلين» الذين يوفرون «قاعدة» النظرية. إنه لعبت فيه دلائل كثيرة. وكما سألين لاحقاً فإن بإمكانك أن تجد هذا القضاء وأن تطبق عليه استد.

وبعداً أن النظرية ملائمة عالمياً، سمح لكولمان أن يفرض في أي حقبة تاريخية. وقد اتفق أستاذ من الديموغرافيا الحديثة للولايات المتحدة، حريق مسرحة، لبركات متعددة الجنسيات، مدارس ثانوية في الولايات المتحدة، قضاة¹¹ البحر الجنوبي، ثقافة طالية، حياة الأراضي الأوروبية إبان القرون الوسطى، دستور الاتحاد السوفياتي، اتحاد عمال طباعة، عيد الأسكيمو للذهب الفضي. وبهذا الاعتبار، فإن مؤلف أسس النظرية الاجتماعية تقليدي باميلان. وهذه هي طريقة البرهان التي تم نشرها في «*Method* لسموثر» وكتب أخرى من حقبة ما قبل الحرب العالمية الأولى. في الحقيقة، إن أستاذ «تجربة» كان لها لدى كولمان القيمة نفسها كأستاذة حقيقية.

بأن معظم الأمثلة من أمريكا الشمالية وأوروبا في القرن العشرين. مع ذلك، فعند بعض النقاط في النص، يتكلم كولمان على مجتمعات قبلية. ويقدم في مرحلة متأخرة من الكتاب، في جو من التسليط، مثال الزوج البدوي الذي يتخطى الجميل بينما زوجته تمشي بالأحمال صافرة على قدميها، وزوجة أمريكية تستخدم سيارة العائلة. في مطلع الكتاب، فإن حائلين متباهيين تظهران

111 القضاة هي ثقافة تبدأ بمرجع مرجع في السور، بلها التكمالي عادية (المرجع)

معاً: «يقاتل الصحراء الكثيرة» يتفاسمون «عن استخدام جنس»، و«الأسكيمو» يتفاسمون «عن ذنب». يبدو أن هناك أرضاً مركزية لسوسيولوجيا كولمان، وأيضاً أطرافاً طرفية جداً.

في مرحلة متأخرة من الكتاب، في الفصل 28، يفتح كولمان نقاشاً عن «المجتمع الحديث». ويعرض أن ما هو مميز في الحديث، هو لعبة العلاقات «البنية لقائمة» على «الطبيعة». التطورات تترىخية طريقة الأسس تم بها إبطال البنية البنية لقائمة محل البنية البدائية الطبيعة. وحدث التغيير في كل من البنية المادية والبنية الاجتماعية⁽¹¹⁾. وهذا يعني لعبة «اللاعبين الاعتباريين [الجمعيين]» الجند الذين تشكلوا لقائمة» على «الروابط الأصلية والعاملين الاعتباريين القدامى الذين تشكلوا على هذه الروابط (العائلة، المدرسة، الجماعة العرقية والمجتمع المحلي)».

هنا يعيد كولمان مناقشة كتاب سابق للمجتمع غير المتماثل⁽¹²⁾. وهذا التفكير هو المركزي لأجندته للسوسيولوجيا، حيث إنه يرى في عبارة «الروابط الأصلية» تشكل أزمة اجتماعية عميقة. وتعتمد نظريته عند هذه النقطة على الشكل التقليدي تحديداً للفكر السوسيولوجي الذي يرى الفرق العالمي بين الحديث والابتدائي (أنظر الفصل الأول). وهذه الإثنوغرافيا الاجتماعية معاد إنتاجها حتى في إجابة كولمان على نقاش كتاب أسس النظرية الاجتماعية حيث يستحضر «اختلافاً بنوياً جوهرياً» بين المجتمعات الأصلية في الظهور الآن وجميع تلك التي انقضت من قبل⁽¹³⁾. ولا يتحدث كولمان عن «الرأسمالية» لأن ليس لديه نظرية عن التراكم. وهو يكتب بشكل عام الدولة والشركات معاً على جانب من الخط الفاصل الذي توجد العائلة على الجانب الآخر منه. والعائلة هي علق العديد وعلى القديم في آن واحد.

End., p. 182.

[11]

James S. Coleman, *The Asymmetric Society* (Oxford: Oxford University Press, 1982).

Coleman, James S., «The Problematics of Social Theory», *Theory and Society*, vol. 11 (1992), p. 268.

وهذا ينتج عاكفا مرثا من القاعلن الاعبارفن «القائفن بلانهم» من عون علاقات لابة سواه بالشخص الطبعف أو بالقاعلن الاعبارفن الآخرين»^{١١} أف فف الواقع، سجع السوق.

صارف الألفة القرفة واضعة فاففها الآن. فالقائل البدافف الفف تصفاة البففة، والقطف الجساف، ولجعل الزوافف سرفه لقع عارف صافة البففة (نار) *business*. وفف مساففن من الكفافف لكون هاف الصافة منقورة القرفة. إصاففا لافش الافصافة الفلسطينية^{١٢}. ففصاف الفلسطينفون إلى «الرفافة» الفف فرفر الافصاف الإسرافلف، ومع ذاك ففقلفون عصفه، وففدلون بالفاء الصافرة والصفال الصرافف. واصصاف كولمان لفس فف كفلفة افلاف هاف الصراف، لكن إلى أف صفف ففقلف مسار الأففاف مع الففرفاف العامة فف الإصافاف والفورة.

على الرغم من أن لفلفة لافكون الفظام الاجصفاف هو بشكل طافف نظرفة إصفاففة (*economic*) لصففة على نمااف العلفد الاجصفاف مع لفلفة من بارسوزاف، فإن كولمان يعرف أن بعض الأنظمة القرفة، وهو ففصاف تلك الأكثر قفرفا «للكوففاف» مفككفاف، ففف لفظف مسجوفة من القاعلن فرفففاف افرفف ففرفا وسطافب على مسجوفة مفككفاف من القاعلن». وهذا ففصاف على لفرفف الإمرفاطورفة، أو صفف سفافاف الصصفف البفبوة المفرفوفة على أمرفافا الفلاففة من ففوك الفوافاف المسصفة ومصفوف الففد الفوفف. لكون مثال كولمان الفرفف^{١٣} هو المساففر المسافففة الفرففة الفف لفرفف الصفال بأنهم المسصففون والطففاف الأصفرف على أففا فف الأففاف.

ففصاف كولمان كافف الصفرفة الفارففة للإمرفاطورفة والفففة العالمفة. ولم ففكر فف المسصفراف. وفف لفول الفف ففصاف، من ففف المسككفة الففرفة الفف ففصافا نظرفة لبال للمصصع (الفف الجففر بالفكر) (الفف ففصاف) هو أن الموفف الصففافف للمعف ففكون فف أن فففل الاصصاف إذا كان البففل

11Id., pp. 494-495.

[11]

12Id., pp. 171, 178.

[12]

هو الموت، إلهاء وعلى الرغم من الطموحات الدولية للنظرية، فإن كتاب أسس النظرية الاجتماعية يحذف أو يشوه تمثيل مساهمة شاسعة من التاريخ الإنساني، ويواجه التجربة الاجتماعية لأخيلية العالم الآن.

قاهلو العاقول¹¹⁰: «تكوين المجتمع» غيدنز

في عام 1984، نشر أنثوني غيدنز¹¹¹ تكوين المجتمع (The Construction of Society) مع العنوان الفرعي «موجز لنظرية الأبناء» (Outline of the Theory of the Theory of the Children) وهذا أيضًا كان الذروة لمشروع غيدنز. ويمكن رؤية طريقه تطور عبر القواعد الجديدة للمجتمع الاجتماعي¹¹² الذي أعطى تقريرًا عن الفعل العملي، والمشاكل المركزية في النظرية الاجتماعية¹¹³ الذي توسع في العلاقات بين الفعل والبنية، ولقد معاصر للنهاية التاريخية¹¹⁴، الذي يتخذ نظرية ماركس إلى تاريخ العالم ويشرح بدلاً.

كانت المهمة التي حددتها غيدنز لنفسه في هذه السلسلة من الكتب إعادة صياغة النظرية الاجتماعية بأكملها، وبمصالحة التقليد الفكري المتعارضة، وإعادة إطار مفاهيمي للبحث والتفكير الاجتماعيين. ويتطرق هذا المشروع الرابع على جهد حائل في التوليف، على نطاق بالكلية يحد في الفكر الاجتماعي الحديث، باستثناء هوماس. ويصيح غيدنز في تكوين المجتمع بحرفًا تراوح بين مقولات نسبية (postmodern) من تطور الثقة والتفويض (Giddens)

110 العاقول: Giddens، ولقد كان، أميل فونسي، ديفي أليس، رولف الأختام، والعاقول، من أيضًا نوع من الموسيقي. (المترجم)

111 أنثوني غيدنز 1984-2000، أو البارون غيدنز، عالم اجتماع بريطاني معاصر، الشهير لوصفه نظرية الأبناء construction في عام 1984. كما عرف نظيره الكتابة المستخدمة المتعارضة بعد أبرز علماء الاجتماع المعاصرين. (المترجم)

112 Anthony Giddens, *New Rules of Sociological Method* (London: Hutchinson, 1976). 1121

113 Anthony Giddens, *Central Problems in Social Theory: Action, Structure and Contradiction in Social Analysis* (London: Macmillan, 1979). 1131

114 Anthony Giddens, *A Contemporary Critique of Structuralist Marxism*, vol. 1: Power, Property, and the State (London: Macmillan, 1984). 1141

للمواجهات، والمناقشات حول أصول الدولة، والعمل الإنشائي في الجغرافيا،
والسوسيولوجيا التجريبية للتعليم. متناولاً في سياق ذلك بارسونز وبلو (Blaug)
وغيرهم (Harriss).

وهذا المدى الهائل للمراجع متطلي لأن موضوع المعرفة واسع جداً.
ويقول فينلر في البداية:

ميدان الدراسة الرئيس للعلوم الاجتماعية، بحسب نظرية البناء، ليس تجربة
الفاعل الفردي، ولا وجود أي شكل من أشكال المجموعة المجتمعية، بل
مدارس اجتماعية تُرغبت عبر المكان والزمان. والقضايا الاجتماعية
الإنسانية، مثل بطى الكائنات ذاتية التفكير في الطبيعة، هي متكررة (...)
أن تكون كذلك إنساناً هو أن تكون فاعلاً فاعلاً، لديه أو لديها في الوقت
نفسه الأسباب للفعاليات، والقدرة، إن سئل، أن يطور استجابة تلك
الأسباب.¹⁰⁰

مجال النظرية، إذاً، ليس مطلقاً. فهو معني بالمدارس الاجتماعية
والكائنات الإنسانية بشكل عام. وتكتمل نظرية البناء على جميع العلاقات
الاجتماعية، وجميع البنى الاجتماعية، وجميع المجتمعات. وهكذا خاص
فينلر في كتاباته الصين الكونفوشية الجديدة، والصين القديمة، وأقطاب
المدال في مدينة لندن، وصنعت سيارات، ومعسكر إعدام. وحيث إن النظرية تهتم
جميع العلاقات الاجتماعية الممكنة، فإن فينلر - مثل كولمان - لم يتردد
مطلقاً في تحليل أنظمة خيالية أيضاً.

مع ذلك، فهو مثل كولمان لم يقدم نظرياً أي أنظمة من العالم المستعمر.
ومثال صارخ هو مناقشته لتطور الحكم الذاتي. وقد استخدم فينلر بفعالية
النموذج إيريك إيريكسون في التحليل النفسي لتطور الإنساني، لكنه لم يستخدم
لتحليل إيريكسون الشهير العام للعلاقات في الكتاب ذاته الطفولة والمجتمع
(Childhood and Society)، والذي تم توثق الانتماء منه. والنتيجة هي رواية معقدة

Anthony Giddens, *The Constitution of Society: Outline of the Theory of Structuration* (1981)
(Cambridge Policy Press, 1984), p. 16.

ومعرفة بالتكامل للتطور الإنساني، وتتأقفاً إلى حد بعيد مع التوسع الذي تُشكِّف عنه في السوسيولوجيا الحديثة للمثولة¹²¹.

يوأخر غيدنز مهده بلغة تاريخ النظرية الاجتماعية والفلسفة - مثلاً، توصل إلى المصطلحات بـ «المنطق اللغوي» (semiotic logic)، فقد أعاد بشكل متكرر كتابة مفاهيم سوسيولوجية ونفسية مأكولة بلغة البناء تمادياً مثلما أعاد توليدان الكتابة بلغة السوق والاختيار.

وتعهد غيدنز أيضاً بتجاوز الانقسامات في التاريخ الموجود، واقتراحاً أعمدة حتى الآن الانقسام بين الموضوعية (objectivism) والذاتية (subjectivism). ويقود تجاوز هذا إلى مبدأ غيدنز الأساسي عن «الزوجية البناء»، ومطلها هو البناء نفسه، البناء العلاقات الاجتماعية عبر الزمان والمكان بفضل الزوجية البناء. هكذا، ينشأ المفهوم الجوهرية في نظرية غيدنز ينشأ من التفكير في التناقضات الداخلية في التقليد الفكري الأوروبي، الشمال أمريكي.

يتأوب كتاب تكوين المجتمع بين التعليق النقدي على الأبيات الموجودة، والوشقات المتكررة من التعريف وتوضيح المفهوم. وحتى أن مراجعاً مؤيداً مثل جونلان تاور¹²² مُنِع إلى التعليق على «النسج التشريعي» للكتاب. ولقد عكس هذا استجابة توليدان يحمل أصغر مجموعة من الفئات إلى أكبر عسير ممكن. وبذلك جعل غيدنز على أن اتساع المجال يخلق فراغات يجب على النظرية أن تملأها لتبطل. وتكون النتيجة في الأغلب عساية ومبتذلة كما لرى في النموذج لشعر الاجتماعي معمم إلى درجة أنه يغطي كل واقعة في تاريخ العالم، ومع ذلك لا يقول أي شيء تقريباً عنها¹²³.

والموقع الذي يكون فيه غيدنز غير مبدل تماماً - حيث تكون له حيلة

121 H. Habermas, *Childhood and Society* (London: Suhrkamp, 1970); Margarete Fuchsler, 1211
Children, Basic Theory, from Chav. & Was Was Eva Lutz, *International Childhoods: The
Participation of Children in Processes of Family Migration, Social Problems*, vol. 48, no. 4 (2005).

Jonathan H. Turner, «Review Essay: The Theory of Stratification», *American Journal of* 1211
Sociology, vol. 91, no. 4 (1986).

Children, *The Constitution*, pp. 144 ff.

1211

قوية ويتأقش بفصاحة دافعا عنها - هو نظرية التفاعل. إنَّ فاعل غيدنز ليس نشاطا محسوسا، كما هي الحال مع كولمان وبوردو، بل هو حسن الاطلاع بالخطا:

معرفة الأنواع الاجتماعية، القدرات والبشر الآخرين، المتوقعة في القدرة على الاستمرار في نوع يقات الحياة الاجتماعية، هي مهارة ونموذج يتلخ جميع أعضاء المجتمع الكفوفين بمهارة واسعة إلى حد بعيد في الإجراءات العملية للعمليات الاجتماعية وهم أسوسيولوجيون غيراد. والمعركة التي يمتلكونها ليست تصادية مع التكيف المستمر للحياة الاجتماعية لكنها جزء لا يتجزأ منه [...] يعرف الفاعلون الإنسانيون دائما ما يفعلونه على مستوى الوعي الاستراتيجي [...] ١١٩.

ولكنهم التفاعلية من حيث المتطلبات العالمية لازوجية البنية. لتأخذ على سبيل المثال، صحة غيدنز القوية في مواجهة البحث الإيجابي عن قوانين في علم الاجتماع، والتي أنتج شكلا من الخطاب المنجسد لا يتلاءم والخصائص الحقيقية للفاعلين الإنسانيين، والخصائص الحقيقية هي الكفاءات التي تسمح للفاعلين أن يشكلوا ويعيدوا تشكيل أنظمة اجتماعية من خلال نشاطاتهم والتفاعلات الروبوتية. وبالنسبة إلى غيدنز، فإن هذه القدرات تشبه نفسها في جميع الأزمنة والأمكنة، ذلك لأن ما يُطلب من الفاعل من الشاحبة النظرية هو دائما الشيء نفسه.

لكن في حين أن فاعلي كولمان وبوردو تكيفيون وعسائرون، وهما متعلمون بنظره تالية إلى مشكلة ما فإن فاعلي غيدنز أكثر خضوعا ونظمية إلى حد بعيد. في الواقع، ليس لدى غيدنز نموذج معرفي (master model) للشخص. ووصفه كالأداة الفاعلة يؤكد الرذالة والثقة والتسويق، وأشباه الشائعات بين مختلف الفاعلين. وإذا بدا أنَّ تكيفي كولمان يمكنهم غير الأرض في [أفصا] فوكسبروت، فإن رسوم غيدنز التمهيلية تبدو كخراط من [أفصا] الغائوت الفخمة، مقلدة في قاعدة واقعي مقلدة براقصين مدرين جيد.

ويمكن أن يكون الفاعل فرقة، لكن غيدنز متأكد من أن تطويره لا يبدأ بالفرق. بالنسبة إليه فإن المجتمع حقيقي بالمطلق. في الحقيقة، إن مفهوم غيدنز للفاعل يعتمد على فكرة النظام الاجتماعي. لكن هذا أيضا يعتمد نظامه الاجتماعي على فكرة الفاعل. وبدأ «الزواجية البينة» بربط، مطلقاً، المستويين معاً.

يظهر غيدنز بشأن الاجتماع بصيغتين مختلفتين. الأولى كيف يكون المجتمع مستقراً وكيف يمكن الوجود الاجتماعي المنظم أن يحدث. وبدوم وبحسب تعبير جون أوري¹²³، «جلى كتاب تكوين المجتمع» بمعنى يشكل ويتسبب بتشكيل «أنطولوجيا للاجتماعي». والمفاهيم على «البينة» ترتبط فعلياً بهذه الأسئلة، وتجريدها البالغ ينتج من محاولة غيدنز إعطاء أجوبة ستكون صالحة لأي شكل معروف أو ممكن، للوجود الاجتماعي الإنساني. ومن هنا هذه الفئات الهائلة «كالتفاعلية» بين الفاعلين في سياقات الوجود المشتركة «الترجيحة الإنكسارية»: «علوم الناس والأشياء» معاً وجهاً لوجه¹²⁴.

مع ذلك، يري غيدنز أيضاً التنوع المتأخر للتجربة الاجتماعية الإنسانية. لقد قرأ كثيراً، وهو مهتم بالتاريخ. ولهذا فإن لديه صيغة ثانية للتطوير. يظهر فيها فئات من الأوضاع والعمليات الاجتماعية: أوضاع الوقت، أوضاع الألفاظ، أوضاع السياقات، أوضاع القوى، أوضاع المجتمع، أوضاع الموارد، وعلم جزء.

هذه الفئات هي أيضاً معروفة لكن بطريقة مختلفة. هي معنية بفهم الطرائق بحسب الاختلاف الأوضاع، بدلاً مما هو ضروري لجميع العمليات الاجتماعية. لقد افترض ناهيلج تريفلت¹²⁵ أن عدداً حجة غيدنز يكاملها تكمن في أن «النظرية الاجتماعية يجب أن تصبح أكثر سبالية». وهذه هي الفئات التي نتج له رسم خريطة لتنوع سياقات الفعل الاجتماعي.

John Ely, «Black women: The Constitution of Society» *Sociological Review*, vol. 30, (1992) no. 2 (1992).

Nigel Thrall, «How and How or How and True?» Anthony Giddens' Reconstitution of (1991) *Social Theory & Society*, vol. 10, no. 4 (1991).

مع عبارة غيدنز لتعريفه، وفقدته على التوسع في المفاهيم، فالتين التراكمان تشكلان شبكة خافتة، يستطيع المرء أن يحدق من خلالها في التاريخ الإنساني من ارتفاع كبير، مبصراً كل واقعة تنطبق في خطة جلية. وهذه الرؤية من أعلى إلى كادلي قصة الحضارة الإنسانية تعطي نقطة لـ تكوين المجتمع أكثر ندكراً إيسنر وكولت منه بمعاصري غيدنز في صيغة النظرية الثقافية.

ويحدد الجزء الأهم في هذه الشبكة أنماط المجتمع، وإتو غرافيا غيدنز الشاملة هي منطقة ثلاثي بعير:

- 1 - المجتمع القبلي؛
- 2 - المجتمع المنظم طبقياً (تقريباً، في مدد لكن من دون مصانع)؛
- 3 - المجتمع الطبقي، أو الرأسمالية.

من الواضح أن المفهوم بهذا ترتيب تاريخي، يظهر فيه التالي بعد السابق، على الرغم من أن غيدنز يلج على أن هذا ليس «مخططاً نظرياً»، وتتميز الأنماط المختلفة للمجتمع «مبادئ بنوية» مختلفة، وموسومة «مناقضات» مختلفة، والصفة التقليدية لتفكير غيدنز واضحة بشكل خاص في ما يتعلق بفئة الأولى، فالمجتمعات القبلية أقرب إلى الطبيعة إنها «باردة»، بمعنى أنها غير متكيفة مع البيئة، فهيم عليها القراءة والتقاليد إنها مجزأة، وهلم جرّاً²²⁹.

كيف يرتبط بعض هذه الأنماط ببعض؟ بالنسبة إلى غيدنز، الثقافة الأهم هي أنها مميزة منطقياً، فإن كان مجتمع ما أصعب، فهو ليس الآخر. مع ذلك، فبمجرد أن توجد الأشكال اللاسقة، فإن أنماط مختلفة من المجتمع يمكن أن توجد معاً ضمن نظام من مجتمعي، ويخترع غيدنز التعبير «حافة» (حد) الزمان - المكان (time-space edge) لتحديد أين يصبح أحد المباحث التالية السجال لبدء آخر. والعلاقة عبر حافة الزمان - المكان قد تكون علاقة هيمنة أو علاقة تكافل. وهكذا يضل غيدنز إلى طريقة للإشارة إلى الأمور التي يحتملها الناس الآخرون تحت عنوان إمبراطورية.

والعلاقة التي لا يُنظر تكوين المجتمع لها هي الاستعمار، فالمبدأ البنياني الذي لا يسببه صراحة هو الإمبريالية، ولعل المجتمع الذي لم يدخل قط في تصنيفاته هو المستعمرة (تظهر كلمة «الاستعمار» (colonisation) مرة واحدة في فهرس الكتاب - كمرجع ليبحث طوفانان عن الملاحيز)، فيانسة إلى كتاب عالمي عن النظرية الاجتماعية العامة، مكتوب في قلب أعظم قوة إمبريالية شهدها العالم يومئذ، فإن هذا غير للاعتناء، والكفاح من أجل إنهاء الاستعمار كان بالتأكيد أحد النظريات الأكثر ديمقراطية وأهمية، على مستوى العالم، في حقبة هيدلز. وما نقوله نظرية البناء حول هذا هو: «ما يوصف بـ 'حركة تحرير' من منظور ما قد يُحسّر منظمة إرهابية من منظور آخر»¹²⁸. وهذا الاقتباس، هو حركات ضد الاستعمار، وإنهاء الاستعمار، والاستعمار الجديد، ونظائلات ما بعد الاستقلال، في ما يخص تكوين المجتمع.

لا تكمن المشكلة وحسب في غياب التفصيل الواقعي عن أغلبية العالم، فتبكة أنواع المجتمع - أي الجزء - من نظريته حيث يظهر هيدلز السوسيولوجي الأكثر تقليدية - تؤدي إلى عقيدة قليل بشكل منهجي من أعباء الإمبريالية ولجربة المجتمعات المستعمرة. وشرح هيدلز في مقطع حساس من تكوين المجتمع أن الرأسمالية الحديثة - أي النمط الثالث من المجتمع - ليست كالأخرى، ولم تتطور منها، بل نتجت من «القطاعات هائلة»:

«أحدنا تلك التيارات السياسية والاقتصادية من القرن الثامن عشر فصاعداً ويمكن أن يوجد المبدأ البنياني المتميز للمجتمعات العظيمة في الرأسمالية الحديثة، في أفضلتها¹²⁹ الدولة والمؤسسات الاقتصادية، لا بل في ربط بعضها ببعض. فالكثرة الاقتصادية الهائلة التي ولدتها تسخير الموارد المستحصلة لميل شامل نحو التحسين التكنولوجي يمثلها توسع حائل في «الانتاج الإجمالي» (هيدلز [...])¹³⁰.

128) Ibid., p. 181.

[128]

129) Discontinuity: مصطلح استخدمه هيدلز للدلالة على الخروج من السياق المعنوي المحدد

إلى وضع آخر، أي مجرد، يعطرب، خلافاً على ذلك الحروب على الأرض، «الكارثية»

130) Giddens, The Constitution, p. 183.

[130]

هذا يعني أن قيدنر يرى المصادقة تغيراً باطنياً ضمن أوروبا (أو «الغرب»)، مستجاً لمتى تم اعتباره في ما بعد إلى بقية العالم. وهذه، بالطبع، هي النظرة العلمية - الاجتماعية المعيارية لأصول المصادقة، مغلفة بفكرة «الثورة الصناعية». وهي تكلف على التلخيص المقاربة لنظرة العالم الذي تطورت فيه الرأسمالية منذ البداية على القصد كمولودياتي. في عبارات فالرشتين¹²¹، فإن الفروقات والعلاقات بين المركز والأطراف ليست، حصيلة ثانوية إنها تأسيسية للرأسمالية الحديثة بوصفها نظاماً.

إن هذا فريق واضح جداً. قيدنر يلتجئ إلى أن الغرب هو مهيمن ليس لأنه فتح بقية العالم، ولكن بسبب أسبقته الزمنية. والغرب صنع وحداثاً أولاً. والأنظمة الاجتماعية الأخرى تزول ليس لأن الأوروبيين أتوا يبدلونها وعظموها بل لأن المصادقة لا يمكن مقاومتها. وعند هذه النقطة، بقي قيدنر ثابتاً بشكل كامل لأن هذه ستكون، بمرور السواجد، للمواصلة أيضاً.

التكثيكون الجنوبيون: منطق الممارسة الأوروبية

من منطق الممارسة أيضاً بمرحلة تطويع طويلاً، فقد نُشر النموذج الأول منه بعنوان مخطط لنظرية الممارسة (*Outline of a Theory of Practice*)، (Esposito) التي يمكن أن تعني أيضاً مخططاً أو مسودة بالفرنسية في عام 1972. اثنتي مراراً من أجل ترجمته إلى اللغة الإنكليزية في عام 1977، ثم مراجعة أخرى، نُقصد بها أن تكون نهائية، نُشر في عام 1980 بعنوان *de sens pratique* وترجمت بدورها إلى الإنكليزية في عام 1992. هذا كله كان عملية لاحقة لمشروع بدأ في الجزائر في عشرينيات القرن العشرين، بوصفه دراسة للمجتمعات الزراعية الناطقة بالبربرية في منطقة القبائل¹²². وجزء

Immanuel Wallerstein, *The Capitalist World-Economy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1979).

Pierre Bourdieu, «Essai sur l'algèbre algébrique», dans *French Program & Theory* (1971) (Oxford: John, 1984); Pierre Bourdieu, *Structure of Social Theory* (1977) (Oxford: Blackwell, 1984); Bourdieu, *Structure of Social Theory* (1977) (Oxford: Blackwell, 1984); Bourdieu, *Structure of Social Theory* (1977) (Oxford: Blackwell, 1984); Bourdieu, *Structure of Social Theory* (1977) (Oxford: Blackwell, 1984).

كثير من منطق الممارسة وسخطط النظرية الممارسة بهدف الحياة اليومية لهذه المجتمعات. في نفس الإثنوغرافي مكثف، تتخلله تعليقات منهجية.

التركيز هنا هو على بلدان الجنوب. ولم يكن هذا أيضًا اختيارًا اعتباطيًا لموضوع البحث. كانت تجربة بورديو الجزائرية، بحسب اعتباره، تكوينية في «تكوين» من فيلسوف إلى عالم. وفي تشكيل مقارنته المميزة للعلوم الاجتماعية. وأصبح الشاب بورديو باحثًا ميدانيًا بالتعاون الوثيق مع الطلاب والزملاء الجزائريين مثل عبد المالك صباد.

لم يجعل هذا من بورديو عالم أنثروبولوجيا بالمعنى التقليدي. وفي وقت مبكر يعود إلى عام 1958، فإن بورديو - كما لاحظ صباد¹³⁴ - هو درجيل أعمال وعالم حقيقي» (*véritable scientifique scientifique*) - كان قد نشر موسيولوجيا الجزائر (*La sociologie de l'Algérie*) وبعد أربعة عشر عامًا عندما ظهر كتاب سخطط النظرية الممارسة، كان بورديو قد نشر أيضًا عددًا مهمًا في موسيولوجيا التربية والثقافة. وفي الوقت الذي ظهر *Le sens pratique* كان قد نشر أيضًا *La division du travail* عن هرمية الطبقات. وفي الوقت الذي ظهر منطق الممارسة بالإنكليزية، كان بورديو يشغل أعلى كرسي أكاديمي للموسيولوجيا في فرنسا. وقد قام بورديو - بثبات وعن حق - بنصف تقسيم العمل الذي درست الأنثروبولوجيا من خلاله البدائيين، والموسيولوجيين المتقدمين.

إن منطق الممارسة محاولة لتطوير أسس في صدفية للمعرفة العلمية - الاجتماعية، على شكل استراتيجيات تحليلية ولغة منهجية، ولإظهار هذه النظرية في العمل. ويعتقد بورديو أن لمشروعه أهمية ثقافية وسياسية وفلسفية. وكما يقول في خطاب مميز في نهاية التصدير:

وأخيرًا الرد على اكتشاف الخارجي في قلب الداخلي، والثقافة في وهم الأفراد، والشائع في ملاحظة الفريد. علوم الموسيولوجيا بأكثر من استنكار

¹³⁴ Pierre Bourdieu, interview Kalyte ou intellectuel organisé de l'Université, in: Gérard Mauger (ed.), «Bourdieu et la France Bourdieu (Bellecombette-en-Bugey)», Éditions du Craguet, 2003.

Abdellahouk Bayad, Abdellahouk Bayad in interview, in: Gérard Mauger (ed.), Pierre (1911) Bourdieu (London: Sage, 1996) pp. 19-27.

جميع خدج الترجسية الأنثوية فهي توفر ربما الوسيلة الوحيدة للمساعدة في بناء شيء ما كموضوع، وهو من خلال وهي التحديدات فحسب، ولا تترك عملية البناء لتفري العالم.¹³⁴

وللوصول إلى المكان حيث يظهر الشيء مثل موضوع مادة، كان على بورديو أن يتعامل مع الروايات الموجودة للاجتماعي والذاتية. ولهذا فإن فصوله الأولى تتخذ كلاً من [نظرية] الموضوعية كما يمثلها اللغويان البنيويان، ليفي ستروس Lévi-Strauss، والماركسية البنيوية، ود إلى حد أكثر إيجازاً ونقصاً الذاتية، كما يمثلها سارتر ونظرية الاختيار الطلافي. وهو يرفض البنية لأنها تتخذ موقفاً شديد الإعجاب بالعقيدة المجتمعية، المنظرون غير حاضرين في العالم الذي يتم التفكير كما ولهذا فإنهم لا يستطيعون التعلم من تحليل ممارستهم الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، يرفض بورديو الذاتية لأنها ترفض الاعتراف بالقيود على الفعل الاجتماعي، معتقدة أن المعرفة يمكن فهمها على نحو محلي من وجهة نظر فراوات الأرواح.

قد تكون القوانين الاجتماعية العامة تامة¹³⁵ ومنطوقه لكن بورديو يعقل بالتأكيد على افتراض التجانس المنهجي للتاريخ الإنساني. ومنسوجة أنوار النظرية مقصود بها أن تعمل في أي مكان وفي كل مكان. وقد لاحظ روجرز بورويكر¹³⁶ هذا بقوله إن ما يندم بورديو ليس منطقاً افتراضياً ثابتاً ولكنه هابيتوس¹³⁷ أسلوب معرفي جيد للتقييم بجهة النظر.

يرفض بورديو منسوجة الأنوار في منطقي الممارسة مرتين: باختصار في التصغير، وبشكل أكثر توسعاً في الفصول 3 و 7 و 8. وهذه هي المفاهيم المألوفة الآن للممارسة والبنية والاستراتيجية والتقاليد الاجتماعي والهابيتوس

Pierre Bourdieu, *The Logic of Practice* (Stanford: Stanford University Press, 1990), p. 11. (134)

habitus: جسم طبيعي أو معنوي يسود الاعتقاد أنه يعمل قوة غير طبيعية كمال - المنهجية (135)

Roger Burdick, *Social Theory as Habitus in Early Culture*, Edward Li-Ping & (136)

Martha Fretwell-John L. Bourdieu, *Critical Perspectives* (Chicago: University of Chicago Press, 1991).

(137) استخدام بورديو مصطلح habitus بمعنى لعدد الرسائل الثقافي بعادات وممارسات في

لتحارب العقيدة والمنهجية

والممثل ورأس المال الرمزي، والسيطرون، ومفهومنا العنقب الرمزي، والاعتباطية الثقافية، وهذا مركزيان لوسيوولوجيا بورديو لتربية، ليسا خارجين في منطق الممارسة، لكن بنية مساهمته في الفكر السوسيوولوجي المعاصر واضحة.

ليس هندي هنا أن أنقد هذه المفاهيم، فقد قست بذلك قبل عشرين من الزمن، وكثر آخرون قاموا بهذا مثلك¹. وكما مع مفاهيم كولمان ومفاهيم فينلتر، فاني أريد أن أسأل: أيّ نقراء إلى العالم وفقطه هي الصالحة لشيء ما وعلى أحد المستويات، فإن هناك تشابهاً لافتاً مع نظير كولمان، وتباناً مع فينلتر، فالفاعل في عالم بورديو - أي الشخص المنضبط بالممارسة، والذي يستخدم منطقاً عملياً، وهو حاصل الفيلسوف - هو تكتيكي إلى حد بعيد، يتأور من أجل التقدم في عالم يواجه فيه تكتيكيين آخرين يتأورون بدورهم أيضاً.

ويدي بورديو ملاحظة حيال نهاية عمره وحتى عندما يبدو معاصر اللابالاة كلها، لا تتوقف الممارسات عن الاحتلال لمنطق الاقتصادي. ليحت الاستراتيجيات دائماً عن «الريح» من نوع أو آخر. وفلاح بورديو هو مسامح أكثر لمرئنا من صاحب الاعتبار العقلاني لكونلاند، يتأور في أن واحد في أبعاد عدة من الواقع الاجتماعي، ويجعل بعض الاستراتيجيات تنتج خلال فترات طويلة. ويمد بورديو بقوة رؤية السوق إلى أطول الحياة الاجتماعية الكلاسيكية بوضوح، بما في ذلك الحالات حيث منطق السوق مرفوض بصورة منهجية من الناس أنفسهم. وهذا يعطي سوسيوولوجيا بورديو مدناً ساحراً قوية.

في أي حال، ينطفي ظاهراً بورديو مسامحاً في عالم أكثر وحرة من عالم كوللاند. وهنا فإن الذين لديهم ستروس والماركسية واضح. ليس هناك لغواء خالي، فالعالم الاجتماعي قد تشكل بالفعل بالبنى، وبخصوصاً تلك المتعلقة بالطبقة والفراية. إنها البنى التي أدت إلى ظهور الهابيتوس، المبادئ الداخلية

Rayner Cantall, «The Black Box of Habit on the Wings of History: Reflections on the 1981 Theory of Social Reproduction», in: *Black Box is 1981: Essays on Sex, Class and Culture Change*, Adam de Lirio, 1993; Collares, *Prato de Prato* (ed.), Bourdieu, *Dark Habitus* (ed.), *Prato Bourdieu* (London Sage, 2003); David L. Swartz & Sara L. Zelensky (eds.), *After Bourdieu: Influence Critique*, *Colloquium* (Frankfurt: Klaus Academic, 2004).

للتفعل. وهذه البنى يعاد توليدها من خلال العضقات التي يعطدها الفاعلون، الذين يتحركون دائماً ضمن حدود وضعها الهايكوس. وهكذا، فإن نظرية بورديو للممارسة تصبح، بشكل منهج أو لسفي، نظرية للتواتر الاجتماعي.

المجتمع، أو التشكيل الاجتماعي، هو إذن مجموعة من البنى المتواترة دائماً، من ناحية، وهو مجموعة من الفاعلين المنغمسين في رقعة لا نهاية لها لوضع الاستراتيجيات، والممارسة والتبادل من ناحية أخرى. ومن خلال هذه الرقعة، التي وضعت تواترها البنى، فإن الأخيرة تعيد إنتاج ذاتها. وتؤدي التأثيرات الساخرة للهايكوس باستمرار إلى إضافة الأحداث إلى مداها السابقة. وبورديو على دمي، كاشف بأن الأشياء في الحياة الحقيقية تتغير. وإن المعنى الجميل الذي يحمسه الهايكوس يصبح غير ملائم في الأحوال الجديدة. لكن ليس التغيير البنيوي هو ما يشرحه التطور.

رقعة الممارسة هي إذن رقعة الموت (*status mortis*) والتي يؤدي فيها باحثو البنى الأشباح عريدهم شبه المكتوبة، ومع نهاية كل دورة من الممارسة يفرقون ثلثة في قبورهم أي أمكتهم في البنى. والزمن هو الجوهر في خطوات الرقعة. لكن على مستوى الكل، فإن التاريخ مجلد.

لجعل علم النفس الاجتماعي الخدم للهايكوس يحمل كإزالة (*mechanism*) للتكثير، كان على بورديو أن يقدم القرائن ثورية عن التجانس الثقافي. وقد يبدو هذا غريباً في العالم السوسولوجي الذي جعل الاختلافات في رأس المال الثقافي مركزية لسوسولوجيا الثرية. مع ذلك، فإن بورديو في منطق الممارسة يقدم باستمرار الأمر الاجتماعي بوصفه متناسلاً ثقافياً. وقد أظهرت مازفريت أرتشر⁽¹⁴⁾ أن القرائن مبالغاً يدهم علم الاجتماع التربوي لبورديو. ويبدو أنه ليس في المنطق متأخرات، بين التبادل، ولا تواترات دينية، ولا حر كات راديكالية.

نلاحظ هذا غافاً في ما يتعلق بالجذور، وهي مسألة أعطاه بورديو الكثير

Margaret Archer: *Being Human: The Problem of Agency*, Oxford: Clarendon Press, 1994, vol. 26, no. 4 (1995).

من الانتباه في المنطق وهو يرسم القسماً مطلقاً بين عالم الرجل وعالم المرأة، موضعاً أن «العالم» المسامح النشط هو رجل. والقسام الجنسوي مرسوم كاقسام بسيط وهرمية بسيطة. وفي مقطع معتبر، حيث يشرح بورديو كيف بُني الهيبوس في الجسد، فإنه يصف هبات الرجل الرجولية (متعصب الغامض، ينفذ، إلخ) والمرأة الهينة النشأة (متعينة، غائبة البصر، إلخ).

تم وضع هذا النموذج التخطيطي في منطقة القبائل، لكن اعتقد بورديو اعتقاداً راسخاً أنه لم يكن محصوراً هناك. وهو قائم في الهيمنة الذكورية¹⁴ الفكرة نفسها كنموذج عام للمجتمع الأبري، متجاذلاً جيداً كذلك من البحوث النسوية. وبسبب شهرة بورديو بصفته منظراً، فقد أصبح لهذه الطبيعة البنية التي عفا عليها الزمن تأثير كبير في بعض مجالات الدراسات المعاصرة.

في معظم النص، يعامل بورديو عالم القبائل، وعالم فرنسا المتروبولية، وغيرهما من الأساطير وكأنها مستمرة منهجية. هذا لا يعني أنه يعتقد أن جميع المجتمعات هي من النمط نفسه. ففي الكثير من المقاطع في المنطق، يناقش بورديو «الاقتصاد ما قبل الرأسمالية». وفي الفصل عن «طرائق الهيمنة» بشكل خاص، يلوم بورديو بالتفريع بأسلوب سوسيولوجي تقليدي.

يتضمن ذلك تقديم محور متعارضة من الحديث وما قبل الحديث كالمحاور من المجتمع. ففي المجتمع ما قبل الحديث لبورديو، فإن الاقتصاد المادي والاقتصاد الرعوي متوازن بشكلي لا فكاك منه. وفي الحديث، وبعد «تخية الظن من اعتزال العالم الطبيعي إلى بعده الاقتصادي» وحسب، فإنهما منفصلان إلى مجالين متساويين. والتمزية الاجتماعية في المجتمع قبل الحديث، يجب إعادة عيادتها باستمرار من طريق الانتباه والعهد الشخصيين. ويتعلق هذا في المجتمع الحديث من طريق المأسسة.

في مقدمته لـ «المنطق»¹⁵، يروي بورديو قصة لا تُنس. كان يدي

إعجاب بعض الصور الفوتوغرافية لجرار تخزين كان قد التقطها في أثناء عمله الميداني القديم. وكانت الصور جيدة إلى حد بعيد جداً لأن سبب البعد حيث عثر عليها كان مقلوباً بسبب تدويره على أيدي الجيش الفرنسي، عندما طرد سكانه. وكان هذا المقطع، كما أعقبت الإشارة الوحيدة في المنطق إلى أن حرباً - في الحقيقة أنها حرب مرّة بشكل استثنائي - بين القبع الاستعماري والتحرر كانت مسدودة في الجزائر خلال الفترة التي كان بورديو يقوم فيها ببحثه.

هذا أمر لاكت للخطر. كيف يمكن حدثاً مثل الحرب الفرنسية - الجزائرية أن يبدو غير ذي صلة بتحليل الممارسة، عندما تكون التفاصيل الدقيقة لزواج أبناء العمومة الجزائرية ذات صلة؟ بالتأكيد أن بورديو كان يعرف القصة. أرسل إلى الجزائر للقيام بخدماته العسكرية، وفي ليون، وحلّم في ليلة معادية، وفي نهاية المطاف ترك الجزائر تحت تهديد بالخطف من جانب المتشددين من أنصار الاستعمار. لقد عمل مع زملاء جزائريين، وقام ببعض البحوث تحت أمين السلطة العسكرية في منظمات إعادة التوطين، وقام ببعض الأعمال الميدانية الأخرى بين فلاحين يحملون السلاح. وفي نصوص أواخر خمسينيات وأوائل ستينيات القرن العشرين كتب بورديو عن الأفكار التفكيكية للكونولوجية والحرب الاستعمارية، وقد اقترح في المنطق أساليباً للتفكير الإنساني. لكن بورديو لا يرى في الكفاح المتأخر للكونولوجية مادة أساسية لعرشه لنظرية عامة أو لمنهج علمي - اجتماعي.

كان أكثر المتطرفين لهذا الكفاح شهرة طراز قانون الذي لا يتداخل وجوده مع فترة بورديو في الجزائر وحسب، لكنه قام أيضاً برحلات بحثية إلى منطقة القبائل، قبل أن يترك البلاد ليعمل في العطن المصطنعة جبهة التحرير الوطني الجزائرية. وقد ظهر [كتاب] قانون العام الخامس للثورة الجزائرية (Le droit révolutionnaire) في عام 1964 و[كتاب] اليوساء في الأرض (La révolution de la terre) (مع تصدير شهر لسانتر) في عام 1961 حينما كان بورديو لا يزال منشغلاً بالقضايا الجزائرية. ويتعامل هذان الكتابان مباشرة مع

الممارسة التي كانت تحول المجتمع الذي كتب عنه بورديو، ومع هذا فإنها لم تذكر قط في منطق الممارسة، كما لم تؤخذ أيضًا في الاعتبار في المنطق أراد أي أحد آخر من المشاركين في الكفاح الجزائري، وكان بورديو منذ مدة طريقة مزدوجة النظريات التخطيطية للثورة التي تداولها اليسار الفرنسي. وقد اعتبر قانون وممارس مؤنسين للتخرافات؛ فأيد المستعمرين، لكنه رغب في الثاني بنفسه عن عقيدة جبهة التحرير الوطني. ويبدو أنه اعتبر سوسيولوجية القديمة «مجردًا» من الحقائق المطلوبة لتعليم الناس على طريقي الكفاح الجزائري¹⁰⁰.

على الرغم من ذلك، فعلى المستوى الأكثر صفاً لم يكن التاريخ السياسي لبورديو، ولكن تصوره للنظرية، هو ما جعل الكفاح المناهض للколونيالية غير ذي صلة. والوصول إلى شيء ما كموضوع، فإن الأفكار المفهومي الأوروبي مكتسب ذلك. وفي مركز هذا الجدل، على ما عرفت بورديو من دراساته المبكرة للفلسفة وما للأداء، لم تكن هناك أصوات من أفريقيا. ومشروع بورديو كان لخلق مجموعة أدوات يمكن تطبيقها عالميًا، لم يقدم له شيء حتى يبحث عن الأصوات المستعمرة لأنها تجعل التاريخ الخاص للمجتمعات التي تم من خلالها تصوير هذه الأدوات غير ذي صلة. كما لم تطلب أدواته أنه أن يتعامل مع تفكك تحريري بوصفه عملية اجتماعية.

النتيجة أن في المنطق نفسه له بنية لم يقصدها بورديو من دون شك؛ لكنها دائرية جدًا في الكتابات الأوروبية عن عالم الألفية. المعرفة عن مجتمع مستعمر يكتب المؤلف من المتروبول ويشره في مناقرة متروبولية. والمناقشات بين المستعمرين يتم تجاهلها، وتكرر المجتمعات المستعمرة لا ترجع إليهم، والعملية الاجتماعية يتم تحليلها في التواء زمني إثنوغرافي. واحتمالات بنية مختلفة من المعرفة، والتي لا شك كانت موجودة في بحوث بورديو الأولى، لم تتحقق في نظيره اللاحق.

¹⁰⁰ Pierre Bourdieu, *Algeria 1986: Essays* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), 1321.

إخفاء الطابع التسعالي على النظرية العامة

أن الوقت الآن للتفكير مليًا في الافتراضات الجيوسياسية للفرع [الأمري].
بعيد هذا النقاش على الحالات التي تم بحثها، لكنه يحاول أيضًا تطويرها.
ويمكن رؤية عواقب الموقع الجيوسياسي للثيوريول، كما اقترح، في أربع
سمات نصية مميزة: ادعاء العالمية [العمومية]، والقراءة من المركز، وإشارات
الاقتصاد والمحو الكبير.

ادعاء العالمية [العمومية]

في كل من النصوص التي نوقشت، تولد هناك ادعاء قوي ومكرر للصلة العالمية
[العمومية]. فبالنسبة إلى هؤلاء المؤلفين، وكثيرين غيرهم، تنطوي فكرة النظرية
نفسها على العموميات. ومن المفترض أن جميع المجتمعات يمكن معرفتها،
وأنها يمكن معرفتها بالطريقة نفسها ومن وجهة النظر ذاتها.

ليس واضحًا أن وجهة النظر هذه تعود أصولها إلى الثيوريول، في
الواقع، هذه يجب أن تبقى غامضة؛ إذ لو أظهرته، فإن الصلة العمومية ستكون
فورًا ميدانًا للشكوك. والمفكرون في الأطراف لا يستطيعون تعميم وجهات
النظر المولدة محليًا لأن خصوصيتها واضحة تمامًا. وهي تجذب أسماء مثل
«الفلسفة الأفريقية»، أو «نظرية التبعية الأمريكية اللاتينية»، والسؤال الأول الذي
سيُطرح هو: «إلى أي مدى سيكون لهذا صلة بالأحوال الأخرى»؟.

ويمكن أن يكون الادعاء بالعمومية من خلال المنافع أيضًا. وستال على
ذلك هو إعادة كتابة أعمال علماء الاجتماع الآخرين باللغة المفهومية للشخص،
كما يفعل كل من كولمان وفيلدز. وإعادة الكتابة هذه ليست مجرد ترجمة، بل إنها
تضمن، حيث الأهمية العالمية التي تنسب بها النظرية المفضلة مذاهب غامضة.

القراءة من المركز

غالبًا ما يتم عرض المساهمات في نظرية عامة كحلون لبعض التناقضات، أو
المشكلات، أو الضعف في نظرية سابقة. ونصوصنا الثلاثة جميعها تقدم نفسها

بهذه الطريقة، إنه متطلب مهني: أن يربط المرء عمله بالأميات، ولكن لأميات من؟ الموضوع الثلاثة التي نوقشت لتتو لتناول مشكلات، فكلير على الأديب النظري المنزويولي، وهذا شيء، معتاد في هذا النوع من الكتابة.

على سبيل المثال، يركز غيدنز وبروردير فلامبا على تناقض الموضوعية مقابل الذاتية. وهذه مشكلة كلاسيكية للعلوم الثقافية والاجتماعية الأوروبية، لكنها ليست مشكلة مركزية بالنسبة إلى الأنثروبولوجيا المستعزفة. والسبب واضح عندما ننظر إلى ما تشترك به الموضوعية والذاتية. إنهما طريقتان بديلتان لتصوير الذات في مركز عالم ما، الموضوعتان بديلتان للأحداث أو الأنظمة من دون قراراتنا الخارجية. إن النظرية الاجتماعية العامة التي تشكلت حول مشكلة الموضوعية الذاتية تشير، بالضرورة عالمنا اجتماعياً بطرقاً غير المنزويولية، وليس مقروناً غير فعل المنزويول على بقية العالم.

وثمة حالة مهمة جداً للفرقة من المركز تسمى بالزمان، فعلى نطاق صغير، الزمان الذي نغوصه النظريات الثلاث هو مجرد بشكل عام - أي الشاملة من دون تاريخ ومستمر. أما على نطاق الكبير، تقدم الإثنوغرافيات الشاملة زماناً العالم لتتابع تاريخي جلي، أما قبل الحديث إلى الحديث، ما قبل الرأسمالي إلى الرأسمالي، وعلم جولة. وهذا هو الزمان كما اختبر في المنزويول، أما في مجتمعات المستعمرين والمستوطنين، فيعطي الزمان على القطع جرمي وتتابع غير واضح.

دعوني أقدم مثالاً واحداً من بين كثير يمكن تقديمه. في أوائل القرن التاسع عشر، استولت الدولة البريطانية الإمبريالية على السلطة من الهولنديين في جنوب أفريقيا، وسرعان ما حصلت مستويات مستوى العنف والحرق والقتل في مستوطنات كورنا (Korana) ويضيف أحد المؤرخين تجربة الكورنا «الحرب الشاملة كانت تجربة جديدة ومدمرة للكورنا... والغراب الذي أحدثته القوات الاستعمارية لم يكن وحشياً فحسب لكنه غير مفهوم... والأذن، وهذا كيان أجنبي قد تطور بوصفه تهديداً، وليس من غير من أين سينتهي كل هذا»²⁴.

J. B. Peires, *Slaves, Masters and the Origins of the Xhosa Religious Revival* (Johannesburg: Africa World Press, 1979), pp. 15-16.

وبالنسبة إلى الثقافات المستعمرات الاحتلال ليس تطوراً، أو طفلة، أو نمولاً، لكنه كارثة. يُدخِل الاستعمار الاتصالات جوهرية في التجربة الاجتماعية التي يساهم لا يمكن تقديمها في تصالُح النظرية المتروبولية عن التغيير عبر الزمان.

إشارات الإقصاء

قائمة قراءات المتظرين هي قائمة وثيقة كثيرة للاهتمام. فقد سبق أن لاحظت غياب عرض بورديو من حركة التحرير الجزائرية، وهو غياب ذو دلالة. والمتظرون من العالم المستعمر دائماً جداً ما يُستشهد بهم مرجعاً في النصوص المتروبولية للنظرية العامة. وهناك غياب ملحوظ لمراجع عن الفكر الإسلامي، في ضوء ثروة من المناقشات الإسلامية للمحنة.

تضمن نصوص النظرية العامة أحياناً مواد نظرية من العالم غير المتروبولي، لكنها لا تقدم أفكاراً من الأطراف يمكن اعتبارها جزءاً من الحوار عن النظرية. والصيغة التي سميتها أنا الإثنوغرافيا الشاملة التي تسلط الضوء على التمييز بين الحديث وقبل الحديث، تقدم أيضاً الفكر الاجتماعي للثقافات المستعمرات على أنها غير ذات صلة بالمحادثة النظرية الرئيسة. وتعامل هذا الفكر وكأنه تابع لعالم تم تجاوزه.

المحو الكبير

أثبتت النظرية الاجتماعية في حوار مع معرفة تجريبية مستقلة أحياناً من بحث المتظر نفسه، وأحياناً من بحوث الناس الآخرين. وعندما أُلغيت تلك المعرفة التجريبية بالكامل، أو بشكل رئيسي، من المتروبول، وحلّت اهتمامات المتظر تنشأ من مشكلات المجتمع المتروبولي، فإن تأثير ذلك هو محو تجربة المحلية الجنس البشري من أسس الفكر الاجتماعي.

ولد يعمل المحو أيضاً بالطريقة التي نمت الإشارة المرجعية لها إلى تجارب من بلدان الجنوب. وهكذا فإن المعلق ليوردو يهزل الكلام على استراتيجيات القراءة لكنه يمحو التجربة التاريخية للحروب الاستعمارية. والعلاقات الاستعمارية كبنية اجتماعية تم محوها باستعمال المحاصر

الإثنوغرافي. والثقافة المنظمة المتأصلة للتكنولوجيا لا يمكن نمذجتها في الشبكات كولمان ولا في النواحيات [إعادة إنتاجات] بورديو، بل حتى لا يمكن نمذجتها في فكرة المنهجية الإثنية لعضو كلف من إحدى الثقافات. لا يمكن نمذجة المعقدات السياسية للمجتمع الاستعماري وما بعد الاستعماري بالمواظرة غير المسببة للسلطة عند غيدنز وكولمان. والاستمالة مشار إليها بشكل كاف بمحاولة كولمان الباعثة على السخرية في التطوير المروق ضمن نظرية الاختيار العقلاني، حيث يُفترض أن العبد قد اختار حلقه في البقاء حياة.

ويمكن أن يحدث أمر أسوأ. ففي مناقشة نص كولمان، لاحظت كيف أن تفسيره لبناء النظام الاجتماعي يفترض مسبقاً قضاء خالياً من دون ملائمة، وقد افترضت إمكان اكتشاف موقفه. إنه بالتأكيد ليس في أوروبا، لكنه موجود في أعياد شيكاغو وسيدني.

كانت شيكاغو بلدة جديدة نموذجية في الاستيطان الاستعماري، حيث أُعطي الضحايا بنوسج الولايات المتحدة غرباً. وكان ذلك عملية إزالة للمجتمعات وللمعظم الناس الذين كانوا هناك من قبل. سيدني أيضاً كانت بلدة جديدة، المياه الرئيس لدخول القنح البريطاني إلى أستراليا. وكانت أستراليا معروفة لدى البريطانيين ضمنًا على أنها الأرض بلا مصاحبة (terra nullius) فكرة تكاملها أُوحيّت ملكيتها للناج ووزعت بحسب أهواء الحكومة الاستعمارية. والاتصال العميق الذي كان للسكان الموجودين بالأرض تم طمس.

الأرض بلا مصاحبة، حلم المستعمر، هو القرائن مسبق مطلوب للعلوم الاجتماعية. ويتم ذكره في كل مرة نحاول فيها التطوير لتشكيل المؤسسات والأنظمة الاجتماعية من الصفر، في قضاء خالي. وكلما رأينا كلفني «مجتمعات بناء» في دراسة عن النظرية الاجتماعية، ونجب أن نسأل من كان يشغل الأرض.



هل يمكن أن يكون لدينا نظرية اجتماعية لا تدعي العالمية (المعمومية) لوجهة نظر مبرولوجية، لا تقرأ من جهة واحدة فقط، ولا تستبعد التجارب والفكر الاجتماعي لمعظم الجنس البشري، والتي تم يتم بنقلها على «أرض بلا مصاحبة»؟

أعتقد أننا نستطيع مألّفه في الواقع، لدينا الكثير منها بالفعل، كما سيّين
الصف الثاني من الكتاب. وحتى إن هناك محفّات في نصوص مألّفه تفرّج
إستكشافات جديدة محفّات توسّع فيها علاقة المثنويون أمام الرّيق، ويشرّق
الغور - فيها المنفّ.

يشرح التّجريد المنفّ للصوص الثلاثة التي درست في هذا الفصل
معلّ أنّ من التّفكر. إنشاء مجال منفصل لنظرية عامة ليس هو الطريقة الوحيدة
لوضع مفاهيم في العالم الاجتماعي. لذلك استكشف في الفصل التاسع فكرة
أساس أخرى - أساس عطيّ بالفعل - للتّفكر الاجتماعي.

توجد بالتالي مروب أخرى للنظرية. وفي تبعها يظهر عدد من
المشكلات. هل المفكرين غير المثنويين يكتوبون أيضًا نظرية شاملة؟
بالتأكيد. ولما نستطيع التحدّث بشيء من القوة هنا، إذ إنّي قدمت بذلك في
الجندر والسلطة¹⁴⁴ (Gender and Power) عندما يكتب علماء الاجتماع في
الأطراف، وكأهم من المثنويين، فإنهم يواجهون صعوبات في المنفّ وحتى
في الهوية، كما سيّين في الفصل الرابع. ومن ناحية أخرى، هل يستطيع مفكرو
المثنويين تجنب التّكرارات المستكشفة في هذا الفصل؟ أعتقد أنهم يستطيعون.
لكنهم أيضًا يواجهون مشاكل مهنية وثقافية أسيتم استطلاع بعض الإمكانيات
في الفصل العاشر.

لهذا علينا ألاّ نخلل من أهمية الصّعوبات لمشروع نظري أكثر شمولاً. لكن
هل أمانا أي خيار؟ يبدو لي أنّ مشروع النظرية الاجتماعية المثنوية، والتي
تمثل فيها أصنام هيدنز وورغيز وكولمان منارات إنجاز عطيّة، قد استهلكت
الآن. ولا يمكن التغلّب على المشكلات التي جرى تحديدها في هذا الفصل
ضمن هذه المدرسة الفكرية. والمعلّبة أنّه ليس أمانا أي خيار غير تكبد هذا
وضع نظرية بطريقة شاملة عالمياً.

Burton Gendall, *Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics* (1981)
(Cambridge Policy Press, 1987).

الفصل الثالث

تحليل العولمة

«الأسواق الصينية» المتبقية كلها في جميع أنحاء العالم يجري حسمها. وفي هذه العملية، تلك المؤسسات الثقافية والسياسية التي أثبتت أنها أساسية قد أُرجمت ببطء...

وليام روبنسون (2001)

في الاقتصاد العالمي الإلكتروني الجديد، يمكن مشغلي الصناعات المالية والمصارف والشركات، فضلاً عن ملايين المستثمرين الأفراد، تحويل كميات هائلة من الأموال من هذا الجانب من العالم إلى الجانب الآخر بمجرد النقر على طرفا الماوس.

أنتوني غيدنز (2002)

ما عاد من الممكن ترسيم مناطق جغرافية كبيرة على أنها المراكز والأطراف، الشمال والجنوب. في مناطق جغرافية مثل المغرب والجنوبي لأمريكا اللاتينية أو جنوب شرق آسيا، يمكن جميع مشغلي الإنتاج أن توجد في آن واحد وجهًا إلى جنب... في العوالم الجديدة، بعد العمل فوق سلسلة من الترتيبات إلى أهداف الإنتاج التأسيسي، يمكن المصانع المسطحة للحداد في نيويورك وباريس منافسة تلك التي في هونغ كونغ ومانيتوبا.

مايكل هارون وكنوتز تيجري (2000)

جرت كتابة معظم النصوص النظرية في العلوم الاجتماعية في بلدان الشمال، ومعظمها مضمّن فيها على افتراض أن هذا لا يهم، لكن، وكما بين الفصل الثاني بالنسبة إلى النظرية العامة، وكما بينت مؤخرًا جيفر وروبنسون¹⁴ حول النظرية الحضرية، لم «المكان» مهمً بالتأكيد. ومع استثناءات قليلة، فإن النظرية الاجتماعية السائدة ترقى وتحدث من بلدان الشمال.

لهذا فإن لنظريات العولمة أهمية خاصة. تسمى نظريات العولمة العالم الكلي على أنه موضوعها للمعرفة، من حيث المبدأ، فإنها تقدم بلدان الجنوب، وهكذا توفر طريقة للنظرية الاجتماعية للتغلب على محدوديتها التاريخية الأكثر شهرة.

هل نخلق هنا الإمكان؟ سأتناول في هذا الفصل بعضًا من سمات السوسيولوجية باللغة الإنكليزية تركز على مفهوم العولمة، متضمنةً ماضيها إبداء مفهوم للمجتمع العالمي، وتناقضاتها ولغتها وفعاليتها الأوتية. وسأبدأ بالبحث عن الظروف التي أثبتت منها نظرية العولمة الحديثة.

لغات السوسيولوجيا بالعالم

عندما بُدِئت السوسيولوجيا أول مرة، فإن العالم المأمول والتاريخ البشري بأجمعهما كانا موضوعات العلم الجديد للمعرفة. وهذا يتعلّق بوضوح بتفاصيل كتب مثل فيليو (Principles) لسييس، والتقاليد الشعبية (Folkways) لبونتر، والمجتمع (Gemeinschaft and Gesellschaft) لتونيز، والجيل الأول من الكتب التعليمية في السوسيولوجيا، وبمحاولة تدريسها في الرافعة لتسمح كل ما يتعلق بالمعرفة السوسيولوجية الرافعة، من تحليل العولمة السوسيولوجية. وكما بين الفصل الأول، أدت المعلومات من المفهوم الاستيطانية دورًا رئيسًا في التنظيم السوسيولوجي المبكر.

¹⁴ Jonathan Behrman, *Global Cities: America Modernity and Development* (London: C.U. Press, 2000).

شاع المصطلح العالمي للـ«سوسيولوجيا» عندما انتشر الإطار التطوري. وخلال عشرينيات القرن العشرين وللافتتانه، لتشكل مشروع مختلف جداً في القضاء الفكري الذي كان لا يزال يدهي سوسيولوجيا. وكثر على التمايز الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية داخل مجتمع المارويول. وكان هذا فريدة أيام مدرسة شيكاغو والكثييين الذين اعترضوا مناهج المسح الحديثة. وسرعان ما تبعه التغير النظري، وبشكل خاص النظريات التي شجعت المنهج الدراسي لتهم «المجتمع» كنظام متكامل ذاتية، وكان على نحو ملائم، نالكونت باوسون^[1] هو من احتفظ بتغير الموجة بسميته الشهيرة «امات سينس».

من أربعينيات القرن العشرين إلى سبعيناته، شاع الخطأ حدود الدولة - الأمة حدوداً «للمجتمع». على سبيل المثال، أول كتاب منهجي في السوسيولوجيا كتب في أستراليا، حينما كان يجري اعتماد المنهج الدراسي الجديد هناك وكان عنوانه يساقطة المجتمع الأسترالي^[2]. وصيغت «التبعية» على نحو نمطي كسوسيولوجيا مقارنة لمجتمعات وطنية. وأعطت السوسيولوجيا خطوة أبعد، في النظريات التي خاطبت كتلة الدول - الأمم التي تمثل «المجتمع الصناعي». و«المجتمع» ما بعد الصناعي^[3]. وبعد سنوات قليلة، كانت المنطقة نفسها موضع نزاع في مناقشات حول ما بعد الحداثة، «مجتمع المظلمة»، «التحديث الانتعاشي»، و«علم جزر»^[4].

لم يلاحظ معظم المشاركين في هذه المناقشات حقيقة أن الكلمة الرئيسية للدول «الصناعية»، أو «ما بعد الصناعية»، أو «الحديثة» أو «ما بعد الحديثة» قد شكلت أيضاً المترولوج العالمي. ولقد أشار إلى هذا فالرشتاين^[5] وآخرون بنوا

[1] Robert Parsons, *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory with Special Reference to a Group of Recent European Writers* (New York: McGraw-Hill, 1937), p. 1.

[2] Alan Dower & Neil Dower (eds.), *Australian Society* (Melbourne: Cheshire, 1962). [3]

[4] Adam Smith, *The Post-Industrial Society* (New York: Random House, 1971); Stephen Clark, Ian Fukutaki & Malcolm Wilson, *Postmodernization: Change in Advanced Society* (London: Sage, 1992); Steven Seidman, *Cultural Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era* (Cambridge, MA: Blackwell, 1994); Ulrich Beck, *Risk Society: Towards a New Modernity* (London: Sage, 1992); Anthony Giddens, *The Consequences of Modernity* (Stanford: Stanford University Press, 1990).

[5] Immanuel Wallerstein, *The Modern World-System I: Capitalist Agriculture and the Origin* [3]

على مفهوم الإمبريالية³². وكان لمناقشتهم أثر بسيط في السوسيولوجيا السائدة آنذاك.

لكن مع أزمة الرقود المتروبولية، وصعود النيوليبرالية، وإعادة ميكنة الاقتصاد في جميع أنحاء العالم، تغيرت شروط الوجود للسوسيولوجيا. وبطلان لمائيات القرن العشرين، بدأ أن السوسيولوجيا تدخل أزمة صلتها بالواقع.

في لمائيات القرن العشرين، أصبح مصطلح «العولمة» (globalization) شائعاً بين صحافيي مجلات الأعمال ومفكري الإدارة وبدأ بتوليد أفكار بحثية في الاقتصاد. ووصفت الكلمة (العولمة) استراتيجيات الشركات الكبيرة التي مقرها اليابان والولايات المتحدة وأوروبا، لكنها تعمل دولياً، الشركات المتعددة الجنسيات كما دُعمت في تلك الوقت. وشملت هذه الاستراتيجيات عمليات التسويق الدولية، والإمداد العالمي لشركات التصنيع، وتحويل الاستثمار والعلاوة والأرباح بين الأنظمة المختلفة. وبصورة أهم، تشير «العولمة» في صحافة الأعمال والاقتصاد إلى اندماج أسواق رأس المال التي كانت جزلة مؤزراً وشرطياً لاستراتيجيات الشركات هذه. ومن هنا ظهرت المطالعات الأولى عن العولمة في الصفحات المالية لا العامة من الصحف³³. ورُبط تغير الاقتصادي بسهولة بالتطورات الأخرى في المشهد العالمي: انهيار الشيوعية السوفياتية في لمائيات القرن العشرين، وصعود السياسات النيوليبرالية، ونمو المؤسسات العابرة للحدود من الاتحاد الأوروبي حتى الشركات غير الوطنية.

في حوالي عام 1988، اعتمد مصطلح «العولمة» مجموعة من المنظرين السوسيولوجيين، معوضاً في المملكة المتحدة والولايات المتحدة وأفاد

of the *European World-Economy in the Nineteenth Century* (New York: Academic Press, 1954)؛ و Immanuel Wallerstein, «The Rise and Future Decline of the World Capitalist System: Concepts for Comparative Analysis», *Comparative Studies in Society and History*, vol. 14, no. 4 (1972).

Samir Amin, *Accumulation on a World Scale* (New York: Monthly Review Press, 1974), 141.

Paul C. Foss & Paul M. Black, «The Discourse of Globalization: Framing and C/1 Remaking of an Emerging Concept», *American Sociological Review*, vol. 70, no. 1 (2005), p. 78.

التدفق الثلاث في الكتابة تأسيس الأهمية المعاصرة للتوسولوجيا يجعل «العولمة» واحدًا من موضوعاتها المركزية. وفيما عاد سبسر إلى العولمة ولحلت التوسولوجيا مرة أخرى عن العالم ككل.

كان بإمكان التوسولوجيين الاستجابة لهذه المسألة بطريقتين. إحداهما البدء من الابتكارات الجديدة في المنظمات الاقتصادية الدولية واستبعاد حالاتها الاجتماعية وعواملها. وكانت هذه هي المقاربة التي اعتتمدها ساسكا ساسن^{٥١} في بحثها الكتابية عن عالمية (Class) كالفورد. فقد أعدت حاجات القبط للأعمال العالمية كنقطة انطلاق، وتلخصت أسواق الخدمات الجديدة، وفقرى العمل المخفية، كما درست عواقب التماسك الحضري.

مع ذلك، سلك معظم توسولوجي العولمة مسارًا ثانيًا. وفي عمل تأسيسي للمحقق، حلت فكرة العولمة كشكل جديد للمجتمع محل العولمة كاستراتيجية اقتصادية. وكما أعلن أولريش بيك بحدسية:

نوع جديد من الرأسمالية ونوع جديد من الاقتصاد ونوع جديد من النظام العالمي ونوع جديد من المجتمع ونوع جديد من الحياة الشخصية منظر إلى الوجود، وكل منها يختلف عن المراحل السابقة لتطور الاجتماعي. وبالتالي، نحن بحاجة إلى تحول في النموذج المعياري، إلى إطار مرجعي جديد من التامين التوسولوجي والسياسية^{٥٢}.

قدمت نظريات العولمة إجابات مقترحة للسؤال الناتج: كيف ينبغي لنا فهم هذا النوع الجديد من المجتمع؟

هناك الآن مؤلفات ضخمة، جذلية وتجريبية، عن هذا الموضوع: إذا نورد Sociological Abstracts (مطبوعات اجتماعية) حاليًا أكثر من ٢٢٢٥ بحث لديها واصفة «العولمة». إن ترايزي هو أكثر تصنيفًا بكثير. وكما يحتاج غير^{٥٣}.

Barkin Sassen, *The Global City: New York, London, Tokyo* (Princeton: Princeton University Press, 1991).

Ulrich Beck, *World Risk Society* (Cambridge: Polity Press, 1992). ٥١

Niklas Luhmann, 'Shaping the "Boundary World": The Politics of System Globalization' [14] *European American Sociology*, vol. 44, no. 1 (2009).

لقد شهدت هذه الحقبة ظهور نظرية اجتماعية للعولمة، وتركيزي هو على النصوص الإنكليزية التي تقدم صيغة مفاهيمية عامة للعولمة، لا الدراسات لعمليات أو التفكير فيه. معتمد، وسأستكشف كيف يُبنى هذه الطريقة في تصويرها المميز، والعراق التي يكون فيها لهذا البناء صلة بإحداثته المتروبوليت.

المجتمع العالمي والربط المجزء

تدّان أساس معظم التفكير السوسيولوجي حول العولمة، من المويجة الأولى للتعديل النظري، فكرة المجتمع العالمي⁽¹⁾. وقد أصبح مارتن البرو عن الفكرة الجيومترية بوضوح شديد: «الاستفكاك المحلي، الانفصال عن المحلية، والاعتماد إلى عصر جديد، لا يأتي مع اتصال غير العقلاني على العقلاني، بل عندما يتخذ الاجتماعي معنى خارج الإطار المرجعي الذي حددته الدولة - الأمة»⁽²⁾.

يُبنى مفهوم المجتمع العالمي على فكرة أن الحدود تنهار بسرعة، وأن هناك كثافة جديدة في الروابط عبر المسافات بين الناس، أو التبادلات الاجتماعية، أو المناطق. ويردات هذه الفكرة التي يمكن أن نسميها مفهوم الربط المجزء هي من مزجات أحييات «العولمة» في السوسيولوجيا. ويمكن العثور عليها في النصوص ذات الطابع السياسي:

1. (...) الانهيار المتسارع للعالم بأسره في حقل عالمي فريد⁽³⁾.
2. (...) عملية تؤدي إلى مزيد من الاعتماد البني والوعي التبادلي والاقتصادية بين الوحدات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العالم، والقاعين بشكل عام⁽⁴⁾.

Hayes B. Thomas, «Research Note: From Globalization to Global Society» *Sociology*, 17(1) no. 2 (1983), Harry Smart, «Sociology, Globalization and Postmodernity: Comments on the 'Technology for the World' Thesis» *International Sociology*, vol. 9, no. 2 (1994).

Walter Dill Scott, *The Global Age: Race and Society Beyond Modernity* (Cambridge: Polity, 1996), p. 16.

الشاذلي نبي.

Richard Robertson, *Globalization: Social Theory and Global Culture* (London: Sage, 1992), p. 174.

Walter D. Dill Scott, in *Globalization Unleashed: Questioning its Promise & Critique of Time* (1991) *Key Debates in the Social Science Literature*, Annual Review of Sociology, no. 21 (1995), p. 256.

العولمة (1...) توحد العالم في لقط واحد من الإنتاج وتقام عالمي واحد وإمراج الانتاج المعصري لمختلف الأفكار والمناطق في اقتصاد عالمي.¹⁰⁰

وكثيراً ما اتحد مفهوم الربط المبرود مع لغة «الروية المنهجية»¹⁰¹ للكتابة السوسولوجية في الجيل السابق. وتنطوي الفكرة الأساسية من العولمة بالتالي على مفهوم هو، من وجهة نظر بارسونية، متناظر: إنه نظام بلا حدود. من هنا كانت المهمة الأولى لمنطري العولمة هي كيفية تحديد النظام الاجتماعي الجديد غير المحدود.

بالنظر إلى الاهتمام الطويل الأمد بالتحول إلى الحديثة، فإن طريقة بسيطة لتحديد «المجتمع العالمي» هي فهم التحديث كشكل غير العالم. وعرضي بيك¹⁰²، في إعادة تقليدية من وجهة النظر هذه، التقدم المتأخر: يوماً كان هناك «مجتمع المخاطرة» والآن هناك «مجتمع المخاطرة العالمي». ويعترف بيك أن لغة نظراً من مخاطر خارجية محسوبة إلى «السياسات المؤلفة تالاً»، لكن صورته من حيث الجوهر هي عن السياسات المؤلفة للمخاطرة التي تؤدي على مسرح عرقي أوسع.

والفكرة نفسها موجودة في الوصف الشعبي للعولمة لأنتوني غيدنز¹⁰³. عالم جامع، يرسم هذا الكتاب صورة لمجتمع عالمي تؤكد سياسة المخاطرة واتجهز التقاليد وأقول الأشكال العائلية وقهور العلاقات الخاصة والتشطر الديمقراطية وصعود المواطانات الفاعلة والمجتمع المدني. وأقرأ كتب غيدنز الأخرى من أواخر ثمانينيات القرن العشرين، هذه القائمة مأخوذة جدد إنها تلخص تفسيره للحدثة في مجتمع متروجلي.

William I. Robinson, «Social Theory and Globalization: The Rise of a Transnational Class», *Theory and Society*, vol. 30, no. 1 (2001), p. 139.

Ulrich Beck & Peter Bratscheir, «Unpacking Globalization for the Social Sciences», *Research Agenda British Journal of Sociology*, vol. 17, no. 1 (2006).

Beck, *World Risk*.

(1992)

Anthony Giddens, *Runaway World: How Globalization is Reshaping Our Lives*, 2nd ed. (1991) (London: Profile Books, 2003).

ربما كانت فكرة أن الثقافة تنتشر من موطنها في أوروبا وشمال أمريكا لتغطي العالم بأكملها هي الأكثر انتشاراً بين دأري المجتمع العالمي كلها. وهي قريبة من الأيديولوجيا النيولبرالية، مع ظهورها لتسوق العالمية. وهي مرة بما يكفي للاعتراف بالشرخ. ويرى بيتر برغر¹²⁰ مثلاً، أربع ثقافات فرعية مستمدة من الغرب: (الإلحادية، الفكرية، التجريد، الدينية)، والتي تنتشر لتشكل «ثقافة عالمية». ولا تعني الثقافة بالضرورة الهيمنة النيولبرالية، لأن المنظرين يرون عادة الاستيعاب طوعاً، ويعززون المكافاة إلى الكثير من «المشاركين المحرّضين على تشكيل الثقافة العالمية المعصمة»¹²¹. وكمنهج موسيولوجي، فإنها تطابق بعض الأفكار الشعبية حول التطور، مثل التعبير العصبي «الارتباط بمسار العالم» بمعنى المساهمة في الحضارة الرأسمالية¹²².

في أي حال، فمثل الأيام الأولى للكتابة الموسيولوجية عن «العولمة»، كان هذا التفسير محليّ خلاف¹²³. واتخذ مايك فينرستون (Mike Featherstone) وهو من بين أكثر المنظرين في الدراسات الثقافية ترميزاً بشدة فكرة العولمة بوصفها حضارة معصمة:

لا يبدو أن عملية العولمة، إذا نتج عنها ثقافة، لا بل إنها تجعلنا على علم بـ«توحيد» جديدة من النوع. إما كان هناك ثقافة عالمية ضمن الأنفيل تصورها على أنها ليست ثقافة ملوك، بل مثل ظهور العلاقات و«مراعات» القوة وحدايات المكانة الثقافية فيها¹²⁴.

وفي سياق المناظرات النظرية في الموسيولوجيا في الثمانينات القرن العشرين والتسعينات، قاد هذا إلى تفسير بديل للعولمة، معروف بـ«نموذج

Peter L. Berger, *Three Faces of Global Culture: National Interest*, no. 49 (1997). 120

John W. Meyer, «Globalization: Sources and Effects on National States and Societies», *International Sociology*, vol. 15, no. 1 (2000), p. 260. 121

Zhen Zhang, *Globalizing Time: The China Quest of Time in the Global Urban China* (in: *Asian Appetite* (ed.), Globalization (Chatham: Chatham University Press, 2004). 122

Bakhtin, *Globalization, Moscow: The Global Age*. 123

Mike Featherstone, *Unsettling Culture: Globalization, Postmodernism and Identity* (London: Sage, 1995), pp. 13-14. 124

في العولمة: العواقب الإنسانية¹²⁴ لزيغيمونت باومان. يصف باومان في هذا النص زيادة في التنوع الاجتماعي وصعوبة متنامية في تشكيل معايير اجتماعية واستمالة الخطيط الرشيد وخطبة الاستهلاك على الإنتاج وتحريك السياسة إلى تلاعب إعلامي وسرعي. وهذه المباحث مأثورة أيضًا ويمكن العثور عليها في كتابات باومان السابقة عن أوروبا، وفي الأدبيات الأوسع عن ما بعد الحداثة كشرط للمجتمعات «المتقدمة»¹²⁵.

هناك بالذات مشهد ثانٍ للمجتمع العالمي، كما تشكل بحالة ما بعد الحداثة على مستوى العالم. والتعقيد والاختلاف اللذان تصورهما فيلومستون في الثقافة العالمية، سبيل له أن تصورهما سابقًا في المترولوجيا، في تحليل ثقافة المستهلك وفي نقد السوسيولوجيا الاجتماعية¹²⁶.

ونمة نظرية ثالثة تميز المجتمع العالمي ليس من حيث صفاته بل من حيث بنيته الأساسية. وهذه الاستراتيجية نظرية أكثر إكراهًا للاهتمام، لكن محتوياتها مأثورة جدًا حيث إن حجة كهذه في معقلها مبنية على المفهوم الماركسي للاستغلال والتراكم. واعتبر نيرزا برينان¹²⁷ أن العولمة، بصفتها مدفوعة بالإثرت الرأسمالي، بحاجة إلى أن تشغل مساحة أوسع، وأن تسرع من الإنتاج والتداول، وأن تستغل الطبيعة والعمل أيضًا. ويترغن وليام روبنسون¹²⁸ سبقًا الاقتصاد السياسي ويتركز على الطريق التي تقود فيها المصالح العالمية لرأس المال عملية صنع الدولة العابرة للحدود.

بالنسبة إلى مايكل هارت وأنتوني ليفري¹²⁹، فإن ما يحدث على نطاق

Zygmunt Bauman, *Globalization: The Liquid Modernity* (Cambridge: Polity Press, 1998).

Crab, Fukukaki & Waters, *Postmodernization* 1291

Postmodernism, p. 86. 1261

Tomas Bruneau, *Globalization and its Sirens: Daily Life in the West* (London: Routledge, 2001).

Balibar, *Social Theory*, 1261

Michael Hardt & Antonio Negri, *Empire* (Cambridge: Harvard University Press, 2000). 1271

العالم هو ردة فعل على التأثير المدمر للتعامل البروليتاريه تريضة صادقة النموذج من الدينامية الرأسمالية في إيطاليا أصبحت قبل مدة طويلة. والنموذج غوفلاس بيلتر¹⁰⁰ له «الرأسمالية التقنية» يرى التشابك بين إعادة الهيكلة الرأسمالية والتطور العلمي والتكنولوجي على أنه العملية الجوهرية في العولمة. ويُلح على سكلير¹⁰¹ إعادة الهيكلة المؤسسية بزيادة من التفصيل، لكنه يؤمن بالمثل أن العولمة مسافة بالبحث عن ربح للشركات، منظمة أسواقاً وفوري عاصمة أكثر انتافاً.

لشرك هذه المقاربات الثلاث في استراتيجية فكرية. إنها تفرز مباشرة إلى مستوى العالمية، حيث تجسد الاتجاهات المتطورة كطبيعة للمجتمع العالمي. والاتجاهات المجسدة هكذا تستد إلى مفاهيم سبل أن تُقبل بها، ولا تحدث عن المستعمرات أو الإمبراطوريات أو الشؤون العالم، بل عن المجتمعات المتروية أي عن مجموعة الأنظار الحديثة، أو الصناعية، أو ما بعد الحديثة، أو ما بعد الصناعية التي كانت لحدود خلعت محور تركيز المناظرات النظرية في المسؤولية.

ليست أدوات العولمة محدّدة بالكامل بهذه الاستراتيجيات الثلاث لتجسيد، فبدلاً يفترض سكلير دينامية لتراكم الرأسمالي، يعتمد في المقابل وجهة النظر بأن المجتمع العالمي يمكن فهمه من خلال دراسة الصلات الفعلية بين الأجزاء وحسب. وهو يحتاج أيضاً¹⁰² بأن أي نظام عالمي يجب أن يُشكّل بدعماوسات عبر وطنية، وهذا يقصصن أبعثة بحثية تتجس مثل هذه الدعماوسات.

أثبت تتبع الدعماوسات عبر الوطنية أنها استراتيجية بحثية مشروء، وليست مقتصرة على عالم الشركات وحسب. وهناك رابط آخر عملي مهم، كما

Douglas Kellner, *Emancipating Globalization: Sociological Theory*, vol. 20 no. 3 (2002), 1251

Leslie Sklair, *Globalization, Capitalism and its Alternatives* (Oxford: Oxford University Press, 2002).

Leslie Sklair, *The Transnational Capitalist Class* (Oxford: Blackwell, 2001), p. 4. 1321

بلاخط سامن، هو التحركات السكانية. وتتحدث أولريكة شويكر¹³³ عن «عالم عالمي مرتبط بهجرات عابرة للحدود». ويجادل منظرو المساواة بين الرجل والمرأة غالباً الآن بأن العولمة ظاهرة جديدة¹³⁴. لكن دعوة المساواة بين الجنسين ينادونها تلك معين في التعميمات التي نعم العالم والمطابقة من الحدود¹³⁵. ومن ثم كان التركيز على استخدام تقنيات البحوث المعرفية لتوثيق الروابط الفعلية: إيجاد شبكات عالمية من الحركات النسائية¹³⁶، علاقات جديدة تطوي على حركات أو خطوط عابرة للحدود¹³⁷، والتواص الجديدة الناشئة في الساحات العالمية¹³⁸.

تبن مقاربات الربط أن معالجة مشكلات العولمة ممكنة بطريقة أقل تعقيداً. لكنها، مع ذلك، لم يكن لها التأثير الواسع لأفكار المجتمع العالمي مثل العدالة العالمية أو ما بعد العدالة، أو كما أتيح بفعل الدورات الشاملة. هذه هي المناقشات التي قامت حتى الآن بتعريف النظرية السوسولوجية للعولمة.

تأقطبات نظرية العولمة

يتغل النقاش في هذا المجال شكلاً سريعاً، يُكتشف أنه في محاولات تجنب موضوعات المؤلفات¹³⁹. وبعد أن بُني مفهوم مجسد للمجتمع العالمي،

Ulrika Schultze, «Transnational Migration and Social Transformations: A Theoretical Perspective», *Critical Sociology*, vol. 28, no. 4 (2002), p. 349.

Esther Sagorin Choo, «Gender Matters: Studying Globalization and Social Change in the 21st Century», *International Sociology*, vol. 18, no. 3 (2003), p. 489; Joan Aron, «Gender, Capitalism and Globalization», *Critical Sociology*, vol. 30, no. 1 (2004).

Chandra Talpade Mohanty, *Ann Banerji & London Times (eds.), Third World Women and the Politics of Feminism* (Bloomington: Indiana University Press, 1991).

Valentine M. Moghadam, «Transnational Feminist Networks: Collective Action in an Era of Globalization», *International Sociology*, vol. 15, no. 1 (2000).

Marianne H. Marshall & Anne Simon Berges (eds.), *Gender and Global Restructuring: Rights, Risks and Resistances* (London: Routledge, 2000).

Charlotte Beckett, *Modernity, Masculinities, International Relations, and Gender* (New York: Columbia University Press, 2003).

Gloria Steinem, «Globalization: Unsettling, Battered Women, Regional Effects, Normative Governance», *International Sociology*, vol. 15, no. 3 (2000); Giddens, *on Globalization/Consequences*.

دعيت النظرية السائدة حول العولمة في سلسلة من الثقافات التي لا مفر منها. سأناقش ثلاثة منها هي الأكثر بروزاً.

العالمي مقابل المحلي

منذ اللحظة الأولى للكتابة السوسولوجية عن العولمة، أخذ العالمي تقيماً للمحلي. وإلى الانشطار من أحيات عالم الأفعال، وكذلك كانت طريقة شعية لحل هذا الأمر. والتعبير «عولمعية» (globalisation) ترجم من الرطة⁽¹⁾ التطورية الجينية⁽²⁾ للإشارة إلى مزيج من القوى المحلية والعالمية، مثل استراتيجيات التسويق المحلية المميزة للمعتلين عبر الحدود.

الحديث عن «العولمعية» لا يحل شيئاً. إنه تأكيد كل من التعبيرين في آن واحد. ولم يتم حل المعارضة المحلية/العالمية من الناحية المفاهيمية. وهي تستمر في بناء كل من النقاش والبحث بصيغ مختلفة: محلي/عالمي، وطني/عالمي⁽³⁾. وفي محاولة لجعل الفكرة أكثر جدلية، فإن سوسولوجياً معروفاً اخترع الكلمة التي هي أكثر غموضاً «العولمجموعية» (globalization) لتمثيل القوى التي تحاول التوسع ما وراء المحلي⁽⁴⁾. لكن ذلك أعاكس تجديد المعارضة، ولم يتجاوزها.

بدأ السوسولوجيون منذ مطلع القرن يولون انتقاداً أكثر إلى حركات المقاومة المناهضة للعولمة⁽⁵⁾، وهو اتجاه نراه أيضاً في مناقشات وسائل

(1) Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Cambridge, MA: MIT Press, 1991).

(2) Ibid.

(3) Roland Robertson, *Globalization: Modernization, Postmodernization, Globalization* (London: Sage, 1995).

(4) Ibid., *Globalization: Modernization, Postmodernization, Globalization* (London: Sage, 1995).

(5) Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Cambridge, MA: MIT Press, 1991).
 Elements for a Theory of the Public Sphere, vol. 12, no. 1 (2000); Jürgen Habermas, *The Sociological and Anthropological Study of Globalization and Localization* (Current Sociology, vol. 51, no. 3) (2003).

George Ritzer, *Globalization: The Cultural Consequences of Globalization* (London: Sage, 1993).

(6) Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere*, vol. 12, no. 1 (September 2000), pp. 77-89.

(7) Michael Mann, *Globalization and the Nation-State* (New York: Oxford University Press, 1993), 134.

الإعلام للعولمة¹⁴². وكان يُنظر تقليدياً إلى مثل هذه الحركات كإضافة تأكيد السعلي، أو على الأقل مساعي السعلي للتوافق مع العالمي¹⁴³. لكن الحركات المتعصبة للعولمة نفسها ألحقت بقوة على الصفة السلبية للظوة العالمية، ولهذا مال الانتفاخ إلى أن يكون متباً ثانية. وهذا واضح بشكل خاص في أعمال هارولد وينفري¹⁴⁴. وقد نادى بشبكة مفتوحة من التعددية كمبرور التقوي المتطورة. لكن ليه أنموذجهما للمجتمع العالمي هو مفهوم هيئة وأسمية في جميع أنحاء العالم، وصورتها الكاملة للتاريخ المعاصر مبنية على فكرة منطقة بين فوتين تأسيسيين، تعددية وإمبراطورية¹⁴⁵.

الجداس لطلي الاختلاف

بحرم الحديث عن العولمة، ومفاهيمها المتعلقة بالاختلاف والمصير المشترك والتكامل المتنامي، يستمرز على حافة تأكيدات الجداس العالمي، وعصومتها في الثقافة. نحن نلجأ جميعاً إلى التكنولوجيا نفسها، ولنا الأساليب الاستهلاكية المشتركة نفسها، ونحن نتبع أفضل الممارسات نفسها، وعلم جزأ، وكما نلاحظ ماورو ميلن¹⁴⁶، فإن هذا التأكيد يعكس أصول المفهوم في أنريكات الإمبراة والأعمال، وفي النظرية النيولبرالية وممارستها، فمع يشروع ربط الأسواق الوطنية إلى الأمام لتوفير يذات عمل متجانسة.

[لا أن المنظرين السوسيولوجيين كانوا على علم جلي بالاختلاف، فربلا أن

Rosario Salazar, «Globalization and Multiculturalism: Continuities in Neoliberalism in Latin America», in «Mariano F. Guillén et al. (eds.), *The New Economic Sociology* (New York: Russell Sage Foundation, 2002)»; Richard D. Appelbaum & William I. Robinson (eds.), *Critical Globalization Studies* (New York: Routledge, 2005).

Frederick & Hirsch, «The Discontents of Globalization»,

[142]

Arjun Appadurai, «Global Visions: International Sociology», vol. 36, no. 1 (2001).

[143]

Michael Hardt & Antonio Negri, *Multitude: War and Democracy in the Age of Empire* (London: Random House, 2004), p. 128.

Rosario Salazar, «Empire, Domination, Autonomy: Antonio Negri as a Social Theorist», *Chemical*, no. 10 (2005).

[144]

Mariano F. Guillén, *The Limits of Convergence: Globalization and Organizational Change* (1991) in Argentina (South Korea and Spain) (Princeton: Princeton University Press, 2001), p. 1.

[145]

روبرتسون¹³⁴² أكد أن «التنوع هو أحد الجوانب الأساسية للعولمة». ودافع غيلن عن أهمية التنوع المؤسسي، لكن الموضوع الأكثر شعبية هو التنوع الثقافي. في سبعينيات القرن العشرين، اعتدى المؤسسيون بحزم لأطروحة أهمية الثقافة الغربية، أي فكرة تعميم النموذج ماكدونالد على العالم. وبدلاً من ذلك، اعتمد معظمهم موضوعات المزج، والتفسيرات، والتجهيز الثقافي¹³⁴³.

كان المنظرون الذين لهم عبقية في الأنثروبولوجيا يشكل عاصم أكثر ميلاً لأن يفكرُوا بأن التنوع هو قلب المسألة. وعلى سبيل المثال، الكلمات المتعلقة بالأرجون أبهرتني¹³⁴⁴ من قبل «المشاهد الآلية»، «المشاهد التقنية»، «مشاهد وسائل الإعلام»، «المشاهد الفكرية» إلى جانب المشاهد المالية، تقدم أسماء لتكويرات غير المتوقعة للمزج الثقافي والتفصّل على مستوى العالم. وعادت مجازات «الشبكة»، والتأكيد للتنوع والاختلاف والاختلاف إلى الظهور في مناقشات المقابمة على سبيل المثال مناقشات احتجاجات سياتل (Seattle) والمتنفي الاشتراكي العالمي والحركات الاجتماعية التي تربط في ما بينها «الشبكات بينية»¹³⁴⁵. غير أنّ بعض الكتاب المعاصرين طافوا إلى الحقل. فكلتر¹³⁴⁶، على سبيل المثال تأمل ملياً في «المزج الغربية لتقوى المجازة وعدم التبرّس الذي يشكل العولمة، ويقترح غيلن في بحثه الأخير أنه لا تزال هناك حياة في أطروحة الطارِب¹³⁴⁷.

Robertson, *Globalization*, p. 153.

[1342]

John Tomlinson, *Globalization and Culture* (Cambridge: Polity Press, 1999), Jan 13-14.

Madhavan Pattana, *Globalization of culture: Global challenge* (London: Routledge & Longfield, 2004), p. 68.

Aijun Appadurai, «Disjunction and Difference in the Global Cultural Economy», *Public Culture*, vol. 2, no. 2 (1999).

James H. Witteborn, *Thinking Globalization? The Power of Knowledge and Ideology* (13-14

(London: Routledge, 2004); Laurent Longman, «From Virtual Public Spheres to Global Justice: A Critical Theory of International Social Movements», *Sociological Theory*, vol. 20, no. 1 (2005).

Kalman, «Inventing Globalization», p. 282.

[1343]

World Bank, Samuel A. Haber & Mauro F. Guillén, «The Worldwide Diffusion of 13-14

Market-oriented Institutions: Bolivia, 1975-1994», *American Sociological Review*, no. 70 (2005); Samuel Haber & Mauro F. Guillén, «Globalization Processes and the State: The Worldwide Spread of Central Bank Independence», *American Journal of Sociology*, vol. 110, no. 4 (2005).

السلطة للشأن مقابل السلطة المركزية

بدأ خطاب الأعمال عن العولمة بإدعائات حول تفهقر سلطة الدولة الوطنية، ومعمود سلطة السوق. واستمرت المناظرة مستحثة بين الاقتصاديين وعلماء السياسة¹³⁴ وليس من المستغرب أن يتناول السوسيولوجيون هذه المسألة.

لم يتوصلوا إلى اتفاق على الإجابة. فبعضهم يقبل أطروحة أن الدولة في تفهقر، وغير قادرة على تنظيم الاقتصاد العالمي. هو الآن خارج السيطرة من ناحية فعلية. ويشير آخرون (منهم) إلى أن كثيرًا من الدول في النظام العالمي لم تكن لها بوقت سلطة كافية، وهي النظر العامة في تحليل النظام العالمي. ويحتقد كثيرون أن الدول لا تزال قوية في معظم أنحاء العالم، ويوافق غيلن، مركزًا على أنها تستطيع اختيار دروب تنمية مختلفة. ويعتبر إيفانز معبر الدولة عرصبًا وليس مستقرًا في حين يؤكد مان (Mann) تنوع أشكال السلطة. وبالنسبة إلى سكيلر، فإن الاقتصاد العالمي نما في أعينها نظرية [اقتصاد] الدولة الوطنية. ولكن لا يوجد شيء سجزأ بشك. ويوافق روبنسون ويرى سلطة الأعمال تتحقق في الدولة عبر الوطنية. وينكر ماير (Meyer) وجود أي شيء كهذا ويرى سائس سلطة الأعمال منعكسة في تفهقرية السيادة. وفي حين أن غيلنز ويك يوافقان على أن الاقتصاد يخرج عن نطاق السيطرة إلا أنهما مطلقان بشأن سلطة الدولة على ضبط الأحداث إذا جرى تهيئة لإرادة الدولة بدرجة إضافية من الديمقراطية والمجتمع المدني. ويرى آخرون دولة عالمية تظهر بالفعل، ليس من رأس المال بل من أنشطة المواطنين الموجهة نحو المصالح المشتركة للمجتمع العالمي.

ويشير مثل هذا الانحلال المتعلق حول موضوع السلطة الاجتماعية - وهو قضية ترتبط مع السوسيولوجيا كفرع من فروع المعرفة، بحيرة كبيرة جدًا بها - إلى مشكلة أساسية. وأفضل ما لحلها به (هذه المشكلة) هو التفكير في هذه المناظرات الثلاث معًا. تتبع الصعوبات الثلاث جميعها من مشروع

Das Kult. Offending Corporations: Politics and Knowledge in the Globalization Debate. 134) *American Sociological Review*, vol. 54, no. 3 (1989); Minahan, *Whither Globalization*.

بناء النموذج للعالم من منظور المتروبول، في حين أن تحليل واحد فقط يتخذ منظوراً عالمياً.

كما تظهر المناظرة العالمية/المحلية، فإن نظرية العولمة موسومة باستقطاب مستمر بين التطاق والتفرقة. ومن الواضح أن مفاهيم كهذه يجب أن تعالج ضمن النموذج مجتهد لـ «المجتمع العالمي» لأن فكرة العالمي مكونة بفكرة الربط المجرد لأي «الانقطاع»، «الانصاف»، «الشبكة»، «الوصول»، كما تم بناءه في مجموعة التعريفات المفهومة أعلاه. ولما أن أساس تعريف هذه المفاهيم، أي الفرق الذي يقود إلى تعريف العالمي، هو بشكل مسبق فكرة مجردة لعدم الارتباط. وهذا يركز مفهوم المحلي، المعروف فهو كالمفهوم لا معنى له أكثر من هذه غير عالمي. ويتفاوت محتوى التجريبي في محتاجات المؤلفين المختلفين بشكل واسع.

وما لم يُعز التحليل بكامله بطريقة أخرى، لن يمكن تجاوز التخليط. إنه يقع في نظرية العولمة، ليس بوصفه أساساً لدينامية، بل بوصفه تافهاً. وقد يختار المنظرون التشديد على قطب أو على آخر، أو يخلطون كلياً ما من الاثنين (العولمة/المحلية) لكن التحيزات كهذه جميعها احتياطية من الناحية المفاهيمية.

ولمة صعوبة مثاقفة تعيب مناظرة التجانس/التغاير. وقد انتقد جوناثان فريدمان¹¹ نظرية «الخليط الثقافي» للعولمة بتعيرات لأدعاء وهو على حق بالتأكيد. الطريقة الوحيدة التي يمكن بها النموذج التجهين أن يستمر هي بالتصديد المادي المسبق للثقافة. وفكرة أن «الثقافة» شيء متاحة لأن الخلط أو تُدرج في تسلسلات تنهار على وجه التحديد عندما تُعامل الثقافة كفاعل [ممثل] بين آخرين في ساحة عالمية. ومن الناحية الأخرى، فإن فكرة وجود «ثقافة عالمية» معدومة، أو حتى أنه قد تم تكوينها، تطوري على تعريف مذهب

Jonathan Friedman, *Cultural Identity and Global Process* (London: Sage, 1994).

[11]

في المجاز المرسل¹⁹⁴، اعتبار الهالف العلوي إضافة إلى فيلم رسوم متحركة (cartoon) كتبع النظام الاجتماعي الناتج الذي نتجت عنه الإثيوبيا الكلاسيكية.

إن منظره النجاس/التفكير غير قابلة للحسم. وهذا القضاء ليس ناشئاً عن تنازع الأدلة، بل عن الافتراضات العاملة في مفهوم المجتمع العالمي. والافتراض الرئيس يتعلق بعملية دمج هي من دون حدود ومن دون شكل في آن. وهذا يفرض سلسلة لا نهاية لها من الاختلافات تم تجاوزها. وسوف تظهر العملية كنجاس كلما زكّر الحراق على التجاوز، وكتعطيل كلما زكّر الحراق على الاختلافات. ومرة أخرى الاختيار احتمالي متعمد.

يوفر الاختلاف الكبير حول مواقع السلطة في العولمة طريقة لفهم ما يحدث في جميع هذه المناظرات. وفي الأقلب أن السوسيولوجيا المتروية في سبعينات القرن العشرين بنت رواياتها عن المجتمع العالمي من طريق الارتقاء بأفكارها السفاكية القائمة، بدلاً من إطلاق أجندة بحثية جديدة على المستوى العالمي.

كان هذا الارتقاء قد بُني على أساس قلبي سبق ألا وهو تجنب النظريات الرئيسة القائمة التي فهمت السلطة على مستوى العالم كهيمنة في جميع أنحاء العالم. وهذا منطقي تماماً لأن مفهوم الربط المجرد ليس مترافقاً مع تجربة أن تكون مستعزاً. والمطالع السوسيولوجي للعولمة، كما ظهر في أواخر سبعينات القرن العشرين، يأخذ بنفسه صراحة عن نظريات الإمبريالية والاستعمارية الجديدة، وكان أنه في أحسن الأحوال حلقة مفرجة مع تحليل أنظمة العالم. لقد كان هناك رفض واسع النطاق في الأدبيات العلمية على مفهوم الربط المجرد لأي تحليل يسمى المتروبول مركزاً للسلطة، على أنه وكيل الهيمنة الثقافية، أو مواقع للتراكم. وفي مقدور مؤلفين مثل باومان وبيك

¹⁹⁴ المجاز المرسل (Doppehdick) استعمال كلمة بدلاً من كلمة أخرى، بحيث يستعمل البعض نظام الكل أو الكل نظام البعض. (المترجم)

بالتأكيد تميز الفروق بين أفضاء العالم وعقراء العالم، لكن مفهوم العولمة لم يعظم طريقة مناسبة لتفصيح هذه الفروق.

هكذا فإن النظرية السوسيولوجية للعولمة التي أُنشئت في الثمانينيات كانت تشكيلة - كما يَزن جورج لوكاش¹⁰¹ منذ مدة طريقة عندما نظرت إلى الفكر البرجوازي الأوربي - بطريقة تخفي شروط وجودها وتضيق حدوداً داخلية لتبسيطها. وفي بعض الأحيان تظهر حدود الفكر في النظرية السوسيولوجية للعولمة كتناقضات، وأحياناً كشكوك عاتقة.

ليست الكتابات كلها حول العولمة عاتقة في هذه المشكلات. فهناك بعض المعالجات للمفهوم توصف بأنها انعكاسية من الناحية الجيومسياسية¹⁰² لكن لا يوجد على مستوى مفاهيمي كتابات سوسيولوجية كثيرة التسمي المارويول¹⁰³.

القصيدة والألمانية في نظرية العولمة

بعض الأدبيات المتعلقة بالعولمة مكتوبة في ثور جيد غير معلن في مجالات السوسيولوجية وهي لا تملك للخطر لأدائها بأنها علمية وبحسب، ويعتبرها الأخر مكتوب بأسلوب عفاي مع استخدام ملون للصور والكتابات. وعلى سبيل المثال، الفكرة القائلة بأن العولمة تطوي على إضعاف للحدود وضخامة للروابط عالمياً ما أثقل بالشارت بالرواية¹⁰⁴ مثل هذه:

يمكن المرء مشاهدة السي إن إن في ثور سفاري أفريقي. والمستثمرون
الألمان يتحدثون بالإنكليزية مع الرقائ الصينيين، والمعلمون الاجتماعيون

George Labian, *Money and Class Consciousness: Studies in Marxist Sociology* (London: 1991) (Marx Press, 1994).

William G. Sklar & Mark Rasm, «Toward a Global Sociology? Evaluating a Simd» (1991) Current Conceptions, Methods, and Practices» Sociological Quarterly, vol. 33, no. 1 (1990), Appendix 1st L. Globalization.

B. N. Spain, «Culture and other Real Habits in Political Science» Politics, vol. 1, no. 1 (1971) (1980).

من السود يخطون واختاب عن الحركة النسوية الأمريكية، والوثائق
البروتستانتية تخطون في الهند، بينما يملكون حركة هنري كريسبي ويلسون
المجاعة في أمريكا الوسطى.¹³¹

مقاطع كهذه تعمل من خلال حالات رمزية بدلاً من أن تعمل من خلال
أداة معينة، وهناك الكثير من الأمثلة في أدبيات العولمة، لنقل العصور الرمزية
فكرة أننا جميعاً في القارب نفسه، بغض النظر عن مكاننا جغرافياً. ونحن
جميعاً تتأثر بالتكنولوجيا الإلكترونية، وجميعنا تواجه مفاطر عالمية، وعلم
جزءاً.

ليس هناك أي قطبان على متن المركبة. ويضع باومان¹³² هذه المسألة
بخط مشدّد: «يبدو أن لا أحد الآن في السيطرة». ويقول جون ماير¹³³
«المجتمع العالمي كيان سياسي من دون دولة». وحتى وليام روبنسون، المؤلف
جداً من أن دولة غير وطنية موجودة، يقول: ليس هناك منظر قيادة واحد
لرأسمالية العالم¹³⁴. «معارض السيطرة» قد تعني عدم القدرة على وقفها أبداً.
ويقول بيك مشدّد: «العالمية الجديدة لا يمكن الرجوع عنها»¹³⁵. يشكل عالم
لا تقاسم الكائنات السوسولوجية عن العولمة تصورات مجالات الأعمال عن
موجة مدّ من التغيير، لكن بعض النصوص يقترب من ذلك، ومعتقداتها يشترك
في لغة استحالة الرجوع هذه.

نوصي شعبية الأمثلة الرمزية والإشارات البانورامية بوجود قدر كبير من
عدم الثقة في الأمثلة. وفي عقود أخرى من السوسولوجيا، نصوص كهذه
قد تكون مدعومة للشك، وهناك إتاحة تحديد المحلل غالباً. هل نظرية العولمة،
بالتالي، تحاول أساساً تحليل شيء ما أو إنتاج شيء ما؟ في ورقة بحثها

Degey, p. 11.

1311

Deane, p. 16.

1312

Meyer, p. 236.

1313

Bellman, «Social Theory», p. 148.

1314

Ulrich-Berth, «What is Globalization?» (Oxford: Blackwell, 2000), p. 11.

1315

عن رؤيته الخاصة، يجادل بتر بارغسون¹⁴³ بأن التطوير للعولمة يشترك إلى حد ما المحلية. ويقدّم إيان دوكسبورو¹⁴⁴ تأكيداً مشجعاً بين أن موسيولوجيا العولمة قد تم انتقالها من (الإدارة) العسكرية في الولايات المتحدة لتي تطوير عقيدتها الاستراتيجية بعد الحرب الباردة، والتي تطبق الآن في العراق.

لكن الجمهور المستهدف لمعظم هذه الكتابات هو جمهور مهني أو جمهور مؤلف من القارئ عام مثقف، والنصوص نفسها توحى بأن هذا الجمهور متروبولي. فهي تسلط الضوء على تجربة المتروبولية، وتشترك في المناظرات والمفهوم المتروبولية. والموسيولوجيون الذين يكتبون في المجالات المهمة هم أيضاً بشكل مفرط، يتعاملون المتروبول، حيث إنه المكان الذي تركز فيه الأغلبية الساحقة من الموسيولوجيين المعنيين في العالم.

وفد لاحظ جون لونغشاو لوسين¹⁴⁵ الذي ابتكر مفهوم الكلام الأدبي، على نحو معروف أن عبارة «المعنى» [الوقت] بعد الله المنطوقة في المنطقة المحلية لا تقول كثيراً عن الزواج بصفتها تعبر عنه، والتكثير من نصوص العولمة مور لباتي بهذا المعنى، ونصوص كهذه تنبع خرافة مجازية حول كلف الغلو، وتحدث بطلا عن المشكلات التي «نحن» نواجهها الآن: «...نحن جميعاً نعيش أكثر فأكثر بطريقة «عولمة»... ولا ينبغي العالمي ولا بهذه هناك مثل التماثل المعظم، وهو بدلاً يصطبب الفضاء الأعمق لحياتنا الخاصة. وحياتنا نحن هي موضع العولمة على¹⁴⁶».

لعل الوحدة الأدبية للكتاب والقارئ الكثير من الأسلوب الخطابي في نصوص العولمة. وهي تطوي على معرفة مشتركة يمكن لأدائها ببساطة

Jan Borchers, «Three Concepts of Globalization», *International Sociology*, vol. 15, 1971 no. 1 (2000).

Jan Borchers, «Globalization, Unreason and the Informant of American Military Intelligence», *International Sociology*, vol. 17, no. 3 (2002).

J. L. Austin, *Philosophical Papers* (Oxford: Clarendon Press, 1961). 148

Duck, «What is Globalization?», pp. 75-78. 149

Passes, pp. 75-78, Tardieu, p. 1.

149

بالإشارات الباثولوجية والأستقة الرمزية. وليس هناك حاجة كبيرة إلى تدقيق مكثف للفيلسوف عندما تكون لدى القارئ الأختار مسبقاً وما قد يحتاجه القارئ هو أسماء لمواد الأختار، والتصومس السوسولوجية تزخر بالكلمات المعقدة: «العصر العالمي»، «العولمعية»، «مجتمع المخاطر العالمي»، «المشاهد التقنية»، «التيجين»، والكثير غيرها.

تبنى التصومس، أحياناً، فاعلية سياسية (James Lovelock) والد «الحزن» في كتابات بيك تدافع عن المواطنة العالمية (Global citizenship) والمجتمع المدني، والمجموعات المعرفية، والدفاع عن دولة الرفاه. وألبرو ويرمان وغينتر وريورن وكثير رومان وإختار، جميعهم، وبأساليب مختلفة، أعطوا لمواطنين مدعومين يرمي جديد «الناس أصحاب بيت حبيبي» منخرطون في مواطنة أجنبية، وتشكيل معارف عالمي، أو بكلام أكثر تواضعاً تحسينات محلية بغلبها الوعي العالمي. وعلى الرغم من أن كثيرين (بماستاء إختار) يعتقدون أن هذه الفاعلية واسعة الأختار، وعلى الرغم من أن بيك كتب «يلاً عالمياً» عدة، لكن الجوهر يبقى متروبولي. وليس من المدهش حقاً أن رواية بيك¹¹ في «الزود على العولمة» هي بكتامها تقريباً عن أوروبا.

لا تضمن الخبرات المشتركة بين المتطرفين المتروبوليين والقراء المتروبوليين الكثير من الطرف المعاد للعمليات الاجتماعية. والنتيجة هي تصومس سوسولوجية تستهين على التوام بالعنف الممنهج، ولليل من كتابات تسعينيات القرن العشرين توقع اندلاع أعمال العنف العابر للحدود الوطنية التي سرعان ما حدثت. (كتاب) بيك ما هي العولمة (What is Globalization?)، والذي نشر أول مرة في عام 1993، بالكاد يذكر العنف وكذلك (أفعل) كتاب هولان¹² في مسيح أجيال العولمة في تسعينيات القرن العشرين، ومحاكمات ريت ليفينز التي نشرت أول مرة في عام 1998. وبعد هجوم القاعدة

Back, 'What is Globalization?' pp. 109 ff.
Gillies, 'deGlobalization Critique'.

[11]
[12]

في 11 أيلول/سبتمبر، تناول هيدتر¹⁷¹، المصطلح بوضوح، حرب التجموع كصورة «الجانب المظلم» من العولمة لمناقشة الجريمة والإرهاب. لكن لا يزال غائبًا عن ياله تصعيد العنف من قبل الدول المتروية التي كانت، ويجب ألا تنسى ذلك، تقصف العراق سرًا طوال تسعينيات القرن العشرين.

لا يعني هذا أن النظرية السوسيولوجية يجب أن تكون متوافقة مع العولمة الليبرالية. هناك كتب كثيرة جيدة¹⁷² معارضة عملية، في الواقع، الانجذاب الرئيس للنوع (الأممي) كان التشكيك والاعتراض على أجنحة السوق الخاصة باسم مفهوم موسع للاجتماعي؛ وهكذا يؤكد أهمية السوسيولوجيا كشكل محدود من المعرفة¹⁷³، لكنه لا يتحدى الطريقة التي تشكلت بها معرفة الاجتماعي.

السمة الشمالية لنظرية العولمة

عند هذه النقطة، الإجابة عن السؤال الذي اقتضت به هذا الفصل واضحة إلى حد ما. يرمخ التطوير السوسيولوجي حول العولمة نظرة بأذان الشمال إلى العالم، ولهذا فهو لم ينتج مسألًا جديدًا للسوسيولوجيا، وترتبط الإجابات الرئيسة التي ترسخت بها وجهة النظر الشمالية في هذه النصوص ارتباطًا وثيقًا بالإجابات التي توفقت في الفصل التالي.

الإجابة الأكثر بساطة هي استبعاد وجهات النظر الأخرى. لا يولمان ولا بيلند ولا روبرتسون ولا كلتر ولا ساسن، يشيرون إلى فكر اجتماعي غير متروبولي عند تقديم نظريات العولمة. كذلك لم يفعل روبرتسون، على الرغم

Calders, *Democracy World* p. 161.

[171]

Kalman, «Theorizing Globalization», Robinson, *Social Theory*, 16(4), 17-41.
International, Christopher Chase-Dunn, «Globalization from Below: Toward a Collectively Rational and Democratic Global Commonsense», *Annals AAPSS*, no. 581 (2002).

Adorno, *The Global Age*, Barrow, *Contemporary Sociology and World Market Society*, 17(1).
Contemporary Sociology, vol. 38, no. 1 (2009).

من حياته المهنية في دراسات التنمية، ومراجعة بيتر إيفانز¹²¹ لأعيان الدولة في إطار العولمة تستخدم مصادر متروبولية من دون أي استثناء تقريباً، وكذلك فعل طيلز¹²² في مسح موسيولوجيا العولمة. وفي مقدمة ألبرتو مارتينيلي¹²³ في الثورة الرقابية عن العولمة في مؤتمر الجمعية الموسيولوجية الدولية، فإن كل استشهاد مرجعي هو شمالي. وفي نهاية [كتاب] عالم جامع (Bumsey) بلفسك، يساعد جيمس القارئ بقائمة مطالعة مشروحة من مقالات مجلتي 51 والواحد والخمسون كتاباً جميعها منشورة في المتروبول. ومن بين الواحد والخمسين، يلفتن واحد فقط وجهة نظر غير متروبولية حتى هذا الكتاب الواحد لا يقدم فكرة اجتماعية غير متروبولية عن العولمة.

في حين تشدد هذه الكتلة من الكتابات على نطاق عالمي للعمليات الاجتماعية والفاعل الذي لا رجعة فيه للتفاوتات، فإنها لا تستشهد أبداً بمفكرين غير متروبوليين. ولا تبني البنية على نظرية اجتماعية تتعامل خارج المتروبول. وكثرة من الكتابات حول العالمي المظبوط، حيث غير هو النقط المرجعية الرئيسة في حين أن الأممي ليس كذلك، تُعزف نفسها على أنها محدودة بصورة بالغة.

مع الانحياز إلى المصادر الفكرية من العالم غير المتروبولي، أصبح من الشائع إنشاء صورة للمجتمع العالمي من خلال إيراد صفات معترف بها بالفعل في المجتمع المتروبولي. والاستراتيجيات الثلاث لتجسيد الذاتي التي توفقت أعلاه هي: في جوهرها، ثلاثة إسقاطات لديناميات الحضارة، وما بعد الحضارة، والاقتصادي الاجتماعي، على التوالي. وعلى في البيانات عن قوى المقاومة دأب المؤلف لها.

ويخرج بعض منظري العولمة إلى الأطراف ويجرون هناك بحوثاً، أو يشربون عليها، وهذا يقود إلى أحيات مميزة أخرى حول العولمة: الدراسة

Peter Evans, 'The Eclipse of the State? Reflections on Statism in an Era of 1993 Globalization,' *World Politics*, vol. 35, no. 1 (1993).

Quilley, *de-Globalization Critique*.

123/3

Alberto Martinelli, *Global Order in Divided World*, *Current Sociology*, vol. 34, 1994 no. 2 (2004).

المطالبة للتأثيرات والاستراتيجيات، ومن الأمثلة الثلاثة للمطر [كتاب] الاستقلالية القسرية (Imposed Autonomy) لإيفانز¹⁷⁹، عن دور الدولة في التنمية الصناعية في كوريا والبرازيل والهند، وحملة الانكفاء (The Limits of Convergence) لجيلين¹⁸⁰، عن الأنماط الصناعية في التنمية الاقتصادية في الأرجنتين وكوريا وإسبانيا وشيكاغو عالمية، مبن على العلاقة Global Networks, United Cities لماسين¹⁸¹، وهي مجموعة كبحرة تركز على مدن مثل سان باولو وشنغهاي وسنكيكو، وما تراء في هذه الأبيات إسقاط منهجي. فالمعطيات من الأطراف مؤطرة بمقاهيم ومناظرات واستراتيجيات بحث من المتروبول. وليس هناك أي إشارة مرجعية في هذه النصوص إلى الفكر الاجتماعي للأطراف.

هناك أسباب جيدة لهذا، فمثل هذه المطارح منظمة أصلاً من خلال جامعات الولايات المتحدة التي تتولها المؤسسات الأمريكية، بخيرنا طيلن، بصراحة غير عادية، بأن البحوث التي استلزمها [كتاب] حملة الانكفاء¹⁸² تموزت كلفتها أربع مليون دولار أمريكي. والمؤلفون والناشرون مسؤولون مهياً أمام نظراتهم ومعاييرهم في المتروبولية مهما كانت قلوبهم مع المجتمعات في الأطراف.

نازلاً ما تكون التجارب الاجتماعية التي تولدت في معظم أنحاء العالم أساساً ريشة لصحج نظري العولمة. ولقد تنكلموا لذلك، على محور التجارب غير المتروبولية في هذه الأعمال الأمية أيلن والمصو الأكثر أهمية في نظرية العولمة يتعلق بالاستعمار. والحقيقة أن عالم الألفية له تجربة سابقة عميقة في الخضوع لقوى العولمة، وحقيقة معروفة بالتأكد للمنتظرين. لكن هذه التجربة من الخضوع لا تظفر كقفية مركزية في أي من نظريات العولمة المتطورة هذا. ويذكر بعض المنتظرين بصراحة أن الأميريالية القديمة لها صلة بالحاضر، وحول هذه النقطة، إن لم يكن غير هذا، فإن طيلن متفق مع هاروت ونيغري.

Peter Evans, *Embedded Autonomy: States and Industrial Transformation* (Princeton: 179) Princeton University Press, 1994).

Coates, *The Limits of Convergence* 180

Global Networks, United Cities (New York: Routledge, 2002). 181

Coates, *The Limits of Convergence* 182

هناك استثناءات. يعترف غوران ثيرون¹³³ «بالكثافة الواسعة للعائق» التي مثلها الاختراق الاستعماري للمجتمعات في أفريقيا وأمريكا. مع ذلك، فهو لا يتابع هذه النقطة إلى النهاية عند مناقشة موجات العولمة اللاحقة. واعتمد مناقشة «التهجين» في العولمة الثقافية أحياناً على نظرية ما بعد الاستعمار، لكنها تلبى إلى حد بعيد احتفالاً بالفرح. وهي، فليلاً ما تكبر مرجعاً إلى التاريخ الاستعماري المدمر من التزيق العسري¹³⁴. ولا إلى التأثيرات المستمرة لهذا التزيق السيئ، مثلاً، في تقرير *Bringing Them Home* «الفيديوهم إلى موطنهم» عن الاغتال الأصليين من الأجيال المسروقة في أستراليا¹³⁵.

الوحدة الأدبية للكاتب والفاريز المبينة بالكثير من نصوص العولمة لمحو أيضاً التجربة غير المتروبولية. وربما كان المثال الأبرز هو كتاب ما هي العولمة؟ (What is Globalization?) لويلز، والذي ينتهي بمقالة قصيرة عن «بروزة أوروبا»¹³⁶ (The Reorientation of Europe). وهذه لا تناقش حالة البرازيل على الإطلاق، لكنها تستخدم الاسم لاستعمار مشهد رغب من التشطي الاجتماعي والعنف والأثنية، والذي لا يريد القراء الأوروبيون بالتأكد. والجهد المحفوظ لإحالة البناء الاجتماعي والاقتصادي التي يفسطع بها البرازيليون، في أعقاب دكتاتورية عسكرية حيلة وبين فكي سيطرة الشركات، لا يدخل في مناقشة ويلز.

العلم المتعلق بالجنوب

لعلم الاجتماع المتروبولي عند من الإزاليات لدراسة العالم غير المتروبولي. وقد شكل تخصصات أو تخصصات فرعية عدة لهذه الغاية. أكثرها أهمية

¹³³ Theron, *Globalizations*, p. 164.

[131]

Lin, Sharril, *Culture in Conflict: Encounters Between European and Non-European* [14] Culture, 1997/1998 (Stanford: Stanford University Press, 1999).

Bringing Them Home: National Inquiry into the Separation of Aboriginal and Torres Strait Islander Children from their Families (Sydney: Human Rights and Equal Opportunity Commission, 1997).

Park, *What is Globalization?* pp. 184-185.

[132]

هي: الأنثروبولوجيا، موطن الوصف الإثنوغرافي للمجتمعات غير الصناعية؛
والتصانيف التسمية التي ازدهرت في خلال الحرب الباردة، ثم لعثرت،
وربما تكون أخذت في الانحطاط بوصفها بديلاً للتبويرالية؛ ودراسات المناطق
(على الدراسات الإقليمية، ودراسات المحيط الهادئ)، وهي أكثر شيوعاً
بوصفها مزيجاً من دراسة التاريخ والعلوم السياسية والثقافة حول منطقة معينة؛
والعلاقات الدولية، والمعنية تقليدياً بالدبلوماسية والحرب، التي درست منذ
إنهاء الاستعمار، الأنظار غير المتروية في نظام ما بين الدول في الغرب؛
والاقتصاد السياسي، الذي ركز على النظريات الماركسية عن الإمبريالية ونهج
«النظام العالمي» لغاراشاين.

من هذا المنطلق فإن شمالية سوسولوجيا العولمة ليست مستغربة، حيث
تشهد مناطق مشترك جميع هذه الحقول. وقد أصبح هذا واضحاً بشكلي تدريجي
منذ فتح لقاء الأنثروبولوجيا قبل «جيل مسألة» جيوسياسية المعرفة¹²². والمنطق
المشارك هو أن نظاماً من الفئات أنشأ المفكرون المتروبوليون وأعلن في
مجتمعات الأطراف، حيث قلقت الفئات تجريبياً، وبصراحة المفيدة، تبدو هذه
العملية قليلة ومع ذلك يمكن القيام بها بأحرام، وقد تكون ذات أهمية فكرية.
وسأقدم مثالين على ذلك:

الأول هو واحد من الأعمال العظيمة في العلوم الاجتماعية في القرن
العشرين: كتاب «القبلي الأولية للحقبة»¹²³ لكلود ليفي ستروس. يستند إلى معرفة
واسعة عن المجتمعات غير الغربية، وبناءً على إلى تفصيل يتناولها الاجتماعية،
وتوجه يزيد شراحتها كأعضاء متساوين في حافة من الأشكال الاجتماعية.
وهذا تغير ملحوظ عن توقعات سينر ونوركهليم وسومتر. وكما نكتشف في
سيرته الذاتية المعنونة «المناطق المعنونة»¹²⁴ (1969) استندت
إثنوغرافيا ليفي ستروس إلى نزعة إنسانية عميقة تعترف بالتجربة المشتركة في

Told, Anand (ed.), *Anthropology and the Colonial Encounter* (New York: Routledge, 1992).
Pons, 1978).

Claude Lévi-Strauss, *The Elementary Structures of Kinship* (Boston: Beacon Press, 1969). [1961]

Claude Lévi-Strauss, *Tristes Tropiques* (London: Jonathan Cape, 1955). [1955]

لثقافات مختلفة جدًا، وليس من المستغرب أن تستخدم الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، عمل ليبي ستروس، للمساعدة في التوصل إلى توافق دولي عند العصية.

حتى الآن ليس هناك شك في أن البنى الأولية للثقافة، كما باقي التروبولوجيا ليبي ستروس البنيوية هي مشروع فكري تروبولي، ومجتمعات الأطراف، مهما تكن موقع احترام عند دراسها، فإنها توفقه كمصائر للبيانات لتركيبها في نظام، والإنجازات الفكرية للبنيوية، كما أشرت في الفصل الثاني، تحوي في صميم منطقها نظرة تروبولية للعالم. وتحوّل المجتمعات المستعرة تحت تأثير الإمبريالية مستقى منهجًا من نظري ليبي ستروس، حتى تطبيق المفهوم الأساسي لنظام القراءة ينطوي على تعزيز مذهبهم للمحافل الاجتماعية المحلية التي قد تسيء إلى المجتمعات الأصلية/البدائية على سبيل المثال، بطمس مسألة علاقتهم بالأرض (ينظر الفصل التاسع)، وتخصيص الأكتروبولوجيا في البنى الاستعمارية هو حيلة راسخة¹⁹¹، ومع إنسانيته كلها فإن ليبي ستروس لا يستطيع الخروج منها.

تعمل مقارنة النظام العالمي لأيمانويل طارشافين على مستوى آخر، عارفاً سوسولوجيا كلية للنظام العالمي. وقد قدم بإسوة النظام العالمي، خلال جيل، البديل الرئيس لتركيز السوسولوجيا على التروبول، ولقدوا في الأونة الأخيرة بديلاً للنظرة الشائعة عن العولمة. وتبجح طارشافين أن نرى العولمة ليس بصلتها انموذجاً جديداً من المجتمع، بل بصلتها مشروفاً محدداً تاريخيًا يتصل من تاريخ طويل، فعلى سبيل المثال، من خلقية بحوث في النظام العالمي، يعامل غلاب ماكساكيل في التنمية والتغير الاجتماعي¹⁹²، ومشروع العولمة بصلته خليفة لمشروع التنمية، وهي استراتيجية لم تطورها من جيل جديد من القيادة الرأسمالية لتجول فيود دولة الرخاء على سلطة الشركات والأمة فيون التنمية.

¹⁹¹ Asad (2003, Anthropology).

¹⁹² 1993.

Philip McMichael, *Development and Social Change: A Global Perspective*, 2nd ed. (1991) (Thousand Oaks: Pine Forge Press, 2000).

كما هي الحال مع الأثروبولوجيا البنيوية، هناك الكثير مما يدعو إلى الإحباط في مقارنة النظام العالمي. ليس لأنه سئى المارويول وحسب، بل لأنه حرص النماذج علاقات المارويول - الأطراف، وتبنياتها الطويلة الأمد، ومشروع دارلشتاين البحثي الذي طوره في عمله ذي التأثيرات الكبيرة للنظام العالمي الجديد⁽¹⁾ بالتعاون مع عدد متزايد من الرمثلاء⁽²⁾، أسفر عن تاريخ مفصل للرأسمالية كنظام عالمي للحدود استناداً إلى تقسيم العمل بين القلب والأطراف.

مع ذلك، أقهر بناء هذا النموذج صعوبتين كبيرتين. الأولى، إن مجموعة أدوات الباحثين مستمدة من الاقتصاد السياسي الماركسي، ولهذا فإن الفئات الأساسية هي طبقاته، دولة، استقلال، تراكم رأس المال⁽³⁾. وصعوت النظام العالمي هي بالتأكيد تطبيق علاقات جلاً لأدوات العمل هذه، لكنها تشارك في طريقة الإغلاقي الفكرية للاقتصاد السياسي نفسه. ويوضح ذلك في القائمة القصيرة للمداعلين الاجتماعيين المعروفين بتحليلاتهم للنظام العالمي: البرجوازية، البروليتاريات، الطبقات الوسيطية، شعب الدولة، وليس الكثير غيرها. والصعوبات التي يتعامل معها هذا الإطار في قضايا الجندر والعرق - التي التأسيسية للكونولوبالية، في حساب آخر - مذكورة.

لنركز المشكلة الثانية من خلال حالة أخرى: دارلشتاين قدم مساعدة كبيرة عندما تناول الرأسمالية في الخارج، سبباً أنها تطوي منذ البداية على اقتصاد متباين متعدد الدول. غير أن دارلشتاين، وفي بناء هذه الحجة، عمل بالطريقة التي عمل بها منظرو العولمة لاحقاً، ألا وهي تعميم النموذج تحليلي مطور بالفعل للمارويول. وقد حسنت، محاججته مفهوم نظام اجتماعي، كما هو واضح من

Wallerstein, *The Modern World-System* 2.

[1971]

Christopher Chase-Dunn (ed.), *The Historical Evolution of the International Political Economy* (Giddens, Edward Elgar, 1995).

[1941] يُعزى المصطلح الرابع لماركس هو "The World-economy: Some Introductory Considerations," in: Walter D. Dillithard (ed.), *The World-System of Capitalism: Past and Present* (Berkeley: Ullie Sage, 1979).

اليقائن، المبكرة للمقارنة¹¹¹، وجلبت هذه الفكرة مفاهيم أخرى لتحليل النظام مثل الحدود، والتمايز الداخلي للوظائف، والنظم الفرعية، وعلم جزأ.

هذه النزعة القوية نحو التوحيد (التحويل المفعول إلى مفعول) طادت أحد تيارات بحوث النظام العالمي ليستبدت نماذج الاضطرابات داخل النظام العالم الرأسمالي، ولقد أدت الأمر لإجراء بحوث معقدة عبر التاريخ عن أنظمة عالمية كبيرة وصغيرة¹¹²، وأدت في وقت مبكر جدًا إلى فكرة أنه يمكن الاستدلال على المستقبل من قوانين الحركة للنظام العالمي. وفي الكتابات اللاحقة للمارشالين¹¹³ ونيس هذا¹¹⁴، تحول النموذج البحث الذي كان مشيرًا إلى كنهات مثيرة بالسوء.

المشكلة الأساسية للمقاربات العلمية - الاجتماعية المدروسة في هذا الفصل هي منطقها الجيوسياسي. فهي [أي المقاربات] تعزل بصورة حصرية على المتروبول، من أجل أنوائها وافتراضاتها الفكرتين، ومن ثم فهي تعامل عالم الأغلبية باعتباره موضوعًا. وهذا يخلق الباب أمام إمكان أن تعمل العلوم الاجتماعية عليها بوصفها عملية تعلم مشتركة، بوصفها حوارًا على مستوى النظرية.

سكان عالم الأغلبية ليسوا مجرد مواضيع للنظرية، أو منجم بيانات للعلوم الاجتماعية. إنهم أيضًا الفاعلون، أي المتفجعين لنظرية حول العالم الاجتماعي ومكانهم الخاص فيه.

ونحن نرى هذا في أعمال عن العولمة على وجه التحديد مثل [كتاب] العولمة المتخيلة (Imagined Globalization) هذا لاستور غارسيا كانكالي، ومن

Wallerstein, 'The Rise and Future Decline of the World Capitalist Systems.' 1981

Christopher Chase-Dunn & Peter Grimes, 'World-systems Analysis: A Journal Review of 1981' *Ethnology* no. 21 (1984).

Immanuel Wallerstein, *End of the World as We Know It: Social Science for the Twenty-First Century* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999).

Chase-Dunn, 'Globalization from Below.' 1981

أجل عولمة أخرى (globalisation) لميلتون ساتوس والإمبراطورية المعرفة (Empire of Knowledge) لتياني لال¹⁰⁰، وهذه ثلاث مساهمات حديثة تتجاوز النطاق الحاضر للأنبيات المتروبولية. فمثلاً، يعطي لال دوراً مركزياً للعنف المظم في خلق عدم المساواة العالمي وإدامته، ويحتاج بالأهمية النظامية لاستراتيجيات التغيير السلمية.

ونحن نرى هذا أيضًا بشكل أكثر عمقًا. فكل ثقافة مستعرة نتج تغييرات للأمنيات، ويدرس المفكرون في عالم الأنظمة الإمبراطورية والاستعمار وعمليات العولمة، بفكر ما يفعل المفكرون في المتروبول. وهذا يمثل مصدرًا هامًا للتعلم، يتجاهله علم الاجتماع المتروبولي حاليًا. وبسبب المواقع المهيمن للمتروبول في التنظيم العالمي لعلم الاجتماع (كما بين سوتاج¹⁰¹) بالنسبة إلى السوسيولوجيا، فإن هذا المصدر يصعب تحديده. فكم هو صعب رؤية الغنى في الأنظار الطرفية، والتي لديها الموارد الاقتصادية لإنتاج البديل، ولكن ليس بالضرورة الرقابة. سأتناول في الفصل الثاني هذه المشكلة في الحالة التي أعرّفها أكثر من غيرها: إسرائيل.

¹⁰⁰ Milton Santos, *Por uma outra globalização* (Rio de Janeiro: Editora Record, 2006), Wang Lai, *Empire of Knowledge: Culture and Power in the Global Economy* (London: Pluto, 2002).

¹⁰¹ Hans B. Sotaj, *After the Sociology of the North: Goldenrod, Inc.* (1991) (1991).

القسم الثاني

النظر جنوباً

الفصل الرابع

اكتشاف أستراليا

أستراليا مستعمرة بريطانية. أعطىها الكندي ميني على تلك الجزيرة من التاريخ، أو بعارة أستراليا على ذلك الزوج من الخطائق المبررات الإنكليزية المباشر بقرار التصميم العام لحياتها وتفاصيلها، التي تروج بين صانعي الفكر والتفكير وعدم الفرائض بالصور الفرائض التي تتجسد. لكن حقيقة استعمارنا لها تأثير نفسي منتشر، مقلدا علاقة صبيحة وغير سهلة كمثل التي بين المراهقين والوالدين.

أثر النجل فيليس (1911)

منذ القرنين، وبعد أن ظفرت ثلاث عشرة مستعمرة في شمال أمريكا، زعمت الدولة البريطانية واحدة جديدة، مستوطنة عاقبة، بعيدا بقدر ما كان يمكن الإبحار إليه. واكتشف مذكرات المسؤولين، والروايات المتباعدة من المستعمر عليهم، كم كان الشعور بالبيئة الجديدة طرية: الطيور التي انقضت بدلا من أن تغرد، والحيوانات التي تغلظ بدلا من أن تتركض، وعيد الميلاد في الصيف، سكان أصليون لم يجدوا لأنفسهم مكانا في النظام الاجتماعي الأوروبي.

تبع ذلك توسع خائس في هذا العالم الغريب، وطوال القرن التاسع عشر ضمت ثروات من الرعي والتعدين والتجارة، ولحقت الأسواق، والشعب، والمحموم، والخدمة إلى أوروبا (ومعززا اللحم وعظام الحديد إلى شرق آسيا). وطوال جيلين حل التصنيع بدلا من الاستيراد بإنشاء مصانع في المدن. وأصبح الصناعيون يبرزون في الطبقة الحاكمة المحلية، وكتب اقتصادي بارز

تلقياً بذكره أن أستراليا «بلد صغير متنامي غني»^{١٤}. بقيت أستراليا فقيرة، لكنها الآن غير متنامية؛ إذ يتركز الاقتصاد القرن الحادي والعشرين على الخدمات والتعلم. ونجحت سياسة «أستراليا البيضاء» التي باتت رسمية حتى ستينات القرن العشرين، جرى استيراد القوى العاملة من أوروبا، بينما شجعت الهجرة من آسيا. ولما التزم، لكن الأقلية العظمى لا تزال من أصل أوروبي. ولا يزال السياسيون يعثرون انتماء أستراليا إلى المتروبول: سابقاً مع الإمبراطورية البريطانية، والآن مع الحضارة الغربية والتحالف الأمريكي.

أنتج هذا التاريخ معضلات ثقافية هي حار جدل قوي. إنَّ الجماعية الأوروبية الصغرى المتوقفة على ثقافة آسيا تؤدي المخاطرة المعاصرة التي لا تزال قادرة على تغيير الاختلالات. وأصبحت العلاقة بين المستوطنين والسكان الأصليين قضية مثيرة غير قابلة للحل (أنظر الفصل التاسع). ولأنَّ التنامي مع المتروبول إضافة إلى البعد الجغرافي والطبيعة الاقتصادية إلى صعوبات مزمنة في الهوية. والموقف السائد الذي أطلق عليه الناقد الألماني فيليبس بشكل لافت «الشلل الثقافي» تمت معارضة بالتظاهرات وطنية. ونجحت عن أروحية محلية كانت مصدر إلهام لأفضل الآداب والفنون الأسترالية. لكن النزعة الوطنية الأسترالية، التي كانت والوكالة اجتماعية، استولى عليها تدريجياً اليمين السياسي؛ هو نفسه المولزم الاعتماد على السلطة المتروبولية والرمزية الدولية.

في هذا العالم المتناقص من نزعة المستوطنين الاستعمارية، ما مصير العلوم الاجتماعية؟ بقيت العلاقة بين المستعمرة والمتروبول مسألة حاسمة ومعيّنة، والتحكمت المشكلات الثقافية الأوسع ضمن مباحث العلوم الاجتماعية. لكن شكل هذه المشكلات تغير. في هذا الفصل، سنركز مرة أخرى على قضية السوسولوجيا، وأحلل علاقات المستعمرة - المتروبول في محطتين تاريخيتين: دور المستعمرات الأسترالية في صنع السوسولوجيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ وتشكيل مبحث الأنثروبولوجيا

في الجامعات الأسترالية من خمسينيات القرن العشرين إلى سبعينيات. ولقد
التصفت السنوات الأخيرة اختلالات أخرى سادت فيها في نهاية الفصل.

مكان أستراليا في صنع السوسيولوجيا

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، جرى لداوله التصوحي
المتروبولية - خصوصًا كتابات كوكس وسنسر - إلى أبعد بكثير من المتروبول.
وكان سنسر تأثير كبير في اليابان والهند وأفريقيا كوكس في إيران وكان له
تأثير قوي في البرازيل. واعتمد مثل هذا التأثير على وجود صفوة مثقفة
[إنجليزية] محلية مستعدة للعمل بهذه الأفكار. وتزامن إنشاء نظام تعليم عالٍ
في أستراليا تمامًا مع الفتح السوسيولوجيا في المتروبول. والكتاب كوكس نظام
في السياسات الوطنية (*System of Positive Policy*) وحولته القومي دراسة في
السوسيولوجيا (*Principles of Sociology*) نُشر ما بين عامي 1851 و 1854 في
الأيام الأولى لنظام لويس بونابرت، وهو موضوع كتاب ماركس الثامن عشر من
بروسر (*Engels' German Ideology*) وأُنشئت جامعة سيدني في عام 1852، وبعثها
بعد وقت قصير جدًا جامعة ميلبورن.

كان هناك الجامعات الاستعمارية في الأصل مزيجًا قليلًا من
الكلاسيكيات والتدريب التقني، لكنه توسع بالتدريج، ومع توسعه أصبح
بالإمكان أن تُدرج موضوعات من تعليم الاجتماع. ووفرت الصحف
الاستعمارية - وكانت متنوعة وجوهرية فكريًا آنذاك أكثر منها الآن - سيدنا
آخر ليست فيه مناقشة المسألة الاجتماعية، والعلاقة بين الأعراق، ومكانة
المرأة ومباحث اجتماعية أخرى.

تطورت هذه المناقشات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بفعالية
في ميلبورن وكانت آنذاك واحدة من أكثر المدن في العالم للمستوطنين
الاستعماريين، مع إنجليزية متنوعة ورائدانية، وجامعة مفتوحة. في هذا
الوسط، ظهر هنري وليام إدموند ميرن (*H. E. Mern*)، وهو إيرلندي متخصص
بالأعمال الكلاسيكية أصبح أستاذًا في جامعة ميلبورن في خمسينيات القرن

التاسع عشر، أنتج سلسلة رائعة من الكتب، خلال الأعوام الثلاثين التالية¹². وتمّ تفسير الحالة غير المنظمة للعلوم الاجتماعية في تلك الوقت بأنّ ميرن كان بروفييسور التاريخ والآداب، والمنطق والاقتصاد السياسي والقانون، وبمقتضاها في الوقت نفسه. وكتابته تحكم طيفاً الأغنياء (Plutocrats) الذي نُشر في مطبوع في عام 1883، يمكن أن يقال إنه كان أول نص مهم في الاقتصاد يُكتب في أستراليا، وكتابته منزل العائلة الأثرية (The Ancestral Home) الذي نُشر في عام 1878، كان أول نص مهم في حقن السوسيولوجيا.

منزل العائلة الأثرية جزء معترف به من نوع دراسات التقدم الاجتماعي، في لمط مقالين واسع، والتي تناولها في سبعينيات القرن التاسع عشر وبداياتها، كل من دابلور وينستر في بريطانيا، وثورولتو في فرنسا، وولفرد في الولايات المتحدة وتوليز في ألمانيا. ويشرح ميرن هذا الهدف، بوضوح في المقدمة:

إنني أخرج وصف نموذجي وتقديم المؤسسات الرئيسة التي هي مشتركة في اسم العرق الأثري. وسأسمى إلى توضيح التنظيم الاجتماعي الذي جاز في حياته أجدادنا من بعد وسوف أتبع، بقدر ما أستطيع، أشكال الفكر والتصور التي أثرت بخلقاتها المتبدلة في سلوكهم. وسوف أشير إلى بلور هذه المؤسسات التي خلقت الآن نظراً حالاً جداً وسوف أعالج بيان الأحوال التي خلق فيها المجتمع السياسي نموذجي، والخطوات التي حل بواسطتها في أوروبا الغربية، مثل مثاقبه القرون¹³.

لما أمور عدة تشير الانتماء في هذا المقطع، فاللهجة رصينة، وكان المتصور بهذا أن يكون مساهمة تقنية في العلوم، وليس جملة مقبولاً بين الناس. ويقوم ميرن بتماز بسيط مع الأوروبيين (الأجداد) من أجداد، هناك فكرة المستعمرين الأستراليين كبريطانيين مزدوجين. وهناك اقتراح مسبق واضح للتقدم (الطور) عالي جداً. وملاحظ أيضاً اقتراح ميرن لتناقض بين لمطين من

J. A. La Menn, *Political Economy in Australia: Historical Studies* (Melbourne: Melbourne University Press, 1993).

William Edward Harris, *The Ancestral Household in Literature and in Development* (Melbourne: George Robertson, 1978), p. 2.

المجتمع. وهذا مثال مبكر على نظريات الجغرافيا الاجتماعية (انظر الفصل الأول)، والتي سرعان ما أصبحت مركزية للموسولوجيين الثيوريين في نهجهم للزمان والتقدم. وبعد طبع صفحات، يقدم هيرن ملخصاً واضحاً جداً لهذه الطريقة في تمثيل التغيير:

في جميع خصائصه الرائعة - السياسية، الدولية، الدينية، الاقتصادية - يقدم المجتمع القديم تبايناً كاملاً مع تلك التي نعيش فيه [...] لا حكومة مركزية [...] لا كنيسة وطنية [...] بضعة عهود [...] الرجال عاشوا وفقاً لأعراسهم [...] وكانوا محبين، أو، إن كان ثمة عداوة، متفقتين منهم، بما عدا قريبهم. كان هناك، بالتفصيل، لا فرد ولا دولة، المفردة أو بعض من رابطة أُنست على نموذج العنبر، وفروعها، لتعكس الحياة الاجتماعية كلها لأجيالاً¹⁴.

وبملاطية الكتاب هذا التباين. وهي تستعرض سلسلة من المباحث الموسولوجية: طبيعة العرق، وضع النساء، التنظيم الاجتماعي للعائلة، أنواع الارتباط، أنواع السلطة، والعلاقة بين الدولة والمجتمع المدني. لكن هناك شيئاً واحداً يهزون على الرغم من أنه عاش في مستعمرة، وجد أنه كذلك بدقة في التاريخ المبكر للأمم «الآرية» في أوروبا وأصلاتها المفترضة.

قد يكون السبب جزئياً أن بداية هيرن الرائعة وجدت قلقاً من الأتياع الأستراليين، فلم يُنشر مدرسة محلية للبحوث الموسولوجية، وكان نصد، بدلاً من ذلك، مساهمة من المستعمرات في أدب التبعثرات الثيوريية حول التقدم الاجتماعي. لم يكن هناك أي تأسيس نظامي للموسولوجيا في الجامعات الاستعمارية أكثر مما كان في أستراليا أو كمبروج. وعندما بدأت جامعة سيدني، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بتحديث منهجها في الآداب الذي عكس عليه الزمن، طورت التاريخ الحديث والفلسفة والاقتصاد السياسي، لكنها لم تحاول تطوير الموسولوجيا¹⁵.

¹⁴ Ibid., pp. 4-5.

¹⁵ Ibid.

¹⁶ Clifford Tatum, *Frank J. Taylor & Peter Chapman, Australia First: A History of the OIA* (University of Sydney, 2018), 202 (Sydney: University of Sydney and OIA & Melbourne, 2018), pp. 270-2.

حدثت تلك التطور لاحقاً في جامعات أمريكا الشمالية. وتقبل انتشار المناهج الدراسية السوسولوجية الجامعية، والكتب المنهجية، والمنظمات المهنية، والمخرجات البحثية في الكليات الأمريكية زيادة سريعة من الاهتمام بالسوسولوجيا عبر شمال الأطلسي، بما في ذلك أول كرسي السوسولوجيا في بريطانيا في عام 1907.

كانت هذه الأحداث في ذهن فرانسيس أندرسون (Francis Anderson) المحرر لكرسي الفلسفة خلال فترة إقامته تجديداً قسم الآداب في جامعة سيدني، عندما ألقى محاضرة في عام 1911، والتي خلّصاً ما تُوخّذ على أنها نقطة البداية للسوسولوجيا الأسترالية. ولم يكن كتاب السوسولوجيا في أستراليا، لقاء من أجل تعليمه (*Sociology in Australia: A Plea for its Teaching*) الذي صدر في العام التالي ككتاب من إحدى عشرة صفحة، حصلاً في السوسولوجيا، ولم يكن أندرسون بأي معنى سوسولوجياً، لقد كان فيلسوفاً محترفاً يحمل النظرة الكونتية لبنة العلوم. وفي هذا الرأي كانت السوسولوجيا «العلم الأم» الذي صاغ المبادئ الواسعة العلوم معتمد كالاقتصاد مثلاً. كانت مهمة السوسولوجيا تأكيد القوانين الطبيعية التي تتجلى في النمو الاجتماعي¹⁵. وقد انتهر أندرسون التوسع الحديث في تعليم الاقتصاد والتجارة في جامعة سيدني ليجادل بأن العلم الأم يجب أن يدرس أيضاً.

كانت نظرة أندرسون إلى السوسولوجيا في عام 1912 متأخرة قليلاً. فخلال عشر سنواته كان نظام العلوم الاجتماعية التطورية بأهمه وقواته لتتقدم متفرقة في أزمة دائمة. ولا شيء كبرنامج أندرسون كان يمكن تطبيقه وتؤثر محاضراته على نهاية حلبة وليس على بدايتها. لم يتم تأسيس النظرية الكونتية هنا إطلاقاً. لكن كانت هناك مزية أخرى لتوقيع الاستعماري الذي جعل أستراليا مهمة للسوسولوجيا في القرن التاسع عشر.

كما بدأت في الفصل الأول، أصبحت التقارير من العالم المستعمر مصدراً

Francis Anderson, *Sociology in Australia: A Plea for its Teaching* (Sydney: Angus & Co. Robertson, 1912), p. 10.

رئيساً للبيانات المعطاة الاجتماعية التطورية. وفي تصديره لعمله العظيم الثقافة الهندية (Hinduism: Culture) قدم إيميلر تايلور اعترافاً عاكساً بالتفصيل للمؤلفين من الجغرافيا والعلوم التي تداركها الأصلي، وكذلك المؤرخين والرحالة والمبشرين^{٢١}. ومثل هؤلاء المؤرخين زودوا السوسيولوجيين بتوثيق غني عن البداهتين اللتين تبحث عن إمبراطوريتهم الإجمالية لتقارير المجتمع المتقدم للمعزولين.

لم يكن الاحتلال البريطاني لأستراليا استثناء. فقد جرى لوجه أول حاكم استعماري ليحصل بالسكان الأصليين ويضعهم تحت صيانة الأمر الذي حاول القيام به بإخلاص. دفعت تقاريره الإثارة الاستعمارية البريطانية على التراجع بين المصالحة والكهر، والقلق بشأن العنف العنفي في القصور بين المستوطنين والسكان الأصليين. واستمر هذا الوضع حتى استولى المستعمرون البيض على أقصى الأراضي في شرق أستراليا وأقنعوا الزايت هول^{٢٢} بمنحهم السيطرة على البقية. في شكل حكومة مسؤولة، أي بعبارة أخرى، شبه استقلال. ولقد طغت الروايات عن هذه العملية مع وصف المجتمعات السكان الأصليين التي ستع لاحقاً إلى بريطانيا.

ويأتي مثال ملحوظ من أعظم الوثائق العلمية في ذلك العصر. فكتاب مجلة البحوث (Journal of Research) لشارلز داروين (الذي أصبح لاحقاً أفضل باسم Voyage of the Beagle) يحتوي على فصل عن زيارته ميدني ورحلة فوق الجبال الزرقاء (Blue Mountains) ثم زياراته القصيرة لبلات فان تاين (Van Diemen's Land) (السماء الآن)، وخليج الملك جورج (King George's Sound) (أستراليا الغربية الآن)، وها شاعد رفقة الكوروي (Kooroi) لسكان البقاء البيضاء (White Collar)، وينتهي وصفه بما يلي:

Edward B. Taylor, Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, (21) Philosophy, Religion, Language, Art, and Custom, 7th ed. (London: Methuen, 1975), pp. 1, 4.

Whitehead (22) تاريخ في لندن وهو من أعظم الدوائر الحكومية ويطلق دعواً على الحكومة

البريطانية -المرحبا

عندما اختلطت القبائل في الرقص، ارتفعت الأرض من القل خطواتهم،
وعلى الهواء بحركاتهم الريعة، وظهر كل واحد منهم بروج عالية وشكلت
المجموعة من الانقسام شبه العراء الذين يشاهدون في ضوء التيران
الضبابية، وجسمهم يتحركون في استخدام بلع، حرفاً كما لوهمدان بين
أرض التيران¹³⁹.

على الرغم من الانقسام والتعقيد، لم يكن داروين معلقاً لمجموعات
السكان الأصليين الأستراليين الذين قابلهم. وهو أصعب بصعابهم من
التجارب المكتوبة ومهاراتهم في الصيد، وتعاطف مع ضعفهم أمام الأمراض
المستوردة، ولم يأت بالكلم عليهم على هذه العقور. لكنه بالتأكيد اعتبر
الأستراليين الأصليين شعباً أكثر بدائية من البريطانيين، وقد توقع القراءتهم،
ورأى هذا نتيجة لا حفر منها عندما يقلل نوع قوي من الرجال من هو أصعب
منه: «لأنما صار الأوروبيون، يبدو أن الموت يطارد السكان الأصليين»¹⁴⁰.

ورجع إلى الموروث من هذه الروايات عن الحياة البدائية في
أستراليا - وبعضها أكثر جهرية بكثير من رواية داروين - وأصبحت جزءاً من
مادة خام بنيت منها العلوم الاجتماعية التطورية. ويؤكد أن أسطى أشقة من
مؤلفين معروفين جداً بينهم تايلور نفسه، وليام فرانك سوتر، لكني سأكتب
من واحد فقط، وهو الليبرالي التقدمي نستر وارد. مستعرباً أمواق الجنس
البشري في كتابه السوسولوجيا القديمة (Ancient Sociology) قال وارد:

من الأجانب الوحشية الدنيا الأخرى يمكن الإشارة إلى التوربين
(Turgians) على الرغم من قراهم الضخم نسباً، هم خلقاً أكثر قزماً
بقليل من العيونات، فأستراليا الداخل الأوروبيون هؤلاء، والذين إضافة
إلى عناصر إرثية أخرى، هم معروفون من الحضارات المسجلة التي تشكل
عصلاً هذا الساق (postcranium and skeleton) [...] وأكثر من هذه القبائل

Charles Darwin, *Journal of Researches into the Natural History and Geology of the Océania*,
Crossed Bound during the Voyage of H.M.S. «Beagle» Round the World-London: Ward, Lock & Co.,
1879, p. 426.

Ibid., p. 411.

والأفراق يعيش كتلة تقريبا على طريقة البهام البرية، وليس لديهم ما يمكن أن يطلق عليه حكومة أو دين، أو مجتمع.¹³

لا أحد من هؤلاء المتطوعين زار أستراليا أو قابل شخصًا من السكان الأصليين الأستراليين، ولم يحاول أي منهم التحقق من ادعائهم المتعلقة أو الترافعة من دون شك في حالتي ولورد وسومر، فبالنسبة إليهم، ليس للسكان الأصليين أستراليا حقيقة بشرية. كانوا مجرد دجور في بناء خيال علمي عن البدائيين، والذي بدوره أثبت صحة عقيدة التطور الاجتماعي.

عزز أستراليا في صيغ السوسولوجيا، لتدور بقية العالم المستعمر، كان كمنجم الكيماويات، مصدرًا للأشقة الإثنوغرافية عن البدائيين. وبينما العالم المستعمر، كان لأستراليا تميزها لتكونها الأكثر بدائية من الجميع، وتصور أقصى التطور أو التخلط.

كان هذا هو بالتأكيد الإغرائي وراء الظهور الأكثر شهرة لأستراليا في تصور السوسولوجيا «الكلاسيكية». ففي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، جلبت الملاحظات الإثنوغرافية المدروسة محل «المؤرخين والرحالة والمبشرين» كمصدر رئيس للمعلومات عن الشعوب غير الأوروبية في التحول الفكري الذي أنتج الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة. وبعض هذا العمل الرائد تم إنجازه في أستراليا، ومن بين الأكثر تأثيرًا كانت البحوث التي أجراها في السبعينات القرن التاسع عشر، في الصحراء الوسطى حول أليس سبرينغز (Alice Springs) كل من بالدوين سيمس (Baldwin Spencer) وفرنسيس جيمس جيلن (F. J. Gillen).

بالعودة إلى باريس، فإن تقرير سيمس وجيلن للجان المحلية في أستراليا الوسطى (The Native Tribes of Central Australia)، أثارت جداسة من دوركهام وزملائه. ولدت مراجعته جداسة في التحولية السوسولوجية، وبعد عقد من الزمان أصبح الأساس التجريبي لأخر كتب دوركهام الأشكال الأولية للحياة البدئية الذي نشر في عام 1912.

James F. Ward, *Ontogeny, Sociogeny, or Applied Social Science as Social upon Science?* (1911) *Sociology and the Late Colonial Sciences: Textual (New York: Appleton, 1897)*, p. 418.

في هذا الكتاب، أصبحت أعراف شعب الأوريني (Aurini) وأساطيرهم كما كانت في نهاية القرن التاسع عشر، الأساس للسوسولوجيا العامة عن الدين. وقد فهم دوركهيلم، مثل معظم السوسولوجيين الذين كتبوا عن «الأستراليين»، القليل من التفرع وحيادية ثقافات الشعوب الأصلية في أستراليا. كان دوركهيلم يعرف أن هناك جماعات مختلفة، لكنه اعتقد أنها كانت متشابهة تمامًا، لأن مجتمعاتها جميعها تنتمي إلى شكلي مشترك واحد.¹⁰⁰ لقد استلهم [شعب] الأوريني لسبب واحد: اعتقد دوركهيلم أنه وجد في إثنوغرافيا مينسر وغيلن وحيثًا تفصيليًا لأكثر الأشكال البدائية للدين، كما اعتقد أنه بدراسة الشكلي الأكثر بدائية، يستطيع أن يكشف أكثر الحقائق جوهرية عن الدين، وليس هناك أي مخوف في حول هذا. فـدوركهيلم يقول بالتحديد:

أعراف في هذا الكتاب دراسة أكثر الأديان بدائية وبساطة والتي، هو معروف فعلاً [...] يمكن أن يقال عن نظام ديني إنه الأكثر بدائية [...] عندما يكون أمر لا مبروراً في مجتمع يكون تطبيقه غير مبرور أكثر في بساطته، وثباتاً عندما يكون بالإمكان تفسيره من دون استخدام أي من العناصر المستعارة من دين سابق.¹⁰¹

ونتيجة «الطوطمية الأسترالية» اللاتعة، لأن سكان أستراليا الأصليين كانوا أكثر المجتمعات المولدة بدائية. وهذا لأن العنصرية الضجة لوارد أو سوتر لم تجاوزها حتى هذه النقطة. ويشهد لحاصل دوركهيلم شكلاً معقداً جداً لتفسير سوسولوجية، مع ذلك، وجهة نظر إثنية صليقة. وهي تخفي سوء فهم وادبكاراً لثقافات السكان الأصليين الأستراليين.

كان هذا معروفاً مسبقاً في أيام دوركهيلم. وفي مراجعة لاسية لـ الأشكال الأولية للديانة نشرت في السنة التالية، أشار عالم الأنثروبولوجيا فان فريبند (Arnold van Gennep) المشهور بعمله عن «الطقوس المبرورة» إلى أن

Emile Durkheim, *The Elementary Forms of the Religious Life* (London: Allen & Unwin, 1912), pp. 92.

Ibid., p. 1.

[11]

الكتاب مليء بالمعادن الطفولية مشكوك فيها. لكن الأكثر أهمية أنه كان مبنيًا على خطأ مفاهيمي جسيم، خطأ، أستطيع القول، أصاب مشروع السوسولوجيا التطورية بأكمله:

الفكرة التي اشتقها أوركهايمر من الوثائق الإثنوغرافية لإنسان بدائي [...] والمجتمعات البسيطة، مناطق بالكامل، فكلمًا إزاحة، معرفة الشخصي بالأسرائيين وكلمًا قل تعريفه لسروح حضارتهم البدائية بتقليدهم الاجتماعي، الكلف أن المجتمعات الأسرائية معقدة جدًا أو بسيطة جدًا من البسيط والبدائي، لكنها متقدمة جدًا على طول مساراتهم لتقدمية.¹¹

تكوين السوسولوجيا الأكاديمية الأسرائية

في العقود الأربعة التي تلت نداء أندرسون وغيغال دوركهيم الكبير، عندما تغيرت السوسولوجيا التطورية بشكل كبير الفصل الأول، فإن قليلًا قد حدث على الصعيد التطبيقي في أسرائيا. وانتقلت أجزاء من سوسولوجيا دولة الرفاه الجديدة في مباحثات حرية جمعية العمال التعليمية (*Workers' Education Association*)، أو مناهج دراسية فلسفية في الجامعات، أو التكنيكات السياسية من الكيرالين التقدميين، أو مسوح التفاوت التعليمي. لكن لم يكن هناك شيء يجمعها معًا مثل مدرسة شيكاغو، إذًا تجاوزنا عن فكر بارسونز أسرائي.

ترك ألمع عالم اجتماع في أسرائيا، غير طورون تشايك (*Yosef Gideon*)، البلاد في عام 1921، مبعوثًا من حركة حزب العمال للشبيبة، وغادر إلى أوروبا ليخبر ما قيل تاريخ طليخا، وطوال الحيلق الثاني، جرى تجاقل إيداعه المدهش حديثًا في أسرائيا، حيث كان معروفًا أنه شيوعي¹². وترك باحثون اجتماعيون موهوبون آخرون البلاد أيضًا، مثل إيلون مايو (*Ellen Mayes*) الذي أصبح مؤسسًا للسوسولوجيا الصناعية في الولايات المتحدة.

11-41: «إن قريب في عام 1911، الأكاديمي من أوكسفورد: *Seven Years, Early Exile, My Life and Work: A Memoir and Critical Study* (Oxford: Stanford University Press, 1964), p. 102.

12-41: *From Exile to Home: The Story of Ellen Mayes (1881-1961)* (Oxford and Australia: 1981) (Oxford: Oxford University Press, 1981).

عندما ظهرت برامج البحوث أميراً ضمن نظرية المعرفة السوسولوجية الجديدة في أستراليا، كانت نمواً زائفاً من الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعي. وفي أواخر أربعينيات القرن العشرين، بدأ أساتذة الأنثروبولوجيا في جامعة سيدني، أوكلفوس بيتر إكين (A. P. Elkin) والشهير يبحث في ثقافات السكان الأصليين، بتوجيه بعض طلابه نحو الدراسات الإثنوغرافية لـ «مجتمعات الحاضر» أي مجتمع المستوطنين البيض. كما أنه اضطلع بدراسة للاجتماع الاجتماعي زمن الحرب مبنية على بيانات مسجلة وكانت النتائج البارزة لهذه المبادرة ملحوظة جداً على الرغم من تقديمها بشكل متواضع. إثنوغرافيا بلدة عدال ساجم لأن «ووتر»¹¹، وحتى إثنوغرافيا أفضل للقراءة الريفية والحياة العائلية لـ «جيم تريغ»¹²، والمعروفة لاحقاً لكل سوسولوجي في أستراليا باسم جين مارتين (Jean Martin).

في أواخر أربعينيات القرن العشرين، أطلق الأساتذة الجديدين لعلم النفس في جامعة ميلبورن، أوسكار أوبسر (Oscar Ogburn) برنامجاً بحثياً عن «السلوك الاجتماعي» استلحق أيضاً إلى منظمة السوسولوجيا الجديدة. وقد أجري في هذه البحث دراسات منفصلة قائمة على الملاحظة والمقابلة في سبعة مصانع، في بلدة ريفية فيكتوريان، في ضواحي ميلبورن، واتصلت الموضوعات على الوعي العائلي، والرغبات الوظيفي، والعلاقات الصناعية، والحياة العائلية. وهذا الأسلوب من الملاحظة الميدانية للواقعية الاجتماعية سرعان ما تخطى عنه علم النفس الأسترالي، الذي وقع تحت موجة مذهب السلوكية. لكن المجلدات الثلاثة لسلسلة البنية الاجتماعية والشخصية (Social Structure and Personality)¹³ قدمت صدمة تجريبية لأول برامج جامعية في السوسولوجيا، والتي برز بها على الفور تقريباً بعد نشر هذه الكتب.

Alan Wilkins, *Challenges: A Social Survey of Crustall, NSW* (Melbourne: Melbourne University Press, 1964).

Jan L. Craig, «Marriage, the Family and Class» in: J.P. Elkin (ed.), *Marriage and the Family in Australia* (Sydney: Angus & Robertson, 1967).

O. A. Ogburn & S. B. Hoffman, *Social Structure and Personality in a City* (London: Routledge and Kegan Paul, 1954); O. A. Ogburn & E. E. Emery, *Social Structure and Personality in a Rural Community* (London: Routledge and Kegan Paul, 1954); Paul Kahlon, *Social Structure and Personality in the Outback* (London: Routledge and Kegan Paul, 1955).

خلال خمسينيات القرن العشرين، أصبحت فكرة المسوح الاجتماعية للمجتمعات المحلية البيضاء مألوفة. وبدأت شركة بحوث سوق أستراليا، تدعى روي مورغان ريسيرش (Roy Morgan Research) بمسح على عينات مستخدمةً استطلاعات غالوب (Gallup Polls) الخاصة بها في أربعينيات القرن العشرين. ونتائج الاستطلاع، المقدمة من مورغان على أنها تحليل علمية للرأي، نشرت في الصحافة، واكسبت إليها رجال السياسة بشكل متزايد. وظهرت دراسات استطلاعية جامعية ومبنية على الرفق واهيئة فئات اجتماعية مختلفة ومشكلاتها. وقد شملت المسنين في فيكتوريا، ودرستهم استطلاعيًا مجموعة من جامعة ميلبورن¹²⁰، والشبان في سيدني، ودرستهم مجموعة جامعة سيدني¹²¹، ومشكلات الرفاهية لمنطقة في إحدى ضواحي ميلبورن. قامت بها أخصية سانت لورنس¹²². وبدأ الباحثون الأكاديميون أيضًا باعتبار الإحصاء السكاني الوطني مصدرًا للبيانات التحليل الاجتماعي. وهكذا أجرى جورج زوبريليتي¹²³ مسحًا جغرافيًا للمهاجرين في أستراليا.

صاح هذا الجيل من الباحثين الاجتماعيين علاقة جديدة مع السوسولوجيا المتروبولية. ولم تعد أستراليا متجمعات، وانحصارًا بصغر حقائق (أو حقائق متصورة). ولم نشر معظم هذه الدراسات في أستراليا وقتها غير معروفة في المتروبول. ومع ذلك، فإن الجيل الجديد من الباحثين اعتمد التعريف الأمريكي الجديد لمادة موضوع السوسولوجيا، كما أتى منهاج الباحثين المتروبوليين.

لم يذكر كتاب *Customs* لودجر، مثلاً، أي نظرية، ولم تقارن نتائجه بأي بحث آخر. لكن من الواضح أنه صيغ على غرار دراسات الجامعات مثل

Barbara Hamilton, *Old People in a Modern Australian Community: A Social Survey* (1951) (Melbourne: Melbourne University Press, 1954).

W. P. Connell, E. P. Francis & E. E. Skilbeck, *Growing Up in an Australian City* (1961) (Melbourne: Australian Council for Educational Research, 1967).

David Best & Robert U'Bea, *Latency: A Social Enquiry into Leisure Activities and Needs* (1971) in an Australian Young Centre (Melbourne: Cheshire, 1962).

Jacq. Zukowsky, *Immigrants in Australia: A Demographic Survey Based on the 1954* (1971) (Canberra: Melbourne: Melbourne University Press, 1980).

Midwestern لروبرت وويلين ليند (Robert & Helen Lynd)، وسلسلة *Booker City* لولتر (Lewin)، وكان البحث الذي أجرته مجموعة من الاختصاصيين التربويين في سيدني وحواضر القبلية في مدينة أستراليا (*Growing Up in an Australian City*) مرتبطاً بموضوع ندائج في السوسيولوجيا الأمريكية للشباب، ولقدية بحث كبار السن في الجماعة الأسترالية الحديثة (*Old People in a Modern Australia*)، فإن الأكاديميين ورجال الأعمال الداعمين استوردوا فعلاً من بريطانيا مفهوماً باحثاً ذا خبرة في المشكلات الاجتماعية لإجراء الدراسة¹²¹.

كان هذا الموقف مأثوفاً في الحياة الفكرية الأسترالية في ذلك الوقت، ولقد تخصص آرثر أنجل فيليبس¹²² في ذات الاستسلام الاستعماري في العقل الأسترالي كمشكلة رئيسة للأدب أيضاً. لهذا كان من السهل للسوسيولوجيا الأسترالية أن تشكل نفسها كمنكب فكري للسوسيولوجيا المتروبولية، مستوردة ندائج وموضوعات متروبولية من أجل مخالطة جمهور محلي حول صيغ محلية من المشكلات الاجتماعية.

كان العنوان الأكثر شيوعاً لقرير سوسيولوجي أسترالي، منذ ثلاثين سنة منذ عام 1938، هو *A in Australia*، أي في أستراليا، حيث من ظاهرة تم تعريفها مسبقاً في المتروبول، والتي كانت ندائج متروبولية للبحوث متاحة من أجلها. وقد تكون من «الدين»، أو «المكانة والهيبة»، أو «التقسيم الطبقي الاجتماعي»، أو «العائلي»، أو «الزواج والأسرة»، أو «التحضر»، أو «البغاة»، أو «الثقافة السياسية»، أو «التماسك»، أو «وسائل الإعلام الجماهيرية»، أو «المهاجرون»، أو «السوسيولوجيا» نفسها أو هذه جميعها عناوين فعلية من تلك الحقيقة. وكانت مهمة السوسيولوجي الأسترالي تطبيق تقنية البحث المتروبولي، وأن يوضح علة أن القاهرة موجودة أيضاً في أستراليا، ويقول تجريبياً أي شكل اتخذته هنا. وفي بعض ما كتب،

¹²¹ Henderson, p. 2.

[22]

A. A. Phillips, *Australian Literature in '60's* (Sydney: Angus & Robertson, 1961), p. 124.
¹²² *Old People in a Modern Australia* (Melbourne: Cheshire, 1953), p. 10.

كانت هناك تكتة بشرية باعثة، وكان السوسيولوجيين سيأتون بنور جديد للمطالين غير المتطورين.

هذه الدراسات على غرار الأسلوب المنهجي لـ «مجتمعة نحن» كانت قاعدة المعرفة التي أدخل فيها البحث الأكاديمي المسمى «سوسيولوجيا» في نظام الجامعات الأسترالية الأخذ في التوسع، وكان العمل سريعاً جداً، فالتسويات السبب من عام 1958 إلى عام 1963، شهدت تسمية أول كرسي للسوسيولوجيا وأول برنامج تعليم للسوسيولوجيا وأول كتاب منهجي، وأول تأسيس الجمعية مهنية، وأول إصدارات من مجلتها الأكاديمية. كما شهدت هذه الفترة القصيرة حتى أكثر كتب السوسيولوجيا مبيعاً، *البلاد المحفوظة* (The Lucky Country) وقد كتبه صيفاني¹²¹، وفي العقد التالي، نُشرت عشرة أقسام أخرى للسوسيولوجيا في أنحاء البلاد.

لكن مجموعة من الدراسات الاستقصائية الاجتماعية ليست كافية للمطالبة بمساحة في الجامعات كتخصص جديد. هناك حاجة أيضاً إلى وجود أفكار، كما لاحظ ديليس (Dennis) وإيسل (Eisler) في الطبعة الأولى من كتابهما الدراسي *المجتمع الأسترالي*¹²² (Australia Society) وفي ورقة نوقشت بشدة حول معجالات السوسيولوجيا وغرفتها، أيمز هارولد فولدنغ¹²³ على أن السوسيولوجيا باتت الآن متهلة موطد الأركان من حيث هدفها في المعرفة - أنظمة فعل اجتماعي - ومنطلها النظري. وحيث إنه لم تُنتج نظرية سوسيولوجية في أستراليا فإن هذه أيضاً كان يجب استيرادها من المنهول. وكان حلاً فولدنغ استيراد وظيفة بارسونية بالجملة (تكتلة)، واستورد الآخرين الأميركية (الترجمة التجريبية)، والفيزيائية¹²⁴ (Robertson)، والسوسيولوجيا النفسية، وفي وقت لاحق قليلاً، الماركسية الجديدة.

Donald Horne, *The Lucky Country: Australia in the Sixties* (Ringwood: Penguin, 1964). 121

Alan Dennis & Ted Emsell (eds.), *Australian Society* (Melbourne: Cheshire, 1961). 122

Harold Eshling, «The Scope and Purposes of Sociology», *Australian Journal of Politics and History*, no. 8 (1962). 123

124) نسبة إلى ملكي غير عالم الاجتماع الأمريكي. (المترجم)

كانت النتيجة ميّكلاً هجيناً للمعرفة في التخصص الجديد، حيث طمس المؤسسيولوجيون الأستراليون النظرة والمنهجية المتروبوليتين إلى الياقات والجمهور المحليين. ومثال جدير بالملاحظة كان دراسة سول إيسل¹²⁰ الصائفة والسفلة. وتجاوز كتاب إيسل الخلافات المتروبولية الأيريطانية والأمريكية بشكل رئيسي حول الطبقة والقطارب الطيفي، واعتمد موقفاً معتدلاً من القيرية، ومن ثم أورد بالسلسلة جميعات المؤلفات المثيرة للإعجاب من الياقات حول النخب الأسترالية. ومثال آخر، علي الاعتراف بذلك، هو عمل كونييل ويرفغ بعنوان الهيكل الطيفي في التاريخ الأسترالي¹²¹. لقد بدأنا بفصل نقاش نظريات المتروبول من الطبقة قبل أن نستقر في عرض للمواد التجريبية الأسترالية.

وجبنا إلى جنب مع النظرة المتروبولية - على الرغم من أن هذا قد لوحظ بصعوبة ألكا - جاءت النظرة المتروبولية إلى ما كان عليه المجتمع وكيف يجب أن تحدث عنه. لقد جرى القرائن «المجتمع الأسترالي» بساطة على أن النوع نفسه من المجتمع يوجد به لعلنا نجد تلك الذي ناسبه من دون ملكات الفئات المذهابية نفسها.

لقد رسمت التوعية الصاعدة للبحوث الأسترالية هذا النمط. ومع تحول المؤسسيولوجيين الأستراليين ليصبحوا أكثر نظراً في استعمال الأدوات المتروبولية، بدأوا بالنشر في المجالات المتروبولية. وكانت هناك أسباب وجيهة؛ فضلاً عن الرغبة في إيجاد جمهور أوسع، فإن المكانة المرتبطة بالمشاورات العالمية ساعدت إلى حد بعيد في الترقية في الجامعات الأسترالية. مع ذلك، ففي سبيل النشر في تلك المندجات، كان على الأستراليين أن يكتبوا بأشكال مألوفة للناشرين المتروبوليين: أن يستخدموا مفاهيم متروبولية، ويظهروا أدبيات متروبولية، ويقدموا مداخلات ذات

8. *Class, Ideology and Authority: A Study of Class, State and Power in Australia* (1981) (Oxford: Clarendon, 1990).

Barney Connell & S. B. Irving, *Class Structure in Australian Society* (Melbourne: 1961) (Longman Cheshire, 1980).

مصدقة في المناظرات المنروبولية. وهكذا فإن السوسولوجيا الأسترالية تم إنتاجها كياناً مهني عن المجتمع الأسترالي كما يُرى بعين منروبولية.

بالتالي، فإن بناء السوسولوجيا الأسترالية كمنهج أكاديمي في علوم الحسيديات إلى الكلياتيات من القرن العشرين، قد عكس بالكامل العلاقة بين أستراليا والسوسولوجيا المنروبولية المعروفة قبل ذلك الوقت. بعدة سبب، كانت أستراليا تُعامل آنذاك بوصفها موقفاً للاختلاف - اختلاف كبير في الواقع - عن المجتمع المتقدم للمنروبول. والآن، تعاقب أستراليا بوصفها موقفاً للتشابه.

لتقوى هذا، بطبيعة الحال، على تحول الاهتمامات المعرفية من مجتمع السكان الأصليين إلى مجتمع المستوطنين. لكن المجتمع الأسترالي لم تتطوّر نظريات التخصص الجديد بوصفه مجتمع مستوطنين، بل انشأ مساحة جزئية من الحداثة. وثقافات السكان الأصليين زالت كغير الآن على أنها من شأن الأنتروبولوجيا التي كانت في الجامعات الأسترالية أقدم التخصصات وأعلامها مكانة. وهذه كانت حدوداً لم يتحداها السوسولوجيون بعد. والعلاقة بين مجتمع السكان الأصليين ومجتمع المستوطنين كالحديث، والتي كانت مهنة جداً للسوسولوجيا النظرية، انضمت بساطة كمبحث فكري.

كان السكان الأصليون بالتأكيد محل اهتمام السوسولوجيين، ولكن بطريقة جديدة بوصفهم مواضيع للعمليات الاجتماعية المميزة للحداثة. ومن الممكن النظر إليهم بوصفهم فئة محرومة في نظام ترانصف طبقي اجتماعي⁽¹⁾. والأكثر شيقاً، أنهم حظوا تحت العنوان الأمريكي الشمالي «أقلية إثنية»، هكذا ممولوا، مثلاً، في مسح بالدوك والاتي بعنوان⁽²⁾ «سوسولوجيا في أستراليا ونيوزيلندا». وفي هذا الكتاب، ظهر السكان الأصليون في فصل عن دراسات

M. Anshel et al., «A Descriptive Bibliography of Published Research and Writing on 1911 Social Stratification in Australia, 1946-1971», *Australian and New Zealand Journal of Sociology*, vol. 2, no. 1 (1966), pp. 48-76; vol. 2, no. 2 (1966).

Cora V. Bollen & Ian Lally, *Sociology in Australia and New Zealand: Theory and 1911 Methods*, Contributions in Sociology no. 14 (Newport, CT: Greenwood Press, 1978).

عن الأقليات الإثنية والذي ركز بصورة رئيسة على الهجرة غير البريطانية بعد الحرب وكانت النتيجة الساعرة لبينة الجديدة للمعرفة السوسولوجية أن الجماعات الأصلية قد نُظر إليها على أنها التزم نفسه من الجماعات كأكثر المستوطنين حداثة.

ومع أن السوسولوجيا المحلية معتمدة بالكامل على المفاهيم والمنافع المتروبوليتية بدأ الناس بالتساؤل حول أصحية الهوية. ما هو الأسترالي في هذا على وجه الدقة؟ وربما كان للسوسولوجيا الأسترالية تركيزاً تجريبياً مميزاً كمسألة الهجرة على سبيل المثال. في الحقيقة، إن جيمس مارلين وجورج زيمرزكي وغيرهما من السوسولوجيين كانوا يبرزون في بناء خطاب التعددية الثقافية التي أقرت السياسة الأسترالية حول الاعتراف الإثني والهجرة حتى أواخر الخمسينية في سبعينات القرن العشرين.

وبالتحديد فإن السوسولوجيا الأسترالية متفاوتة مميزة، لأن تواتر السوسولوجيين لدراسات العنفي والخب والإقصاء صار يعكس مذهب المساواة الأسترالي. وأصبح عدم «الأساطير» حول أستراليا مجازاً مفضلاً في الكتابات السوسولوجية الأسترالية في ستينيات القرن العشرين¹⁰⁴. تكن كان من الصعب رؤية تشكيل ثقافي مميز في كتب السوسولوجيا المنشورة في أستراليا، أو في الأوراق المنشورة في مجلة السوسولوجيا في أستراليا وتيجوريلندا. وهكذا فإن تعريفاً لهوية السوسولوجيا الأسترالية أبت أن يجد المثال حتى في الفترة التي كان فيها الشخص أخذاً في التميز بقوة.

إمكانات جديدة

كانت العلاقة بين المستعمرة والمتروبولي تكوينية بالنسبة إلى السوسولوجيا الأسترالية، على الرغم من أن شروط تلك العلاقة قد تغيرت. فهل يمكن أن تغير الشروط ثانية؟

Ronald Tait, «The Mythical Migration» in P. Coleman (ed.), *Australian Civilization* (Sydney, 1981) (Melbourne: Cheshire, 1982).

يستمر أغلب السوسيولوجيا الأسترالية على التريب الذي تم رسمه. وتبقى النظرية المتروبولية مهيمنة. وحلّت الماركسية اليسوية محل الباريمية والنيو-ريما، وهذه بدورها ألزمت بموجة قوية من ما بعد البنيوية. وفي القرن الحادي والعشرين، فإن اتجاه فرانكو ووردور مرحوا حيث، وهي أماكن يوفقا أتباع المذهب الراديكالي.

بالأكيد، إن النظريات تكثر بعزلة من التطور والمهارات، ويات من الممكن قيام السوسيولوجيين الأستراليين بعمل يشك الطريق على الصعيد الدولي. ويتأثر إلى القطن عمل جون برينثون¹²⁴ في علم الإجرام عن إعادة الدمج، وكذلك الطفولة الاقتصادية في كاتيرا لمانكل بوسي¹²⁵. وجامعا ما بين البيانات المسجلة عن موقفى الخدمة المدنية المتعاقبين، وتحليل التغير السياسي والمؤسسي، ورؤية استراكية متأثرة فيها هيرمانس، فإن بوسي ألتا سوسيولوجيا رائدة للنيوليبرالية والتي كانت لها مضمين واسعة جدا.

كذلك قام الأستراليون بعمل في النظرية السوسيولوجية، ليس بوصفهم مستهلكين في الأطراف، بل بوصفهم مشاركين في المناظرات المتروبولية. ومن الأمثلة البارزة تركيب كلير برنون¹²⁶ للنسوية والنظرية الأنتراكية، وعمل جاك باراليت¹²⁷ عن السوسيولوجيا الكلية للمواطنين ودعوة بولين جونسون¹²⁸ لفكرة المتغيرة للمجال العام في فكر برورن هيرمانس. وهذا العمل نشر طائفا في المتروبولية وسواء أنه استعمل أي بحث أو تجربة اقتصادية أسترالية أم لا، فإن التركيز العصب على الأنبيات المتروبولية.

John Braithwaite, *Crime, States and Reintegration* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

Michael Pusey, *Economic Globalization in Canberra: A Nation-Building State Changes its Mind* (London: Cambridge University Press, 1998).

Clare Bates, *Subordination: Feminism and Social Theory* (Sydney: George Allen & Unwin, 1982).

J. M. Braithwaite, *Deviance, Social Theory, and Social Structure: A Macroeconomic Approach* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995).

Pauline Johnson, *Suburban: Resisting the Public Sphere* (London: Routledge, 2000). 131

وفي النتيجة، فقد اتبع هؤلاء المؤلفون استراتيجية و. إ. هيرن نفسها بالعمل
لنظرية شمالية في شروط جديدة والتخلي عن مشكلة الهوية.

لكن في بيئة ثقافية وسياسية مغفورة، فإن استراتيجية مطابقة مضادة ممكنة أيضًا:
التركيز على خصوصية أستراليا بعقلها نتاج نزعة المستوطنين الاستعمارية.
ولقد أُعيد إحياء الاهتمام بالعلاقة بين السكان الأصليين ومجتمع المستوطنين
من مؤرخي نزاع القفر، وبإعادة تفكير الأنثروبولوجيين بارتباطاتهم
بالاستعمار، وفوق ذلك كله بحركة حقوق السكان الأصليين بالأراضي المُخطَر
الفصل التاسع). واستطاعت عالمة سوسولوجيا مثل فيليان جونسون¹⁴¹ أن
تصبح مهتمة بحركة فن السكان الأصليين، ناطقة ليس إلى ثقافة العمل الفني
وعسب، بل أيضًا إلى الطرائق التي تم بواسطتها تخصيصه من الثقافة المسيحية
بما في ذلك الاستغلال التجاري الواسع الانتشار، وانتهاك حقوق الملكية
الفكرية. وفي عملها¹⁴² قلبت جونسون العلاقات الفكرية، مستعملة بعض
مفاهيم السكان الأصليين لتحليل الأفكار الأوروبية من العلاقات الاجتماعية
موجة جديدة من فرق موسيقى الروك.

كما أنه أصبح بالإمكان الآن التفكير، من مناطق أسترالي، بالبنى
والإرتباطات العالمية. وقد قامت بذلك تشيلا بوليك في [كتابتها] حركة نساء
عالم واحد¹⁴³ الذي وضعت قبل أن تصبح العولمة موضوعًا سوسولوجيًا
شعبيًا. وقد تناول هذا الكتاب المشكلات التي أظهرها عقد الأمم المتحدة
للحركة (1979-1989)، بأحد في ما إذا كان بالإمكان قيام حركة نسوية عالمية
متحدة مع اعتبار الأنواع المختلفة للنساء في الأفكار المختلفة، والمقاومة
عند الهمزة النسوية الغربية البيضاء. وفي التمهيد إعلاني لوجبه التسويات
الغربية¹⁴⁴، نظرت بوليك بعين أكثر في مشكلات العالمية والاختلاف الثقافي.

Vivian Johnson, *Cybernetic: Aboriginal Art in the Age of Reproductive Technologies* (1991) (Sydney: National Indigenous Arts Advocacy Association and Macquarie University, 1996).

Vivian Johnson, *Beds Between* (Melbourne: Blackie Books, 1998). 142

Chella Bellack, *Our World Women's Movement* (London: Pluto Press, 1998). 143

Chella Bellack, *Re-Orienteing Women's Feminism: Women's University in a Neoliberal World* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998). 144

وقدمت، السوية مطةة قأساس للشعاون الساسي بين حركات الساء. وقلة هم من سلكوا على هذا المسار مثما فعلت بوليك. مع ذلك، ففي السعينات القرن العشرين أصبح أكثر شيوعا للسوسيولوجيين الأستراليين أن يطهروا تحليلاتهم في سياق عالمي أوسع، أو ضمن فهم أوسع للاستعمار¹⁴⁴.

لا شيء من هذا يعزف مدرسة سوسيولوجيا أسترالية مميزة. وما لعنه هو أن السوسيولوجيين الأستراليين قد تعرفوا إلى طيف أوسع من الإمكانيات المتأصلة في وضع جيوسياسي لبلد غني في الأطراف وفي تاريخ نزعة المستوطنين الاستعمارية. وبالتعرف إلى هذه الإمكانيات، فإن السوسيولوجيا الأسترالية قد تساهم في أهداف أكثر أهمية بكثير من إنشاء روح شعب محلية. أول مرة، وكما بين عمل بوليك بوضوح، أصبح من الممكن التحرك ما وراء الارتباط التقليدي بالمترولوج لمد الجور مع المشاريع الفكرية المناطق أخرى من الأطراف.

144) علي: من الهجرة والفتاة: *Migration and the Female: Politics of Culture* (Melbourne: Cambridge University Press, 1982).

ومن الأسوأ: Michael Fiddig, *Australian Families: A Comparative Perspective* (Melbourne: Longman, 1997).

ومن المصغرة: Barbara Connell, «The Big Picture: Masculinity in Recent World History», *History and Society*, vol. 22 (1993).

القسم الثالث

الفصل الأول

الفصل الخامس

المعرفة لدى السكان الأصليين والنهضة الأفريقية

ينبغي لنا بصفتنا علماء اجتماع مطابقة الحرم الجامعي والتحدث إلى الناس وجهًا لوجه، وربما هذا أكثر إلحاحًا بالنسبة إلى علماء الاجتماع الأفارقة، لأنهم سيخضعون مستمعين في أقطارهم نفسها إذا استطاعوا التكيف مع لغتهم. ومن ناحية أخرى، فإنه من خلال الاتصال بالمعرفة المحلية فحسب، يستطيعون التمسك الرؤى الثقافية التي هي اليوم ذات أهمية رئيسة لقطبها السياسات التنموية.

مختارو ديلاورا (2000)

من شعر البيروني⁽¹⁾ النقهي إلى النظرية السوسولوجية

في عام 1984، نشرت المجلة الجديدة *International Sociology* (إنترناشيونال سوسولوجي)، بحثًا للسوسولوجي النيجيري ألكسولا أكيروو (Akintola Akintola) عنوانه المساهمات في سوسولوجيا المعرفة من شعر شطبي أفريقي. وكانت هذه واحدة من أكثر المساهمات لفتًا للنظر في مناقشة حول سوسولوجيا العالم رعتها إنترناشيونال سوسولوجي، وعقلتها الأم الجمعية

(1) البيروني (973-1048) صوفية عراقي يعيش في غرب أفريقيا، وانتشر في قول عدة كتابات وعصرها في نيجيريا لها لغتها وألفها، وعمرها الخامسة (المرجع)

الموسولوجية الدولية. وقد أحدث مفهوم «موسولوجيا السكان الأصليين» هذا وبدا أن مساهمة أكويورو غير متال.

كان أكويورو شخصية معروفة جدًا، وكان يرأس اللجنة التأسيسية للموسولوجية الدولية، وقد كتب قبل بضع سنوات دراسة استقصائية مفصلة عن «الموسولوجيا في أفريقيا اليوم» ناقش فيها الأوضاع الوطنية المختلفة، والصعوبات بالنسبة إلى الموسولوجيين الأفارقة في تواصل بعضهم مع بعض، وأحرب من الأمل مع ذلك بأنهم يستطيعون إعادة توجيه التخصص إلى الواقع الأفريقي من خلال نظام متكامل من المخططات المفاهيمية والنظريات، والنظريات المنهجية التي توضع بحسب العلاقة مع كل من طرائق التفكير والممارسات الاجتماعية الأفريقية والأوروبية²². وحاول بحث مساهمات في موسولوجيا المعرفة في عام 1986، تنقيد هذا الاقتراح، ونقل إيمانًا جزئيًا من بناء المعرفة المتخالف في أفكار ما بعد الاستعمار. وبدلاً من استيراد مفاهيم من أوروبا وشمال أفريقيا وتطبيقها على البيانات المحلية، طرح أكويورو اقتراح العثور على مفاهيم في نيجيريا وتصديرها إلى باقي العالم. وعلى وجه التحديد، اقترح العثور عليها في مصدر لم تستخدمه النظرية الاجتماعية المربولوجية البقاء أي الشعر الشعبي الطفوسي للمجتمعات المحلية.

«المساهمات» نص قصير لا هوادة فيه. يتألف معظم صفحاته الخمس عشرة من ترجمة سطرًا سطرًا قصيدة طفوسية بلغة اليوروبا من ولاية أوير (Oyo) في غرب نيجيريا، مع تعليق مستمر عن معانيها وثقافة مفردات بعضها محالها. القصيدة «الحديث»، مجموعة قصائد وأغنية» التي تكي عند تأسيس مستوطنة جديدة، لتحكي حكاية التحلل، وتصف كيف أن كلمات مختلفة تجتمع معًا في مجتمعات محلية. وتؤكد تعليقات أكويورو فكرة «الأسوار» (walls) والمعرفة على أنها «التجميع» التلازم الهدف لكائنات الأبرار (ancestors) المتوحد، كميلاً للخلق والمفتاح إلى العالم كما تجده الآن. وتختب القصيدة

²² Adenrele A. Adenrele, *Archaeology in Africa Today: Current Scenario*, vol. 18, no. 2 (2019), p. 62.

باعتبار انتهاك المير العام إلى كائن أسطوري يشرق بعض البلور من الأم
المقدسة، وتؤكد أهمية الأجسام الاجتماعية.

يلخص أكيودو في الأقسام المادية القصيرة المبادئ الأنطولوجية⁶¹
التي وجدها في النص، ونسبة اقتراحات سوسيولوجية استلها منها، ومن
الأشقة على الأخيرة⁶²:

- 1- وحدة الحياة الاجتماعية هي حياة الفرد، أو كينونته، أو وجوده، أو مساهمته...
- 2- الفرد المادي [التصانعي] أساساً لا يمكن أن يستمر بالوجود من دون
جماعة [مجتمع محلي].
- 3- حيث إن الحياة الاجتماعية لمصنوعة من الكائنات القرية تستلزم بروج
التضامن، فهي شكل من الشجاعي الذاتي يفرض السعي نحو هدف ذاتي
محض، هو خطأ أو خطيئة أخلاقية...
- 4- الكائن الاجتماعي الحقيقي هو ذلك الذي يعمل يومياً ويضعي طواعية،
ويطرق مختلف بحريته العزيزة وممتلكاته المادية لتحسين الذاتي، كما
للمصلحة العامة، إذ من دون أحدها لا يمكن إنجاز الآخر...

يصفني فارتة من خلقية ثقافية مختلفة، فإني لم أجد ذلك سهلاً، لقد
أسطورة المثلث هذه وتخصيباتها، وما تعبر عنه من نظرة إلى العالم، غير مأكوفة
بالكامل. حسن وحيث هذا ما يفترض أن تكون عليه سوسيولوجيا السكان
الأصليين، أكيودو يوفر مساعدة فستلة وذلك من طريق وضع خلقية للنص.
لقد تعلمت من مؤلفين آخرين⁶³ أن هذا الشعر مرتبط بتقاليد نخبوية اجتماعية
من الكهانة وتقديم الضحية، ولهذا فهو ليس شعراً شعبياً بالحدود، وإنما فهمته،
فإن أكيودو يعطول استنتاج مبادئ سوسيولوجية عن الحكمة والملاحظات

61) الأنطولوجيا (Ontology) علم الكائنات، أو علم طبيعة الوجود (المنهجية)

Adams, p. 200.

62)

63) وبخصوصاً بين (W. Furst, *Indigenous, Status and Stratification: Approaches to the*
Construction of an Early Sociological Paradigm of Society, *Sociological Analysis*, vol. 53, no. 3
(1992).

المترابطة للمجتمع من كبار جماعة اليوروبا ومفكرها، على النحو الذي
لوجزته به في السطور تراثه أبي شفهي.

لم تر المطاربة النور في عام 1984، وكان أكويورو يطورها طوال
ثمانينيات القرن العشرين في جامعة أيف (Ife) بالتعاون مع مجموعة من العلماء.
هناك أصبح سكر. وكان هذا بدوره جزءًا من حركة أوسع في أفريقيا وأبعد منها،
لإعادة تكريم المصادر الشفهية للتاريخ والتحليل الاجتماعي.⁽¹⁾

في عام 1988، نشرت إيفاناشيونال سوسولوجي بحث متابعة لأحد
هؤلاء الزملاء السابقين، موزس ماكيندي (Moses Makinde)، متابعًا مبدأ
أسواتا: تحليل لمساهمة أكويورو في موسيولوجيا المعرفة من منظور
أفريقي. وماكيندي يؤكد العزم على التخلي عن أفكار موسيولوجية من «الثقافة»
والفلسفة الأفريقيتين، وإضافة «الفلسفة» مهنة، كما سألين لاحقًا.

يحاول ماكيندي تنظيم الفكر الموسيولوجي في «المساهمات»، وهو
يلخص قائمة مقترحات أكويورو إلى ثلاث «مهنيات» تتعلق بمبادئ الأسواتا
والتي نتج منها الأخريات:

- 1- وحدة الحياة الاجتماعية هي حياة الفرد، وكيونه، ووجوده، وسماته.
- 2- على الرغم من أن كل كائن بشري هو فطريًا «كائنًا فرديًا» (فرديًا) - أي
(*indiv*) - من كائن إلهي، فإن حياة كل فرد، بوصفه نفسًا جسدية، تحتاج إلى
رفقة النفوس الجسدية الأخرى لتتبع وتكون كلاً وكاملة.
- 3- الفرد الجسدي (المادي) كإنسان، لا يستطيع الاستمرار في الوجود من دون
مجتمع.

ويستخدم جوهر ورقة ماكيندي من هذه الأفكار لخصائص إلى قضايا أكثر جوهرية،

(1) An Yvanash, *Oral Tradition as History* (Madison: University of Wisconsin Press, 1985); Cf.
Linda Newson, Stephen F. Muenzer & David William Cohen (eds.), *African Rites*, African Voices
(Critical Practices in Oral History) (Bloomington: Indiana University Press, 2004).

وخصوصاً أفكار أكيوورو عن الأشكال المتطرفة للرباط الاجتماعية. والتميز الرئيس هو بين أجريي (تقليد الرباط بين أفراد الدم، وأجروفي (تقليد الرباط بين الناس الذين يعيشون معاً أو بجانب بعضهم بعضاً. فأجروفي، القرابة أو النسب، تبنى على أنها الوحدة الأساسية لمجتمع القرى، ومما يميز الأوجري، تعمل لخلق السجام الاجتماعي.

لكن التحيز قد يحدث. ويقتبس ماكيني وصف أكيوورو للهرال الشديد لأوامر قرى أجريي بعد حلول الأوربيين في غرب أفريقيا، وتصادف القرية، والأشكال الجديدة من القوة، والكروا غير المتكافئ، والتأخر بين الأشتاء يدل التماس. لذلك فإن روابط الإقامة المشتركة لأجروفي هي التي بقيت. تكن ماكيني يحتاج بأن هذه أيضاً قد تفتل، وفي تلك الحالة يكون المبدأ العام للأسوأ قد التار. ويوحى ماكيني بأن هذه الأزمة في الاجتماعي أصبحت عامة، ولا سيما في أقطار العالم الثالث.

هذا يقدم ماكيني مفهوم أكيوورو للأجروفيوناليزي (Agroevolutionary) لاستعمال الحكمة لإعادة صيغ العالم. والتطور التكنولوجي وحده ليس بكافي، بالفعل، إنه مصدر للصعوبة. ويخرج ماكيني أن الأزمة يمكن مكافئتها بتكافؤ المفكرين من مختلف التخصصات، خصوصاً العلوم الاجتماعية، بغرض جعل مجتمعات العالم أمكنة أفضل للعيش فيها، وهكذا فإنهم أنفسهم يتبعون مبدأ الأسوأ.

بعد ستين، نشرت إرنستشونال سوسولوجي بحثاً ثالثاً لباحثين من جامعة ألب (جامعة أوكلاهومي أوكلاهومي) (Oklahoma University)، وكان عنوانه "التحولات سوسولوجية أفريقية" (African Sociological Transformations)، وكانت لهجة مختلفة جداً. لم يرفض أولاتوندي باير لاووي (Olatunji Bayo Lawoye) وهو عالم أوكلاهومي، وأولتومي توبو (Olatunji Tobi) وهو فيلسوف، فكرة "عمل سوسولوجي بتأثير أفريقية، لكنهما جاداً بأن أكيوورو وماكيني أحاطا في ذلك.

وبلغة مهنية، لكن حازمة، بين لاووي وتوبو أن فرائض أكيوورو وماكيني لتقليد الشعر الشعبي أنتجت دفاعهم بعداً متباعدة، واستعمال

أسواقاً نفسها يشترش ثلاثة أفكار متميزة (مبدأ المثلث، وطبيعة الأشياء التي
 لميل إلى التكتل معاً، والجمع البشر معاً لغاية مشتركة، ومفهوم (الكائنات)
 أيها هو مشوش بدرجة متساوية، وفكرة أجري (الفراية) استعمالها أكيوروو في
 معين غير متوازيين إذ ينظر إلى أجري (الفراية) وأجوي (العنبر المشترك)
 أحياناً كشكلين من الحياة الاجتماعية اللذين يمكن أن يوجد معاً، وأحياناً
 كنتيجة يتبع فيها الأخير النهار السابق.

أكثر من ذلك، كما بين لاوي وواتور، فإن أكيوروو وماكيندي يتجان
 فهما مختلفاً على الرغم من أنهما يمثلان انطلاقاً من المادة الشعرية الشفوية
 نفسها. وماكيندي يحول معنى أجوي لمر مفهوماً للشيء ككل، وهكذا
 يجعل من أجوي وحدة داخلية، ومن وجهة نظر أكيوروو، فإن الاثنين شكلان
 متناظران للعلاقة الاجتماعية.

لقد المنطقي من، وهناك المزيد خلاوي وواتور يجادلان بأن
 أكيوروو لم يتبع في القيام بوسولوجيا في البوروا. وبدلاً من ذلك ارتقى
 الجهد إلى حد بعيد إلى بحث عما يعادل في لغة البوروا المصطلحات
 السوسولوجية باللغة الإنكليزية. والمشروع لم يولد فعلياً سوسولوجيا
 سكان أصليين؛ ونحن لا نناقش الادعاء بأن اكتشافات أكيوروو تبين أن
 الأساس البومي للسوسولوجيا هو هناك في البوروا. ولكن ما ننكره هو أن
 آيا من معلوماتنا قد أعطتنا نظرية سوسولوجية في البوروا¹¹.

بشر لاوي وواتور مشكلة مهمة أخرى حول مشروع أكيوروو وماكيندي.
 ففكرة إيفوغونيلوري (استخدام المحكمة لإعادة صيغ العالم) ظهرت من قبل
 في كتابات أكيوروو المنشورة في نيجيريا وتحدثت عن بقاء السياسة. لقد
 كان أكيوروو يشعر بالقلق حيال التأثير السامق للترفة الفردية في المجتمعات
 الأفريقية، ويجادل بأن على الأنظمة المعونة إلى ثقافات الشعوب الأصلية
 لاكتشاف معايير لمعرفة ذات علاقة. ويجادل لاوي وواتور بأن هذا يُنتج

O. B. Iwajale & Oluwalan Taiwo, *Elements in African Sociological Tradition* (1)
 A Rejoinder to African and Black/African International Sociology, vol. 5, no. 1 (1998), p. 67.

بالضرورة فكرة معرفة مرتبطة بالثقافة. وعلاوة على ذلك، بلشمان إلى أن المناقشة تبتط كثيراً الواقع الأمريكي وتغفل عن القوى الاجتماعية التي تشكل المعرفة نفسها، حيث إن تقسيم المعرفة يعكس بنات كلاً من توزيع السلطة ومبادئ القبط الاجتماعي¹⁴.

كتب أكيوود دهن على هذه الانتقادات، أشرافاً على عامي 1991 و1992. الأولى، فرغود على ماكينسي/ لاووي واليوود، كان قصيراً، يرفض الانتقاد بالخراب. وقد ألهم لاووي وداوود بأنهما أحققا في قراءة نص أكيوود بصورة صحيحة، وعجزا بالتالي عن فهم عالم خطاب اليوود، وخصوصاً الفلسفة التي وراء هذه التصاعد، وعجزا عن لمس أن للجمل في اليوودا فروقاً دقيقة متعقدة. وافق أكيوود على وجه التحديد وجود مشكلة المعرفة مرتبطة بالثقافة في استخدامه للمواد الأسطورية، مستشهداً بأدعائات جوزاف كامبل حول عالمية الأسطورة.

الرد الثاني، مسؤولون جيات السكان الأصليين: توسيع نطاق المجادلات، جاء بعد أن انتقل أكيوود إلى الولايات المتحدة. وكان أكردا أطول وأكثر تركيزاً على الرغم من أنه كان لا يزال يشعر بشكل واضح بالانزعاج من الانتقادات، وقد دافع عن الطابع المميز لفكر السكان الأصليين، على سبيل المثال، عن طيب نسائي من اليوودا استخدم أسطورة محلية للفهم المشكلات العقلية.

يعود أكيوود في هذا البحث من جديد وإلى حد ما تراجع نظامه المطامعي. وهو يبدأ بمشكلة تهيؤ مبدأ الأسوودا التي أكرها ماكينسي. يرى أكيوود الآن أن هذا يورط الروح البشرية، وأن العامل الروحي في العلاقات الاجتماعية يجب الاعتراف به، وأن الفروق الفردية في الروحانية تؤثر في عمل مبدأ الأسوودا. وبعضها يقدم أكيوود قائمة قاموسية بمصطلحات من اليوودا ذات الصلة بلهم مبدأ الأسوودا، مفهوماً بعضها معيلاً رواية قصة أسطورية أخرى توضح القراء الكثافات في السجادة في هذه الحالة، أجزاء الجسد.

اعتبار أكيوورو لمجموعة معينة من الشعر الشفهي بوصفه مصدراً المفاهيم السكان الأصليين لم يكن قضية في هذه المجادلة، على الرغم من أنه ربما يجب أن يكون كذلك. والتعدد المتعدد هذا يعني أن مفاهيم السوسولوجية مستمدة من أقال مجموعة خفية من المجتمع البحري، متناثرة نسبياً والقليلة بقوة.

بأخذ مجموعة من مادة ثقافية بلغة اليوروبا للعمل انطلاقاً منها، كيف تصل فضلاً إلى مفاهيم سوسولوجية؟ المنهج لم يكن واضحاً قط عند أكيوورو أو داليندي. وما هو واضح من المجادلة الكلي أنه ليس هناك طريقة لا ليس فيها للقيام بالهمة. يُنتج أكيوورو مجموعة واحدة من المفاهيم ثم مجموعة معكّنة وينتج داليندي تفسيراً مستقلاً إلى حد ما من المسائل، ومن وجهة نظر أكيوورو، فإن لاووبي ونايورو آسدا فهم العملية بأكملها.

هذه مشكلة دائمة في أوضاع ثقافية أخرى، وكأستراليا ذاتي على دراسة بالخطابات المحلية حول الهوية الأسترالية ومعنى الأساطير والرموز الأسترالية. لكن ما هو على المحك هنا ليس التفسير الجغرافي لثقافة ما وحسب، إذ تتعلق المسألة بأراء مفاهيم يراود بها أن تتجاوز ثقافة اليوروبا، وكما وضعها بحث أكيوورو في عام 1988، «أن تسلم في كلمة عامة من المبادئ التفسيرية» للسوسولوجيا في جميع أنحاء العالم. إذا كان أربعة اختصاصيين من اليوروبا لا يتفقون على كيفية الحصول على معنى سوسولوجي من هذه النصوص، فكيف لي أنا السوسولوجية في جزء آخر من العالم، أن أفرّكها؟

وتفاقت المشكلة عندما أنتج أكيوورو، مدافعاً عن نظامه في عام 1989، المزيد من المواد الأسطورية من مصادر شفوية أخرى. دعنا نفرض أنني أحاول استخدام مبدأ الأسوارا ومفاهيمي الجنوبي وأجنوبي في بحثي السوسولوجية في أستراليا، ليس لي من سبيل للوصول إلى الخلفية العامة بلغة اليوروبا وثقافتها، ولا إلى طقوس الكهنة لـ «الأبناء» على وجه الخصوص، تابعك بالخصوص الإغرافية التي يعرفها أكيوورو. الاختلالات ليس أنني سأقبل في تفهيري للمصطلحات وحسب، كما يعتقد أكيوورو أن معاريفه المحليين قد فعلاً، لكنني سأقبل بشكل متزايد ولن أستخدم كثيراً سوسولوجيا سكان

أصليين من نيجيريا حين بناء نظامي التوحيد، ما يجعل له القليل من المعنى للسوسولوجيين الآخرين في أستراليا أو نيجيريا.

ليس هناك سوسولوجيون من أقطار أخرى، على حد علمي، قد استعملوا فعلياً مفاهيم أكيورو في بحث نظري. ففي عام 1992، نشر السوسولوجي الأمريكي مارك بين (Mark Poynt) ورقة مشيداً بأفكار أكيورو ومناقشة عن تقليد الأدب الشفهي وممارسات الكتابة بوصفها مصادر طيبة للرؤية السوسولوجية، لكنه لم يستخدم أي سوسولوجيا في التعامل مع هذه المفاهيم، وبحول هذه النقطة يبقى الوضع تمشككاً كما وصفته لأتوبي وتايو: تم عرض إمكان سوسولوجيا مستندة إلى اليوريد، لكنها لم تُجر بعد بشكل جوهري.

إذا استطعنا الحكم انطلاقاً من هذا المثال، يبدو أن هناك مشكلة في وضع سوسولوجيا السكان الأصليين في الاستخدام في سياقات ثقافية أخرى، وربما حتى في ماعداه أكيورو والثقافة الأم لسوسولوجيا السكان الأصليين. ويبدو أن الآمال كانت كبيرة قبل عشرين عاماً بأن سوسولوجيات السكان الأصليين ستعدي النظام المفاهيمي لسوسولوجيا المحروولة، غير أنها لم تؤد إلى نتيجة.

لا يزال في الإمكان قول المزيد، قد يكون مشروع أكيورو الجريء قد أنتج بعض الثمرات بشكل مفاهيم طيبة في الخطاب العالمي. ولكنه يقول شيئاً مهماً عن أفريقيا والمغرب عنه في اختياره لمصطلحات اليوروبا على الرغم من احتمال أنها لا تعتمد عليها، تعني كتاباته طبعاً تشخيصاً اجتماعياً للمشكلات الحرجة لنيجيريا المعاصرة واستطراقاً لباني الأفكار في المنطقة. ومثل هذا التشخيص لا يعتمد على معايير سوسولوجيا سكان أصليين على الرغم من أنه بالتأكيد يستخلص رؤية منها. أي فارئ عالمي يمكن أن يتعلم شيئاً منها.

على وجه التحديد، يوصي استخدام أكيورو للزوج أجوي/أجويي بقرابة لعملية التحول من مجتمع قائم على القرابة، بتأثير الاستعمار والاقتصاد ما بعد الاستعمار. وتأكيد مبدأ الأسواردا نفسه يشير إلى قلقه بشأن التكامل الاجتماعي الجوهري، والتعهدات التي تعاقبها. وحتى اللهجة الوضعية

«الملازمات» في مقالته في عام 1986، تلجأ إلى تفقد حول هذه التهديدات وتطوي على ضرورة مقابلتها.

ما يبدو أنه مشروع راديكالي من وجهة نظر السوسيولوجيا العالمية هو أيضًا - إن كنت أكره بصورة صحيحة - رد محافظ على التغير الاجتماعي في أفريقيا الغربية، من وجهة نظر رجل تقليدي أكثر شأنًا يسعى إلى ترميم التكامل والتوازن الاجتماعيين. والخلاف مع لاوي وذاويو فيه مختصر جيل، ومحاولة أكتوبر بناء سوسيولوجيا أفريقية من مواد السكان الأصليين الثقافية لم تكن نوعًا من المطارح غير العادية للمفكرين من جيله. ومع ذلك، فالفعل الرئيس لم يحدث في السوسيولوجيا.

من «الفلسفة الأفريقية» إلى سوسيولوجيا المعرفة بعد الاستعمار

يشهد أكتوبر في بحث «المساكنات» في عام 1986، بعض قلبي معين لم يكن له صدى في إنترناشيونال سوسيولوجي (الم يكن بهذا أن النجدة أعطت في تهمة اسم المؤلف، لكنه كان ذا أهمية كبيرة للمفكرين الأفارقة. كان هذا (العصر) فلسفة البانغو¹⁹¹ للبشر البلجيكي بلاسيد تيلر¹⁹² وقد أشر أصلًا باللغة الفرنسية في عام 1945، لقد مثل نقطة الانطلاق لنقاش كبير حول الثقافة والفلسفة في أفريقيا. ومن الجدير دراسة هذا النقاش لأن مشكلات أساسية حول العلوم الاجتماعية للسكان الأصليين قد أثرت فيه.

قصة الغزو البلجيكي والاستيطان في أفريقيا الوسطى أصبحت معروفة الآن إلى حد معقول، وهي واحدة من أكثر القصص وعيًا في تاريخ الغزوات الاستعمارية المملوطة بالدم، وبدأت وحشيةها تكسب بالاعتراف إلى الجماهير الأوروبية والشمال أمريكية عبر الصحفيين التقدميين، وكان أعدم وبرت

191 البانغو (مستقال) وهي بالثقافة المستقلة الناس أو البشر. واستعمل مصوران عام لمرافق

192-1900 جونا إيثا في أفريقيا وهي تتكلم لغات البانغو (حوالي 250 لغة) والمزودة في المنطقة

الغربية من الكاميرون وسط أفريقيا، ومشيرة في فرنسا وجنوب أفريقيا.

Plurid Temporal, Race Philosophy (Paris: Bataillon Editions, 1996).

[14]

بارك (Robert E. Park) الذي أصبح لاحقًا شخصية رئيسة في مدرسة شيكاغو للمسورولوجيا¹¹¹.

ومثل عدد من الجماعات البشرية الكاثوليكية إلى الكونغو في أواخر القرن التاسع عشر، وشرعوا في تحويل [أديان] السكان الأصليين. ويصف فالنتين موديمي (Valentin Modimbi) العملية في مسحة التراجع اختراع أفريقيا¹¹² وتتمه فكرة أفريقيا¹¹³. لقد كانت المهمة تغييرًا ثقافيًا بقدر ما كانت تغييرًا في العقيدة. وتولّت البنية الاستعمارية - كما يذهب موديمي أجهزة الحكم - المهمة على المساحة [الفضاء المكاني] ودمج الاقتصادات المحلية في نظام رأسمالي، وإحاطة تشكيل عقول المواطنين المحليين.

بعد بضعة عقود في القرن العشرين، كان معظم السكان مسيحيين نظريًا على الأقل، وأصبح رجال من السكان الأصليين كهنة، وتغيرت المعتقدات. لقد أصبح من المهم إظهار أن الثقافات المحلية لديها قدرات يمكن المسيحية البناء عليها. وكانت هذه هي المهمة التي اضطلع بها تيمبل في فلسفة الباثو.

لنهم هذا التأثير، من المهم إدراك إلى أي حد كانت الشراسة التي لازمت بها الأوروبيون الأفكار، فاحفظوا المستعمرين للمستعمرين صفة شائعة للإمبريالية. ولقد وُجس سكان شمال أمريكا الأصليون زوارًا كعقاريين، والبنغاليون كمخترعين، والصينيون كمخترعين، وعلم جزر. وأفريقيا آخر منطقة رئيسة في العالم يتم استعمارها بالكامل، نالت الوافي الأكثر من الأثراء الأوروبي. وإذا أصبح الكثير من سكان أستراليا الأصليين رمزًا للثقافة المفرقة، فإن أفريقيا أصبحت تلخص فكرة الأوروبيين عن منطقة موحشة، غير قادرة على التحسن بجهودها الخاصة.

Stanford M. Lyman, *Abolitionism, Imperialism and Racial Discrimination: An Analysis* 11-11 and *Interpretation of the Early Writings of Robert E. Park* (Bloomington: University of Arkansas Press, 1982).

V. T. Modimbi, *The Invention of Africa: Church, Philosophy, and the State of Knowledge* 11-21 (Bloomington: Indiana University Press, 1983).

V. T. Modimbi, *The Idea of Africa* (Bloomington: Indiana University Press, 1996). 11-31

جاءل تميز بأنه مع النظر إلى الاختراق السود كقاس متوسمين يقول بانيه، فشل الإنهاض الاستعماري بسبب إعتاق الأوروبيين في رؤية الفلسفة القومية المستوردة حيث التي يمتلكها الاختراق أصلاً، ويسرد فلسفة البنيو هذه الفلسفة بالتفصيل. يعتمد فكر البنيو على أنطولوجية، وهي نظرية الوجود تعادل الكائن بـ القوة الحيوية، وحيث يرى الأوروبيون شيئاً أو شخصاً يرى الاختراق قوة للحياة. وهذه القوى في تفاعل، هرمي عادة، بعضها مع بعض. وهكذا فالشخص يعيش في مجتمع محلي تحت لوميه رجال ريسين (أشوخ) يجسدون قوة حياة أعظم، والآخر بالضرورة له علاقات بالبيت لومن هذا عبادة التسليم. وأحدى قوى الحياة يمكن أن تسيطر أو تعظم أخرى لومن هنا أصل السحر. وتقوم الأنطولوجية هذه إلى نظرية عن الشخص، «موتو» (نفسه) في شكل من علم النفس الفلسفي، وإلى أمثلة مشتركة (مشاهدة) بلود. وهذه المعتقدات كلها مستندة إلى عبادة أساسية في القوة الحيوية الأخرى من الجميع: الله (God).

بمراة نحن تميز بعد سنين علماء وجدت صعوبة في استيعاب كيف كان له هذا التأثير كله، المنتج الذي وصل بواسطته إلى صياغاته الفلسفية مشوش إلى حد أنه من المستحيل إعادة بناء حجته، أو اختيارها، وإعداداته مطروحة في التعميم إلى حد بعيدا التي يقول البنيو...¹¹⁴ أو على حيون الاختراق...¹¹⁵. لقد كان تميز في أفضل حالاته، حائزاً في الإثنوغرافيا. وعليه حكايات، وهناك مجالات واسعة من حياة السكان الأصليين لم يعتبرها على الإطلاق، مثل الاقتصاد والمؤسسات الاجتماعية. وبهذا فإنه ينجح الأسلوب المثالي للأنثروبولوجيا الفرنسية في زمانه¹¹⁶. ويبحث تميز أقل شأناً بشكل ملحوظ من العمل الإثنوغرافي في أسماء أخرى في أفريقيا والذي نشر قبل الحرب العالمية الثانية، مثل في مواجهة جبل كينيا¹¹⁷ لجرمو كينياتا.

¹¹⁴Tempels, pp. 46, 74, 126.

[114]

Jean Coplan, «Essai sur l'histoire et une sociologie des études africaines», *Culture* 1121 d'études africaines, vol. 11, no. 1 (1975).

Jean Kanyo, *Facing Mount Kenya: The Tribal Life of the Kikuyu* (London: Secker & Warburg, 1938).

ما يتألف في الكتاب، في أي حال، هو رفض تميز الشديد للاعتقاد الثقافي الأوروبي بأن ليس للأفارقة ثقافة تُعتد بها ولا أخلاق. وكتابه موجه إلى البيض المستعمرين ذوي القلة العنصرية¹¹⁷¹. أراد تميز من الباليغيكين أن يوافقوا تدبير حضارة السكان الأصليين وأن يساعدوا الباتو في بناء حضارتهم الباتوية. حضارة مستقرة ونبيلة خاصة بهم¹¹⁷². في الواقع كان تميز واحدًا من زمرة منسقة بين المستعمرين، ممن دافعوا عن حقوق المواطنين الأصليين¹¹⁷³. ولإقناع مواطنيه، كتب تميز بحداثة عن تماثك الفكر الأفريقي وعمله، متحدًا عن أحكمة سامية يمكن الأوروبيين التعلم منها أيضًا. وهناك القراح نصف مبطن في فلسفة الباتو بأن الباتو أكثر قربًا إلى الله من الأوروبيين. ويانظر إلى سجل الأوروبيين في الكونغو، من يستطيع ألا يوافق؟

لكن هذا المديح ينطبق على بعض الأفارقة وحسب؛ أولئك المنتمين بالثقافة التقليدية. ومسلوًا بالمديح للجماجمات المتنوعة والمحافظ والمشرية بالفلسفة مثل البالية (Dahomey)¹¹⁷⁴، فإن تميز احتقر جهلًا الأفارقة المتأوربين، «الثلاثين» (Dahomey) كما دافعهم الاستعمار الباليغيك الفرنسي (تعني حرفيًا «المتأوربين» *the evolved ones*) تاريخ من التوجهات الاستعمارية مختصر في كلمة واحدة. وبالنسبة إلى تميز، ليس لهذا الشخص حضور، فاجسهم العالي، «أرواح فارقة وغير فاعلة» «صمالك فكرًا وأصلاجات» مئة من الأوروبيين الزائفين، من دون مباديء أو أخلاق، أو عقل، أو معنى¹¹⁷⁵.

يمثل هذا الجزء من مناقشة تميز أفكار بعض المفكرين الآخرين ليسوا بعيدًا في الجنوب والذين لديهم أيضًا نظرية عن الباتو. كانت فكرة وجود

¹¹⁷¹ Torgans, p. 188.

1171

الأكبر -

¹¹⁷² Torgans, p. 176.

1172

¹¹⁷³ Paulin J. Hountondji, *The Struggle for Meaning: Reflections on Philosophy, Culture and Democracy in Africa* (Athens, OH: Ohio University Press, 2002), pp. 23-24.

1173

¹¹⁷⁴ Torgans, p. 184.

1174

¹¹⁷⁵ *Ibid.*, pp. 184, 185.

1175

فجود ثقافة أساسية بين البانتو والأوروبيين جزءاً من تيريز «الفصل العنصري الشرعي» في أفكار العلماء «الأنثروبولوجيين» (Muller) ¹²¹ على جيوفري كرونجر، الذي طور في أربعينيات القرن العشرين تيريزاً «سوسيولوجياً» لنظام الفصل العنصري (أبارتهيد) الثاني في جنوب أفريقيا ¹²². لكن هذه المعتقدات لم تكن عامة بين المفكرين الجنوب أفريقيين البيض. والتعلّق نقاش الترس بين منتقدي الفصل العنصري ومؤيديه، وحول استراتيجيات معالجة النظام، مثل موضوع الرواية الجديدة لينا برغر ¹²³ لتأمين غورديمر.

كان كتاب تيمبلر، من دون شك، تيريزاً للاستعمار، الاستعمار المعطّر، الذي يجمع المبشرون والمعلمون فيه أفضل ما في المسيحية مع أفضل ما في التطوُّجيا البانتو للتسمُّر بالأفارقة. ولم يشاهد تيمبلر موجه البعد الآثية لإنهاء الاستعمار التي سرعان ما حوّلت أفريقيا بقودها على وجه التحديد لولدت التطوُّرون (Gnostics) الذين احتقرهم في الرائيكاليين مثل كوامي نكروما ¹²⁴ الذي تعلم في كل من ساحل الذهب والولايات المتحدة، والذي قرأ في عام 1941 قرّراً ساحقاً في الانتقابات في ما بات يُعرف باسم اتحاد. وسرعان ما أصبح نموذج تيمبلر الأبوي للتعبير بالحق. وخلال عهدي الكفاح السياسي والثقافي ضد الاستعمار الذين تبعوا الحرب العالمية الثانية، كان للجانب الآخر من أفكاره، مذهب الفلسفة الأوروبية، تأثير ملحوظ.

أطلق نشر فلسفة البانتو شرارة صياغة كاملة للفلسفة الإثنية من أربعينيات القرن العشرين وحتى ثمانينياته، وسرعان ما حل محل إنشوخرافيا الهوية لتيمبلر عملاً أكثر نصفاً. فقد كتب أنكيسيس كادامبي من رواندا فلسفة

[121] Muller's *Anthropology* discusses the role of the 'tribe' in the 'tribe' and the 'tribe' in the 'tribe'.

[122] Muller's *Anthropology* discusses the role of the 'tribe' in the 'tribe' and the 'tribe' in the 'tribe'.

[123] Geoffrey Gorer, *Apocalypse: A Study in the History of the Idea of the End of the World* (London: George Allen and Unwin, 1954). J. M. Gorer, 'The Mind of the Apocalyptic: Geoffrey Gorer (1907-1987) and Social Dynamics', vol. 17, no. 1 (1988).

[124] Nelson Mandela, *Long Walk to Freedom* (London: Jonathan Cape, 1994).

[125] Keesen/Steinbock, *Anthropology* (Falmouth: Nelson, 1997).

الكتابة البانتو-روندية¹²¹، وهو يسان معكم لأطولوجيا السكان الأصليين مبني على تحليل دقيق لأشكال الكلمة في اللغة المحلية، مزود بأشكال وخرائط، وخصص من التقاليد، ولفظاء أسر حاكمه. وحقق كاشفي ليجمع دراسة مقارنة واسعة من لغة وثقافتين لغة ولهجة محلية بني عليها دراسته الاستقصائية لـ فلسفة البانتو المقارنة¹²²، وقد دافع عن مفهوم «خطورة البانتو» وأدعى كشف منطقها الرسمي، الأطولوجيا، وملعب التشخيص، وفكرة السبب الرئيس.

في الوقت نفسه، وفي شرق أفريقيا، نشر جون ميري دراسته الاستقصائية الأديان والفلسفة الأفريقية¹²³، والتي قدمت مسحا أكثر اتساعاً بعد تفكير السكان الأصليين عبر القارة، وتناولت ليس الأطولوجيا والكلافت، وحسب، بل أيضاً الإكبة وقدرية الحياة والزواج والمفكرين وأعمال السحر والأحتمالات. وعلى الرغم من أنه بدأ بالاعتراف بالترحيل لكنه التجرد أيضاً إلى تعديلات كاسحة حول النظرة الأفريقية إلى العالم وأنتهزها أوجاهة:

وهذا لمناقهم التقليدية، الوقت طاعة نهاية البعد، يداني طوي، وحاضر،
ولمّا من دون مستطيل، والمفهوم الخطي الزمن في الفكر الغربي مع ما
فيه من ماضي غير محدود وحاضر، ومستقبل لا يتهي، هو غرب فحلاً من
التفكير الأفريقي¹²⁴.

كان البحث في هذا التقليد لا يزال مستمراً في ثمانينيات القرن العشرين، ومثال مبررات هو مجلة في التفكير الفلسفي الأفريقي: مجلة الأكان المفهومية لكونامي جيكي. أجرى جيكي مقابلات مع عدد من «الرجال الحكماء» [...] معلني «قوروا» (Korwa) الحكماء التقليدية، بين مجتمعات الأكان في غانا، جانا، أنشالاً وأساطير، وخرج رواية عن «تصور الأكان للوجود والشخص والمسير

Adrian Kugamé, *La philosophie bantu-rondane de l'ère* (Brazzaville: Académie congolaise 1981) des sciences coloniales, 1982.

Adrian Kugamé, *La philosophie bantu-rondane* (Paris: Pönce-Adrian, 1986). 122

John S. Mbiti, *African Religions and Philosophy* (London: Heinemann, 1968). 123

Ibid., p. 17. 124

والأصلي والمستقل والعلاقة بين الفرد والمجتمع وعلم جرد ومثل كاتامي وميتي، انقل من المادة المحلية إلى التعديلات حول الأرمية المشتركة بين الثقافات الأفريقية مجادلاً بأن على الفلاسفة المعديين أن يشغلوا أنفسهم وأن يبنوا على «الأسس الفكرية للثقافة والتعبير الأفريقيين»¹³⁴.

لأن ظهور الفلسفة الإثنية كان مترافقاً دائماً مع إلهاء الاستعمار، صار اكتشاف فلسفات مبنية على ثقافات السكان الأصليين وسيلة لإعلاء تأكيد الكرامة الأفريقية. ويستشهد جيكي¹³⁵ بوثيلف رافيل، قرار حول الفلسفة من مؤتمر الكتاب والكتاب السود [الزوج] الذي ينص على أن الفلسفة الأفريقية يجب أن تستند إلى «تقاليد وحكايات وأساطير وأمثال الشعوب»، وأن تستمد منها «قوانين الحكمة الأفريقية المحقة»، وعلى الفلاسفة الذين يقومون بذلك أن يخلصوا أنفسهم من أي شعور بالدونية إزاء الغرب.

كانت فكرة فلسفة أفريقية، إلهاء مؤازرة فكرياً لإعلاء تأكيد الإبداع الأفريقي، المعروفة بشكل أفضل، في حركة النعيقود [الزوج] (négritude) في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته. واحتل شعراء مثل ليونارد سافور (Léopold Senghor) وإيميه سيزور (Aimé Césaire) بجزيرة أولئك الذين أصلهم ثقافة الأوروبيين البيض وحرفهم بوصفهم «أفريقيين». وقد أعطيت الحركة سمعة عالية في المزيويل من خلال مجلة جان بول سافور بعنوان «المزويوس السود» (Black Opium) التي ظهرت خلال بضع سنوات من فلسفة اليانغو لصينزا ورواية آلن باتون (Alan Paton) الشهيرة (Cry, the Beloved Country) في بلد الجيب، مؤشرة على نقطة عالية للمفكرين البيض في تطوير الصورة الأفريقية، وأصبحت الحركة الأدبية مستنة بالزيادة مع تطور صور التكفاح من أجل الاستقلال عن الاستعمار، مؤثرة من بين آخرين، في فرانز فانون وستيف بيكو.

Kwame Gyekye, *An Essay on African Philosophical Thought: The Akan Conceptual Scheme* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), p. 121.

Ibid., p. 12.

أدت «الفلسفة الأفريقية» بالتالي، حوزًا في الاعتراض على ثقافة الإمبريالية، وفي سرعة الاستقلال الأفريقي، ولكن مثل كانت فلسفة فعلاً؟ هذا السؤال أكثر، نيلز نفسه. وبحلول ستينيات القرن العشرين، لم التعبير عن مزيد من الشكوك. وتلورت في عام 1978 في كتاب رائع وبارع وخاضع، عنوانه *الفلسفة الأفريقية: الأسطورة والواقع* (African Philosophy: Myth and Reality)، للفيلسوف الشاب المعاصر بولان هورتونجي.

انتقد هورتونجي بشدة فكرة أن ثمة فلسفة أفريقية متحصنة في ذاتها ويمكن اكتشافها في العادات والتقاليم والمعتقدات، وأشار إلى الأخطار إلى قاعدة تعرية وإحياء لتفسيرات الفلاسفة الإغنيين، والمذاهب المتناقضة التي تتصورها. ثم تبين هذه الفلسفة بمثابة صرامة وقابلية للاعتبار. بل إنها في الحقيقة إسقاط لخصائص لأفكار الفلاسفة الإغنيين أنفسهم:

1... ذلك الذي هو موجود، ذلك الذي أعطي في شكل لا يقل الجدة، هو الأدب الفلسفي الإغني. وبالنسبة إلى الموضوع الذي بدا لي أنه يستعيد فناء على أكثر طريقة للشعنة المتراج لطفي، أسطورة. وعندما أتحدث من فلسفة أفريقية فإني أعني تلك الأدب، وأعترف أن فهم أدبنا قبل حتى الآن هذه الجهد المبني ليعطين غلاف تاليف، هي حتى أكثر عديمة لتكون إيجاباً. لفلسفة غربية، لم تصورها كنظام جسمي فذكر خالق وعفوي ومشارك لجميع الأفعرة أو على الأقل لجميع الأعضاء إفراداً في الماضي والحاضر والمستقبل، ومن كلا مجموعة إثنية أفريقية. لقد حاولت أن أفهم لماذا يظن معظم المؤلفين الأفارقة، عندما يحاولون الاستغناء في الفلسفة، حتى الآن، أنه من الضروري إسقاط الواقع غير المفهوم لمعطيتهم الخاص على مثل هذا الخيال المعلوم.¹⁰²

وهذا لم يصفه لاحقاً كان هذا تعرياً من المسؤولية:

طور [الفلاسفة الإغنيين] تولفاً من الفلسفة في الشخص الثالث، ويكون من جعل مثل: يذكرون بكلاً وكذا، يقولون كذا وكذا، إلخ. لقد انحرفوا

Paulin I. Hountondji, *African Philosophy: Myth and Reality*, (B. Osoff & J. R. Heilman, tr.) 1981 (London: Routledge, 1981), p. 41.

يعني من التعالي، عن التكلم والمناقشة لئلا من أنفسهم هم. لقد اخبروا
عن المسؤولية الفكرية¹³³.

علاوة على ذلك، أثبت الفلسفة الإكثية على تحليل اجتماعي مبني. لقد
قدمت الاقتراحات غير القابل للتصديق عن توافق ضمن الثقافات الأفريقية.
«أسطورة إجماع بدائي، ضمن اقتراحها أنه في المجتمعات 'بدائية' - وهذا
يعني المجتمعات غير الغربية - فإن كل شخص يوافق دائما مع أي شخص
آخر»¹³⁴. لقد قدمت القرائن زائفاً بأن المجتمعات الأفريقية كانت ساكنة ثقافياً،
وبذلك يمكن أن تكشف فيها نظراً إلى العالم غير مغفول، وبعيداً من وضع
العقل الفلسفي الأفريقي الأصيل في تناول أوسع، أعادت الفلسفة الإكثية إنتاج
نظرة المستعمرين إلى الثقافة الأفريقية.

باختصار، يجادل هونتوندجي أن كل مدرسة الفلسفة الإكثية، من نميلز
فصاعداً، كانت مطروقة مجفوفة وميؤتة منه مبدئياً على فكرة ثقافة أصلية¹³⁵
غير حقيقية، واعتباطية، والآن رجعية سياسياً.

فيهم هونتوندجي أن الفلسفة الإكثية وحركة الشغريوت كانتا وثقتا على
الاحتقار الاستعماري للفكر البدائي، احتقار لم يعثر عنه المزارعون المحرومون
بالشخص بخلود الكباب وحسبه، بل أيضاً المفكرون البارزون في باريس. لكن
تأكيد الطابع السبيل للثقافة الأفريقية القديمة في زمن الكفاح ضد الاستعمار،
غيرت لونها السياسي في حقبة الاستعمار الجديد. لقد أصبحت الآن جزءاً
من أيديولوجيا دول ما بعد الاستقلال الدكتاتورية. كان هونتوندجي لانفا في
انتقاده لهذه الأنظمة، وعصايتها الثقافية المحافظة الخادمة لنفسها، وكانت
له تجربة شخصية في التدريس في زائير في زمن الدكتاتورية موبوتو وعقيدتها
المتشددة لـ «الإمبرالة».

Paulin I. Hountondji, *Intellectual Responsibility: Implications for Thought and Action* (1981)
Trilogy, Proceedings and Addresses of the American Philosophical Association, vol. 70, no. 2 (1996),
p. 80.

Hountondji, *Of African Philosophy*, p. 48.

[14]

Ibid., pp. 51, 70-76.

[15]

لم يكن هورتوندي، في أي حال من الأحوال، وحيثًا في توجيه مثل هذه الانتقادات، فعلى سبيل المثال، عز الفيلسوف الغاني كوامي ويريدو في الفلسفة والثقافة الأفريقية¹⁰⁴، يوضح ما بين «الفكر الشعبي» من ناحية، والفلسفة بوصفها ممارسة عقلية مبنية على العقل والمحاكمة، من ناحية أخرى. وإذا كانت الفلسفة الأفريقية تعني الثقافة التقليدية وحسب، كما يجادل ويريدو، فإن على الفلسفة التخلي عن المتعلق بالحديث والإستيمولوجيا على أنها «غير أفريقية» وترهني أيضا بتكرار أسئلة أجدادنا ومضاهيهم الشعبية.

ما الذي يعني للفلسفة الأفريقية بعد هذا النقد المدمر حقًا؟ في رؤية هورتوندي ويريدو، فإن كل شيء، يعني، لقد كانت يثبات أسطورة مدمرة وحسب، أصبحت عائقًا أمام التنمية الفكرية. وكما حاجج ويريدو¹⁰⁵، فإن «الفلسفة الأفريقية، بوصفها فلسفة مدمرة من وجهات النظر العالمية التقليدية، هي الفلسفة التي يتبعها الفلاسفة الأفريقيون المعاصرون. إنها لا تزال في طور الصنع».

لم تلق هذه الملاحظات إنشاء عالمية، وهورتوندي على وجه الخصوص، نقل بين الكثير من المؤلف بحيث أصبح (كتابًا) الفلسفة الأفريقية هو نفسه معط جندل، يحفه كان قيمًا جدًا. فاتهم اليسار هورتوندي بأنه برجوازي صغير، واتهمه اليمين بغيابة الشعب والثقافة الأفريقيين. ورأى الفلاسفة الإثنيين ملتزمًا بنظرة الثقافة الأوروبية للفلسفة، كما أنهم رأوا من المستعمرين التجدد والخبو، ومثالي، وعاهد الكتابة، ومطلد، وسحتل فكرًا. فلا عجب، إذا ما عدنا إلى مسألة الجدل، أنه دعا مناظرين ملوثين¹⁰⁶.

Kwesi Ninsin, *Philosophy and an African Culture* (Cambridge: Cambridge University 1961) Paris, 1969).

Ibid., p. 26.

[105]

Opébe, *de l'Etat en Afrique* (Philosophical Thought, Paris: Seagraphics 1973, 1981). *African Philosophy: The Essential Readings* (New York: Prentice Hall, 1981). Paulin J. Hountondji, «Pour une sociologie des épistémologies africaines», in: B. Hountondji et al., *La pensée africaine* (Paris: Presses Universitaires de France, 1980; Hountondji, *The Struggle for Meaning*, pp. 162-8.

مع ذلك، وبمرور الوقت، ساء النقد للفلسفة الإكثية؛ فالغالب لم يشغلوا عن قضايا تتعلق بأفريقية، لكنهم فكروا فيها بطريقة سطحية. واشغل هورتونجي وويرندو نفسيهما بإعادة تشكيل الثقافات الأفريقية. وكتاب هورتونجي الأول، *العرفانية*¹⁹⁹، اعتم مركزياً بالربط بين النزعة الفكرية والحرية، والمشاركة الشعبية في التطوير السياسي.

لم يرغب هورتونجي في النظمي عن المعرفة الثقافية المحلية، لكنه أصر على أن الفلسفة الإكثية والعلم الإكثي (المفاهيم الأكاديمية) الذي يحاول إعادة بناء وجهات نظر الثقافات غير الغربية حيال الذات، والحيوان، والعالم الطبيعي، والرفاهيات، إلخ) قد شكلاً وجهة نظر أوروبية فيها. وهكذا، فإن المفكرين الأفارقة الذين اتبعوا هذه المنهج كانوا يبنون وجهة نظر أوروبية؛ فكان عملهم هذا يمثل *التدليس*. وما كانت الحاجة إليه، بدلاً من ذلك، هو مقاربة واقعية للمعارف المحلية تسمح بأن يُنظر إليها من حيث العلاقة بالمعارف الأخرى، وأن تُستقد ويعد تخصصها في أشكال ذات صلة بتسمية المجتمعات الأفريقية. والكشف عن وجهات النظر هذه تقلل هورتونجي بالمراد من الفلسفة التقليدية إلى موسيولوجيا المعرفة.

لشاهد إنتاجية هذه المقاربة في كتاب *المعرفة الداخلية: مسارات للبحث* (*Local Knowledge: Journeys into an African Mind*) الذي نشره مجلس تنمية البحوث الاجتماعية في أفريقيا (COSOBA) في داكار²⁰⁰. ويجمع هذا المجلد دراسات عن التكنولوجيات المحلية مثل الحداثة، وعن الهياكل الثقافية مثل أنظمة الأرقام، والطب والعلوم العبدانية، وعن أشكال بث المعرفة.

مقدمة هورتونجي لهذا الكتاب، إضافة إلى عدد من المقالات التي نشرت نظرياً في الوقت نفسه، عكست ملاحظاته عن انتعاج العلوم الأفريقية.

Paulin I. Hountondji, *Liberté: Contribution à la libération Oubangaise* (Kinshasa: 1981) Editions Karimane, 1992).

Paulin I. Hountondji (ed.), *Endogenous Knowledge: Research Tools* (Dakar: COSOBA, 1981) 1983).

والتحليل مبني على نظرية ساذجة للمعرفة بوصفها جزءاً من عملية إنتاج اجتماعية كلية، ويربط هورتونديجي بصراحةً حجبته بالتحليل الاقتصادي لسير أسين في كتاب التوافق على نطاق عالمي (1974: 145-146).¹³¹ على غرار الاستعمار، أنتج إدماج الاقتصادات الكفاف في السوق الرأسمالية العالمية نمطاً متغيراً في إنتاج المعرفة:

في ما يتعلق بالعلوم الحديثة، يمرر العملية ليس مرحلة جميع البيانات، ولا مرحلة تطبيق النتائج النظرية على القضايا العملية، لا بل إنه يقع بين الاثنين، في مراحل بناء النظرية وتفسير المعلومات الخام والمعالجة النظرية للبيانات التي تم جمعها [...] والتصور الواحد الأساس في النشاط العلمي في أمريكا المستعمرة كان الاكتمار إلى هذه الإجراءات والتي نتجت عنها نظرية محددة.¹³²

في المستعمرات، أسقطت المرحلة النظرية للعلوم، وبناءً على ذلك، أصبحت المستعمرات حقلًا لجميع المواد الخام - البيانات العلمية - التي أرسلت إلى المتروبول، حيث أنتجت النظرية. ويزخر تاريخ العلوم الأوروبية بأشكال على هذه العملية. الشاهد هو السير جوزيف باتكس الذي شغل منصب رئيس الجمعية الملكية في لندن طوال عقود. تلقى باتكس كمية ضخمة من العينات والملاحظات من جميع أنحاء الإمبراطورية البريطانية الواسعة، إضافة إلى احتفاظه بالفنم البيولوجية الأصلية من «عليج بوتاني» في أستراليا والتي تم جمعها في عام 1778 خلال رحلته الشهيرة مع القبطان كوك.¹³³

أصبحت العلاقات الاستعمارية مؤسسية بإزدياد من خلال المتاحف والجامعات. وبين هورتونديجي¹³⁴ أن هذا الهيكل استمر بقوة في حقبة ما بعد

Paula I. Hountondji, «Producing Knowledge in Africa Today», *African Studies Review*, 1971, vol. 18, no. 2 (1995), p. 2.

Paula I. Hountondji, Joseph Butler, *A Life* (London: Collins Harvill, 1997).

[132]

Hountondji, «Producing Knowledge»; Paula I. Hountondji, «Knowledge Appropriation: 1871 in a Postcolonial Context», in Catherine A. Odion Ruppert (ed.), *Indigenous Knowledge and the Interpretation of Knowledge Systems* (Trenton: New Africa Books, 2003).

الاستعمار، ويخدم ثلاثة عشر مؤشراً على الانفتاح: بتشخيص مآثر وقابل أكثر من اللازم للتصديق لمعطيات مفكري اليوم في الأطراف، وسيكتفي مثال واحد: يحاول العلماء من الأطراف نشر أعمالهم في المجلات العلمية الأوروبية. معطيات كهذه لم تتوقع أن النظرية سوف تأتي من الجنوب. لذلك فإن:

العلماء الأفارقة غالباً ما يُعززون خصوصاً في العلوم الاجتماعية بحسب أنفسهم في وحده إمبريالي لأكثر الدواخا خصوصية لمجتمعاتهم، من دون أي جهد متناسق لهم هذه الدواخا أو تطويعها أو التطوير لها. وبقيتهم بذلك فإنهم يوافقون عمداً على العمل كمطيرين، ولو كانوا مطيرين متعلمين، للعلوم والعلماء الغربيين³⁸.

كانت تلك بالعبط المشكلة التي حاولت حركة السكان الأصليين السوسيولوجية معالجتها. ويمكن أن يطبق نقد هورتوندي المتعلق للفلسفة الأخلاقية على هذه الحركة بسهولة. هناك الطباية نفسها في المنهج، والأفراض غير القابل للتصديق نفسه عن الثقافات المتجانسة والسائدة، والتواطؤ نفسه مع التزعة الوطنية، والصعوبة نفسها في الانخراط في الحوار العالمي (إلا بشروط للتبادل غير المتساوي).

مع ذلك، ينتج عمل هورتوندي التلاحق خطاً أكثر إيجابية للتفكير. لا شك في أن المعرفة المحلية مهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولكن للاستفادة منها، كما يجادل هورتوندي، فمن الضروري الاهتمام بحقيقة المعرفة عند السكان الأصليين، والأسباب وراء تعاليها، فضلاً عن الأسباب في أنها مربطة كثيراً جداً بالأسطورة والسحر.

كانت هذه هي الحجة التي تدور في ذهني عند إشارتي إلى أن عمل أكيروو يسترعي الانتباه خصوصاً عند تشخيصه للتغير الاجتماعي في أفريقيا الغربية. إن المعرفة المتصلة بالأوطان الاجتماعية، والمنظمة في المخططات

غير المتروبولية حول المجتمع المحلي، هي معرفة من الترتيب نفسه - بوصفها مفضلة، وحيث، ورأسية من خلال التمرير، وقابلة للطمح - كالتحطاب المتروبولي عن المجتمع المتروبولي.

بناء على نظرية هورتونجي للعلوم، فإن مشكلات من الترتيب نفسه متفكر في كل من المتروبول والأطراف في تحويل المعرفة غير الرسمية للأوضاع الاجتماعية إلى خطاب رسمي للعلوم الاجتماعية. وفي الحالتين كالتجهاد، يجب أن تكون هناك عملية نقد للمطلب على استعدادات البناء الاجتماعي. وكما يلاحظ دياوارا¹⁴²، فإن المعرفة لدى جماعة محلية هي:

المعرفة التي تشكل نفسها نادراً من خلال التصادم بين المعرفة المحلية وتلك العالمية، وحواراتها وعمليات، بهذا [...] هذه المعرفة المحلية ليست موزعة بالتساوي على كامل المجتمع، لكنها تختلف بحسب المجموعة الاجتماعية والمكانة والامتياز العرقي والجنس. إن حيازة هذه المعرفة المحلية وتلقاها والتفاوض بشأنها، هي عملية مرابطة يشكل لا تصادم له بالقوى الاجتماعية وعلاقات السلطة [...] وأبعد ما تكون من مجموعة سائكة، فإن هذه المعرفة هي طرفي الإحداثي تفسر متداخلة وفقاً لمعادلات ومصالح متروبية¹⁴³.

لكن، وعلى الرغم من أنها متداخلة في النوع، فإن مشكلات إنتاج المعرفة في المتروبول وفي الأطراف ليس بشكل مختلف في التطبيق. وهذا ناتج من أوجه التفاوت العالمي التي تشاهد المتروبول وطناً للنظرية، أو «علمية» على نحو كهذا، والأطراف إما مصدرًا للبيانات، وإما عليه تعلق فيها المعرفة المتروبولية.

التهميش الأخرطية والمفكرون الأفكار

في أيار/مايو 1996، اختج نائب رئيس جنوب أفريقيا ثابو مبيكي (Thabo Mbeki) خطابه أمام المؤتمر الوطني الذي كان سيعتمد دستوراً ديمقراطياً،

Mwambi (Bwambi), «Globalization, Development Politics and Local Knowledge», 1421 *International Sociology*, vol. 35, no. 2 (2000).

Ibid., pp. 161, 163.

[141]

وبإعلان «أفريقيا الجديدة». وفي السنة التالية اعتمد ميكي تعبير «النهضة الأفريقية» لرويته عن موجة جديدة من التنمية الثقافية والتنمية الاقتصادية. وبما أصبح ميكي رئيساً خلفاً لنسبون ماديبلا، وطورت هذه الفكرة الإطار للسياسة الخارجية لجنوب أفريقيا. وكانت هناك كتب عدة عن النهضة الأفريقية، ومعهد واحد على الأقل للترويج لها، وتحدث مؤرخ من الفكرة:

مع ذلك، كانت الخطابات المعروفة عن «النهضة الأفريقية» خفيفة من ناحية المقترحات، وكانت بحاجة إلى ملتها. وأوردت وثيقة في عام 1997 خمسة مجالات لها الأولوية لارتباط جنوب أفريقيا بباقي القارة: القبول الثقافي، تحرير البراءة الأفريقية، تعبة الشباب، تعزيز الديمقراطية، تنمية اقتصادية مستدامة. من الواضح أن الفكرة في ذلكها كانت ملهمة للكثير من الناس المحليين. فعلى سبيل المثال، تحدث بوتلاتي ليمبا¹⁴³، وهو في الحقيقة مدّرس علوم عن الفكرة كـ «الحقة الرائعة» في حين أن قبل وبامبيكو¹⁴⁴، وهما محللان سياسيين وحيثان، تحدثا عن «الحقة المصنوعة التي ألقاها ميكي».

عندما وصل المؤتمر الوطني الأفريقي إلى السلطة من خلال سلسلة من التسويات مع الحكومة السابقة، ورجال الأعمال الجنوب أفريقيين، ورأس المال العالمي، بدأ تدريجياً بإلغاء التزاماته السابقة بالانتمائية واعتمد نيولبرالية معتدلة سحر¹⁴⁵. وتلتهد الرؤية للتنمية الاقتصادية لجنوب أفريقيا، وهي جوهر ما يدعوه قبل وبامبيكو¹⁴⁶ لتفسير العالمي للنهضة الأفريقية. على الأسواق الحرة، ويخفض حجم القطاع العام، والحكومة الرشيقة، وجلب الاستثمارات الخاصة، وبناء لجنة أفضل. ورأى الشك في هذا ما يتجاوز قليلاً الصيغة الإقليمية للعولمة النيولبرالية. مع هذا، لم يكن من السهل تلبية الأجنحة

¹⁴³Pauline Otlet, *Science, Education and Africa's Rebirth*, in: Helen Hughes (1971) and 1, p. 129.

¹⁴⁴Peter Vale & Helen Mawdsley, «Pauline Mphahlele, South Africa, and the Idea of an African Renaissance», in: John Jacob & Richard Callard (eds.), *Pauline Mphahlele's World: The Politics and Ideology of the South African President* (Pretoria/London: University of Natal Press, 2002), p. 130.

¹⁴⁵Jacob & Callard (eds.).

[143]

¹⁴⁶Vale & Mawdsley, «Pauline Mphahlele».

[144]

ويتم تبلور ووليامز¹³¹ كيف أن العرب المدمرة في الكونغو التي تجددت في عام 1998 مع مشاركة من حول مجاورة عند لا تتفق مع المقدمات المنطقية للتهفة الأفريقية. وبعيداً من اعتبارها عقداً محظونين في الوحدة الأفريقية والإصلاح والتنمية، فإن الشعب السياسية في أفريقيا الوسطى حيث أربابها طائفة من العرب، وعدم الاستقرار، ما سمح لها بتشغيل شبكات من المصوبة لتعزيز حكمها.

مع ذلك، هناك تفسير لأن التهفة الأفريقية وهو ما دعاه ميل ومانيكو التفسير «الأفريقي الزعة» (Makoko). وفي هذا تقع فكرة مبني ضمن تقاليد إعادة التأكيد الثقافية التي ترجع إلى حركة الغريوت، والوحدة الأفريقية لترومان¹³². واعتمد بعض أقوى مؤيدي فكرة التهفة الأفريقية هذا التفسير¹³³. أمثالاً، وبسم بيتكا نتولي القساقا بين «الطريقة الغربية» و«الطريقة الأفريقية». وفي أسلوب يذكرنا بقوة بالفلسفة الإكينية، يجعل نتولي بأن «الروية الأفريقية الكونية» هي ثلاثة ومتدمجة في المجتمع واحتفالية وولادة جديدة وإعادة إنتاج. لكن دولته مبنية، إلا يعتقد نتولي أن الطريقة الأفريقية تمت حياتها من المفكرين المستعربين الذين، على سبيل المثال، يتفقدون «المعنى العلوية» للقبائل، التي يعتقد نتولي أنها علامة على التجديد الخلقى. يبدو أن مبدأ مبني لتحرير النساء الأفريقيات قد ضاع في مكان ذلك. ومن الواضح أن نتولي يعتقد أن مشروع التهفة الأفريقية يبرر إعادة المفكرين المنسحقين إلى داخل الخط.

التهفة الأفريقية بالمعنى الثقافي مرتبطة بشكل وثيق بإعادة المصادقة على صحة المعرفة لدى السكان الأصليين. وكما نروي كاترين أودورا هوبر¹³⁴:

131 Ian Taylor & Paul Williams, *South African Foreign Policy and the Great Lakes Crisis* (1999) African Renaissance (Mosa Haggard) (Pretoria), «African Affairs», no. 100 (2000).

132 Paul Mphahlele, *The Struggle for African Identity: Thabo Mbeki's African Renaissance* (1999) African and Asian Studies, vol. 1, no. 4 (2002).

133 Mphahlele, *Williams Mphahlele* (ed.), *African Renaissance: The New Struggle* (Pretoria) (1999) Mbeki, 1999, P. Thabo Mbeki, «Development Knowledge Systems and the African Renaissance», Cape Town Foundation for the Creation of Counter-Imperialist Discourses in Africa (Mphahlele).

134 Odera Haggard (ed.).

طلب برلمان جنوب أفريقيا من المجالس العلمية في البلاد إعادة النظر في موضوع المعرفة لدى السكان الأصليين، مطلقاً أجندة بحوث لتصحيح «الحرمان الاستعماري» للسكان المحليين. ونتائج ريموند سوتر¹³⁷ أيضاً بأن المعرفة لدى السكان الأصليين هي معرفة عرقية، كما جادل بأن جنوب أفريقيا بحاجة إلى ثقافة شاملة تترك الإبداع الممنوع للشعوب الأفريقية. ويرى لوي سيناس¹³⁸ في فكرة النهضة الأفريقية الحفاظ على موسيولوجيا جديدة، متبعاً إرثات استصلاح الأراضي التي قام بها موسيولوجيون من أمثال أكيروبو داخل المعرفة الأصلية، محاضراً في التفاعل بين المعارف العامة والمعتقد.

مع ذلك، ليس الجميع مؤيداً من دون تمحيص. سيداسي بسلّم بصحة التعديلات داخل التقاليد الأوروبية، ويخطر بباله المعرفة المعاصرة إلى أفكار مشكوك فيها حول الثقافات التقليدية فريدة. ويتخذ عالم النفس لينفستون مكواسي¹³⁹ بصراحة الفكر المتمركز أفريقياً وسياسة أولئك الذين في السلطة «الأحباء القليلة والمؤسسات البدائية [...] أفريقيا لا تسكنها سلالة خاصة من البشر أكيدة عليها صفات ثابتة».

وبالمثل، يحذر دال أفلوالا¹⁴⁰ من أنموذج النهضة الأفريقية المنجرف نحو الدعاية العرقية. وهذا يتقاطع النقاش حول المعرفة بطرائق مزعجة مع سياسات الهوية. وفي خطاب شامي بيلوي ما بين الهوية الأفريقية، وإثنية السكان الأصليين، لا يوجد مكان لمجموعات مهمة من المفكرين الذين لهمهم الأفريقية أسس أخرى. وهؤلاء يفسون مؤلّكين من البيض الذين يشاركون في النهضة الثقافية الأفريقية والتضال ضد الفصل العنصري داخل فيفستون، فوفاردك وأعضاء الشتات الأفريقي الأسود (غير بواك قانوناً،

Raymond Suter, «Talking to the Ancestors: National Heritage, the Evikele Charter and 1971 Nation-building in South Africa in 2003», *Development Southern Africa*, vol. 23, no. 1 (2006).

Art Hino, «The African Renaissance Challenge and Sociological Reclamations in the 1981 South African Society», vol. 44, no. 2 (2006).

Livingstone Mphahlele, «Oneness, Wholeness and Religion in Transformation of the Psychology of 1971 Project», in: *Black Subjects* vol. 1, p. 178.

Adenrele, «The Struggles».

ومفكرين من أفريقيا العربية (السين)، والكثير من العاملين المفكرين المتألفين
ممثلًا من عقليات أوروبية أو عربية، أو مختلطة الأعراق، والذين لهم دور في
المشروعات الجارية للإصلاح والتنمية¹⁰⁰.

لن يتم تذليل هذه الصعوبات بالمزيد من القذات المفضلة، ولكن بالتفكير
بزيادة أكثر في أحوال العمل الفكري. وفي ثلاثي حديق لفكرة النهضة الأفريقية،
يلتزم محمود مداني¹⁰¹ كيف أن المجتمعات التي تتصلب بين الأعراق قد حصلت
في ظل نظام الفصل العنصري بوصفها مراكز لا يميز المفكرين السود أكثر
منها مراكز قد تغذي التفكير. ولا حظ مداني كيف أن الفكر المتعصب استمر
في حلبة ما بعد الفصل العنصري، وأنه من العنصري لأن محاولة «نزع التعصب
عن الإنتاج الفكري». وهذا يتضمن المعاهد المتروكة عنها العنصرية، مع حرية
فكرية. لكن المعرفة المتروكة عنها العنصرية عن أفريقيا يمكن إنتاجها من
إنتاجها لتركز على أفريقيا وحسب، وكان هذا صعبًا في جنوب أفريقيا، حيث
استمرت معاهد العلوم والتعليم العالي «معدنية للفكر المركز على أفريقيا».
وتحقق المزيد في أجزاء أخرى من أفريقيا مثلًا، مع مدرسة دكاكول للبحوث
الثقافية، أو مدرسة دار السلام للاقتصاد السياسي.

أشار مداني إلى القضية نفسها التي أثقلت هورتونديجي، ألا وهي شروط
الوجود للعاملين المفكرين في أفريقيا في سياق اقتصاد عالمي وهيمنة ثقافة
متروية. ولا شك في أن هذه نقطة مؤلمة. وفي الزنكاز مزي، نتيج التكنولوجيا
مكتشبات¹⁰² تاريخ العلاقة بين المثقفين وحكومات ما بعد الاستقلال في
جميع أنحاء أفريقيا السوداء. لقد ساند معظم المثقفين بناء الأمة في الخمسينيات
القرن العشرين وسبعينيات، لكن الأنظمة القديمة أخفقت بمطالبات القضاة وغالبًا

Barbara Cassin, *After the End of the Problem: South African Intellectual History*, (بهار) 1991
Civilization and Social Change (Durham): vol. 36, no. 1 (2007).

Mahmoud Madani, «There Can Be no African Renaissance without an Africa-Renaissance» 1991
Intelligence, in: Mafaga (ed.),

Thandika Wani-Lewis, «Non-organic Intellectuals and 'learning' in Policy-Making 1911
Africa» Paper presented to the ICAH seminar on Africa in the Agencies and their Co-operating
Partners (Lomé from their Experiences) 14 August 2000.

ما طلبت الاستشارة الأيديولوجية. وأبعد، معوضاً علماء الاجتماع الأفارقة من صنع السياسات. وعندما وصلت النوليرية وبرامج التكيف الهيكلي في ثمانينات القرن العشرين وتسعيناته نجحت الإبعاد ونحلت الحكومات إلى المستشارين الأجانب، في حين أن المنظمات غير الحكومية أرادت تقديم المتوردة وحسب وليس البرامج البحثية الأساسية، مفترضة أن البحوث الضعيفة كانت جيدة بما فيه الكفاية للقرارة.

ذاكرت صعوبة إيجاد أوعية لتطوير العلوم الاجتماعية الأفريقية من أولئك الذين تعلموا في المؤسسات التي أشار إليها مدني، ومطمحون مناهج الجامعات في جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى، فإن بيتر كروسمان وروبنه فينيس¹³³ ويرجيت بروك لوت¹³⁴ وجنوا الطليل من الأفارقة في المنشورات، أو التعليم بلغات السكان الأصليين بعد أربعين عامًا من الاستقلال السياسي. ومثل لتحويل المنظمات غير الحكومية، فإن المساعدة الموجهة مباشرة إلى العلوم الاجتماعية مالت إلى دعم الدراسات على مستوى صغير، والبرمجة عملياً. لتتفرع إلى المشروعات المدعومة أو الفائزة في منظمة أبحاث العلوم الاجتماعية في أفريقيا الشرقية والجنوبية. إنها تتضمن دراسات مطبوعة عن القابات الشابة، ومخاطر الإيدز، والإجهاد بين الموظفين العموميين، والأمن الغذائي، والجنس، والمشاريع الصغيرة، والاستغلال الجنسي¹³⁵. وجميعها موضوعات جليلاء، لكن، وكما لاحظ هوتوكندجي، تفقد مرحلة بناء النظرية.

كما يبدو، حتى الآن، لم تزل النهضة الأفريقية إلى ظهور صورة فكرية لهم لطورات جديدة في الفكر الاجتماعي. مع ذلك، فإن شيئاً كهذا حدث في الماضي. فدراسة موريسبي الاستقصائية الواسعة النطاق الأفريقية¹³⁶ كتبت

Peter Crookman & Robin Devich, «Indigenous Knowledge in Anthropological [S.1] Perspective: A Plan for a Conceptual Shift», in: Odum Hopper (ed.).

Hugh Brock-Gunn, «Stories of the Best-Wise in Writing Them? The Importance of [S.1] Indigenous Research in Africa Based on Local Experience», in: Odum Hopper (ed.).

Organization for Social Science Research in Eastern and Southern Africa, «Publications», 1993, CSASPA Bulletin, vol. 2, no. 1 (2000).

Shalanda, *The Invention of Africa*.

1331

التصديقات الإيستيمولوجية في المعرفة حول أفريقيا، وعصوفاً تلك التي تتحدى قراءة أفريقيا على أنها «الأخر» للأوروبيين. ومنطقاً يزعم في عشرينيات القرن العشرين، ومستكملة في الخمسينيات، فإن هذه الاستراحة الإيستيمولوجية - وما تضمنت في علم التاريخ الأفريقي الجديد، وبقد الإكثوغرافيا، وحركة التفريغ، والفكر السياسي للاستقلال الأفريقي - جعلت فكرة وجود إشليجسيا مكررة على أفريقيا التي دعا إليها مسدتي في وقت لاحق ممكنة.

بهذه الروح، استذكر دراسة من جيل أقدم من جيل كينا وتيلز. في عام 1918 في لندن، نشر سولومون تليكيسو بلاتيه كتابه الحياة المحلية في جنوب أفريقيا¹³⁴. لم يكن قصة مصورة عن رحلة، ولا إثنوغرافيا، ولا حكاية عن الحياة في مورقة أفريقيا، بل كان تقريراً عن أثر قانون أراضي المصلين لعام 1913، الذي قُنع من خلال برلمان جنوب أفريقيا الأبيض بالكامل في أحزاب الاتحاد بين مستعمرات البريطانيين والأفريقانيين. وكان هدف هذا القانون إبعاد المزارعين السود المصلين (على الخروج) من أراضيهم، لخلق فرة حاملة بالأجرة لمصلحة الملاك البيض، ولإعداد مواطن أبيض أصبح يطلق عليها لاحقاً للسود. لقد كان، باعتصار، قانوناً سيئاً بالمعروط العرفية، وتحرراً رئيساً نحو الفصل العنصري.

كان بلاتيه مترجم ممكنة تحول إلى صحفي في الوقت نفسه السكرتير العام للمؤتمر الوطني لسكان جنوب أفريقيا الأصليين فولدي سرحان ما أصبح المؤتمر الوطني الأفريقي. ولقد تامل في البلاد على دراجة الهوائية ليقتضى تأخير القانون في المحلات المشردة المطروقة من أراضيها. وكتب الكتاب حالات من عمله الميداني، وأيضاً خطباً ووثائق ومناقشات برلمانية، وتقارير صحفية. بدأ بلاتيه تحرير الكتاب على متن سفينة (مترجماً) إلى إنكلترا، لينتقد الحكومة الإمبراطورية التدخل. وتضمنت نظريته تقريراً ملحقاً بالخدمة

¹³⁴ Sol T. Tlale, *Native Life in South African Africa and Some of European War and the 1913*
Act of the Union (Durban: Butterworths, 1918).

حول الأكثر الاجتماعية المترتبة عن القانون، وسفيرة من الادعاءات المسيحية لحكام جنوب أفريقيا، وتلقا للكرامية العنصرية وتصلب السياسيين الثوريين، وتعدا إلى المواجهة الإمبراطورية، وتنبؤا مبكراً بإزالة الدعاء التي قد تخرج من سلوك سائر الفصل العنصري.

شعر البريطانيون بتعاطف عميق. لكن الوقت وحصل في عام 1914، حين كان لدى الحكومة الإمبراطورية أمور أكثر أهمية لتعالجها. وكما أخبر لورد جورج⁽¹⁾ بلاتيه في ما بعد، بالكفاءة يستطيع البريطانيون التدخل في الشؤون الداخلية لمستوطنة أعطوها تورا حكمة مآب.

هكذا لم يحقق الوقت، كما الكتاب، غلبتهما السياسية. مع ذلك، تبقى للكتاب أهمية دائمة. إذا كنا نبحث عن أعمال كلاسيكية لسوسيولوجيا العالم، فإن الحياة المحلية في جنوب أفريقيا هي بالتأكيد واحدة منها. إنه ليس قطعة رائعة وحسب من العمل الميداني، أخذ في إطار صعوبة كثيرة وتحليل أبحاث للعنصرية، وفي الحائزين قابل للخطورة بعمل هو برا المعاصر. إنه بل هو أيضا تحليل دقيق للعلاقة السياسية والعلاقة الاجتماعية. فهو يبين كيف أن السيطرة على الأراضي وتعطيل حيوات الأراضي، في ظل الاستعمار، أمران مترابطان. لاحظ الهيمنة وأعباء المصالح ووعي الجماعات وعملية التغير الاجتماعي. إنه مثال صارخ على التشخيص الاجتماعي، كما إنه يبرز قضية لم تنبه إليها السوسيولوجيا المتروبولية بالكامل تقريبا. وسأعود إلى هذه القضية في الفصل التاسع.

(1) رافنس ولز، بريطانيا أثناء الحرب

الفصل السادس

الإسلام والهيمنة الغربية

تلك هي الإسلام إجمال الحرية التي وجدت على مر التاريخ لمعارضة الطغاة والبدن والشرك والبد والفساد والأستورطة والقروى الطغاة. وأصبح ذلك حقلًا للفصل بالإعلان عن أن جميع البشر هم من عرق واحد ومصدر واحد وطبيعة واحدة وإنه واحد. على غريفي (1972)

سأعرض في هذا الفصل تجاربي مع كتابات ثلاثة من المفكرين الإيرانيين الذين تصدوا لمشكلة الهيمنة الغربية في العالم الإسلامي. وهناك لبريات إسلامية أوسع من هذا الموضوع، فالمذهب الشيعي، على الرغم من أنه معتقد الأقلية في إيران إلا أنه أقلية في الإسلام ككل. ولقد ركزت على هذا المعتقد لأن خبرتي في التاريخ الإيراني أكثر من خبرتي في التاريخ العربي أو الإندونيسي، وأيضًا بسبب أهمية الثورة الإيرانية التي اندلعت في عام 1979 في إعادة رسم علاقات العالم الإسلامي بالمتروبول. والإسلام - خلالًا لمنطقة وسائل الإعلام، وأيديولوجيات، «صدام الحضارات» - يمر بتغير وتجديد شاسعين، ويشكل هؤلاء المؤلفون قوة مهمة في هذه العملية.

وعندما أقول تجاربي، أعني أن أقول تجاربي مع الترجمة، فأنا لست ملتزمًا بالقرابة ولا بالحرية، وأستعتمد على القديم المترجمين للنص وحسب، ولكن أيضًا على اعتباراتهم للنصوص التي سترجموها. ولحسن الحظ أن

الكتب الرئيسة للأفغاني وأن أحمد قد أُرجمت بالكامل، ولولا ذلك لما كانت كتابة هذا الفصل ممكنة.

حاولت منذ الثغرات بدراسة أراهم (أسير حياة) ولورايج عامة ومختارات، ومفالات محدثة. مع ذلك، لماني أؤكد أن هذا الفصل لم يقدم برصه دراسة تقنية لأعمالهم، لكنه على وجه التحديد إنجاز في النظرية الاجتماعية، وأعتقد أنه إنجاز يجب على المتطرين الآخرين الناشطين بالإنكليزية الاطلاع عليه.

الرد على المدعية

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، برز إلى الوجود في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية تشكيل ما سُمّي العلوم الاجتماعية. وفي الوقت نفسه كان قد بدأ في العالم الإسلامي تحول أكثر حيوية، متفصلاً المعركة والخطاب الأخلاقي حول ما هو اجتماعي، وإن بُني بطرائق مختلفة. وكان السيد جمال الدين، المعروف شهرةً بالأفغاني، شخصية مركزية في هذا التحول⁽¹⁾.

لمت أكثر أعمال الأفغاني شهرةً في ثمانينيات القرن التاسع عشر عندما كان بالفعل في منتصف العمر، وكان معاصراً أصغر سناً لهربرت سبنسر وماركس إنغلز، وأكبر قليل من فريدريك تونيز. لكن ظروف حياته كانت مختلفة إلى حد بعيد عن حياتهم؛ لقد أمضى معظم سنوات شبابه متقللاً في أرجاء العالم الإسلامي، من كالكتوا إلى القاهرة وأقصى أوقافاً في أفكار مسيحية، يعيش معتمداً على ذكائه ودراساته المتبحرة، ونافواً ما استطاع الاستقرار في أي مكان أكثر من بضع سنوات. انخرط بعمق في الشؤون السياسية المحلية، لكونه مستشاراً في أوقات مختلفة للملوك في أفغانستان وإيران والدولة العثمانية، كما

(1) أؤكد غير المتطرين على عادات التسمية هذه السيد (فاجان) كترين بدل على أن عائلة الشخص نشأ من أسرة النبي. والأفغاني، بديل لاسم الشخصية، وهو يعني، غالباً أو الشراء من أفغانستان، وكان يتبعه جمال الدين نسبة إلى مركزه السياسي المهم بصفته مستشاراً للأمير الأفغانستان. وباعتبار من قبل بعض من شبعة لوران بوجي الضامن مع السيد أيضاً.

كانت متفحّشة أيضًا في الشؤون السياسية الإصلاحية في القطر عندئذ، وكان مصدر إلهام حركات اجتماعية مهمة في مصر وإيران. وقد طرقت، أو انحطت إلى التهرب من أربعة أقطار في أوقات مختلفة. ويظهر أنه كان شاعريًا ومعلمًا واثقًا كما أنه ساعد في تأسيس أول صحيفة قُرئت في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وكان له أتباع مخلصون، وربما كان مصدر إلهام في الفتحاح أحمد ملوك إيران. وكان البريطانيون يعيرونه عميلًا روسيًا، كما أن الروس لم يلقوا فيه بشيء سيئًا. وفي النهاية، مات في الحبس، وألقي في بئح النظام الذي كان المستفيد الرئيس من دعوته إلى الوحدة الإسلامية.

لم تكن هذه حياة ملائمة لفكر علمي حاد. لقد ألقى الأفغاني كتابًا واحدًا فقط هو في حقيقة ملعب القهرين وشرح للدهرية (*The Proof about the Necessity of the Two Principles*)، ومعظم أعماله المكتوبة يتألف من مقالات للمصحف والمجلات، والجزء الكبير من تأليفه جاء بالتأكيد نتيجة للتدريس وجهاً لوجه، وليس هذا بمستغرب، إذ كان لا يزال التدريس ثقافة شفهية إلى حد بعيد. وعلى الرغم من أن هناك بعض المسجلات لدروسه ومحاضراته، إلا أن هناك خللاً حول وجهات نظره بالقيبط. بسبب كل ما تقدّم، الواضح أن الأفغاني كان مفكراً أصيلاً، وكان له تأثير فكري قوي. وبدلاً من بناء أنظمة على طريقة سبنسر وإغلز، أوجد نقاط انطلاق للتبادل الثقافي، فقد فتح مشكلات وأنشأ نماذج للتفاني طورها مفكرون في ما بعد بطرائق شتى.

ينبغي لنا رؤية الأفغاني كمفكر من نوع جديد تاريخيًا - تماماً كما ينبغي لنا رؤية علماء الاجتماع في أوروبا - أُنشئت ظهوره وجعلت ممكنة الانعطافات في الثقافة والتعليم والأنظمة السياسية الناجمة عن الإمبريالية، إذ كان الأفغاني ممارساً في الفاضل، تلك التي للإمبريالية والأخرى التي للمستعمرين، وعمل عند تقاطع الاثنين. كان واحداً من أوائل المفكرين في أي مكان في العالم الذين حاولوا تعبئة موارد الثقافتين معاً لتوليد إجابة قوية، على المستويين العملي والفكري، على الإمبريالية.

كانت المشكلة حادة. بلغ الأفغاني التبع في المنطقة التي ضاعبت عن حق لوج القوة الأوروبية¹¹، وحاش في منطقة محطة جويًا من قوات عسكرية أوروبية، فيما وزحت بقية المناطق تحت طغوط سياسية وأخرقات الاقتصادية أوروبية. معظم الحكومات المسلمة المتبقية كانت دمي للقوى الإمبريالية، أو واقعة بالتكامل تحت إرهبها. رأى الأفغاني هذا مباشرة عندما زار الهند فور سحق الانتفاضة الكبيرة في عام 1857. رأى نظام القاجار الواقع في إيران يُجر إلى هذا الطريق أو ذلك بين الروس والبريطانيين، وقد حاول من دون جدوى التفاوض على سلام بين البريطانيين والحرارة الهندية في أوسدان.

بالنسبة إلى شخص تهمه كرامة الإسلام، أصبح الأفغاني خصمًا دائمًا للإمبراطورية البريطانية، القوة العظمى في العالم الإسلامي آنذاك. أعلى قرار ما هي عليه الآن الولايات المتحدة إلى حد بعيد، وكان جبل عمله السياسي يُعنى بمحاولات فشل بمعتقداتها على الأسد القصير، لتفوية أنظمة الحكم الإسلامية. وعلى طريقة مناهضة البريطانيين، ولكنه أيضًا تلمس أسباب الضعف الرهيب الذي أعزى المجتمع الإسلامي.

هناك عيوط عدة لتفكر الأفغاني حول هذه المشكلة. لقد شهد اجتماعات من الداخل استقرت قوة الإسلام، مثل الحكام الطغاة الذين دمروا الموارد الثقافية. وشاهد إثنوجينيا رجال الدين المسلمين، العلماء الذين استعاضوا عن الدين الحي بسكولانية قديمة. وشاهد انقسامات المسلمين - ومن بينها الانقسام الشيعي/السني - والتي فتحت الطريق أمام الاحتلال الأجنبي.

طور أيضًا تعبدًا للدين أكثر تعبدًا، ومن أجل هذا سأنقل إلى أكثر تصوره طولا، قرعة على الدهرية. وفي القاهرة، فإن الفرد ليس على الإمبريالية على الإطلاق، إنه دفاع عن الدين ضد اللادين المتمثل بالفلسفة الدهرية (المادية).

11 B. T. Bayart, *The Death of European Power* (1987), New Cambridge Modern (21 History, vol. 5, Cambridge: Cambridge University Press, 1988).

بكتير من المبالغة المطلقة، فدم الأعفاني الدهرية على أنها مؤامرة مضمومة على الدين، والأكثر إثارة للاهتمام التهمة المطلقة التي يوجهها إلى الدهريين، في الماضي والحاضر، بأن أفكارهم قد سببت الانتحار والفوضى والشغبية، وهذا يعني أنه ركز على الأفكار الاجتماعية للمذهب الباطل. والأكثر إثارة للاهتمام لا يزال دفاعه عن الدين، الذي أضاف به لأنه يصنع ألباساً شرفاً وتماثلاً اجتماعياً. ويطور الأعفاني هذه النقطة بالتفصيل، فالدين يعزز ثلاثة معتقدات رئيسة للإنسان هو المخلوق الأسرى، ومجتمعه هو الأصيل، وأن هناك حياة بعد الموت؛ كما يعزز ثلاثة صفات في الناس والأمم كالشعور بالحياة، الكفة والصدق. وخلال ترسيخ هذه المعتقدات والصفات الموصى بهم المجتمع، ومن حولها سوف يتفهم. ومن ثم، فإن الدين هو مدافع التقدم؛ بحيث إنه من المعروف أن الدين هو من دون شك مصدر رقاء الإنسان، ولهذا فإن أقيم على أسس راسخة وقواعد متينة، فسوف يصبح الدين بشكل طبيعي مصدر السعادة الكلية والعظمة الدائمة. وفروق كل شيء، سبباً للتقدم الماضي والأعفاني.¹²⁹

يمكن التنبؤات الأخرى أن تكون لها هذه الأفكار، لكن الدين الأفضل هو الإسلام. ومرة أخرى، أسباب الأعفاني متيرة للاهتمام. فهو يجادل بأن الإسلام أسس من التنبؤات الأخرى، لأنه الأكثر عقلانية. ليس فيه عقائد تعتمد على الإيمان الكلامي، أو السلطان الكهنوتي:

الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يستجيب الإنسان من دون برهان ويستجيب الحاجات الحقيقية، ويستأثر التسليم الأسمى، ويسعى إلى إخماد البرهان على الأشياء لأبداً؛ وفي كل ناحية يتسجم مع المنطق ويعبر السعادة الكلية نتيجة للحكمة ورواج الرؤية، وينسب الخراب إلى الكفاءة والعدم البصري. ويضع البراهين لكل معتقد أساسي بطريقة كهذه لتكون متينة لجميع الناس.¹³⁰

Raymond A. J. al-Din al-Agha, *An Islamic Response to Imperialism: Political and Social Aspects* (Berkeley: University of California Press, 1964), p. 109.

Ibid., p. 172.

بهذا الإعلان الرنان، لا يتغلب الأفغاني عن انتفاذه المجتمع المسلم المعاصر. وهو يواجه الافتراض الواضح هكذا:

إذا كان شخص: إذا كان الدين الإسلامي كما تقول، عندما المسلمون إذا في مثل هذه الحالة المحزنة؟ وسأجيب: عندما كانوا مسلمين يعني، كانوا ما كانوا، والعالم يتهدد على نفوسهم، أما بالنسبة إلى الحضارة، فهي جميع الناس بهذا العصر المتحضر فإن الله لا يفرح ما يفرح على يفرحاً ما يفرحها¹²¹.

يرتكز خطاب على التحليل الاجتماعي في الرد. الأول، هو سوسولوجيا التناسك الاجتماعي الذي يعتمد فيه الرغاء الاقتصادي والسياسي على الأسس الثقافية للعمل الإنساني، أسس ثقافية لديها الأفغاني في لغة من الأخلاق والدين. وقد كانت مقصدة تماماً حتى أن الأفغاني في كتابات أخرى أكد الخطر الإمبريالي الذي يهدد الإسلام، وأن الإسلام هو أساس المقاومة.

كتب الرد في عام 1881، عندما كان الأفغاني في الهند، وفقاً لرد إسلامي مبين على الاحتلال هو حركة عليكرة (عليقود) وهذا الاتجاه الذي ذاته سيد أحمد خان كان يركز شجاع التحديث والتعليم على النمط الغربي، والإصلاح العقلاني للإسلام، والتعايش السياسي مع البريطانيين¹²². ودعم أحمد خان بصراحة المسودة للحرارة، الذي رآه مبدأ إسلامياً على الرغم من إنكاره في الممارسة الإسلامية. وكانت حركة عليكرة يركز المنطق التحديث الذي تم الباعه في ما بعد في أجزاء كثيرة من العالم المستعمر. وبالنسبة إلى الأفغاني، فإنها تمثل نازلاً كارتياً للثورة الإمبريالية، وعلى وجه التحديد لقوىها للإسلام. كان الأفغاني يريد التحديث أيضاً، لكنه أراد التحديث من موقع قوة إسلامية، لا من موقع الضعف.

ثم التعبير عن هذا لاحقاً في حياته بالتزامن بحركة الجامعة الإسلامية، المستوحاة حول الخليفة في استنبول. وبدأ يرى العلماء كخلفاء محتملين

¹²¹ Ibid., p. 173.

¹²² القرآن الكريم، (أسور) الرغاء (1313)، 173.

¹²³ Hashim Malik, *Sir Sayyid Ahmad Khan and Modern Modernization in India and Pakistan* (New York: Columbia University Press, 1988).

لمحركة نظرية المجتمعات الإسلامية. وفي عام 1891، وفي الكفاح ضد نزول نظام القاجار الإيراني لامتياز التبغ إلى شركة بريطانية، وجد الأتقاني نفسه الشهير إلى زعيم العالم الحاج ميرزا حسن شيرازي للتصميم إلى المعارضة. وفي هذا النزاع، فإن المقاومة المؤقتة للمعتدين العلمانيين، والعلماء والمصاهير هزمت، الشاء والبريطانيين، وحلقت سابقة هيوية للشؤون السياسية المستقبلية.

ويعني الخط الرئيس الثاني للتفكير العقلانية. كان الأتقاني وارث لتقاليد عقلانية في الفلسفة الإسلامية والتي كانت قوية في إيران ذوي أقل شهرة لدى الغربيين من تقاليد الصوفية. وفي مقالته «متابع الفلسفة»، تابع الأتقاني عن وحدة المعرفة مستحضراً المفهوم اللاعنوني الإسلامي «التوحيد» الوحدة المطلقة لله. وبالنسبة إليه لم يكن هناك علم إسلامي منفصل، فالمفكرون المسلمون استفادوا في الماضي وبشكل واسع من المعارف اليونانية، والرومانية، والفارسية، وعلى الإسلام أن يكون مرتبطاً بقوة بالتقدم في العلوم العالمية في الحاضر.

لهذا فإنه دعا العلماء إلى الانسجام معها من خلال دراسة الكهوية والطاقة البخارية والنفوتوغراف (التحاثي أو مشغل الأسطوانات) وآلة التصوير (الكاميرا) والمجال الكامل للمعلوم الجديد، والاختراعات والابتكارات الحديثة¹⁷. وعمل الأتقاني على مواكبة التكنولوجيا واستخدامها بنفسه - على سبيل المثال ترويج الصحف بصفتها وسيلة جديدة لإنشاء مجال عام إسلامي. وفي قسم من حياته العملية، استخدم التقنيات السياسية الأكثر تقليدية، برصده مستشاراً شخصياً للملوك المسلمين، وفي قسم آخر لجأ إلى تقنيات مختلفة جديراً في السياسة البعيدة، بالعيش في أوروبا ونشر أفكار في أنحاء العالم الإسلامي من طريق الطباعة.

بالنسبة إلى الأتقاني لكما هو أيضاً ومن المظاهرات لأحمد خان في عليكره الإحياء الإسلامي في جزء كبير منه مشكلة تعليمية. والأكثر المقلقة

لشعرية والإمبريالية، والتي كانت متشابكة في عالمه، بسبب التعدي لها بالتعليم الجيد. وهذا يتطلب الابتعاد عن التكرار العفوي، التواجد في المدارس الدينية. إن المعرفة كما ناقش في الرد وفي نصوص أخرى، كانت المفتاح للثروة الاجتماعية والإنسانية. وإذا كان السؤال الكبير للفلسفة الآن ما هو سبب الخفاقة والعوز واليأس والفتور عند المسلمين، وفي ما إذا كان هناك أي علاج لهذه الظاهرة المهيمة، والمحنة الكبيرة لم 1933¹، عندها يكون لزاماً على أي مسلم ذي موارد فكرية أن يركز على هذه المشكلة وأن يدخل شيئاً حيالها.

يلتح الكاتب الإنكليزي لسيرة حياة الأنغلي إلى أن مصدر نفوذه كان عبثه داخل الإسلام على قواعد الفكر الطفولي، والتحديث². ولهذا لم يكن يُنظر إلى أجدته التحديثية للثقافة بوصفها شيئاً غريباً من نوعه. بعبارة أخرى، رفض الأنغلي التناقض الجدلي / التقليدي المألوف كثيراً في الفكر الاجتماعي العربي.

إن هذا يجعل أفكاره مهتمة مرة أخرى من منظور أوسع. كان لدى الأنغلي نتيجة تجربة طريقه، إحساس عام بعلاقات السلطة العالمية في عصره. ولم يتطرق باليسر الأيديولوجية للقوة الإمبريالية بصفتها انعكاساً للقيمة الثقافية، الفكرة العنصرية في مفهوم القرن التاسع عشر المتقدم (يُنظر الفصل الأول). لقد عدّ البريطانيون بصراحة تصاية من النصوص والطفولة.

لكنه رأى أيضاً أن قوتهم لها أكثر ثقافية وليس، ولهذا فإنها تتطلب نوعاً جديداً من الرد، وليس التقليد وحسب، الدفاع عن ثقافة المستعمرين وتطويرها. وفي الوقت نفسه اكتساب العلوم والتكنولوجيا والتجديد الاجتماعية من الإمبرياليين - وبالتالي تغيير ميزان السلطة العالمية من طريق إعادة التوليد الثقافي / السياسي داخل العالم المستعمر - كانت هذه هي الدرب الصعبة التي اعتقد الأنغلي أنها ضرورية.

End., p. 120

011

Nabil B. Khaddar, *Hayat Ahmad al-Din al-Aghlani: A Political Biography* (Berkeley: 011 University of California Press, 1973).

بلاغة الأنطاني غير مألوفة بالنسبة إلي، وبعض توجهاته كانت غير عملية كتلك التي لمعاصريه الأوروبيين. إلا أنني أقدّر التزامه وشجاعته الواضحة، وقيل كل شيء إبداعاً. وفي حياته وكتابه، يجد المرء رؤية للعالم واسعة ومستوى لغز البصيرة والقوة التحليلية وحرفاً عسلياً، وهذه نادرة في أي جيل.

التسميم بالغرب

في عام 1982، طُبعت مرّة في طهران النسخة العراقية من كتاب موجز للمعاصرة من الشخصيات الأهمية المعروفة. وقد حظرتها الحكومة، لكنّ نسخاً تسربت خارجاً إلى الإيرانيين في الشتات. وفي عام 1984، أخذ المؤلف جلال آل أحمد نسخة كاملة غير عراقية. استولت الحكومة على الكتاب في أثناء الطياعة وأُعلنت النشر، ولم يُنشر النص الكامل حتى عام 1978. وفي الوقت نفسه نُشرت طبعات من النص العراقي خارج إيران. وأصبح الكتاب رمزاً للمعارضة الفكرية الإيرانية. وعندما أصبح متاحاً بحرية في إيران غشيت النوراء حصار أكثر الكتب مبيعاً.

كان الكتاب بعنوان غريب زائد، وفي كلمة مختلفة جاهد المترجمون لإعطائها معنى بالإنكليزية. «التسميم بالغرب» (Rinodization) والمربوون بالغرب، كانتا من بين أفضل ما يُدعى من جهد وعبارة الغربية (Rinodization) والغريب (Occident) من بين الأسوأ والمترجمان جون طرين (John Green) وأحمد علي زاده، اللذان فضلوا «الصدمة الغربية» (Rinodization) لاحظا أن الجذور الفارسية لها دلالات على العدوى وعلى ضربة وقعت. قال أحمد بالتأكيد يبدأ نفسه بالاستعارة من مرضي «القول إن التسميم بالغرب مثل الكوليرا». لكن هناك أيضاً دلالة على الاختناق، وأنا سأستخدم غريب زائد في للكتاب، والتسميم بالغرب» (Rinodization) للتلهم.

غريب زائد في كتاب يصعب على غريب أن يقرّره. وهو مكتوب بأسلوب شعبي للقرء الإيرانيين على وجه التحديد. وهناك تعليقات، وتكاثرت [يُلقح أو طرافة، وسخرية، كان لها أن تزيد من شعبية الكتاب مبيعاً، لكنها لم تساعد على الانتشار.

وتتبع النص مصعب أيضًا لأحمد، ولكن نطقه مشوش. قال أحمد¹⁰⁰ يحاور الفراء ويستأذن نفسه ويقاطع نفسه، ويذكر في موضوع جديد، ثم ينقله بعد ذلك، ثم يكرر نفسه، وهو متصلب برأيه، يرخه سهامه في جميع الاتجاهات بتعليقات لأفاج من المدارس والجيوش والعلماء والمفكرين، لكنه لا يذهب بعيدًا في أي مناقشة، ويحصره من النساء المستعربات تصل إلى حد كراهية النساء. إنه كاتب نشط جداً البصر وهو روح فعيلة ملحوظة، لكنه ليس بأي معنى كاتباً منهجياً. في مقالة أخرى يدي أن أحمد¹⁰¹ الانتقاد نفسه لجيله هو من المؤلفين الإيرانيين: نحن في عجلة من أمرنا إننا نكتب أكثر من اللازم ونأخذ ما نكون نلقين¹⁰²، ويشير النقاد الإيرانيون المعاصرون إلى أعطاه في الحقائق وفي التعبير في غريب زدهي، وحتى أن الغريب يمكنه رؤية بعضها.

مع ذلك، وعلى الرغم من طوفان كلماته يتضمن غريب زدهي حجة قوية في المنظور الدولي. كان إحدى المحاولات الأولى لشرح البعد الثقافي للترجمة الاستعمارية الجديدة، وأطلق أفكارًا كان لها أن تصبح لاحقًا مألوفة جدًا. كما كان مرموزًا في اقتراح استراتيجية يمكن تنفيذها لمقاومة الهيمنة الثقافية. وغريب زدهي معروف به كحلقة مفصلة في تاريخ المعارف الإيرانية، وأنا أعتقد أنه يجب أن يكون معروفًا به على نطاق أوسع.

جرى كسر قبضة الملكية القاجار بالثورة الدستورية بين عامي 1905 و1911، التي وضعت نظامًا برلمانيًا مهزوزًا، وقد قلب نظام الحكم هذا من قوى داخلية وخارجية، وبخصوصًا البريطانية، التي أصبحت معتمدة على النفط الإيراني خلال الحرب العالمية الأولى، وانتهت فترة من الاضطرابات باستيلاء الجيش على الحكم، وبخطأ من دعم بريطاني استلم الجنرال دوما حان السلطة، وانقلب نفسه في عام 1925 شافا. اتبع دوما نهج استراتيجية تحديثية مستندة إلى تلك التي لنظام كمال (آكثورك) في تركيا، مشككًا دولة علمانية ومبتدئة

Abol Riza Ahmad, *Shahroozgar* (Westminster), John Green B. Ahmad Abolriza Press, 1381 (Evanston, N.Y. State, 1962).

Abol Riza Ahmad, *Iranian Society: An Analysis of Change*, Michael C. Hillmann (ed.) 1371 (Evanston N.Y. State, 1962), p. 90.

التصنيع. ولكنه اقرب من الائمان أكثر مما ينبغي. وخلال الحرب العالمية الثانية خلعت البريطانيون والروس، سالحين أنفسهم السيطرة الكاملة على النفط وعلى طريق إمداد للاتحاد السوفياتي¹¹².

وبعد الحرب، كان هناك اندفاع ديمقراطي فاد إلى انتخابات حكومية مصدق الإصلاحية التي حاولت التياح الحياة والتنمية، وفي آخر الأمر أصبحت صناعة النفط. وقد أدى هذا إلى دقة فعل عنيفة من القوى الغربية التي رعت انقلابا للجنح اليميني ضد مصدق في عام 1953، وحلت الولايات المتحدة على الفور محل البريطانيين متحكممة بالنفط والسياسة الإيرانية. وبحلول عام 1955، كانت الحكومة الدستورية فردية بأيدي محمد رضا شاه. وأصبح هذا النظام واحداً من أكثر الدكتاتوريات المؤيدة لأمريكا قسوة في أثناء الحرب الباردة. على الرغم من أنه لم يكن مساوياً لنظام سوحارتو في إندونيسيا الذي شق بصعوبة طريقه إلى السلطة في عام 1965 عبر مائة نصف مليون إنسان.

جند محمد رضا شاه سياسة والده في التحديث العلماني من الأعلى، مستخدماً عائلات النفط ومساعدات الولايات المتحدة لتحويل بناء الحياة، والتوسيع الاقتصادي والتعليمي، وأعداد تنمية مذهلة على السبورة الكبيرة. ولكن تحقن القليل من الصناعة المستقلة، وبدلاً من ذلك لترضعت التوافقات كثيرة ومستويات الاستهلاك ونمط الحياة الغربية للأقباد - والمتحكم عليها بالخط في حكاية الحياة العائلية للطبقة العليا لأميرشاهي¹¹³ - لم تتسرب نزولاً إلى الطبقة العامة. وهكذا كان هناك تفاوت اجتماعي متنام تداقم بالتدخل الجماعي للمعدل الرقيقين العاطلين من العمل إلى المعتد. وتم إخماد الضغط الشعبي بالقوة، وشجعت شخصيات المعارضة، أو جرى قمعها أو قتلها. وأُنشئت في عام 1963 منظمة الشرطة السرية السيف السبع، السافاك، التابعة للشاه، وعربها الأمريكيون والإسرائيليون.

112) R. Kahlia, *Road to Revolution: An Interpretive History of Modern Iran Since 1321* (Tehran: Yale University Press, 1983).

113) Mohdali Ashtiani, *Bar & Fire: Tales of a Persian Stranger*, J. E. Kinnear (trans.) (1331) (Austin, TX: Center for Middle-Eastern Studies, University of Texas, 1995).

كان هذا هو الوضع الذي تناوله طرب زدغلي، الذي كتب في عام 1861، كغضبة للخطر سبقت اللجنة تحقيق رسمية حول أهداف التعليم. لقد تطلمت كيفية أفكار نافذة كهذه شجاعة كبيرة، تابعك بعرضها على حكومة الشاء.

تحتل آل أحمد الذي ولد في الوقت نفسه تقريباً الذي استولى فيه روسيا على السلطان من أسرة دينيا، فقد كان والده وأخوه الأكبر من جسد العشاء ولهذا كان لديه إلمام بأفكار الشيعة وممارستها، ومع ذلك تحول إلى السياسة العلمانية الراديكالية. وكشاد في أربعينات القرن العشرين، تدرب ليصبح مدرّساً ومن ثم عضواً نشطاً في حزب توده اليساري. وبعد أن ترك توده في واحد من تشققاته، أصبح أحمد مؤيدي مصدق. وبعد انقلاب عام 1953، ترك الشؤون السياسية الحزبية وركز على العمل الأدبي، وكان بالفعل قد أصبح كاتباً فزير الإنتاج، واستمر بقية حياته ينضى بالقصص القصيرة والروايات والمطالات، والتعليقات على الثقافة والدين والمجتمع¹¹⁷.

يفتح طرب زدغلي بمشهد مسرحي عزلي عن القسام الشرق - الغرب كترام بين أحياء العالم وفراء العالم، وينظم عبر حصول عدة عن التاريخ الإسلامي، ويشكل رئيس الروائي، والتنافس بين الشرق والغرب قصة فديمة جداً كما يناقش آل أحمد، ولكنها ظهرت مبعثها في الثلاثينات سنة الأربعينات متحولة إلى حلاقة مبطرة: أصبحت روح المناقشة منسية الآن، لقد حل محلها شعور بالعجز واليأس¹¹⁸.

ويعلق آل أحمد بأنه في ظل سلالة الصفويين، الذين جعلوا الإسلام الشيعي دين الدولة، بدأ الإيرانيون بالسعي إلى نيل موافقة الرحالة والديبلوماسيين الغربيين. ويشرح هذا موضوعاً رئيساً في طرب زدغلي، نظام التوجه نحو الغرب. وتقريباً قبل عشرين سنة من كتاب إدوارد سعيد عن الموضوع، رأى آل أحمد الباحثين

Ali-A. Mohamm, *Iranian Society*

[117]

Ali-A. Mohamm, *Cultural Study*, p. 34

[118]

الغربيين في المجتمعات الإسلامية فعلاً، وإسعين لشقاع السيطر، ومتأثرين مع الشركات والحكومات. لقد جمع المستشرقون معلومات استخباراتية، لكنهم أيضاً انتجوا آثاراً ثقافية مع تفسيراتهم للثقافة الإيرانية تتجاوز التفسيرات السكان الأصليين: حتى أن الرجل المسلم بالغرب يصفه ويفهم، ويوضح نفسه بلغة المستشرقين... لقد وُجِّع نفسه ككثير، فُتخِل، نحت مجهر المستشرق، وهو يعتمد على ما يراه المستشرق لا على ما يكونه ويشعر به ويجريه¹⁴¹. وهذا النقد مختلف عن نقد سعيد، ولكن بطريقة مختلفة أكثر: الهيمنة الفكرية الغربية تحافظ على زيف الموضوع في الثقافة الاستعمارية الجديد.

النفس الخفية في الحداثة الإيرانية فكرة أخرى من الأفكار المحورية في غرب زدكي، والاقتباس أعلاه من الفصل السابع الرئيس الذي يقدم فيه أن أحمد صورة قرية «الرجل المسلم بالغرب»، والمقصود هو الرجل حرقاً، فالنساء هن حيز صغير في المناقشة، وعند هذه النقطة فإن تعليق أن أحمد للتسمم بالغرب يصبح صورة أصيلة مغررة وعظيمة المذكورة، مشكلة في الأحوال الاستعمار الجديد: حصار شرب أسد.

هذه الصورة تهكمية، لكن التهكم غير الثقيل. الرجال الجدد، كما يشير أن أحمد، لهم غيرة من التعليم الغربي من دون أن يكون لديهم حمق، وفي الوقت نفسه، فقدوا تجرد في ثقافة محلية، وعصوفية في الدين، والنتيجة ليست موفقة متعاطية للدين، ولكن تغريب بسيط، وعدم المبالاة تدرك المظهر الكلي للثقافة المسلمة بالغرب:

الممارسة المعتادة في هذا البلد هي اعتماد السلطة على أولئك الذين لا جوار لهم ومن دون شخصية، إن لم يكن على العساة والفاشين (..). وإن كان علينا القيام بعمل جيد بالواجب الغربي، فربما لنفهم ما أن يفرد الأعداء، وأن يكون مثل الكليات وغير أصيل ومن دون مبدأ ومن دون جوار، وليس من التربة هذه الأرض¹⁴².

141. Ibid., p. 111.

[141]

142. Ibid., p. 116.

[142]

بحاج الوضع إلى رجال لديهم الثقافة والانصياع والمرونة الذين يتبعون الموضة، والذين لا عاطفة لديهم، ولا التزام لهم الآخرين، ولا عمق في المعرفة، وما لديهم هو الخوف والرغبة في البضائع المادية الغربية ونسب حياة استهلاكي، والموقف الذي دعاه الناقد الأدبي الأسراني فليس في الوقت نفسه تقريباً التعلق الثقافي ببحر أوروبا. وكما وضعها آل أحمد، الرجل المستنم بالغرب يتابع الأخبار الغربية، ويقرأ الأدب الغربي، وحتى أنه يتعلم عن الفلسفة الشرقية من الكتب الغربية.

يساور آل أحمد غضب خاص من المفكرين الإيرانيين العلمانيين المعتدلين. وفي مواقع متعددة من الكتاب، يتقدمهم بسوء كوكلاء للتسمم بالغرب، إلى حد بعيد كما اتقد الأنطاني حركة التطريين. ولا يفكر آل أحمد بشكل أفضل بقطعان المستشارين الأجانب الذين أتوا إلى إيران إبان نظام الشاه لترويج لتحديث الاقتصاد والمؤسسات، وبخصوصاً العاملين في وكالات الأمم المتحدة (تقائه لهذه المجموعة، والذي لا بد من أنه بدأ تفكيراً شاملاً) في عام 1962، عمود مقدداً الاكتظافات في جميع أنحاء العالم لهندوقي النقد الدولي والبنك الدولي في تسعينيات القرن العشرين).

هذا الوضع الثقافي والسيكولوجي هو بالتأكيد نتيجة لسيطرة الغرب السياسية الممارسة على إيران بسبب موارد النفط. مع ذلك، فإن هناك شيئاً آخر أكثر عمقاً يجري. المجتمع التسمم بالغرب يهيمن عليه الآلة، وهو يهيمن عليه بالمعنى التقني. إنه مجتمع يعتمد على الآلة - من الشجر والسيارات وأجهزة التلفاز، ومضاهي البروبلة إلى الأسلحة - لكنه لا يعرف كيف يصنعها، أو يتجها أو حتى يقوم بصيانتها.

والآلة بالنسبة إلى آل أحمد هي كل من الواقع والرمز. من جهة الواقع، هي تكشف اعتماد الاقتصاد الإيراني الجديد على الواردات وتضعف التعليم التقني والمخيل في أنظمة الإنتاج القديمة. وفي صورة حياة، يصف سفره عبر القرى والبساتين، ورويته لسمات طوائف الهواة الساكنة المهجورين وهذه لم تكن ملاحظة عارضة. وآل أحمد المعروف ككاتب قصص قصيرة اجتماعية

والقيمة المفسر وفقًا منتقلاً في المناطق الريفية لأحد ملاحظات إثنوغرافية عن حياة القرية، وأنهم مفكرين حطرين آخرين بالشئ نفسه¹²¹، ومن جهة الرمز، فإن الآلة تمثل التغيير الخارج عن السيطرة للمجتمع الإبراني، ودرجة الإبرانيين في الأشياء بعينها التي تشوش مجتمعهم.

وبعبارة أخرى، تلك الرقعة، هو ما يميز آل أحمد عن كثير من المعلقين، أنذاك والآلة، حول الهيمنة الثقافية العالمية. والرغبة في الدخول إلى الثقافة الهيمنة حالياً، وإستلاك منتجاتها الحرفية، وإتباع عاداتها، وإكتساب الاحترام من مبعوثها، هي في المجتمع الإبراني قوية ومتطورة معاً. ويستخدم آل أحمد القياس على الجزز [الجبيل] أو القاسم [الصيدا] - الآلات هي تعالماً نحن الشعب المستعم بالغرب¹²² - التي يابستها مالكتها لأثيرها السحري من دون أن يفهم كيف تشتغل، ولم يأخذ آل أحمد قط من أفكار التعليل الطبيعي، لكن بتعليله الرغبة وتقدس الممتلكات فإنه قريب ليسر الفرويدي في الموريل.

يحتوي طوب زغلي أيضاً على المزيد من التعليقات التقليدية عن التغيير الاجتماعي، «مجتمع في فوضى»: إنه مزيج من الاقتصاد الرعوي واقتصاد القرية مع سلوكيات حضرية تشكلت حديثاً تحكمها مصالح اقتصادية أجنبية مثل الترامست¹²³ أو الكارامل¹²⁴. إننا متعجب حي المؤسسات الاجتماعية القديمة والحديثة، إننا نملك هذا كله في وقت واحد¹²⁵. ويصف آل أحمد التغيير في حياة الرحالة الرتل، ومزارعي القرية والمهاجرين من الرقب إلى الحوافر، وعلم جزاً. وعند إحدى النقاط، يلاحظ أيضاً التغيير في حياة النساء، وفي قطعة مناقشة جدلاً يبدو أنه يهاجم لحرر المرأة بما هو جزء من التسم

Ali Moudani, *Intellectual Discovery and the Politics of Modernization: Negotiating Modernity in Iran* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), p. 180.

Ali Moudani, *Chalchablogi*, p. 95.

[121]

[122] الترامست: الاتحاد الاشتراكي، (المترجم)

[123] الكارامل: عادات المتبعين الاشتراكية، (المترجم)

Ali Moudani, *Chalchablogi*, p. 124.

[124]

بالغرب، متبقياً «محرراً» مضطرباً في المدن، ولكنه يميل إلى أن النساء في القرى حيلن منذ أمد طويل «العبيد الرئيس للمعيشة». وهذا تعقيد، لكنه ليس عذراً كآلة الله الخبيث الذي وصل إلى المشهد السياسي الوطني في السنة التي نُشر فيها *حروب وداكنة*، ولما الهجوم شرس وتاجع على حق المرأة في التصويت.

بالنظر إلى تراكم التشوهات الثقافية والمشكلات الاجتماعية الممتدة في التسميم بالغرب، لما الذي يمكن فعله لمواجهة هذا كله؟ آل أحمد متفائل بشكل معقول: الطريقة للتعامل مع حضارة آلة ليست في رفض الآلات، وإن أحمد خائف بشكل سيئ من المعلقين الذين يرون متعصبة تلامية¹²³ معارفاً للتكنولوجيا¹²⁴. العرض هو السيطرة عليها: الآلات هي لوحة قفاز طليعة لنا، واحدة يجب أن نستخدمها لحصل على أطول فترة ممكنة، يجب أن نعتد الآلات، ولكن يجب ألا نصبح عبيداً لها¹²⁵.

وحده المجتمع الذي يصنع الآلات بدلاً من استيرادها فقط، يستطيع التحكم بها واستخدامها في زراعة أكثر ملاءمة التي من شأنها خفض الاستيراد ودعم السكان، ومع ذلك فإن الحصول على اقتصاد منتج آلي يتطلب قوى عاملة غير موجودة بعد في إيران. ولهذا يتطلع آل أحمد عن تغييرات عميقة في التعليم، والتخلص من المتاعب التي ليس لها صلة بالواقع، والتوسع إلى حد كبير في التعليم التقني. كانت هناك حاجة إلى متخصصين - إحدى ميزات التسميم بالغرب الانتشار إلى متخصصين حقيقيين - ولكن متخصصين على الحلي، كما أن ثورة ثقافة ونفسية كانت مطلوبة أيضاً.

[123] نسبة إلى الطيف أي القيم، والمقصود هو تفصيل السكان المسلمين على الطائرين (المجاهدين) (المرجع).

[124] على سبيل المثال: Michael Barnard, *Iranian Intellectuals and the West: The Intellectuals' Dilemma*, NY: Syracuse University Press, 1996.

ولقد طبع يُعَرَّف: Pauline Peters, *Cultural Revolution and Revolutionary Process in Iran: A Study of the Cultural Revolution in Iran*, vol. 15, no. 1, 1995.

Ali Shariati, *Communism*, p. 98.

بالنسبة إلى آل أحمد في ستينيات القرن العشرين، يمكن أن يأتي هذا التغيير الثقافي والنفسي من التمسك وحسب. وبذا الإسلام في مسحة للتاريخ في بداية الكتاب، على أنه المجموع الكلي الاجتماعي الوحيد الذي قاوم بفعالية الاستعمار والمسيحية. وفكراً بالمقاومة الإيرانية في الماضي، فإن آل أحمد رأى هوادة لينة مخبأة في قلوب الناس، كيلزة لأي انتفاضة ضد حكومة القاكين والفاستين¹²⁰¹. لكن العلماء ومع استثناءات قليلة ملحوظة، فشلوا في التعرف إليها.

بصور غروب زرقاني، رجال الدين الإيرانيين كعبيات سلبيين، ينظرون إلى الورد مشغولين بتوافه الطفوس الثنية، عاكسين في شرقية «أعابير متصعرة صالحة للتحطب وحسب»¹²⁰². وفي مؤلف آخر، مثل قصة القصيدة المشهورة «البيطار»¹²⁰³ عن موسيقى فايز لحظمت الله الجديدة من منعصب مغرور، نقد آل أحمد¹²⁰⁴ الدين الشكلي، وهذا فإنه بنقد العلماء مبالغة.

هذا يشبه كثيراً انتقادات الألفاني قبل ثمانين عامًا. الكلمات القاسية أثبت ليس لأن آل أحمد متعصب للدين، ولكن لأنه، كالألفاني، يعتقد أن في حضور العلماء التصرف بشكل مختلف، إنهم يمكنون سلطة حائلة بين أيديهم، لأن جواهر السكان يحتفظون بإيمانهم الديني، والعلماء هم القوة الوحيدة المهمة في إيران التي قاومت التسمم بالغرب، ولهذا فإنهم الآن المفتاح لتجديد الثقافي والسياسي.

لم يسلر آل أحمد في هذه المناقشة في غروب زرقاني أبعد من ذلك، لكنها أصبحت موضوع كتابه التالي عن المثقفين والسياسة، وهذا الكتاب الذي لم يُترجم بعد، ولهذا اعتمدت على روايات ثانوية عنه مثل لهدات¹²⁰⁵ بوسع

1201 Ibid., p. 54.

1202 Ibid., p. 80.

1203 التيتار: آلة غروب وزرقاني في شمال الهند لها مثل طويل وأوراق مطبوعة (الغروب).

1204 A. A. Minad, *Iranian Society*, pp. 70-62.

1205 Farid Nikdel, *God and Anger: Iran's Intellectual Encounter with Modernity* (1981) (Tehran: Sharada University Press, 2002).

لتقاء المثقفين المستعربين- وهو يوسع فكرة أن لواء القرن التاسع عشر والقرن العشرين قد خلقا هوة بين المثقفين العلمانيين والمثقفين عن القانون الإسلامي والتي يجب تبسيطها الآن- عندما تعمل المجموعتان معا، اعتقد يمكن الإصلاح الحقيقي بدعم شعبي أن يحدث في التاريخ الإيراني- وهكذا أبرز آل أحمد نوع التحالف الذي نجده فعلاً بعد عقد من الزمن في المقدمات لشكوة، لكنه لم يعش لرواها فقد مات في منتصف أربعينيات عمره، في عام 1949.

قراءة غرب زدكي ككتاب ذي أهمية مستمرة بالنسبة إلى جمهور هولوي- هي قرأته بطريقة معاكسة للروح ما فيه، من الواضح أن آل أحمد كتب لرواها هو والجمهور محلي، يمكن أن يملأ الفراغات لنفسه، والكتاب يكافله، في معنى من المعاني، مشهد مسرحي هولوي- مشهد رائع على وجه التحديد.

هذه المناقشة مختصرة على مسألة الفعل، وهذا ليس بمستغرب على الكتابة المثقلة تحت الرقابة، ولكن هذا يترك بالتأكيد خطوات غامضة في حياة آل أحمد: اقتراباً الأساس الفيني لمقاومة التسمم بالغرب، وهذه هي بالعبارة المشكلة التي تناولها علي شريعتي الذي برز إلى الصدارة مع طياب آل أحمد عن المشهد.

علي غطبي الشهيد

علي شريعتي الأصغر سناً يعتبر سنواته تميز بصفات عدة لم يمتلكها آل أحمد: كان مفكراً متجهياً، وعالمياً جنسافياً واحيائياً ومبتكراً دينياً وواعظاً، كان شريعتي خطيباً بليغاً، وشاعرًا، وفي بعض الأحيان فكاهياً، واستخدمه المفكرين الشيعي أعضاء حركة البكر [الإفلات] من الرقابة إلى حد معين، مع أنه اعتقل مرات عدة من شرطة الشاب وأحياناً توفي في السجن، ورواه كثيرون شهيداً. وقد تحولت صورته إلى جانب صورة آية الله الخميني في المظاهرات المعاشدة التي أدت إلى إطاحة الشاه في عام 1979، وقيل إن أفكاره كانت أوسع انتشاراً وكانت أكثر تأثيراً من أفكار الطغياني نفسه.

بتشارك شريعتي مع آل أحمد، وفي هذا الشأن مع الأفغاني، في المطالبة
 الشريعة للإسريالية، وفي نقد الثقافة والاقتصادات الغربية، وفي الإيمان
 بالتعدد، والقناعة بأن جذور التجديد موجودة فعلاً في الإسلام. ولكن كان
 هناك اختلاف عميق في النمط الفكري إحصافاً إلى المدرسة السياسية. وأنا
 أستطيع قراءة آل أحمد - مناقشة مع أسلوبه الخاص، وجمهوره ومبادئه -
 كناقدة أدبية من نوع مألوف، ولا أستطيع قراءة شريعتي بهذه الطريقة، فتصوره
 تتطلب من أجنبي جهلاً أكبر بكثير ليتركها، ولا أزال غير مناقشة من فهمها
 ولهذا اعتدت بشكل أكبر على الأكاديميين الداخلين بالقرصنة لا اختيار
 تفسيراتي ووضع هذه الكلمة في سياقها¹³¹.

تتطلب قراءة شريعتي جهلاً عالياً لتفويض النصوص. وهذه النصوص
 تتألف بشكل رئيس من النسخ المخططة المتعاصرة، بعضها راجعه المؤلف
 وبعضها لم يُراجع، بعضها نُزِع سراً على أوراق مسبوحة، وبعضها نشر
 رسمياً، وجزء صغير جرت ترجمته إلى الإنكليزية، بعضه من المصححين
 له، والبعض الآخر لم يكن كذلك، وتوحيه الترجمات متفاوت بشكل واسع.
 وأحد النصوص الرئيسية التي تمت ترجمتها، وهي تلك المتعلقة بـ «يبدو أنها
 قد تم التلاعب بها من شرطة القذافي السرية الملقب فتية في صفوف اليسار»
 وليس من الواضح مدى تمثيلها لوجهات نظر شريعتي إطلاقاً¹³². ومن
 المؤكد أن أفكار شريعتي طورت خلال عقود من نشاطه الفكري والسياسي.
 وسأركز على الحقبة الممتدة بين عامي 1988 و1972، عندما طور أكثر
 وجهات نظره تميزاً.

131) لقد اعتدت بشكل خاص على الصلح الرابع لأورامانيان وزياد وبيهاد ووالعيا وحمادي
 فرهاد-Mohammad, *Radical Islam: The Iranian Mujahadeh* (New Haven: Yale University Press, 1997), *Arad Bazar, Afghanistan and More: A Collection of an Afghanistan Collection of Manuscripts*, *http://Journal*
of Comparative Politics, no. 18 (1998), *Schools Behind*, *in Disputed Utopia: Muslim Communities in*
Revolutionary States: Comparative Studies in Society and History, vol. 34, no. 4 (1992), *Al-Bahar*,
in Islamic Utopias: A Political Biography of Ali Shari'ati (London: I. B. Tauris, 1998), *Behind*
Chambers-Labour, Communism Public Religion: Two Conceptions of Islam in Revolutionary States
International Sociology, vol. 19, no. 4 (2004).

Payan, *Afghanistan and More*.

لقد تمت رواية القصة الشخصية لعللي شريعتي مراراً وبغالباً ما حولت إلى أسطورة ولكن مع سيرة الحياة التي كتبها رافعتا مؤرخاً¹³⁴، أصبحت التفاصيل واضحة. لقد نشأ في مدينة مشهد الإسلامية في شمال شرق إيران، وهو ابن عالم تلمذ أسس مركزاً للفكر الإسلامي التقليدي، وبالفعل كانت لدى علي المقلية الراسخة في ثقافة الشيعة من دون أن يكون قد تلقى علومه رسمياً في مدارس مدينة. وبصفته شهاد الخطوط في المحطات الاشتراكية الإسلامية التي أبدت مصداق، لكنه بقي بعيداً من حزب توده الشيوعي. وفي أحد الأوقات، تميز الشريعتات، الأب والأبن، بأنهما احتكلا معاً خلال حملة تمهيط القوات الأمن وغلوب علي معقلته، وفي أثناء عمله في المدارس المحلية، التحق بالجامعة، خلال توسع التعليم العالي العلماني الذي كان جزءاً رئيساً في برنامج النظام للثقلية. وبعد التخرج فاز بمنحة دراسية للحصول على شهادة عليا في الخارج، وهكذا ذهب إلى باريس.

وإلى جانب حصوله على تعليم علماني عالي، وعبره عملية في الشؤون السياسية المعارضة، عاش علي شريعتي أيضاً تعليمه المبني في الطريقة الصوفية المتبعة. وخلال سني حياته، فإن فترات الانغماس السياسي تلاوت مع فترات تجرته الدينية الباطنية، وخلال هذه الأوقات انسحب من السياسة، ومن معظم الحياة الاجتماعية على وجه التأكيد. كما أنه عاش أيضاً تويات من الانكباب، لم يكن من السهل عليه التعاطش معها، لكنه عندما عاد إلى السياسة عاد بمعتقدات مبنية متجذرة في خبرة شخصية بالروحانيات، ولهذا لم يكن من السهل أن يهتز.

وإلى أثناء وجوده في باريس مدة خمسة أعوام، بين عامي 1959 و1964، اتصل شريعتي باليسار الفكري الفرنسي، ولاسيما بجامعة غوريفيل (Goriville) للماركسية، ووجوهية سارتر، وبالحركة الأفريقية المناهضة للاستعمار، وبخصوصاً فانو. لم تزوج وتكون أسرته وأصبح منغمساً في الشؤون السياسية لطلاب (الوافدين) من الخارج، ويعودته إلى إيران، احتل عند الحدود، ولم يسمح له بالعمل محاضراً وأخيراً أُلحقت له فرصة العمل في جامعة مشهد.

وبدا تدريس التاريخ الإسلامي والسوسيولوجيا ارتفعت محاضراته شعبية، ولحدث في حرم الجامعات في مختلف أنحاء البلاد. وبحلول عام 1971 أُرِجِعَ النظام كثيرًا حتى وصلت الساعات على إلقاءه من عمله الجامعي، لكنه كان قد بدأ من قبل يحاضر في مركز إسلامي إسلامي في طهران، حسية إرشاد التي لا تتحكم فيها الحكومة مباشرة وأصبح في عامي 1971 و1972 المحاضر الرئيس. واكتسبت إعادة تفسيره للإسلام شعبية خاصة بين المثقفين الشباب في العاصمة، فاحتشدوا بأعداد كبيرة لحضور محاضراته. وجرى تداول الأشرطة والنسخ المخطئة في الخفاء، تبعًا لطرقته، في حين ارتفعت التظاهرات عنيفة من العلماء المتشددين ضد تسييس شريعتي للمدين.

في هذا الوقت، اندلعت مقاومة مسلحة شاركت فيها مجموعات فدائية ماركسية وإسلامية، وعلم النظام في النهاية إلى أن حسية إرشاد كانت مركزًا لتجديد التعصبات المسلحة عائلته، فتولى شريعتي عن الأنظار وبعد بضعة أشهر سلم نفسه في محاولة لانتقال والده الطامن في السجن، بعد ما تخله النظام وحيته، فسجن علي شريعتي من دون محاكمة مدة ستة عشر شهرًا، واستجوبته سلطات الأمن مرارًا وقد لا يكون قد تعرّض للتعذيب، لكنه كان محبوسًا في سجن سنّ السبعة حيث كان هناك الكثيرون. وعند الإفراج عنه كان مريضًا، مكتئبًا ومضطربًا من العمل. وفي عام 1977، هرب من البلاد، لكن لمسًا من عائلته ووقع في الفخ. وفي الشهر الثاني لهروبه من إيران مات شريعتي إثر نوبة قلبية. وتطاولت الشائعات أن الساعات قلته، وربما كان لثأر المواقف من السجن والخوف والتدخين والإجهاد الحاد السبب في وفاته. وبصورة غير مباشرة، ربما يكون الساعات قد قلته.

سوف أبدأ النظر في سوسيولوجيا شريعتي وليس في يلائه المتابعيه، ولكن في نص يعطي معنى لسبب بقاء نظامه فكريًا¹⁴⁴. أحد الأحداث في التكوين الشعبي الذكري السيرة لاستشهاد الإمام الحسين، حفيد النبي، الذي

Ali Shariati, «Shahada» in: Mahmud Talebi, Mehdi Shahrabi & Ali Shariati, *Shah* (1971) and Shariati: *Struggle and Martyrdom in Islamic History: Studies for Research and Islamic Studies*, 1982).

فُتِلَ في كربلاء، أي العراق اليوم، على يد قوات الخليفة آنذاك. وفي هذه الذكرى السنوية، ألقى شريعتي محاضرة في مركز حسينية إرشاد عن موضوع «الشهادة» وقبل الغداء مدة ليست بطويلة، كان بعض أعضاء المقامات بمن فيهم اثنان من للاميذة شريعتي، قد اعتكفوا وحكمت السلطات عليهم بالإعدام.

نص شريعتي عرضي طويل لمعنى الشهادة مع التركيز على قصة الحسين الإمام الثالث شخصية رمزية مركزية عند الشيعة، وهذه الذكرى السنوية هي مناسبة عظيمة للحداد الشعائري، ويعطي شريعتي للقصص المألوفة قوامة راعيةكافية وهو يصور السنوات الستين الأولى من التاريخ الإسلامي كقصص ثورة اجتماعية، أطلقها النبي نفسه على مبادئ العدالة الاجتماعية الإلهية كما هو موضح في العبارة المختصرة في مطلع هذا الفصل.

وسرعان ما أصبحت هذه الثورة بالتدريج، مع تحول المسلمين إلى قوة عالمية واستيلاء الأمويين على السلطة وإنشائهم نظامًا مذكرًا. وفي الجيل الثاني بعد وفاة النبي، كان الحسين الممثل الوحيد الحقيقي للحركة الإسلامية الأصلية، لكن لم تكن لديه السلطة ولم يحظ بالأعراف، وقد أعلن صراحة معارضة النظام الحاكم وواجه الموت، ليس في تسليم مستكين لإرادة الله، ولكن كإيماءة نشطة. والرسالة التي بعث بها إلى العالم حفزت بالتأكيد تقليدًا من المقاومة يصبغ علامة الإغفاءة على الحكومات كلها، ويعامل شريعتي بأن النضال ضد الظلم والظلم - ولو حتى الموت - ولو ضد قوة ساحقة - متأصل في الإسلام.

حتى في الترجمة، هذا نص مؤثر جدًا وليس من الصعب فهم تأثيره في الأصل. فلو أننا عن القرن الرسمي الأسطوري المتحجر الذي نعت به الأنغليكي وأك أحمق في زمانهم، يستحضر شريعتي من أكثر المصادر تشددًا النصوص القرآنية والأعراف المألوفة، إيمانًا دينيًا ملوثًا بالعدالة والحوار الاجتماعي. ومن شكل تقليدي للحزن والهزيمة، يستحضر أرمونيا للعراق البطولي، معطيًا أهمية دينية جديدة للقصص التي يقدمها الشبان المتنافسون في الوقت الحاضر.

علاوة على ذلك، يجد شريعتي في هذه القضية العبارة الصالحة مبعثة من العلاقات الاجتماعية التي لها أهمية أوسع بكثير. وشريعتي لا يشك نظاماً للمسؤولية على قاعدة بداهية من قيمة دينية. فالعلاقة أشد حبيدية بكثير؛ إنه يجد مبادئ اجتماعية في الدين. وفي حين أن فكرة قراءة القرآن بصفتها شيئاً مرجعياً من الدينامية الاجتماعية قد تزجج المفكرين المسلمين التقليديين (وعلماء الاجتماع الغربيين أيضاً) فإنها تبدو الشيء الأكثر طبيعية في العالم بالنسبة إلى شريعتي. وعلى سبيل المثال، تستحضر الفكرة المثقبة في مطلع هذا الفصل تستحضر نظرية مؤلفة للطبقية جداً إلى جانب مع أخلاقيات المساواة الاجتماعية ومتابعة العنصرية.

ونظرة شريعتي عن الطبقة، على الرغم من أنها كثيراً ما نُصِّبَت ماركسية، هي كذلك وحسب، لكن في معانها الأكثر الساذجة، وتشمل نظارتها الأوروبية: فوضوية بالكونين، وأيضاً نظرية النهاية لـ *Max Weber*. وفي تصور شريعتي، بما فيها «الشهاداء»، يستحضر شريعتي هيكلًا للعبد والسيد، للمستغل والمستغل، والذي وجد عبر التاريخ منذ التحول من الصيادين والفاطحيين الثمار إلى المجتمع الزراعي. وفي فصل طويل من كتابه *علم الإسلام* *«Islam: Science»* الذي أصدره في عام 1969 أقام منشوراته الأكاديمية، وهو محاضرات حول الدراسات الإسلامية، يستعمل النسخة الإسلامية من أسطورة قابيل وعازيل ليضع في أسلوب وروائي شموه المجتمع الطيفي:

قابيل ليس قريزاً بالقريز (أ...) ما جعل قابيل شريزاً هو نظام اجتماعي عبد الإنسان. مجتمع طيفي. نظام ملكية خاصة ينشئ العبودية والظلم. ويحول الرجال إلى مملوك، أو لعالم أو ماعز. إنه وضع تفشي فيه العداوة والمزاحمة والقسوة والرشوة والقتال والسيطرة جوع بعضي وشمر بعضي آخر، الطمع، الرأى، الفاحش، الخداع، وضع حيث أُنشئت فلسفة الحياة على السلب والاستغلال والاستعباد والاستهلاكية والإيذاء والتعذيب والقتل [...] حيث تدور الأشياء كلها حول الأثنية والتفصعية بالأشياء كلها من أجل الأكل، أو كربة وفجعة وجشعة¹⁰⁷.

Ali Shariati, *On the Sociology of Islam*, Rasoul Rigos (trans.) (Berkeley: Minot Press, 1981) 107p. 107.

كانت هذه البنية الذي واجهها النبي، في يومه، وتغلب عليها، وهذه هي البنية التي أعاد الأمويون بنائها، واتحدوها الصين، وهذا أيضًا، كما اعتقد مقصود به وصف الحياة في العراق زمن الشام.

وفي الفصل التالي من علم الإسلام، يقدم شريعتي نقدًا لنظرية ماركس عن نمط الإنتاج، موضحًا بأن البنية الأساسية للعلاقات الطبقية تبقى ثابتة عبر التطورات في علاقات الإنتاج، ويطور النموذج الخاص للطبقة الحاكمة المتمركز على أشكال السلطة، فقد تطورت سلطة مفردة أصلية عبر التاريخ إلى نظام هيمنة من ثلاثة أجزاء: بقطاع سياسية واقتصادية ومدينة الدولة، وأصحاب الممتلكات، ورجال الدين الرسميون. ومرة أخرى يجد أساتنا قرآنًا لهذه الأفكار¹³⁴. والجزء الفاتح من هذا النموذج هو تحديد شريعتي لرجال الدين بوصفهم عنصرًا متمركزًا كاملًا للطبقة المهيمنة، ويرتبط هذا بتحليله لتاريخ النبي الذي ساعد إليه.

يتفكك شريعتي النظر الماركسية التقليدية للمجتمع البرجوازي والرأسمالية الصناعية على أنها الصيغة المعاصرة للهمنة الطبقية في الغرب، لكنه يضيف نقدًا هو أقرب إلى الثقافة المضادة الغربية في زمانه. وفي محاضرة ألقيت في مدينة ميدان القطيف، أبدى رأيه في أن الروح المهيمنة على الثقافة والحضارة الجديدتين هي برجوازية: روح تنسب المال والأعمال والسعي إلى السلطة وصنع الأدوات، والاستهلاك وملعب المتعة¹³⁵. وهو يتخذ الخسارة في التاريخ الأوروبي الحديث، لثقافة المدينة، وللأبعاد الجبرومية للطبيعة الإنسانية: الحب، والمخاطبة، والفكر، والأهمية الوجودية.

شأن معظم ديمقراطي العالم الثالث من قبله، يرى شريعتي الاستعمار الجديد امتدادًا للرأسمالية المتروبوليتية. وليس في أي من النصوص التي قرأناها أو قرأت، عهد، يبحث شريعتي في الآلية المحددة المنتجة للإمبريالية يصفها

134. Ibid., p. 113.

135. Ibid.

Ali Shariati, *Islam and Islam*, transl. Marjot (trans.) (Berkeley: First Islamic Lit. Inc., 1977) 198-9.

نظافتها، سلطة عالمية، ولكن كان لديه الكثير ليقوله عن الإثنيات التي تعمل من خلالها الإمبريالية في العالم المستعمر. وكما هو الحال مع الأفغاني وآل أحمد، فإن جوهر مناقشة الهوية الثقافية.

وحيث إن أساس الثقافات غير الرأسمالية يكمن في دينها، فإن الاستعماريين مثلياً يحاولون تحطيم الدين أو تحييده. وهذا سوف يحطم الهوية الثقافية له «الثقافة» التي توفر البديل للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية. وعلى القمة، وضعت حدائق تفرس فيها أساليب التفكير الغربية، والمنطقتان، وحتى الأتراك الفنية، ويمكن تقديم النمط الغربي للاستهلاك.

في هذه السهول، فإن للإمبرياليين حلفاء مهينين داخل المجتمع المستعمر. وفي النص الطويل المعنون: «ما الذي يجب القيام به؟» المسند إلى محاضرة في جمعية إرشاد، في عز أوقات غصانه، يحدد قريحي¹⁰⁰ مجموعتين على وجه الخصوص. تضم الأولى المفكرين العلمانيين المستعمرين الذين يلعبون باسم الإصلاح الليبرالي، لعبة المستعمرين في الشؤون الثقافية. وتتألف الثانية من المفكرين من رجال الدين الكهلانيين الذين لهم صلة أكثر قرناً بالجمهورية. لكنهم يحددونهم بدورهم أنفسهم بضرورة إشجيع على السلبية وحسب. والنتيجة هي وضع مناقض للتشكيك على وجه الخصوص، الذي يرميه قريحي بتعاطف في علم الإسلام يتشاورون على صلة بالثقافة المحلية والدين، ومع ذلك يسرون من خلال نظام تعليمي غربي يعكس أفكاراً لا حدود محلية لها.

تفسير الإسلام أمر مركزي لهذه المجموعة المركبة من الأفكار. ووجهات نظر الأفغاني الدينية كانت قلداً، ووجهات نظر آل أحمد قبلت باعتصار وحسب، أما وجهات نظر قريحي فهي ظاهرة في وضع نور الشمس. وهو، على الرغم من كل شيء، دّرس منهجاً دراسياً كاملاً عن دراسة الإسلام ونشره. وألف كتاباً عن تجرته الشخصية، وفازت فريضة كثيرة لمناقشة المسائل الدينية.

Ali Sharifi, *What is to be Done? The Enlightened Thinkers and the Islamic Renaissance*, 134
Fahang Rajan (ed.) (Piscataway: Institute for Research and Islamic Studies, 1998).

وكما وضعها شماري تيريزي¹⁹¹، الذين بالنسبة إلى شريعتي من عام. وأنا لا أدعي فهم العليف الكامل لفكرة الدين، لكن النقاط الأكثر قرباً للتطبيق الاجتماعي واضحة بما فيه الكفاية.

ومن هذه [النقاط] فإن الأكثر إثارة للجدل نظرتهم إلى الإسلام كدين دينوي متشغل اجتماعياً، لتفليس واحداً من تصريحاته في بحث مما الذي يجب القيام به؟¹⁹² يقول شريعتي:

الإسلام دين واقعي يوجب الطبيعة والقوة بالعدل والسطوة والقوى والحيوية والتقدم والتحليل جميع الحاجات الإنسانية كلها (...) وأولها رجل حياة وسياسة وسلطة وحتى جدال. وكتاب القرآن، إضافة إلى اعتناقه بالقيادات والموت، يتكلم على الطبيعة والحياة والمعلم والمجتمع والتاريخ (...) وهو يدعو الناس إلى الخضوع لله، ويحث على الثورة ضد القبح والعظم والجحيل والظلمة (...) وتاريخه قلب بالثورة والعدل ضد التنوير الحقيقي، فضلاً عن مواجهة جميع المصادر¹⁹³

ربما لم يلزم شريعتي هذا الموقف دائماً - ففي فترات باطنية المتأخرة بالصوفية، يبدو أنه مارس بين الانسحاب - ولكن في النصوص التي كتبها بين عامي 1968 و1972، تستعرض هذه الأفكار بقوة. وهي بسيطة موجهة ضد إسلام الطفوس والاسلام، والذي رآه شريعتي على أنه المحتوى الرئيس للشيعة التقليدية.

في نفس الفهم الناظر إلى الثورة، لم يكن شريعتي وحيداً. ففكرة مساواة لإسلام رافضيتي كانت تتطور لدى المصاعدين الأوائل في السنوات التي سبقت كتابهم المسلح ضد الشاه¹⁹⁴. حتى إن هناك تداخلاً مهماً مع فكرة دين ليبي يعتقد به أنه الله الصفي، على الرغم من أنه والمصاعدين أصبحوا في ما

Chameli-Tabrizi, «Constructing Public Religion...

[191]

Shariati, *What is to be Done?*, pp. 43-44.

[192]

Ernest Shikhanian, *Islamic Jihad: The Islamic Mujahadeh* (New Haven: Yale University Press, 1999).

[193]

بعد أعداد لمؤرخين¹⁸². ويطور شريعتي الفكرة بطرق مميزة. وهو يعبر على أن الإسلام ليس معنيًا اجتماعيًا وحسيه، لكنه على وجه التحديد دين لورثي، ملتزم من البداية بالمساواة الاجتماعية، ومناوئ لبنى السلطة على اختلاف أنواعها. وهو يجد خصوصًا قرآنية لدعم هذا ويستدل على ذلك من المبادئ العقلية الإسلامية، وعلى وجه التحديد من التوحيد، وحدانية الله المطلقة، والتي تبيحها اللازمة هي الوحدة وبالتالي المساواة بين البشر.

ومبدأ المساواة هذا يمتد إلى المرأة. ويقول شريعتي محاججًا في مواقع كثيرة ومستشهدًا بخصوص قرآنية، إن النساء والرجال أُنشئوا بطبيعة واحدة وهم يستحقون الاحترام بالمثل، وينتقد الثقاب بعدد، ويعتبره تقليدًا غير إسلامي مهيك، وكذلك عزل النساء وهو يدافع عن تعليم المرأة ومشاركتها السياسية وحضور النساء لمجتمعاته في حسيه. يرتاد كان إحدى تشكيلات القليليين ضد. وفي أي حال، في محاضرة عام 1971 عن حياة فاطمة، ابنة النبي وأُمّ الحسين، عرّض مثالًا إسلاميًا أعلى للعصبة النسوية التي ما زالت تقوم على خدمة النساء للرجال في الأسرة. لقد دافع عن تعليم النساء لأنه يجعلهن أُمّهات أفضل، وعلى خصوصية المحافظين، يبدو أنه كان يخشى من الحياة الجنسية المستقلة للنساء¹⁸³. وكما هو شأن الكثير من الرجال الراديكاليين في جيله حول العالم، فإن الراديكالية تصبح مثبته في عالم الجنوسة.

وفي نواح أخرى، يرى شريعتي في تقليد الفضل عند النبوة جوهر الطرح الديني، على الأقل في الديانات النبوية الإبراهيمية: الإسلام والمسيحية واليهودية، وهذا يرتبط بالمواد الطبقية. هناك مقابل بنية السلطة، توجد جماعات تمارس عليها السلطة. وفي العقيدة الدينية يمكن العثور على معنى إيجابي لهذه الجماعات، ويخلص شريعتي في علم الإسلام¹⁸⁴ المفهوم القرآني لـ «الناس»، الذين يعتبرهم فعليًا كوجود الله على الأرض، ومفهوم الأمة، أي

¹⁸² Vahidi, pp. 131-32.

[182]

¹⁸³ Aydin N. Vahidi, «Islam and the Islamic Revolution: International Journal of Middle East Studies», vol. 15, no. 2 (1983).

¹⁸⁴ Shariati, *On the Sociology*, pp. 118-9.

[183]

المجتمع الإسلامي، الذي يصفه كمتجمع في حركة نحو هدف مشترك. وأنا لا أعتقد بوجود انساق كامل بين معاصراته، ولكن لا شك في أن هناك نصلاً عاماً على تثبيت مشكلة «صانعي الناس» على أنها الاهتمام المركزي لكل من الدين والإصلاح الاجتماعي.

إن إساءة استخدام العلماء لالتصاليهم بالصانعي هي الأساس في طغيان شريعتي عليهم. ومثل آل أحمد، فإنه يرى في نشوء المذهب الشيعي الرسمي في ظل حكم سلالة الصفويين كإشارة دينية، لكن شريعتي يذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يرى أن تحالف رجال الدين وسلطة الدولة كنسب مشترك في التاريخ الديني، موجود في الإسلام المبكر، وفي مسيحية القرون الوسطى، وفي أممات أخرى. وهو يعطي هذا النمط تفسيراً عقائدياً حيث أن الدين الثوري لوحيد، ونحن تحالف المتشككين والدولة المتعددة الآلهة، وإسلام زائف.

الكفاح ضد عبادة الآلهة الباطلة فكرة مركزية في القرآن كما هي في الكتاب المقدس. وشريعتي هنا يعرف المذهب الشيعي المتشدد كحيلة لحل محل الإسلام. فلا عجب أن خصومه من رجال الدين كانوا متزعمين. كان شريعتي، في حياته وبعد موته، محطاً لهجمات عديدة جداً من رجال الدين المحافظين ومؤيديهم. وكذلك كان هناك المزيد من النقد الموزون من العلماء الإسلاميين الذين أشاروا إلى افتقار شريعتي بالثقافة الإسلامية، واستعداده غير الدقيق لتاريخ الإسلام، وإلى مشكلات عقائدية في موافقه من العقل والنور. ومع انتشار نفوذه، لجأ بعض رجال الدين إلى الخطوة الرسمية الجادة باعتماد نصيحة (ثوري) إلى المؤتمنين بعدم الذهاب إلى معاصراته، ولا قراءة كتبه¹⁴⁰.

مع ذلك، فإن مناقشة شريعتي لتعددية الآلهة [الشرك] ليست طائفية بقدر ما هي سوسيولوجية. ينتج مجتمع الطبقات تحالفات تحل محل شكلاً دينياً، وفي معاصراته ألقيت على قارعة الطريق في عبادته، بجانب شريعتي بأن معصداً دينياً

على تنظيم اجتماعي يؤكد في تجربة أعضاء هيئة متعدد الآلهة والذي بدوره يوفر لبرق النظام الاجتماعي المنظم:

إنها صورة الأرض منعكسة على السماء، أي رجال الدين العالمين في بيوتهم الروحانية الشبيهة بتعددية الآلهة يقرعون إن الروحانية الشبيهة بالشرك تبرز التحول من الروحانية الطفولية العرقية إلى الشرك الطفلي العرقي [1] عندما تنظر وحدة الإنسان النظرية إلى تعددية الإنسان الأصلية، كذلك فإن وحدة الله النظرية تستمر إلى تعددية أصلية، والتي هي نظام مشترك¹⁴⁴.

وفي صورة أخرى لحيته، في حسينية إرشاد الفاس مبرهون حياة مفتوحة بتفكير حياة الآخرين، حيث يسون أحوال حاضرهم إضافة إلى أحوال أجدادهم. ويحول الإسلام إلى أمة يُعرف فيها المسلمون عن مصيرهم¹⁴⁵.

وبما أنه بعد الفترات كهذه، يبرز شريحي بنظافة التفكير العلماء للمعرفة الدينية. وليس من المفاجئ أنه يلجأ أحياناً إلى النموذج الإصلاح البروتستانتي في أوروبا، وإلى سابقة محمد عبد أحد ألباح الأنطاكي المصيرين الذي روج بتأثير كبير للعودة إلى القيم الشعبي، نفس الفترات ذات.

ينطلق شريحي أيضاً موقفاً صلباً في مسألة الاجتهاد، أي إصدار الأحكام لم التفسير. وما إذا كان باب الاجتهاد مغلقاً الآن - أي ما إذا كانت التعاليم الرتبنة للإيمان والفقه قد استقرت - فهذه مسألة تولدت طويلاً بين مدافعي الفكر الإسلامي، والعرف الشعبي منطلق بشكل عام على أن الباب لا يزال مفتوحاً، تكون الإجماعات طيبة¹⁴⁶. ويرث شريحي الباب مفتوحاً على مصراعيه. وفي لحظة لاقية من عام 1971، لكشف عن خطته لحسينية إرشاد لتكون مركز بحوث عالمياً، فإن شريحي يعتبر الاجتهاد مبدأ لحرية التفكير والمغامرة العلمية، كما التجديد الإسلامي، وعلى هذا الأساس، يعرض خطة فكرية جديدة:

¹⁴⁴ Sharifi, *Islam and Islam*, p. 21.

[144]

¹⁴⁵ Sharifi, *What is in the Quran?*, pp. 39-40.

[145]

¹⁴⁶ Ann B. Cole, *Islamic Jurisprudence and the Role of the Ulama: A History Based on 1941*

Examining the Supreme Exemplars in 1941 B. Kaidi (ed.), *Religion and Politics in Iran* (New Haven: Yale University Press, 1985).

يتولى الأمر نقل جديد من العلماء المسلمين، وهم الذين يتلقون الإسلام في غربهم وغربهم، والذين لديهم التزام علمي، بالثقافة والخطورة ونداء الفكر الإسلامي، والذين يعرفون منهجية البحث العلمي، ويعرفون تقدم العلوم في العالم المعاصر، باعتصام الذين يعرفون كلا الشاغلين¹⁹⁹.

وبالتوازي أن شرعني رأي نفسه واحدًا من التسلل الجديد، فإن إمكانية أن نستدعي أن معرفة الحضارتين تعني عدم معرفة كل منهما على حد، لكن تطوير التحليل يعقل حضورًا في الاثنين. وقد سعى شرعني إلى تفسير موحد، ويجب أن نقرأ استحضاره المتكرر للتصويص القرآنية والأعراف الإسلامية في هذا السياق. وهذا، يستطيع شرعني الاعتماد على العرف الشيعي حول الشراء غير المحدود للرسالة الإلهية: مفهوم لغة القرآن المتعددة الأبعاد، واكتشاف المعنى الداخلي للقرآن الذي، مثل الطبيعة، له جوانب مختلفة عند النظر إليه من زوايا مختلفة²⁰⁰. ولم يكن يقدم صورة دقيقة للمعاصرة المعاصرة وحسب، بل يحاول اكتشاف البنى المشتركة في الميثاقين، ولهذا يجد معاني معاصرة صالحة في التصويص والتقصص القديمة. ومن هنا، على سبيل الاستشهاد، احتفالاً، بأنه ذو (الغفاري)، أحد صيغة النبي، والذي ترجم شرعني، وهو شاب بالغ، سيرة حياته، وبقي هذه النموذجية ساهمًا للمسؤولية الإسلامية.

علينا أيضًا فهم جميع شرعني بلغة الخلافات التي كان يشترك فيها. فمن عام 1968 إلى عام 1972 دافع شرعني عن الإسلام ضد المد الصاعد للماركسية الملتحدة بين الشيعة ودافع عن الإسلام الشاطع والثورة ضد نزعة المحافظة لدى العلماء ودافع عن الاشتراكية والمسؤولية ضد التنمية الرأسمالية ودافع عن هذا كله ضد دكتورية الشاء كما دافع عن العالم الثالث ضد الإمبريالية الغربية والسيطرة الثقافية.

لهذا فإن الكثير من كتاباته شعباً للعراك، ولهذا لا يكاد يكون من المستغرب أن نقلًا كثيرًا من وضعه المتفاعم موجز، والإحساس في لغوه

Shariati, *What is an Islamic Revolution?*, p. 134.

Ibid., p. 138.

[199]

[200]

ملموس. لقد كان يعيش في مجتمع مضطرب، ويعيش طلابه قلقوا قد أصبحوا متخطفين في ثقافة مسلحة، وكان هو يعيش على حد سكين من التسامح في طفيل نظام عنيف، والذي أسكت صوته في وقت معين. وكنت المشكلة المرتبة في أفكاره ليست لثوب التغيير وحسبه بل أيضًا استراتيجية التغيير.

هنا، ووفقًا لكاتب سيرته، هناك اثنان من شريحي «أر رندا شريحي واحد تغير حكمه حول اللحظة التاريخية بشكل دراماتيكي. في الوقت الذي كتب علم الإسلام، كان يعتقد أنه لا تزال هناك مهمة واسعة من الإعداد الثقافي لتغيير الاجتماعي يجب القيام بها. يجب أن يكون هناك تخصيص ثقافي للثقافة الغربية في حين أن الإسلام بحاجة ملحة إلى التجديد من موارده الخاصة. وهذا العمل يجب القيام به في جميع الأنظار التي يهيمن عليها الإمبريالية. وإذا كانت المهمة تعمل بالسيطرة الثقافية فمدها يجب أن تشمل المقاومة المضادة لثقافة وإعادة اكتشاف الهوية المحلية، أو الشائبة، متأخرة «عدم الجدوى» الناتج من فرض الثقافة البرجوازية، وقد كان هذا هو البعد الذي يحدد في سياسات مفكري العالم الثالث من تكون وتكتلات إلى ثقافي وطائفي، وفي العالم الإسلامي، الأفغاني وعنده. والطاق الواسع لعلم الإسلام وجدول الأعمال الواسع للبحوث والتعليم الشعبي الذي أعطته شريحي لحسية إرشاد بين حجم هذه المهمة للثقافة والتنمية الخلافة.

لكن في الوقت الذي كتب شريحي التوليفة اللاسلكية، كان التكفاح المسلح قد بدأ وكانت الأزمة السياسية تصاعد. ويبدو أنه أصبح ملتزمًا بأن الوضع الثوري قد تبلور، وأن محاضرات في عام 1972 هي فعليًا تعريض على العصيان المسلح. ولقد أعطى بضع سنوات وحسب. لقد كان يرى المجتمع الشعبي حركة اجتماعية شاسعة مترجعة في حد ذاتها نحو إطاحة النظام وإنشاء نظام جديد يوصفه حزبًا ثوريًا.

عزف شريحي مهمة بناء ثقافة ثورية على أنها مهمة عقل «أيديولوجية» ومفهومة للأيديولوجيا مختلف تمامًا عن «المفهوم» الماركسي: إنه أقرب إلى مفهوم ماتهام (Marxism) لثيوريته، وهي تعني نظامًا ديناميًا من الأفكار قادرًا على تغيير العالم. وكما وصفها شريحي في محاضرة عن الأيديولوجية: نقل

مفكر هو بالتالي مسؤول عن تغيير الوضع الراهن المتعلق بشك ومعتقداته¹¹. من الواضح أن هذا يمكن أن يكون أيديولوجيا وشرعيا رأى الإسلام في هذا الصدد، ورأى أن مهمته هي خلق أيديولوجيا إسلامية للأحوال الراعية.

هذه لم تكن مهمته وحده، بل كانت مهمة نوع معين من المفكرين. واحد من التواحي الأكثر إثارة للاهتمام في فكر شرعبي هي موسيولوجيته للمثقفين، سبق وأشرت إلى رأيه في رجال الدين المحافظين بوصفهم بمثابة مفكرا للطبقة الحاكمة. وفي الأحوال الخاصة بالمرافق المستعمرة الجديدة فإن شرعبي، رأى أن المفكرين من رجال الدين قد تم تحديدهم بمجموعة من الأكاديميين العلمانيين، المفكرين ذوي النزعة الغربية، وتشمل هذه المجموعة العلماء والتكنولوجيين، وكانت لها قاعدة في نظام التعليم العلماني، وقد ترابطت المجموعتان في المهمة الإمبريالية، كما سبل ورأينا.

هذه الصورة ليست بعيدة من صورة آل أحمد في غرب زنگي، لكن شرعبي زادها تعقيدا بعد الأيديولوجيا. وهي فوق المجموعتين ومقابلتهما على الرغم من أنها مستمدة من كليهما¹² كان هناك مفكرون أدوا وظيفة التحويل الثقافي. وقد قام هؤلاء، بـ «الروشتنكراء» وهو تعبير طرسي آخر يبدو أنه من المستحيل ترجمته: من بين المحاولات «الترجمة» النفوس المستتيرة والمفكرين الأحرار. ويهدف شرعبي هذه المجموعة بشكل مختلف في المحاولات المختلفة، ولكن تصوره العام واضح، فهو يعتبر أن المفكرين هم الذين يؤمنون وحقيقة نبوية من دون أن يكونوا أنفسهم أنبياء. وفي محاضرة عام 1971، ناقش الروشتنكراء بأسباب، وهو يدعوهم «بالأولئك الذين لديهم حس بالمسؤولية في ما يتعلق بآسائهم ومجتمعهم ورفاهيون بالقيام بشي، حيال ذلك»¹³.

هذه صيغة مطلقة وكل عبارة لها أهميتها. أولا، مثل هؤلاء الناس معززون ليس بمعرفتهم التقنية، بل بحسهم بالمسؤولية الكبيرة هم أناس يفوقون الآخرين، والذين يفكرون دائما ويحددون الاتجاهات التغيير للمجتمع. قد يكون

¹¹ Sharabi, *Adon and Adonim*, p. 85.

[11]

¹² Sharabi, *What is to be Done?*, p. 4.

[12]

من الإنجليزيتها ولكنهم بأنون أيضًا من الجماهير. ثانياً، إن عليهم مسؤولية تجاه زمانٍ ومجتمع محددين، وبعدهم ليس إنتاج حقائق عالمية، ولكن فهم الوضع الفعلي لمجتمعهم، وإفراقة طبيقتهم الذاتية، ونشر هذا الفهم إلى الآخرين. مشكلات أوروبا ليست نفسها مشكلات آسيا، والتحول لذلك سوف يختلف. يقدم شرعني فكرة جيدة عن أحد أتياع سائر الافتراضيين الذي يحاول نشر الوضعية بين القراء في الهند. وثالثاً، إنهم يرغبون في القيام بشيء حيال ذلك، ولا يخفي استلاك الرؤية. ولهذا، فإن المفكرين المستبشرين يجب أن يتصلوا بالناس، ويجب أن يحوزوا لفهمهم، وأن يجعلوا تحويل الوعي ممكناً.

هذا ليس النموذجاً لطبيعة البنية. وشرعني واضح حول خطر مثل هؤلاء الناس الذين يدعون تناسب القيادة السياسية، ويعطي أمثلة مؤلمة من الحركات المناهضة للاستعمار في شمال أفريقيا. إن عملهم الوحيد هو إفساد الوعي على الجماهير، هذا كل شيء... أن يحدوا المجتمع المتأثر إلى حالة الحقيقة¹⁰⁰. إنه على وجه التحديد دور القيادة الثقافية مع مضامين قوية من العنصرية والإقطاع. أما كيف يمكن إنشاء مثل هؤلاء الأشخاص، فإن شرعني لا يقول، وفي بعض الأحيان يكافئ بشير إلى أنهم معينون من الله، وربما كان هذا فعلاً ما يتكرر به.

هكذا، فإن مفهوم الروابط فكر حدد بطريقة أخرى، وصفت شرعني الثقيل جداً لولا ذلك، للهيمنة الثقافية من الإمبريالية على العالم الثالث، وعلى المجتمع الإثني من الثقافة البرجوازية المقلدة والدين المحافظ. والمصطلح عالم بحرية لأن يعطي تعريفاً اجتماعياً وانسحاباً لكنه يرمز بالتأكيد بالنسبة إلى جمهور شرعني إلى هشاشة أنظمة الهيمنة، والإمكان الدائم للإرادة الذاتية، والمعارضة والتغيير.

مع شرعني، وأكثر من معظم المفكرين، فإن محاولة إنشاء هندسة نظرية،

أي نظام استبدادي رسمي «نظرية شرعي» الاجتماعية، معتمدة بالفشل الفشل هذه المحاولة، ينظر أخيراً¹⁹⁴. ومع ذلك، فقد كان مفكراً منهجياً بمعنى آخر، متيقناً منطقاً متجذراً في الحالة الاستعمارية الجديدة، في قرأته للإسلام، وفي المطالبة بفعل اجتماعي.

يبدو أنه كان لمنطقه تأثير قوي، على الأقل في الجيل الحضري الشاب في سبعينيات القرن العشرين. وبعد الثورة، اختلقت الكفة تماثلت على تعديلات عينية حول توجه الثورة النورث. هذه الحركات الأكثر قرباً من واقعيات شرعي. والتعصرت القوات المحافظة المسيحية بالتحسين في مواجهة مسلحة عام 1981. ولقي أكثر من عشرة آلاف من الناشطين المجاهدين وغيرهم من الناشطين مصرعهم، وقُزت قيادة المعارضة إلى المهمل.

دافعت القيادة الدينية المتصورة عن الملكية الخاصة، وأفلقت باب الإصلاح الجندري، وظهرت الجامعات. وتمثلت النتيجة على الأمد الطويل في مجتمع متفاوت بدرجة عالية، وعلى بعد حركات الإصلاح السياسي تأكيد السلطة الدينية المحافظة وتسربت إلى الداخل أشكال جديدة من تسمم الأمراء بالغرب، في حين بدت مداخليل الطبقة العاملة أنها تهافت¹⁹⁵. ونُقل عن زوجة علي شرعي في عام 1980 قولها إنه لو كان حياً آنذاك، لكان في السجن. لكن لو أنه التزم الأفكار الرئيسة لمؤلفه الكلاسيكي، لكان سيظن أن النزعة السلطوية الشعبية، تعريباً أيضاً مواطن الضعف، واحتشالات، مواجهتها بمعارضة شعبية وتغيير.

McLoughlin Robert, «Marshall's Social Thought», in Keeble (ed.), Religion and Politics in 1941 from.

Paul McLoughlin, «The Changing Face of Iran: History (Review Marshall's)», 26 August, 1981, 2000.

الفصل السابع

التبعية والحكم الذاتي والثقافة

يجب عدم غلط المعرفة الثقافية بالآخرين والمقصود الثقافي
لهذا والتي تعلم منها بقاء تحرير النفس.

داوود، ميسر (1996)

كانت أمريكا اللاتينية أول منطقة كبيرة من العالم سيطر عليها الغرب
الأوروبيون. وكما يلاحظ أنيال كينغليو¹¹، فإن الخمسة ستة من الاستعمار
والاستعمار الجديد أرست وتبنت توجهًا قويًا نحو أوروبا بين مفكري أمريكا
اللاتينية. والرباط عاطفي، كما هو مفاهيمي. وعندما سمعت الشاعرة التشيلية
العظيمة غابرييلا ميسترال بتدافع الحرب في أوروبا، كتبت بطريقة مؤثرة عن
«الأم المجهز» (The Motherland) التي أوتت، وتحرق الآن بالحرب¹².

يظهر مقدار كبير من العلوم الاجتماعية في أمريكا اللاتينية النمط الذي
رأيناه في أستراليا وأفريقيا: مفاهيم ومناهج مستوردة تفتقر على المواد الخام
للمجتمع المحلي. والاختلاف عن المنظرين في الغروبول وجد تعبيرًا واضحًا
في كتاب حديث عنوه المرأة الأخرى: النظرية الكبرى من منظور أمريكا
اللاتينية (The Other Woman: Grand Theory through the Lens of Latin America)

¹¹ Audre Chantre, «Columbity of Power and Transcendence in Latin America», International Studies, vol. 15, no. 2 (2000).

Cabrera Mendi, *Selected Poems* (Albuquerque: University of New Mexico Press, 2003), 121
p. 285.

إن بعده المعروفان ميغيل أنجيل ستيبن وفرانكو لوبيز ألفيس⁵¹، يلقن لهما إلا بترحان نظرية 'أمريكية لاتينية' لـمحل محل 'الأوروبية'، بل لهما 'مقدمان' لأمريكا اللاتينية إلى الفارين المتحدثين بالإنكليزية كحالة أخرى تعكس توجهات جديدة للأفكار التيار الرئيس في العلوم الاجتماعية.

يمكن بالتأكيد أن تكون النظرية الشمالية المكتوبة في الجنوب مثيرة للإعجاب. ومثال جيد هو العولمة الثقافية وما بعد الحداثة⁵²، لغوسيه هيركين برونر، وهو مساهمة تشيلية في المناظرة حول العولمة ويمكنها دعم أي من النصوص المتروبوليتانية التي تولدت في الفصل الثالث. في الواقع، إنه يناظر معظم اقتراحات تلك الآليات واتخاذها، ناظرًا إلى العولمة الثقافية على أنها مشكلة من ما بعد الحداثة ورأسالية ما بعد التصنيع والديمقراطية الليبرالية وثورة الاتصالات. ومعظم الآليات التي يستشهد بها برونر هي الأعراف المتروبوليتانية الحديثة: هينز وهرمانس ويورديز ودافرنندورف (Dahrendorf)، وعندما يكتب عن أوجه عدم المساواة فإنه يقوم بذلك بالطريقة نفسها التي يقوم بها الأوروبيون، بالاستشهاد بإحصائيات الأمم المتحدة. وهو يناقش عند نهاية الكتاب علاقات المركز بالأطراف، ويؤكد أن الثقافات في الأطراف أعطت في الأودغار. وهذه النقاط ستكون استثنائية في نفس متروبولي عن العولمة من تسعينيات القرن العشرين. مع ذلك، فإن كتاب برونر، عمومًا، مكتوب من وجهة نظر ثقافة غربية معتمدة، ونقاط المرجعية المفاهيمية والسياسية والتاريخية هي لاروية.

لكن ينبغي أن نذكر أن أمريكا اللاتينية كانت أيضًا الجزء الأول من العالم الذي كسر سيطرة الاستعمار على نطاق لاري. ولدى البحث عن استقلال فكري إلى اتجاهات كثيرة من إعادة النظر في الماضي المحلي في التأملات

Miguel Contreras & Fernando López-Alejo (eds.), *The Other Mirror: Grand Theory (1) Through the Case of Latin America* (Princeton, Princeton University Press, 2004), p. 2.

José Joaquín Betancur, *Globalización cultural y posmodernidad* (Chile: Fondo de cultura económica, 1999).

الشهرة عن المنهجية الأوكسفوردية، في مناقشة العروة²²، إلى مدرسة التبعية في إعادة التفكير في بنية الاقتصاد العالمي.

يتأخر حتى رسم خريطة لمجمل هذه المدرسة الفكرية في فصل واحد، لا بل إنني أمل بتبع خيط مهم داخلها، مناقشة الاستقلال الذاتي والسلطة، والذين بدأ منذ خمسين عامًا بالاقتصاد وانتهوا بالثقافة، ومناقشة باستمرار من الاستراتيجيات السياسية للتغير.

المركز والأطراف

أبدأ بوثيقة لا تعطي بمطالعة في الوقت الحاضر، ولكن لها الحق في المطالبة بأن تكون من أكثر الهياكل أهمية في العلوم الاجتماعية في القرن العشرين.

في عام 1949، كانت إحدى الهيئات المنشأة حديثاً للأمم المتحدة اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية (CEPAL)، تعمل على مسح عام للشؤون الاقتصادية في المنطقة. وكانت الهيئات الإقليمية استجابة في إطار عمل الأمم المتحدة آنذاك، وكان إنشاء «سيالة» قد تم قبل باعتراف الولايات المتحدة. ومن أجل كتابة مقدمة للتقرير الإحصائي استدعي أحد الخبراء وهو الاقتصادي الأرجنتيني يدهي راؤول بريش.

بدأ بريش بوصفه اقتصادياً تقليدياً، يعمل أكاديمياً وفي الوقت نفسه موظفاً حائداً في بيريس أيرس. وفي ظل النظام المحافظ في ثلاثينيات القرن العشرين، أصبح المدير العام للبنك المركزي في الأرجنتين، حتى أُقيل بعد انقلاب عام 1943، وفي السنوات القليلة التالية، طُورَ تفكيره لجميع الاقتصاديات المتعارف عليها المعروفة بالتوازنات، ولكنيز (Rostow) الذي رآه واقعياً بشكل غير كامل. وكان بريش معيلاً بدينامية الأنظمة الاقتصادية التي تعمل من خلال قنوات اقتصادية، فهو ويشكل متزايد، والفروق بين الاقتصادات التي هي «مركز» و«أطراف» الاقتصادية. ومعرفته بالاستراتيجيات البديلة تلك كانت أيضاً

من عبراته العملية في بلدان أمريكا اللاتينية التي ردت على التكمشات ثلاثينيات القرن العشرين والأزمة الاقتصادية في الحرب العالمية الثانية بزيادة صناعاتها المحلية.¹⁶

مع هذه الخلفية، كتب بريش نقداً قوياً سبب نوعاً من الفسحة في مؤلفه *سيالة* في ثلاثي عام 1949. وعلى أمل ليرطب أي رداء فعل، فصل مسؤولو الأمم المتحدة هذا النص عن المسح الرسمي ونشروه مقالة منفردة شققت التنمية الاقتصادية في أمريكا اللاتينية ومشكلاتها الرئيسة. وجاءت نتائج هذا التحريك حكيمة بشكل مريح. وذاخت شهرة بريش، وألبدت بالمقالة على أنها بيان استراتيجي رئيس للبلدان النامية. وبحلول نهاية عام 1958 لم تخبه أيًا حقاً تقليدًا لـ *سيالة*، ومقرها العاصمة التشيلية سانتياغو. وكان يعتقد أنه أن يجمع مقال على أساس دائم، مجموعة موهوبة من الباحثين الاقتصاديين والاجتماعيين؛ ما يمكن أن نستقي الآن مجموعة فكرية لاستراتيجية التنمية.¹⁷

يضع اهتمام بريش بحال هذه الاستراتيجية من اعتقاده بأن العمل بات ملحد، وأن التصاريح سياسة «عدم التدخل» (laissez-faire) لم تستطيع التوصل إلى حل. وتحلل العقدين التاليين، دعت *سيالة* بقوة إلى استراتيجية التصنيع بديل من الاستيراد البحت من الأعضاء على الصداقات المستوردة وإلى تنويع الصادرات. وسواء بسبب هذه الدعوة أم لا، اعتضدت السياسة بشكل واسع في أمريكا اللاتينية (وبعض الأجزاء الأخرى من الأطراف، بما فيها إسرائيل) من أربعينيات القرن العشرين على سبعينيات. وإجمالاً، فإن الاستراتيجية قد عملت، منتجة نسب نمو عالية وإنتاجية

Joseph L. Love, «Raúl Prebisch (1901-1985): His Life and Works», British Library CCL Document Supply Centre, 18-29-99-(1996); Edgar Doonan, «Abolition and the State in the Evolution of the 'Prebisch' Paradigm», *CESDA Review*, no. 73 (2001); Carlos Mollinedo, «Raúl Prebisch before the Rio Negro», in: Edgar L. Bonetto (ed.), *Raúl Prebisch: Power, Principles and the Ethics of Development* (Buenos Aires: EUN-SAL, 2006).

Doonan, «Abolition and the State»; John Tapscott & Richard Tapscott, *The 100 and Global C21 Political Economy: Trade, Finance and Development* (Bloomington: Indiana University Press, 2001).

أعلى، على الرغم من أنها أيضًا واجهت مشكلات التضخم والحدود المتضاربة للصنع.¹³¹

بحلول أوائل ستينيات القرن العشرين، خُطت مواجهة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قليلًا وأصبحت الأمم المتحدة مسرحًا لتربيب جديد للسياسة الدولية. وبدأت أفكار بلدان الجنوب ترى أن لها مصالح مشتركة لتعترف سيلها قوة بلدان الشمال - في كثير من الحالات أساسهم المستعمرون السابقون - وبدأت بالضغط من أجل تنازلات اقتصادية. وأدى هذا إلى أزمة في الاجتماع الأول لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد - UNCTAD) في عام 1964، الذي عيّنت على جدول أعمال مجموعة من سبع وسبعين دولة من الدول النامية (G77) ولم تعين رايون بريش أبدًا حاكمًا للمؤتمر، وكان القرار الاقتصادي نحو سياسة تجارية جديدة لفضية - الذي أُنشئ بعد مشاورات مكثفة في أوروبا وآسيا ولدولًا المحيط الهادئ - يترك قوة لفضية الدول النامية للإصلاح التجاري. بعد مراجعة تاريخ الاقتصاد العالمي، تناولت مشكلات التنمية وأنماط التجارة ودور الأفكار المتطورة. وانتهى بالتماس للمساعدة المشتركة: «لأننا نؤمن هذه الصفحات هي فعل الإيمان»¹³². إنها من حيث الجوهر، إيمان بالتعاون الدولي.

في أعقاب المؤتمر، وبضغط من مجموعة السبع والسبعين، تم تحويل أونكتاد إلى وكالة تابعة للأمم المتحدة وتُعين بريش حاكمًا لها. وأصبح له الآن جمهور عالمي ووسيلة للعمل في سعيه لجعل أونكتاد دولة ذات تأثير في المفاوضات التجارية وسياسات التنمية الدولية والتي سوف تحول فعليًا الموارد نحو الجنوب.

Christel Kay, *Latin American Policies of Development and Underdevelopment* (London: C.U. Routledge, 1989), Moore, *Beliefs, Globalization and Neoliberalism Economy and Society in Latin America* (Buenos Aires: *Journal of Latin American and Caribbean Studies*, vol. 32, no. 2 (2002).

Rail, *Publicly, Towards a New Trade Policy for Development: Report by the Secretary-General of the United Nations Conference on Trade and Development* (New York: United Nations, 1984), p. 171.

لم يكن كثير من التعاون الدولي وشبكتا، وواجهت أجمدة برينش مقاومة قوية من الدول الغنية بقيادة الولايات المتحدة. وحات مجموعة السبع والسبعين لتفككت، وبرزت توترات الشمال - الجنوب. والحمل برينش، المتقل دافعا بنجاح قليل للحصول على اتفاقيات دولية للسلع، أو نظام مالي دولي لدعم الدول النامية. وقد حققي بنجاح وليس في نقطة واحدة، وهي الحصول على اتفاقية على أنضلية تعرفه جسركية للصادرات الصناعية للدول النامية لتتمة رئيسة لاستراتيجية اميدالية للتنمية الاقتصادية¹⁰⁰.

في عام 1988، وبعد مراقبته أأونكتاد إلى نهاية مؤتمرها العام الثاني، فقامد برينش - كان منهكاً ومرقفاً، وحياته الزوجية متوترة - وعاد إلى قاعدة أميركية لائمية وإلى العمل النظري. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان برينش لطبيع سنوات محفل تركيز لأول أفكار اقتصادية واستراتيجيةيات الاقتصادية اجتماعية عمداستكاف، ومفصلية على مستوى العالم من وجهة نظر الجنوب. وفلاجل من علماء الاجتماع أقوا يوتا مثل هذا الدور المهم جداً.

الطير التنمية الاقتصادية للأمريكا اللاتينية ومشكلاتها الرئيسة، أجمدة فكرية بقدر ما هو وصفة سياسة أقال إن التقرير تمت كتابته في ثلاثة أيام وثلاث ليال. وكان التصنيع واقعاً ضعلاً في بعض أقطار أميركا اللاتينية، وقد عدم برينش ثيرياً نظرياً له، وبين كيف يمكن إقامة العملية. وكانت النقطة المعمول عليها هي رفيع مستوى حياة الجماهير - وقد بقي الهدف النهائي لكل عمل برينش - التي لا يمكن تحقيقها بنمو الزراعة وحدها. وقد أعطى برينش أميداً عدة لذلك، والأكثر شهرة مها كان أطروحة بأن شروط التجارة، على الأمد الطويل، سوف تتحرك ضد مصدري المنتجات الزراعية لتصلحمة مصدري المنتجات الصناعية، والنتيجة هي تفاوت عالمي ضخم جداً في فوائد النمو الاقتصادي. تعبارة أخرى، بينما احتفظت المراكز

¹⁰⁰ Tsing & Tsing, *The US and Global Political*, David Pollock, Joseph B. Love & David (1981) Korten, «Preface to UNCTAD» in (Bosman ed.), *Real Products*.

بالقائمة الكاملة للتطور التقني لصناعاتها، فإن دول الأطراف حولت إليها حصة من ثمار تقدمها التقني الخاص بها¹¹.

كما بين هذا الملاحظ، فإن بريش وجميع تلميذاً أساسياً بين الاقتصادات «المركزية» والاقتصادات «الأطرافية» وهو لم يخترع هذه الاصطلاحات، ولكن من المؤكد أنه تشرع في الواقع جعلها أفكاراً ضرورية في مناقشات التنمية في العالم. وكان للمركز والأطراف بين الاقتصادية مختلفة، ومشكلات اقتصادية مختلفة، ولهذا فإنهما اتفقا سياسات اقتصادية مختلفة.

لا يعني هذا أنه يمكن فصلهما. فقد رأى بريش الاقتصاد العالمي كمنظومة مترابطة بالضرورة، وأصبحت هذه النقطة الرئيسة التي طرقت «السياسة» CEPAL-ness من منظري الصنف الماركسيين في ستينيات القرن العشرين وسبعينيات، ولا سيما فراك وأمين، الذين اقترحا تلك ارتباط الاقتصادات الأطراف مع الرأسمالية العالمية. وبالنسبة إلى بريش، فإن المركز كان بالنسبة إلى الأطراف مصدراً حيوياً للتجارة ورأس المال والتكنولوجيا. كما أنه كان مصدراً للمشكلات الاقتصادية التي بدأ فيها دورات الازدهار والكساد (كانت الطريقة التي حُلَّت فيها انهيار الثلاثينيات من القرن الماضي إلى أمريكا اللاتينية في ذهن بريش إلى حد بعيد، بالطبع مصطلحات المشكلة التجارية).

واحدة من السمات البارزة لـ المشكلات الرئيسة هي الاعتماد الذي كرمه بريش لتحليل المركز، وبخصوصاً اقتصاد الولايات المتحدة والدولار الأمريكي، الذي شكل فصلين من الفصول السبعة. في عام 1948، كان بريش يكتب في زمن أوج اقتصاد الولايات المتحدة وقوتها العسكرية، قبل المعجزة الاقتصادية الألمانية (Wirtschaftswunder) أو الازدهار الياباني. لقد رأى، بصورة واقعية، الولايات المتحدة - بصفتها مستهلكاً ومصدراً ومستغزماً ودياناً للعجلة الاحتياطية للعالم - أن لها أهمية هائلة للتنمية في أمريكا اللاتينية.

Raul Prebisch, *The Economic Development of Latin America and its Principal Problems* (1951) (United Nations: Department of Economic Affairs, 1950), p. 16.

الارتباط لا يمكن ذلك، ولكن يمكن إعادة تشكيله، إذا ما أقيمت حكومات أميركا اللاتينية على العدل. لقد اقترح بريش تنمية رأسمالية، وليس اقتصاداً على النمط السوفياتي، ولكنه اقترح أيضاً دولة تدخلية بدرجة عالية. والنقطة تستعمل من خلال التعريفات الجبروتية وخطوط التبادل والفراب ونخطيط التنمية والسياسة المضادة للتقلبات الدورية، وعلم جزاء لصحت وتطبيق الاقتصاد نحو نمو مستدام.

على سبيل المثال، كانت إحدى المشكلات الرئيسة هي نقص في رأس المال لتخصيصه لتكنولوجيا أعلى وإنتاجية متزايدة، وكانت مداخل جاسبر أميركا اللاتينية في ذلك الحين متضنة جداً بحيث لا يمكن اعتماد إلا القليل جداً منها. ومجموعات أصحاب المدخل المرتفعة الذين يستطيعون التوسع يتفوقون بدلاً من ذلك الكثير من دخلهم على البضائع الاستهلاكية المستوردة، محاولين الحفاظ على نمط الحياة الذي رأوه في البلدان المتقدمة. وعدم مسؤولية لجنة أميركا اللاتينية هناك كما رأه بريش بوضوح - سعى متروكهم غير ملائم¹⁴، والذي أخذ في الاعتبار أسلوبه العام، يساوي تهمة الرقص في منتصف الليل مع الشياطين - عوق تشكيل رأس المال وزاد مشكلة تمويل الواردات المطلوبة سواء. ويمكن بحكومة تنمية والعية التفكير إصلاح ذلك.

في نهاية المطاف، اعتمدت استراتيجيات بريش على تغير الوعي بين المفكرين وصانعي السياسة في الأطراف. وقد فاد هذا، في فترات قصيرة كثيرة من المشكلات الرئيسة إلى نظرة اقتصادية بارعة في سوسيولوجيا المعرفة. فالاقتصاد السوقي الحر الكلاسيكي، كما يجادل، عكس التجربة التاريخية للمركز العالمي، وليس حقائق الأطراف!

أحد أوجه القصور الثلاثة للاتجاه في النظرية الاقتصادية العائد من وجهة نظر الأطراف، هو شعورها الزائف بالعالمية. ومن الصعب أن يكون متوقفاً من اقتصادي البلدان الكبرى، المبكين على مشكلاتهم الجديدة، أن يخصصوا انتباهاً تفصيلياً لدراسة مشكلات أميركا اللاتينية. دراسة الحياة الاقتصادية لأميركا اللاتينية هي في المقام الأول محل اهتمام اقتصاديها، إذا

يمكن تفسير هذه الاقتصادات الإقليمية بعملياتا وديمقراطية علمية، يمكن عدداً أن يحقق المتطلبات الفعلية لإجراءات عملية¹³³.

ليس الاقتصاديون المركز هم الذين يجب تجاهلهم، وبالمعنى التوكمية، يتبنى بريش من كثير في الدفاع عن احتياطي ذات أهمية كبرى، هي جزء لا يتجزأ من نظرية التوازن الكلاسيكية¹³⁴. لكنه يحاول أيضاً ويقول بأن المفاهيم النظرية الكلاسيكية لا تنطبق في الأطراف - هذه هي الحقيقة الاقتصادية في النص بكاملة - ولهذا المطلوب تحليل علمي جديد فضلاً عن استراتيجيات عملية جديدة. وهذا يقتضي تدريب جيل جديد من المفكرين، المؤهلين للاستقلال الضروري في طريقة التفكير. وفي غضون سنتين من الكتابة، بدأ بريش، من خلال «مسألة» القيام بذلك تماماً.

وبالنظر إلى الماضي، فإن حدود العالم الفكري لبريش واضحة. في المشكلات الرئيسية عامل النمو الاقتصادي بوصفه بديلاً مطلقاً، وعدم نهاية حياته، اعترف بريش¹³⁵ بالمشكلات البيئية. والاقتصاد الذي نظر له بريش كان يشكل قاطع اقتصاد رجاء. وقد أشير إلى النساء مرة واحدة فقط في المشكلات الرئيسية، كنقطة عمل احتياطية، ولم ينظر إلى الإنتاج المتزلي بوصفه جزءاً من الاقتصاد على الإطلاق. بالطبع، إن هذه الحدود كانت في ذلك الوقت مشاركة في جميع الفكر الاقتصادي تقريباً. ومعها، أثبت البداية التي قام بها بريش لنظرية اقتصادية للاقتصاد البنية أنها مهمة بشكل غير عادي، وليس للاقتصاد وحده.

الطبقات الحاكمة ودورهم ذلك

جذب بريش إلى «مسألة» حلولا اجتماعية أخرى إضافة إلى الاقتصاد. وأحد المسؤولين الأتي مفتاحاً من الدكتاتورية العسكرية التي كانت قد أُنشئت.

End., p. 7.

[133]

End., p. 36.

[134]

Basil Potholakis, «The Latin American periphery in the Global System of Capitalism», [1981]

(CEPR, Buenos aires, 11-1981).

نوعاً في البرازيل، كان فرانكو مترقياً كـ فرانسو (Fernando Henrique Cardoso) وكانت مطوية «سيالية» قد أصبحت أمام تحدٍّ من اليسار، ومن الماركسيين، ومن التحولات الموسم بها من الماركسية والتي رأيت مستقبل أمريكا اللاتينية ليس في التنمية الرأسمالية ولكن في الاشتراكية.

بين عامي 1989 و1987، وربما كان برينش يطوحي معركة الكورة في لونغكاف، كان كارجوسو وإيزو غاليزو يعملان على مسيولوجيا للتنمية طموح تاريخياً، الكتاب الناتج الطبيعة والتنمية في أمريكا اللاتينية (*Dependency and Development in Latin America*)، جرى تداوله بشكل مستعج، ثم أشر رسمياً في يونيو لوس في عام 1971. بهذا الكتاب، واحد من أكثر البيانات أجنبية للبدائل الرأسمالية لأفموج برينش، وواحد من أكثر النصوص بروزاً في المسيولوجيا التاريخية في جيله.

جادل كارجوسو وغاليزو¹¹ وفقاً من وجهة نظر أكثر شمالية للتنمية من تلك الموجودة في التصاميم «سيالية» أو في نظرية الطبيعة البنيوية الماركسية، ومن وجهة نظرهما يطوي التغيير الاقتصادي على تفاعل معقد بين سياسة الطبقة وتشكيل الدولة والنظام اقتصادات الأطراف في نظام عالمي متغير. ومن هذا التفاعل تصبح النتائج المتعددة ممكنة.

لذلك، كان من المهم ليس الاختلاف الخطائي بالتفرد وحسب، ولكن رسم خريطة للمسارات الفعلية للتغير التاريخي. وجوهه الطبيعة والتنمية سرود التطوير على مستوى الفترة، هذا يؤول محاولات لإقامة دول وطنية بعد حروب الاستقلال عن إسبانيا، وينتج الكتاب الظهور غير المؤكد للطبقات الوسطى في القرن التاسع عشر كمرآة قوة بنيت لأوليغارشيات¹² أصحاب الأراضي، وعملية التحضر في القرن العشرين، وظهور «كتلة عمالية شعبية» طاعة سياسياً، ومحاولات التصنيع للاستعانة عن الأستيراد، والتنمية الجديدة، في اقتصاد

Fernando Henrique Cardoso & Euzébio Galvão, *Dependency and Development in Latin America* (Berkeley, CA: University of California Press, 1979).

[11] الأوليغارشية: حكم الأقلية. [المرجع]

عالمي هيكلته. شعادت الشركات المتعددة الجنسيات، جماعلة السياسة الوطنية الشعبية السابقة مهمة.

إنها قصة مأساوية، ولها نهاية مأساوية. كان كارندوسو وفاليتو من بين أولئك من أشار إلى أننا ندخل مرحلة جديدة من تاريخ ينعزل إتشكيل سوق كبحاوز الحدود الوطنية¹¹، الفكرة التي شلّيت في ما بعد «العولمة». لقد شققتنا بدقة ناعية لمرحلة الشعب التكنولوجية الجديدة الولاية الارتباط بالدولة (والشركات) العسكرية واحدة منها في أمريكا اللاتينية، وازدادت المأساوية والإقصاء.

ضمن هذه الخطوط العريضة، فإن مجرى الأحداث في الأنظار المختلفة يمكن أن يختلف اختلافًا كبيرًا. ويؤكد كارندوسو وفاليتو الاختلاف بين الشعبين الرئيسيين للبيعة. أعددنا اقتصادات معزولة حيث الصناعات الرئيسة مرسلة ومسيطر عليها مباشرة من المركز العالمي، من الأمثلة على ذلك صناعات النترات، والتحاسن في تشيلي، وصناعة الموز في أمريكا الوسطى. وفي مثل هذا الوضع فإن أوليغارشية أصحاب الأراضي يمكن أن تدمر، ودينامية التنمية محذوفة.

والثاني، هو نمط التنمية البيعية في الأرجنتين والبرازيل، حيث ظهرت البرجوازية الوطنية صناعات التصدير. وقد سيطرت هذه المجموعة على الدولة واكتسبت قدرة معينة لتمويل التصنيع، ودمجت الجماهير الشعبية في النظام السياسي. ولكنها لم تعترض على هيمنة المتروبول. وهنا يصل كارندوسو وفاليتو إلى واحد من أكثر استنتاجاتهما النظرية أهمية: «التنمية» ليست عكس «البيعة». يمكن التنمية أن تحدث بطريقة تبلي على البيعية؛ لقد ظهرت أشكال جديدة من البيعية تاريخيًا ولا تزال هذه العملية مستمرة.

رد علماء الاجتماع في المتروبول في خمسينيات القرن العشرين وستينيات في البدء على الوضع ما بعد الاستعماري وإنتاج نظريات للتحديث والتنمية، التي افترضت أن الأجزاء الأكثر فقرًا في العالم مستخدم بالياع الغرب الذي

سارت عليه أوروبا وأمريكا الشمالية. والمعروف منها أفضل من غيره - على الرغم من أنه لم يكن إلا أكثر بقليل من تبسط الخططي - هو مراحل النمو الاقتصادي¹²¹ لمرت وثمان روستو الذي أصبح بالنسبة إلى النخبة السياسية في الولايات المتحدة نوعاً من بيان للحرب الباردة. وقد لزمرو كارودوسو وفاليتو على نحو مفهوم «المخططات النظرية» المستندة إلى تاريخ الدول المتطورة في الوقت الحاضر¹²². في الواقع، لقد رأيا في الاشتراكية الاشتراكية البديل الحقيقي للأطراف من النخبة، على الرغم من أنهما اقرا بالصعوبة السياسية لاتباع «المسارات الجديدة في المجتمع»¹²³.

كانت نظرية التحديث عليه لأن مسار التنمية في المركز والأطراف قد نبأعت منذ بدأت الاقتصادات التصنيع تشكل في أوروبا في الوقت نفسه نظرياً الذي كانت فيه أمريكا اللاتينية تحفل استقلالها السياسي. كانت الثروة والسلطة البريطانيةين حيويتين في تشكيل أنماط التنمية في أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر:

لا يمكن فهم لوجود تلك الاقتصاد «الأطراف» من دون الإشارة إلى المسيرة الاقتصادية للاقتصادات الرأسمالية المتقدمة، والتي كانت مسؤولة عن تشكيل أطراف رأسمالية وعن دمج الاقتصادات غير الرأسمالية التقليدية في السوق العالمية¹²⁴.

لا بريطانيا أثناء ولا الولايات المتحدة الآن، تستطيع التحكم بالأطراف كلها مباشرة. فالفكرة الطارئة عليها أن تعمل من خلال قوى اقتصادية داخلية وجوهر سوسولوجيا كارودوسو وفاليتو الديالكتيكية هو التداخل بين البنى العالمية والديناميات السياسية المحلية: تشكيل دولة محلية والصراع للتحكم بها وإعادة تشكيلها.

W. R. Rostow, *The Stages of Economic Growth: A Non-Communist Manifesto* (1951) (Cambridge: Cambridge University Press, 1960).

Carlini & Fialiti, p. 172.

[281]

Ibid., p. 173.

[282]

Ibid., p. 174.

[283]

«المثاقون التاريخيون الأساسيون» الذين شاعدهم كاروسو وفاليتو في هذه الدراما السياسية هم «طبقات وصناعات معزقة ضمن أشكال معينة من الإنتاج»¹²⁹. وهنا تصبح سوسيولوجيتهما تطبقية من دون شك. فالطبقات الاجتماعية معزقة بساحة كفتات اقتصادية. والمجموعات المعزقة بخرطوط اكتسب. وهنا بالمصالح المشتركة وقدره على العمل السياسي. ولا يلتفت كاروسو وفاليتو إلى مشكلة تكوين الطبقة، ولا يستكشفان مشكلات الهيمنة، ولا يفكران بتقاطعات الطبقة مع الجنس الأخرى. ومثل آخرين في جيلهما، فإنهما لا يريان أبعد من اقتصاد الرجال.

لهذا فإن قوتيهما ليست في تحليل حادق لبنة مجتمع أمريكا اللاتينية، بل في تحليليهما للعلاقات المتغيرة التاريخية بين أنظمة الهيمنة داخل أمريكا اللاتينية وبين الاقتصاد الدولي. وفي هذا الصدد، فإن القبيحة والقضية كانت له مصلحين أبعد بكثير من أمريكا اللاتينية، وما زالت. كما أعتقد، نطفاً فكرياً مهبطاً. وهو يقدم منهجاً مفروضاً لتحليل العمليات الاجتماعية عبر الوطنية والتي هي أكثر تعقيداً بكثير من معظم الأبيات الأوروبية حول «العولمة» التي ظهرت في ربح القرن التالي.

في العام نفسه، أي 1971، نُشرت عبر الجبال في تشيلي قرابة أخرى ابتكارية للتعبئة. والمؤلفان هما أرييل دورفمان (Ariel Dorfman) وهو شاعر وروائي ونقاد أدبي، وأرمان مازور (Armand Mazaour) وهو سوسيولوجي إعلامي من بلجيكا أصلاً. في كتابهما، كما يستذكر دورفمان في سيرته الذاتية الاتقاء جنونك والفتلح شمساً¹³⁰، تلقفاً الاختصار المذهل ستة سلفادور أليندي¹³¹ الأولى في الحكم، والطريق التشيلي السلمي إلى الاشتراكية كما رآه

129. Ibid., p. 104.

[131]

Ariel Dorfman, *Hungering South, Looking North: A Biological Journey* (New York: Farrar, 1241 Bous and Gouss, 1998).

[132] سلفادور أليندي (1908-1973): طبيب وسياسي تشيلي أصبح أول رئيس لماركسي ليد

في أمريكا اللاتينية عبر التحولات حرق حكمه من عام 1970 حتى عام 1973 عندما قُتل بثلاث عسكري مدعوم من الولايات المتحدة أطاح بحكمه. اتبع سياسة تهريب المظاهرات والقلاخات الجماعية.

نظام الوحدة الشعبية (*People's Unity*) والذي كان يتفوق ليس على إصلاح اقتصادي وحسب، ولكن أيضًا على جهد كبير في التعليم الشعبي، بدأ في ذلك نشر ملايين الكتب والمجلات، وإنتاج برامج إعلامية جديدة. وجزء من هذا الجهد كان موجهاً نحو الشبان في تشيلي. وكان من الطبيعي للمؤلفين المستعدين في هذا الجهد أن يهتموا بالأدب الشعبي للأطفال الذي كان موجوداً بالفعل.

لذكر عندما بدأ تداول كيف تقرأ دونالد ذلك (*How to Read Donald*) الصادر في العالم الناطق بالإنكليزية في سبعينيات القرن العشرين، أنه أثار بعض الفسحة. وبحلول هزني¹²⁶¹ الاستيلاء على تشيلي عندما وصلت إلى الولايات المتحدة. حتى عهد اليسار، كان هناك بعض القلق. وعزلاء الناس من تشيلي كانوا تملأ أحواض مهمة، لقد انتخبوا رئيساً اشتراكياً، وكانوا راديكاليين إلى حد أنهم أنكروا الفلاحين عسكرياً. ظاهراً كان مثل هؤلاء الناس يلعبون بكتب الكرتون المصورة للأطفال؟ بحق السماء، هناك بعض الأمور التي لا يقوم بها الثوريون الحقيقيون!

لكنهم فعلوا ذلك، والنتيجة هي وثيقة رائعة من السياسة الراديكالية بقدر ما هي عمل رائع في الدراسات الثقافية (كما كان الحقل قد بدأ يُنسق في البروبولا). كيف تقرأ دونالد ذلك هو على أحد المستويات دراسة إيديولوجية لمحتويات وسائل الإعلام الجماهيرية، مبنية على قراءة دقيقة لحوالي مئة إصدار من كتب الكرتون لـهزني. وبعضاً من خيالات الطفولة البريئة، ألبت هورغان وسافار¹²⁶² أن القصص تبني عالماً ذا شخصية اجتماعية وثقافة وسياسية محددة.

¹²⁶¹ ما أثار الولايات المتحدة والبرجوازية العالمية نظراً للقيام على نظام من خلال الانقلاب الذي قامت بهما عسكرياً وإعلامياً الجورال أوفستور ينشيد، (الترجمة)

1262 دالت-هزني: السينمائي الأمريكي الشهير بإنتاج أفلام الكرتون، (الترجمة)

Artis Eassey de Donald Madsen, *How to Read Donald Duck: Ideological Ideology in* 1271 the Disney Comic (New York: International General, 1979).

هذا عالم من هرمية اجتماعية ثابتة، مع أنها خفية إلى حد ما. ليس هناك والدان، ولا أعمام، وعمات وبنات وأولاد الإخوة موجهون بوفرة. وهكذا فإن التماسك الجنسي والسلطة العائلية محلية، باستثناء الاكتئاب الجنسي المنطوي بالمرأة كما يرى في الكتب العالي ليزي ذلك (Daisy Duck) والفرقة حاضرة - بالتاكيد، تبالغ فيها حولًا على شكل صناديق نفوذ سكروودج مالكسك (Scrooge McDuck) - لكنها بصورة أكثر ينظر العنصر عليه، وليس إنتاجًا لعقل أي شخص. ففي عالم ليزي ليس على أحد أن يعمل من أجل أن يُنتج (198). وليس الطبقة العاملة المحضرون عندما يكونون موجودين، فهم مجرد صوت بشكل وليس (The Beagle Boys) (الكلاب الصياد).

لكن العالم الثالث موجود بالتأكيد. بحسب رواية فورغمان وماتلار، فإن نصف النقص فيها خلفية الأبطال التي تطلق من دكتور (Duckburg) إلى مغامرات في مواقع غريبة وبخلاف مثل أزيكلاكند (Aztakland)، أو بليكا (Blaka)، أو أستيبيستان (Astipistan)، والسكان بدورهم متوحشون سلج أو نيلاب غالبًا ما يجري استلابهم من الأشرار ثم يطرح البطل بالتحاقهم منهم. وهم تساقا غير قادرين على تغيير ظروفهم بجهنم الخاص.

هكذا فإن هذه السلسلة المتداولة جماعيًا تنمي للأطفال صورة من النظامين العالمي والمحلي الهرمي غير المتغير. وقد قلر فورغمان وماتلار أن قصص عيزي تسمح بالتحلل الكوي. فعلى سبيل المثال، عندما يكون أقرباء البطل في نزاع مع ثوكاك، فإن الأطفال هم الذين يكونون في العادة مستجابات وحريصين ولدي نظرة بعيدة والكثير هو الغنى. وبهذا الاعتبار فإن كارتون عيزي أكثر تطورًا من، ولعل، كارتون سورمان. ومع هذا، فمع نهاية كل قصة يعود العالم إلى نظامه المعتاد، ويبرو غيرلوز (Dore Goodness) لا يصبح غنيًا أبدًا، وسكروودج لا يصبح فقيرًا وإذا كانت أمور المتوحشين السلاء تسير على نحو جيد فذلك لأن بعض المطورين العقارين قد أقاموا احتفالًا للمسيح يتيح لهم المداخلة على طرائقهم الغربية.

قصر دورفمان وماتلار هذا التأثير بالقول إن تارتون نيزني يعكس العلاقة الحقيقية بين القاعدة المادية والبناء الفكري الثقافي. وهذا يختلف تمامًا حيالاً برجرز¹²⁹، ليس دعابة الأسلوب الحياة الأمريكية بقدر ما هو دعابة لحلم أمريكي في الحياة:

إنه الأسلوب الذي نعلم به الولايات المتحدة وتخلص نفسها تم ترفض ذلك الحلم على الآخرين لعلهم هم، ما يشكل خطراً على الدول القويحة. إنها تجربة نحن الأمريكيين اللاتينيين، على رؤية أنفسنا كما يرونها هم (أ. س. أ. فرانس نيزني) مثل تناول المرء غرويه المستغلة مضغوطة بالعسل في حلقه¹³⁰.

وعندئذ، فإن دونالد ملك يساهم في التخلف بالمساعدة على منع تشكيل الوعي بحقائق الاستغلال والوعي بإمكانات التغيير، الفكرة أن الزمن ينتج شيئاً مخلوقاً بشكل طبيعي¹³¹.

هناك المزيد لتخليق دورفمان وماتلار، إذ إنهما يعلقان على أفكار أخرى وعلى الشخصيات الرئيسة كلها في قائمة مثلي نيزني. لكن هذه هي حججهم الرئيسة. إنها تبين حتى مع الأدوات غير الواحدة المقدمة من الماركسية التقليدية، كيف أن ريفيكالتي أمريكا اللاتينية بدأوا ببناء رواية عن الإثاليات الداخلية للهجرة الثقافية المنرونية. والمشكلة فيها تشابهات كثيرة مع التسمم بالغرب، الذي تداركه جلال آل أسعد قبل بضع سنوات (انظر الفصل السادس).

خلافاً لأن أسعد، تهزّب دورفمان وماتلار من مسألة ما يجب عمله حيال ذلك. وفي مقطع دفاعي عند نهاية كتابهما، يكتبان أنه ليس بمقتور أحد أن يقترح حلاً قريباً لهذه المشكلات، وما حدث بعد نيزني وسوف يقرر بالممارسة الاجتماعية للشعوب الباحة عن التحرر¹³². وربما اعتدنا أن ذلك يحدث حقيقة في حركة الوحدة الشعبية. ولكن عندما نُشر كيف تقرأ دونالد ذلك، كانت أمام الوحدة الشعبية ستان قطع لتعيشها.

Foot., pp. 55-56.

[129]

Foot., p. 56.

[130]

Foot., p. 57.

[131]

اليوم التالي لموت ثورا

في أيلول/سبتمبر 1973، غرّب الجنرالات غيرهم، وأُصِفَ قصر مونيكا ومات أليندي، وفُتِحَت المحكومة والحركة سقا. وكان أرييل شريمان على قائمة الإعدام العسكرية، وبالقائه غرّب من البلاد. وقد نشر موريسان في ما بعد كتاب قصائد مؤثرة عن الإزهاب والمنفى. وفي واحدة منها¹²⁷ يستذكر كيف أن الحركة في تشيلي قد فشلت في رؤية ما كان آتيا نحوها. ولسوء الحظ، وبسبب حقوق الملكية الفكرية، فإنني لا أستطيع اقتباس القصيدة هذا. لكنني أستطيع التأمل حول نقطة المؤلف بأن القديسين قد أغفلوا يساعة في إمرارة عواقب الثقافة العسكرية، وانشاشهم أمام العضد. وتشيلي، على الرغم من كل شيء، كان فيها نظام دستوري ثابت. وبدا أن الدعم الانتخابي للحركة الوحدة الشعبية أخذ في الازدياد. لكن المعارضة كانت تزداد صلابة أيضا، وتجد دعما خارجيا.

لم يكن النظام العسكري التشيلي الأول من بين الأنظمة السلطوية في أمريكا اللاتينية، ولا حتى الأكثر عنفا. لكنه كان قاسيا بما فيه الكفاية. وفي سنواته الأولى القليلة، والتي يستيقظ المؤرخ لويس موليان¹²⁸ بمرحلة دكتاتورية الإزهاب، طُورَ المناهضون اليساريون والمثقفون، وقد تجلب الكثير منهم - وقد أكرم لهذه الغاية سجن متخصص لهذه الغاية بفيلا غريمالدي على الطرف الشرقي لسantiago - تم حمله بالمرافقات لاحقا لإعدام الأمل، وأصبح الآن حديقة عامة (تذكارية) - وقُتل الستات.

كان الوضع أكثر سوءا في الدكتاتورية الأرجنتينية، حيث وصل عدد من «اختفوا» أو قُتلوا منهم أكلوا في الحرب القذرة ضد معارضي النظام، إلى أكثر من عشرة آلاف. واحتفظت الدكتاتورية في البرازيل بالسلطة مدة تزيد على عشرين، حيث أُقتل، أو سجن، أو عذب، أو قُتل الآلاف. وفي أوروغواي أبعثت الدكتاتورية الديمقراطية لأكثر من عقد. وحتى في المكسيك، وفي ظل

And the Desert, Lost Wife in Santiago, and Other Phases of Exile and Disappearance (1971) (New York: Viking, 1985) p. 41.

Tomás Moulian, Chile actual: Anatomía de un mito, 3rd ed. (Santiago: LOM, 2005).

1311

النظام المدني للمعزب الدستوري الكوري، فإن حوالي ثلثه من الإقليميات الشباب قُتلوا رمياً بالرصاص، في ساحة تاييلونكو في عام 1968.

إنني أسترجع هذه التفاصيل لا لأكتسب، ولكن لأؤكد المخاطر العالية في مناقشات أمريكا اللاتينية حول الاستقلال الثاني والطبيعة، وأيضاً في أبداً بشرح التغيير الفكري الذي أعطيها. إن إرهاب الدولة الذي ضرب حق [حركة] الوحدانية الشعبية، وشدت الصراعات على أيضاً الاقتصاد والاستقلال السياسي. لقد استطاعت الدكتاتورية البرازيلية تحقيق معدلات نمو عالية من دون إعطاء توزيع، ومن دون ميطرابطية، ومن دون الابتكارات من المبروريات، مستهلكة توقعات كل من «سيالة» ومنظمة الطبيعة، وكما يلاحظ كريستوف كاي¹²⁰ في تربيته عن نظريات المصطف والطبيعة، كانت جميع هذه المدارس الفكرية تفسر الصداقة السياسية في سبعينيات القرن العشرين، ومن المفارقات، حدث ذلك قبل أن تحتاج أزمة مذبذبة ساحلة الفاروقية المعالجة إلى تحليل الهشاشة الأمريكية اللاتينية.

هكذا أصبحت الأرض عالية لأستودج جديد من الطبيعة، كانت تشيلي أول بلد في العالم يدين تحت حكم الجنرال بينوشيه، إنه النيوليبرالية neoliberalism، أي الأجندة السياسية والاجتماعية المضمخورة حول الاقتصاد السوق الحر التي هيمنت على أمريكا اللاتينية في ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته، وهي ليست نظرية جنوبية بأي معنى من المعاني. إنها على العكس، إنتاج كلاسيكي للشعور الزائف بالعالمية في الاقتصاد الذي انتقد بومبي في المشكلات الرئيسية. والنيوليبراليون الذين سيطروا على الاقتصاد تشيلي تحت حكم بينوشيه أوحشوا بأنفسهم هذه التفتة وذلك عندما عقدوا مؤتمراً في عام 1975 شكل السياسة الوطنية، ودعوا إليه اثنين من مشاهير مدرسة شيكاغو للاقتصاد هما أرنولد هاربرغر (Arnold Harberger) وويلتون فريدمان (Wilton Friedman)، اللذان أقرزاهم بالمعالجة بالصدمة وليس بالتغيير التدريجي¹²¹.

Kay, *Latin American Phantasies*.

[121]

Edwards-Giles, *The State and Capital in Chile: Business, Elites, Technocracy, and Reform* [1991] *Economics* (Boulder, CO: Westview, 1996).

وأوضح الشعب الشبلي أيضًا نقطة بإضافة لقب «أولاد شيكانغو» على هذه المجموعة من الاقتصاديين والبيروقراطيين، وأصحاب المشاريع الأهلية الجديدة (هم الأشخاص أنفسهم غالبًا) الذين تقلدوا هذه السياسة.

ذكر النيولبرالية في أمريكا اللاتينية موانئ بصورة جيدة جدًا الآن¹²⁴، وإن أعيد سره القصة هذا وما أود تأكيده هو أن النيولبرالية وحصلت في جزء من الأزمة، داخلية جزئيًا - كما يمثلها حذف الدكتاتوريات نفسها - وخارجية جزئيًا، أزمة المديونية في لمانبات، فلك القرن، إذ ضغط سيولة عالميا، وحكومات أقصى اليمين الجديدة في الولايات المتحدة وبريطانيا بقيادة ريغان وتاشر الذين خطا حمار الشمال والجنوب في المتطلبات العالمية، واستيلاء النيولبريين على صندوق النقد الدولي، مؤيدون بهذا الحكومات، قد فرضت السياسات النيولبرالية على الاقتصاد في جميع أنحاء العالم.

لم تقصد النيولبرالية بيع المشروعات العامة التي بُنيت بعمل الأجيال السابقة وتفكيك دولة الرفاه وإقامة توزيع الثروة في اتجاه الأغنياء وحسب. لكنها مثلت أيضًا أزمة علم في السياسة الشعبية. وتأثير المعالجة بالصدمة، كما وصفها الأرجنتين فوشيف وليفيس¹²⁵، كان تعطيل المؤسسات والقوى الكفة الشعبية وإضعاف الرقابة والموازنة وعلى الدولة خاصة، حيث السلطات النفاذة فيها هي الشركات الكبيرة والنخبة السياسية وحسب.

وهكذا كان لمجيء النيولبرالية أكثر أوسع من الآثار الاقتصادية وحدها. وكما لاحظ عدد من المعلقين المفكرين، مثل هذا المسار من الأحداث يكافئه أيضًا أزمة للعلوم الاجتماعية في أمريكا اللاتينية. والموضوع القديم للمعرفة والمجتمع الوطني والاقتصاد ما عاد وحده قابلة للعباء، والارتباط السابق بين

124) (البلات مثلاً) باللغة الإنكليزية، انظر: Rodrik, Haggard, Neechhoff & Martin Albes, *Democracy: Results without Values: Neoliberalism in the Transition of Post-Soviet Systems*, Lessons from the Argentine Case (Chicago, University Press, 2006), Rodrik, Haber & Fied 2004, «Disasters and Failures of Neoliberalism», *Latin American Research Review*, vol. 19, no. 2 (2004).

Neechhoff & Albes, pp. 131-132.

المعرفة في علم الاجتماع ومشروعات التغيير الاجتماعي تم إفسادها³⁴³. ووصل الفكر النقدي الأمريكي اللاتيني إلى حالة جمود تام مع تقديم الثيوريالية لمشكلات جديدة، وبحثها لها بلغة جديدة، وحياء الاتصال ما بين الفكر النقدي والحركات الاجتماعية³⁴⁴.

هذه هي الحالة التي تناولها السوسيولوجي التشيلي مارتن هورتيان (Martin Hortal) في سلسلة من المقالات نُشرت تحت عنوان لا رولا، لا اندماج (Hortal, No Integración, No Rola) وفصله الاقتصادي «اليوم التالي لموت ثور» أكثر حالة تسمية من الفجاء والشك:

أكثر ما تشكك فيه مؤسسات أمريكا اللاتينية اليوم هو التفكير الاجتماعي، والديمقراطية التكميلية، ونشوء التخصص، وسياسات الخدمة [...] الخدمات الحالية قد تبدو نهكية، وهي لا تشير إلى طرق جديدة للتغيير، ولا هي بعيد الحياة إلى الثقافات القديمة لتسهيل الرأب، بل إنها تلج الأزمات والعواقب التي تلي العظم المسحوق للاندماج³⁴⁵.

الانخراط الرئيس له لا رولا هو نهاية مشروعات الائتلافية الكبرى والتسمية المسطحة لها والتي كانت تركز على السياسة والعلوم الاجتماعية معاً خلال نصف القرن السابق. ونهاية هذه المشروعات تتطلب البحث عن طرائق جديدة للتفكير وأشكال جديدة من المعرفة. وهذا يتطلب، قبل أي شيء آخر، على تغيير كبير في الطموح. ففي الوقت الراهن، نزلت مجال العلوم الاجتماعية إلى نواحي أكاديمي وسياسي أكثر³⁴⁶ أكثر إلى حد أن الشخصية البطولية السابقة للعلم الاجتماعي كمصالح قد تبدو خطأ خطأ تاريخي.

Manuel Antonio Guevara, *La sociedad de los excluidos: introducción sociológica al 1981* (Cuernavaca de Azcapotzalco: UNAM, 1989).

Enzo Echeverría, *Representación y conocimiento en tiempos de guerra y de reconciliación* (in: 1981 Año del Echeverría. E. Echeverría (ed.), *La Guerra y el Echeverría: Representación y tercer mundo* (Buenos Aires: CLACSO, 2002).

Martin Hortal, *No Aperturas, No Integración: Modernism and Postmodernism in 1981* (Cienfuegos: Editorial de la Universidad de Cienfuegos, 2002) pp. 1-2.

Ibid., p. 111.

1811

ومقالة هوبنهايم «هل الاجتماعي قابل للتفكير به من دون السرديات»¹⁴¹ الكبرى¹⁴² «Is the Social Thinkable Without Narratives؟» تجمع الأكثر أهمية نظرية جنوية¹⁴³. تعاني العلوم الاجتماعية في أمريكا اللاتينية الآن أزمة في الموضوع وأزمة في المنهج النظري. والنماذج الرائدة الثلاثة المعجل السابق كانت نظرية التنمية بنمو سييالا، ونظرية التنمية، والماركسية لوفاني. تشكلت في هذا الفصل بالمصوّر الرئيسة الثلاثة التي تولدت أعلاماً. وأنتج التغيير الاجتماعي تلك تعقيدات لا تستطيع هذه الأطر فهمها. وفي الوقت نفسه، فإن التناقض وجود علاقة عضوية بين إنتاج المعرفة والتدخل في الواقع الاجتماعي من خلال حركات إصلاحية شعبية قد لهشم. وفقدت دولة التخطيط، أي الإزالة الاجتماعية التي اعتادت عليها في الواقع جميع هذه النماذج الثلاثة، صحتها.

يرى هوبنهايم أحداثاً خارجية - الأزمة الاقتصادية في بداية لمانينات القرن العشرين واليهار الشيوعية السوفياتية في نهايتها - مساهمة في هذا الوضع. لكنه يظن أيضاً أن العلوم الاجتماعية قد جعلت نفسها حصة. والتشكل الذي انبثقت في أمريكا اللاتينية مثل تغييراً متطرفاً من نقول التنوير الأوروبي حول قوة العقل، ونقدية المفكرين على وضع أنفسهم إلى جانب التاريخ والظلم. وهو يراجع المداخلات النقدية لعقل هذه المطالبات العقلانية - ما بعد الحديث، ومدرسة فرانكفورت، والنيولبرالية - يقول إنه ليس هناك عودة إلى نماذج المعرفة والممارسة الفكرية التي كانت سائدة يوماً ما.

عند هذه النقطة من محاضراته، يستخدم هوبنهايم نظرية ماركسوية صرفة ليدرس مفكري الأطراف؛ بنمو كافي مألوف جداً في القضايا المطروحة للجدال حول اقتصاديات التنمية. وفي مقالة أخرى يتناول هوبنهايم مباشرة الأهمية المحلية للتفكير ما بعد الحديث الأوروبي، وبخصوصاً ليونار وبومبارت. وهو يشير إلى

[141] طرح هذا المصطلح ليونار بومبارت Leonar Bompert في عام 1979. وقد تم تناوله في كتابه «بعد الحديث» وفيه يقول بومبارت «تأثير العالم» سواء أكانت نية أم فلسفة أم خلية. (المترجمة) Hopenhayn, pp. 108-111.

أن أفكارهما لها ما يوازيها أهمية في الحالة الجديدة لأمركا اللاتينية. لهذا فإن موضوعات ما بعد الحداثة في التحديد وعدم التحديد والمضني مفيدة في فهم المجتمع المعاصر، وفي إبراز الاهتمام الجديد للعلوم الاجتماعية بالحياة اليومية بدلاً من البنى الكبيرة.

مع ذلك، يريد هورتهاين أن يستعير من المنظرين الشماليين بشكل انتقائي وحسب. وعلى وجه الخصوص، هو يؤكد أن التحرك نحو الإدراك يجب ألا يعني السقوط في القبول القاتر والساحر بالفكر، أو الإقصاء الاجتماعي، أو التعريب. وهو واضح جداً حول نمو الثقافات الاجتماعي في أمريكا اللاتينية في ظل البيوليرالية المتخفة المزعج قائم [مستطير] حيث المندمج (بوليا) متجاوز بشكل صارخ مع المسبقة (على المستوى الوطني).¹³⁴

بينما يتخذ الحقل الأدبي، يدافع هورتهاين عن الحقل البيوتوني. وهو ينهي الكتاب بمقالة جميلة في مدح الذكر البيوتوني، مؤكداً الحاجة إلى بيوتونيات مفتوحة لا بيوتونيات ألفية. وفي بحث سابق استقصى هورتهاين وزملائه مشروعات تنمية على مستوى صغير. وهو يفتتح في لا بوليا حركة «التنمية البعيدة» التي تؤكد العمل القاعدي، التحمي والتنوع والمشاركة الاجتماعية بدلاً من السياسة الحزبية أو السوق ذات السيادة. وهناك كما يبدو أن هورتهاين يفكر، هو أكثر السبل الواحدة إلى علاقة جديدة بين الممارسة والنظرية.

لكن هناك أيضاً حجة أخرى في الكتاب، الحرية موضوعية. قد تكون دولة التخطيط قد فقدت الشرعية كلها، ونتائج العلوم الاجتماعية المرتبطة بها قد ذهبت إلى مزلة الفروخ. لكن الأسباب وراء إنشاء هذه المقاربات لم تكن. وبعد نهاية فصله عن ما بعد الحداثة والبيوليرالية، يستذكر هورتهاين بريش. لقد تبادت صيحة كثير من تعليقات بريش وتساؤه في العالم البيوليري الحديث. وعلاوة على ذلك «إننا لا نملك لوكيو» الفسوف آخر قادراً على أن يعطي معنى محدداً كلياً وشماساً للخصائص غير المتجانسة لعمليات التحديث في أمريكا اللاتينية»¹³⁵.

¹³⁴ Ibid., p. 4.

[134]

¹³⁵ Ibid., p. 10.

[135]

والشارع أمرون أيضًا إلى ألف حيث إن أفكار التوليبرالية قد ازدهرت سنوات مع قليل من التجديد، فإن الوقت قد حان لنسوية جديدة¹³⁴. في الواقع، إن بريش، الذي لا يمكن إغفاله على الرغم من تقدمه في العمر كما كان في شبابه، كان واحدًا من أواخر الذين حاولوا هذا. فبعد عودته إلى أميركا اللاتينية وإلى امبيال، في سبعينيات عهده، كتب بريش سلسلة من البحوث التي نُشرت في الرأسمالية الطوقية¹³⁵، معبداً التأمل في دروس السنوات الثلاثين منذ المشكلات الرئيسية. في هذا الكتاب، عزز الحجج حول الاختلاف البنوي ما بين المركز والأطراف، وأهداف ماركسولوجيا سياسية لا الخصائص الدعوية إلى تحليل النضاج المحدود لاستراتيجيات التغيير، والتحول إلى العنف في ظل الدكتاتوريات. وقد قدم لهذا حافلاً لـ «التولبرالية المزيفة» التي خدمت الرخاء إلى الأبداء بينما رسخت العقلم الاجتماعي، وحرر عن إيمانه المستمر بأن الاستغلال الذاتي الاقتصادي للأطراف ممكن، مهما كانت الاستراتيجيات الجديدة المطلوبة لتحقيقه.

أبعاد جديدة للنقد

أحد الأسباب للإعجاب بتفكير اجتماعي أكبر، كما لاحظ غاريتون (Garretón) وهو يهاين، هو تصاعف الهويات ووصول فاعلين اجتماعيين جدد. وربما كان الأكثر أهمية - وبالتأكيد الأكثر صعوبة ليقتن مع أي من النماذج المذكورة للعلوم الاجتماعية - هو الحركة النسائية في أميركا اللاتينية.

جميع المنظرين الذين تمت الإشارة إليهم حتى الآن في هذا الفصل كانوا من الرجال، ويبدو أن لا أحد منهم قد فكر في أن سلطة الرجال في المجتمع، أو الهيمنة على المناقرات في المجتمع، كانت مشكلة، بالطبع، إن أميركا اللاتينية ليست فريدة في هذا. فكل رجال هيمنوا على معظم المناقرات التي توثقت في الفصول السابقة من هذا الكتاب في المربوبول وفي الأطراف.

Cristóbal Kay, «Estructuras y crisis de la dependencia en el portal meridional: Una (re) perspectiva latinoamericana» *Anuario social-histórico*, no. 10 (1996).

Raúl Tabares, *Capitalismo periférico: crisis y transformación* (Buenos Aires: Fondo de 1971) Cultura Fronteriza, 1992).

كما تعاون سوليا مونيسيرو⁽⁴⁴⁾ أن تثبت في مقالة عن التنوع الاجتماعي في تشيلي، فإن في مجتمع أبناء التفكير بتصفيلات الوحدة يصعب جدًا أن يظهر الفرق. المؤنث، السكان الأصليون، المحلي، يمكن إثباتهم بأفعال المتداومة وإعادة التصحيص، لكن القيام بذلك هو السير عند أقدام الفكر الجديد. وهذا يطق على اليسار وكذلك على اليمين. والنساء في أمريكا اللاتينية، كما في أجزاء أخرى من العالم، كثيرًا ما واجهن مشكلة متداومة من الرجال الذين يدبرون الشكايات العمالية والأحزاب الاشتراكية والحاصلات المناهضة للعرلمة⁽⁴⁵⁾.

لقد نطلب الأمر كفايًا لجعل الرجال يحترقون بالعظم في مداساتهم العادية، أو في الترتيبات الجنسانية التي يستفيدون منها: ضرب الزوجات، والتحرش الجنسي في مكان العمل، وعدم المساواة في الأجر والدوام المزدوج. وقد نطلب الأمر كفايًا آخر بعدد معبر من الرجال - الذين وأولاً النساء مدة طويلة كنظام دعم منزلي للعالم الشكوري العام - أن يحترقوا بين نظام شرعيين، وممثلين، وأصحاب السلطة التنفيذية. وفي عام 2006، حدث انحراف والتفتت أول امرأة من التحالف التقدمي، ميشيل باتشيلي (Michelle Bachelet) من تشيلي، رئيسة للحكومة.

لحق مونيسيرو التعاون في الهويات الشابة الأنثوية بالتفرض أن تغيرات تاريخية قد حدثت في كل من بنية العلاقات بين الجنسين وفي الاعترافات الذاتية. كانت الثقافة التشيلية تقليديًا معززة بدعائي الأنوثة مع الأمومة. ومن هنا عينة الأم المعكوبة في القانون، وبناء تصور للذكورية متصلة بالخصوبة

Soledad Montero, «Identidades y desordenes en Chile», in Manuel Antonio Garretón, (1991) and 1, Culture y desorden en Chile (Santiago: Andres Bello, 2004).

Jennifer Buckner Mendez, «International Organizing for "عظم" الأوسط» (44) «Mapuche Workers' Rights in Central America», in Nancy A. Naples & Martha Dean (eds.), Women's Activism and Globalization (New York: Routledge, 2002).

Soledad Montero, «They See 'You Coming': A Comparative Study of "عظم" الأوسط» (45) «Social Policies and Women Union Officials in (English) Canada and Australia», Labour and Industry, vol. 16, no. 2 (1999).

أسميت: الألب العائبة، أو ابن المرأة. وهذا لمط ثنائي مترسخ بعض، وتستشهد مونتينو بدليل مسخي حديث بين أن النساء التشيليات لا يرزن في الألب يلتزمن بدورهن كأمهات، وأن الرجال التشيليين يلتزمون بدورهم أنهم عمال. وقد لاحظت أن الدماخي مع الدور الأسومي يمكن أن يؤدي مع تقدم المرأة في السن إلى صعوبات عقلية في الحياة الجنسية.

مع ذلك، فإن التغير الاقتصادي، وبصورة خاصة إدراج المرأة في القوى العاملة ذات الأجر، كان يشوئ هذه الهوية. ومع ظهور المرأة في المجال العام، فإن مسألة خطوبتها للرجل ظهرت أيضًا. وأصبح العمل المأجور الأساس المعتمد في تعديد هوية المرأة، وبرز توتر قائم مع أيدئولوجيا الأسرة. ونظرًا إلى لمط التغير الاقتصادي، فإن هذا التحول حدث لئاء الطليقة العاملة في وقت أسبق من حدوثه لئاء الطليقة الوسطى، ووجدت مونتينو دليلًا من دراسة استقصائية تبين أن هناك قبولًا واسعًا الآن لعمل المرأة خارج المنزل. وكان الدعم القوي ما يكون بين النساء أنفسهن وفي صفوف الشبان وفي المدن وفي اليسار وفي الطليقة العاملة. وفي ما يتعلق بسياسة الجنور، كئاء الطليقة والنمولة والتنمية الاقتصادية، فيبدو أن تشيلي هي الرضى منقسمة.¹⁴⁴

ومونتينو واضحة في أن التغيرات في الهوية لا تستدعي تسييط الهوية نحن الآن نرى هويات تحت التوتر، وهي تشير إلى عرسة حول توجهات لئاء الطليقة الوسطى نحو العمل المأجور والتي تميز بين ثلاث استراتيجيات: المحافظة على الالتزام بالأسرة، وعلاقة متكافئة بين العمل المأجور والأسرة، والعمل بوصفه مجال التركيز الرئيس في الحياة. ومن المفارقات أن القوة الاقتصادية لئاء الطليقة الوسطى والعليا هي التي سمحت لهم بعمور الكبار من الأعمال المنزلية ورعاية الأهل إلى لئاء مستغلمات في المنزل.

حتى الأكثر إقارة للاهتمام اقتراح مونتينو أن عناية مألوقة في تاريخ لئاءكا اللاتينية، أو هي) تشكيل الهويات في كفاخ اجتماعي، تطبق بوضوح

Carlos Huneeus, *Chile, un país dividido: La actualidad del pasado* (Santiago de Chile: 1991) (Cuzco, 2005).

على المرأة. والهويات الجنسية للنساء أثبتت في الحركات النسائية، والحركات النسائية في أمريكا اللاتينية متباينة جدًا بعضها مرتبط بالثقافات أو الأحزاب وبعضها مستقل ذاتيًا. والبعض تلككات الأصلين، وعلم جزأ. وتحدثت الحركات النسوية منذ الثمانينات المبكرة للحصول على الحق في التصويت، على المساواة بين النساء والرجال، إضافة إلى الفرق بين الجنسين. واخرتت حركات البقاء التقسيم التقليدي بين الجنسين في العمل بدلًا من مهاجمة. وخرجت حركات الأمهات، على تلك المظاهرات الشهيرة من أجل المفقودين في الأرجنتين، بين الأيديولوجيا المعادية والدعوات لحقوق الإنسان. وبالتالي فإن الحركات النسوية كلفت في سبيل (استحداث) تغير رئيس في هوية المرأة. ولقي سبيل اكتساب القوة والسلطة للانتقال إلى المجالات الذكورية، في حين أن حركات الأمهات لم تفعل ذلك.

كان حراك المرأة جزءًا بارزًا من طفولة الذكورية، ووضع هذا الإنجاز المطالب النسوية على أجندة الأحزاب السياسية التقدمية. لكن حراك المرأة خلق أيضًا أزمة مكنت الأحزاب اليمينية من شن حملات ضد الرقابة والتضيق الاجتماعي، وهو تفسيرها المعتاد للتغير في حياة النساء في أمريكا اللاتينية كما في إيران.

ضمت الجدلية المعقدة لمسألة الجندر الرجال كما النساء. وكانت الحركة النسوية في أمريكا اللاتينية ناشطة بشكل استثنائي في تعزيز البحوث والتدريس حول الرجال كما لاحظ ماثيو غوتمان ومارا فيفروس فيفوية¹³² في دراسة استقصائية حديثة في هذا المجال. في الواقع، إن مجموعة بحثية في تشيلي بقيادة خوسيه أولافيرا أجرت منذ أواسط تسعينيات القرن العشرين، أكثر برنامج مستدام للبحوث والحوارات البحثية حول الرجال والشبان المذكور والذكوريات في أي مكان في العالم¹³³. وبين هذا البحث بفرارة تنوع أسواق

Matthew C. Soberg Shufes, "Masculinities in Latin America," in: 1321 Michael S. Kimmel, Jeff Giam B. Harvey/Connell (eds.), *Handbook of Studies on Men & Masculinities* (Thousand Oaks: Sage, 2005).

José Olimario & Enrique Molero (eds.), *Handbook: Masculinities y* 1321 *Remediación: El desarrollo de Estudios de Masculinidades* (Santiago: CIEA/CEA/CEA, 2005).

الإجماع على أن لا أستطيع استبعاد أي تعليق على هجوم 11 أيلول/سبتمبر على البرجين التوأمين يمكن مفرته بسلامة أن هذا يمثل صراع اليأس ضد المستقبل (*Dependence versus instability*)¹⁷⁴.

يدرس غارسيا كاتكليبي الأنثروبولوجيا لكنه أيضا يشترك في صحته وكتابته في عام 1982 الطغاة الشعبية في الرأسمالية¹⁷⁵ وهو عمل رائع في الأنثروبولوجيا، بدأ يلزم الأفكار الأنثروبولوجية والسياسية حول الثقافة. وفي المكسيك، كان الاحتفاء بالثقافة الشعبية موضوعاً رئيساً في الثقافة الوطنية منذ الثورة في أوائل القرن العشرين. لكن، وكما حاجج غارسيا كاتكليبي، ما عاد هناك ما يُسمى بالثقافة التقليدية.

ولقد أثبت هذا من خلال إجرته استقصاءً مطبوعاً لمواقع رئيسين من النشاط «التقليدي» في المجتمعات الريفية في ميتشواكان (Michoacán) المنتجات الجوفية مثل الفخار وصنع الشمع، والمهرجانات المحلية. وقد بين أن هاتين الممارستين كليهما قد تغيرتا تغيراً عميقاً بإدماج ميتشواكان في الاقتصادين الرأسماليين الوطني والدولي. فالإنتاج الجوفي، على سبيل المثال، ما عاد نشاطاً ينتج أشياء يتطلبها في أسلوب الحياة الزراعية المحلية. إنها بصورة رئيسة مسألة الإنتاج لأسواق لديها منافع المصنوعات يدوية والحرف لها دور محدود في الرأسمالية المكسيكية؛ انحصار الطاقة الريفية ودعم صناعة السياحة ودعم لوجه الترجمة السياسية للثورة الوطنية. وبالمثل، فإن المهرجانات أعيد تنظيمها كأحداث سياحية، أو كمواقع تجمع بين منتجات القرية والبضائع والخدمات الحضرية.

بين غارسيا كاتكليبي أن هذه التغيرات نتج أشكالاً جديدة من استيعاب

[Néstor García Canclini, *Latinamerican Cultural Change in our age* (Buenos Aires: 1984) Párida, 2003], p. 18.

[1977] الثورات (الأممي) الصريح جداً *El libro popular en el capitalismo* كثر بصورة طرية في ترجمة دار نشر جامعة تكساس ليصبح *Transforming Masses* أو ربما أنه ليس غريب إلا قليلاً في اسم الرأسمالية.

الغريون في النظام الرأسمالي. وهذه المناقشة تسترجم نقطة كارموسو وغاليانو حول التولد المستمر من الأشكال الجديدة للثعبنة. وبشكل أكثر تحديداً، يجادل غارسيا كاتكليني¹³¹ بأن الرأسمالية تتصل بثقافة السكان الأصليين بعملية مستمرة من تلك السياحة وإعادة بناء المعنى. ثقافة السكان الأصليين ليست معطوسة لكنها مجزأة، لقد أخذت عناصرها من لغاتها القطري وأعيد تجميعها في سياقات جديدة الأسواق والمحلات السياحية وبيوت المشترين والمتاحف.

في تقديمه هذه الحجج، يسطر غارسيا كاتكليني عرقياً بلوغاً لنظرية التشابك من كرويزر (Kroeber) حتى بورديو. هناك يمكن قياس جدل واحد من فرويد إلى دولوز (Deleuze) ومن لينش إلى فوكو، قبل لنا إن القمع لا يمكن أن يوجد في عقلية البنى الجمعية لوحدها...¹³² ويقع الجزء المبكر من الثقافات الشعبية في ذلك الترح الأعمى المتألف من النظرية المارويولية مصوراً بسطحيات من الأطراف. لكن، كما تكشف الحجج، فإنها تتحرك إلى أبعد من تلك التطاير؛ إنها تبنى على اتصال بتاريخ الاستعمار. إنها ترى تجزئة المجتمع الزراعي المحلي ليس كمرحلة نهائية من التحديث لكن كنتجج للهجنة والدمج. إنها تعامل الرأسمالية المتعاصرة كنظام إمبريالي عثماني، مع منطق مجازي قوي، لكن أيضاً مع أمكنة للتابع والمختلف. وهي تقترح أيضاً سياسة مقاومة من أجل ثقافة السكان الأصليين، على الرغم من أنها لا تفترضها.

في كتاب الثقافات الهجينة، وفي أكثر كتبه شهرة مستهلكون ومواطنون¹³³، ينتقل غارسيا كاتكليني من القرية إلى المدينة وإلى لغتها حول ما بعد المدنية والمثقف والعمالة. ويمثل فرعية المناقشة الآن في الانهيار في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية، لمشروع الأجيال السابقة التسوي الوطني

Miriam García Canclini, *Translating Modernity: Popular Culture in Mexico* (Austin: 1981) University of Texas Press, 1982, p. 70.

García Canclini, *Contemporary*, p. 16.

[1981]

Miriam García Canclini, *Consumers and Citizens: Globalization and Multicultural* [1981] (Cambridge: Minneapolis University of Minnesota Press, 1995).

الشعبي المتصور حول الدولة، وللأجندات الثقافية التي اكتسبت بعد إخراج كتاب الثقافات الهجينة، الذي كتب في نهاية «العقد الضائع». عقد الثمانينيات من القرن العشرين، الاختراعات الزائفة المتضمنة في صلب ذلك المشروع الهائل.

الأفكار التقليدية عن الحضارة والأمة والدين والثقافة التقليدية بُنيت جميعها من خلال مبادرات ومؤسسات تعد لحركات معارضة مثل الفنون الجميلة مقابل الحرف الشعبية الحديثة مقابل ما قبل الحديث، الأمة مقابل المحلّة، وأمة مقابل أمة أخرى. لكن الواقع الاجتماعي نفسه يفسد هذه المعارضات من خلال الهجرة عبر الحدود وإنشاء عوالم حدودية معقدة وإعادة تنظيم وسائل الإعلام الجماهيري للثقافة، وعلم جركا، ويلخص غارسيا كاتكليني معظم هذه التعقيدات في فكرة «الهجين» التي برأها عبادة بعض في تاريخ أمريكا اللاتينية. والهجين يعقد دائما الاندفاع المجانسر للضمية والمخوف بشأن تحلل الأطراف.

يبنى غارسيا كاتكليني في كتاب مستهلكون ومواطنون بصورة أكثر شمولاً على بحث في مدينة مكسيكو. لقد أُنشِج التوسع الهائل لهذه المدينة، التي تمت حتى عشرة أضعاف بين عامي 1940 و 1988، كبناء اجتماعياً غير ليس بوحدة اجتماعية، وله القلب من التماسك أو سهولة التهم، والتي تكافح العنوم الاجتماعية التقليدية لتسكن من إترائه. وهكذا يفعل مواطنوه والطبقات المختلفة والمجتمعات المحلية المختلفة والأجيال المختلفة ضمن المدينة يضربون حيواتهم بالندماج قليل، يهرون عبر المساحة الحضرية على مسارات متحدة مختلفة. ويشرح غارسيا كاتكليني بالقول إن أفضل طريقة لفهم «مدينة من دون خريطة» قد تكون باستخدام الأنموذج الاستعماري للخاصة لربط ليدوا «موتاج طرح لصور غير متبادلة»¹⁴. والأحداث التي قصد بها التوحيد، مثل مهرجانات مدينة مكسيكو، كان لها تأثير قليل. وفي هذا الوضع،

¹⁴ Néstor García Canclini, *Cultures and Politics: Globalization and Latin America* (1991) (Cambridge: Minneapolis University of Minnesota Press, 2004), p. 84.

فإن سؤال ما بعد الثقافة عائل ينكلم في الدراسات الأنثروبولوجية تمت الإجابة عنه: «شرح أكثر من فاعل اجتماعي، هو فرق، الشقاق...»¹⁴⁴.

لا توجد هنا ثقافة مشتركة، بل لجارب مشتركة، بما فيها الثقافة الكبيرة والعنف المدني الذي بالكاد يمكن السيطرة عليه. والنماذج الأوروبية للتعدد الآلية من عائلات أكثر تعقيدا والدمج، هي غير ذات صلة إلى حد كبير بالواقع المر للبلد الكبرى في أمريكا اللاتينية. ولطهر الشقوق عميقة بين الشعب ذات التوجه للاقتصاد والثقافة العالميين، والمجتمعات المحلية الباقية عن البقاء. وأقرب الأبناء إلى ثقافة عامة يقدمه التلفزيون التجاري، وهو وسيلة إعلام لتسليّة والتسويق والذي له امتداد واسع بين فئات المناطق الحضرية.

إدراك الأهمية المعاصرة للصحافة للتلفزيون والسبعا وسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة لم تُد غارسيا كانكليني تانية إلى النموذج دورلمان وماتار للصحافة الإمبريالية. أحد الأسباب أنه كان على علم بحوث وسائل الإعلام التي تبين الدور النشط للجمهور والامتصاص الاختياري من محتويات وسائل الإعلام. ومع هذا، فإن غارسيا كانكليني يدرك تعاقب القوة السوقية الهائلة لشركات وسائل الإعلام الأمريكية. ومن أجل الأبناء في مستهلكون ومواطنون هو مثاثة لكيفية خلق هوليوود لروح من الفولكلور العالمي. على مقالة عن «أمريكا اللاتينية وأوروبا كفضوح لهوليوود»، بين غارسيا كانكليني كيف أن السياسات الاقتصادية النيولبرالية عن تكامل السوق العالمية قد امتدت على الحل بالاستقلال الذاتي الثقافي والتنوع على مستوى العالم، في حين أن أجندة المخصصة دفرت الدوافع الثقافية على المستوى الوطني.

في كتاب قصير كتب في بداية العقد الجديد، الأميركيون اللاتينيون يسعون إلى مكان في هذا القرن (القرن 21) *Latinoamerican: buscando lugar en el siglo XXI* يعود غارسيا كانكليني إلى هذه الصفحة بمراجع أكثر تعقلا. الهويات الوطنية والفة بالتأكيد تحت ضغط شديد من العولمة النيولبرالية. وحالة مهمة هي الأسبلاء

على صناعة النشر في أمريكا اللاتينية من رأس المال العالمي، وموضوعًا من إسبانيا. فبعض المؤلفين، حتى عندما يصفون مؤلفاتهم، لا تنوع في أفكارهم الأمم. وذلك لأن الأرباح غير مقبولة هناك. ولهذا كان لاسيداء السوق أكثر مدعومًا¹³³.

لكن هناك إمكانيات مهمة للعمل الإقليمي للدفاع عن الاستقلال والشرع الثقافي. وفي مناقشة تذكرنا بـ «سيرال» قبل خمسين عامًا، نلاحظ غارسيا كاتكليبي أن الأسواق الإقليمية أفضلًا للموسيقى الشعبية، هي أكبر من الأسواق الوطنية. وهو يقترح وجوب معاملة الإنتاج الثقافي كصناعة مهمة جديدة بالتخطيط والدعم الحكوميين. والاستخدام الديمقراطي لوسائل الإعلام الجديدة ممكن، الأمر الذي يسمح بالإنتاج الثقافي والتوزيع للمجموعات الاجتماعية التي هي حاليًا مهمشة أو مستبعدة.

يرفض غارسيا كاتكليبي هناك الانشغال بين النخبة والناخبين والذي يراه طبعًا للتدخلات الماركسية للثقافة في أمريكا اللاتينية: «نظرة أوسع وأكثر تفصيلًا للتفاعلات اليومية للأكثريات التابعة تكشف عن أن أفكار أمريكا اللاتينية هي مجتمعات هجينة حيث الأشكال المختلفة للتأرجع والتفاوض على معنى الهوية في خلاف مستمر»¹³⁴. المشكلة هنا هي أن المساعدة للتفاوض السياسي خلال تمثيلات القرن العشرين وتسميته قد أخلقت. وتجعل السياسات الليبرالية بوصفها حرفًا فنيًا بينما تُخذ القرارات الرئيسة في المستويات والمحافل في الخفاء بعيدًا من المشاركة الشعبية. والناجح القديمة للهوية الهرمية لم تعد تطلق، لكن النظام أبعد ما يكون من الديمقراطية.

حيث إن النظام بحاجة ملحة إلى تغيير، فإن هذا يدفع غارسيا كاتكليبي إلى التفكير بأشكال جديدة من العمل السياسي الذي له معنى في الأحوال الجديدة. وهو يشير في بداية مستهلكون ومواطنون، إلى أن «الاستهلاك جيد

García Canclini, *Culturas híbridas*, p. 70.

[133]

García Canclini, *Consumers and Citizens* (2001), p. 106.

[134]

للتفكير. وفي الفصل الأخير، أليف يتكلم المجتمع المدني اليوم، فإنه يدعو إلى مجال عام أعيد تشكيله، حيث تستند المواطنة إلى نشاط الناس بوصفهم مستهلكين:

تقوم المجتمعات المدنية أقل وأقل كمؤسسات محلية وطنية، مفهومة على أساس من الوحدة المكانية أو اللغوية أو السياسية. إنها تصروف بالأحرى كمؤسسات محلية تفسيرية، بمعنى لاجتماع من الناس الذين يتشاركون في أنماط ومواقف تفسيرية في العلاقة بسلع معينة (مثلًا: فن الطبخ، الرياضة، الموسيقى)، والتي توفر الأساس لهويات مشتركة.¹³⁹

يرى نوع الممارسة السياسية التي قد يقوم هذا إليها غير واضح، لكن غارسيا كانكليني يرى على وجه التأكيد في تعدد الثقافات المضاعف للديمقراطية الممارسة.

أصبح عمل غارسيا كانكليني معروفًا في المتروبول بشكل متزايد وهناك مال إلى أن يُعرف بعضه متخصصًا في الدراسات الثقافية الإقليمية أو ما بعد حداثة ذي خصوصية أُنظر المقدمة العربية والتأليف له مستهلكون ومواطنون لترجمتها الأمريكي الشمالي. من المؤكد أن غارسيا كانكليني قد استفاد من الفكر ما بعد الحداثي المتروبولي، إضافة إلى الماركسية المتروبولية والأكثروبولوجيا وبحوث وسائل الإعلام والأمنيات الأخرى التي تسمى المرء أنه لعلم المزيد من الحركة النسوية). وقد كانت مثل هونولودي وشريعتي، المعيد دراسات عليا في باريس. وهو أيضًا قد استخدما دقيقًا للنظرية المتروبولية. وخلص غارسيا كانكليني، في أعماله الأخيرة بصورة خاصة، الأخط بأي نظرية متروبولية بوصفها إغراء، لكنه أخذ الكثير منها بوصفها مصادر مشيرة للأفكار.

وهذا لم يسقط في اتفاقية إجمالية، لأن هناك ميدان تنظيميين فنيين يعملان في كتابته: اصطدام علم الاجتماع بالواقع في أمريكا اللاتينية، والبحث عن السياسة الثقافية ذات الصلة بالأوضاع التي يعاني فيها الأمريكيون

اللاتينيون. وهو يندى ملاحظة في غتام مستهلكون وموافقون: «عزينة الفكر بعد الحداني خلال سبعينات القرن العشرين والتدانيات على تحرير أنفسنا من أوهام السردية الطوقية التي نحاول أن نبرهن الشمولية أو الاتعاقات الشمولية. ربما الوقت قد حان لتحرر أنفسنا من هذا الاستبداد»¹⁰⁰. هناك مكان، كما ينبغي أبعاد الميوتريات.

الفصل الثامن

السُّلطة والعنف وأسس الاستعمار

ليس الهدف أن نكلف أو نحزّر أو نعلمه المتحارب الهندي المناسب النظريات السيكولوجية والاجتماعية الدائمة... الهدف هو أن تجعل بعض مصطلحاته عنيفة لبعض فئات المعرفة المعاصرة ذات الصلة، وأن تضعها في نظرية منافسة للعالمية.

أشور غامبي (1993)

كانت الهند «معرفة في نجاح» الإمبراطورية البريطانية الثانية، وقبلها، وكانت حركة استقلال الهند مصدر الإلهام لحركات متعطشة الاستعمار حول العالم، وقد غيرت انحصارها شكل السياسة في العالم، لكن في عام 1947 شطر أيضا الهند، وأسس بين الهندوس والمسلمين فحسب. لقد واجهت أجيال ما بعد الاستقلال حساسًا حسيًا مع لركة الاستعمار ومع أشكال جديدة من التبعة ومع أنماط من الانقسام والسلطة والتراجع، وقد حدث هذا الحساب عبر العلوم الاجتماعية والتي كانت لها هي نفسها علاقات مطلقة مع التقاليد الفكرية الطويلة للهند ومع الهيمنة الأوروبية. وفي هذا الفصل، سأتناول مجال القوى المؤثرة هذا، في نصوص علم التاريخ والتحليل الجدري والأكثروبولوجيا والسيكولوجيا الثقافية. ولا تترك هذه النصوص التجارب الحية، وأحيانًا المأساوية، للجداهير وحسب، لكنها أيضًا تعني حسنة طرائق جديدة للتفكير في علم الاجتماع ومستقبله.

نعمد وائلجيت جيت

في عام 1982، في الوقت الذي كان اليمين الجديد يوطد سلطته في بريطانيا والولايات المتحدة ونظام رجال الدين في إيران قد سطع المعارضة تقريباً والتولييراليون يستولون على صندوق النقد الدولي وأزمة المدونة الضخمة في أمريكا اللاتينية في بدايتها، أطلقت مجموعة من المؤرخين الراديكاليين من الهند سلسلة جديدة من الكتب التي تطورت إلى دورية. وقد أطلق عليها *South Asian History and Society* مع تادي لفرامشي، كان عنوانها الفرعي: *Writing on the Wall* وسجيت جنوب آسيا.

أعلن تصدير العدد الأول، المؤلف من المحرر المؤسس وائلجيت جيت، هذه في: تعزيز الظاهري المنهجي والمطلع لموضوعات تابعة في حقل الدراسات في جنوب آسيا، مع مساهمات من علماء في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية. وسيم استقصاء حقل كبير، لكن من دون تملق. كان هذا نوعاً فكرياً التصحيح التحيز النخبوي الذي هو سمة الكثير من البحوث والعمل الأكاديمي في هذا المجال بالذات.

في المقالة الموجزة التالية نحن بعض جوانب علم التاريخ لهذه أيام الاستعمار، يدرق جيت¹ إرثا التقليد الرئيسة للكتابة عن تاريخ الهند من المستعمرين البريطانيين حتى وحتى ما بعد الاستقلال. وهو يجادل في أن التركيز التقليدي على الدولة الاستعمارية والصراع حولها استثنى بصورة خطيرة الشؤون السياسية للشعب². وإلى جانب النخبة الماهات، جيتاجي جندج ونهرو، هناك مجال آخر، مجال مسقطي يلقاه للحياة الشعبية والوعي والسياسة، ولهذا المجال تعبيرة الخاصة وأيمده والمعبز عنها بحوارات على انتفاخات القلاحين. وتولين هذا المجال المستقل، ونسبب القبر، على نطاق هذه السياسة الشعبية وحولها وأثيرها، هذا مهمة دراسات التاج.

Ranjana Khanna, 1986 Some Aspects of the Historiography of Colonial Indian Subaltern (11 Studies, no. 1, 1982).

(11) التلميذ من كتب المطالعة.

بعد عشرين من الزمن، أصبحت دراسات التابع شهيرة ليس بين الفلاحين الهنود، لكن في جامعات أمريكا الشمالية. وقد أشاد بها كلٌّ من إدوارد سعيد وغيثري تشاكرافورتى سيفاكا¹³، ونظر إليها على أنها النموذجية لدراسات ما بعد الاستعمار. وأصبحت السلسلة والشبكة المحيطة بها وسيلة المناقشات ما بعد الحداثة للهوية والتشرد والاختلاف. لقد حدث شيء تجاوز الحالة التقليدية للمباحثة الأكاديمية، كما سألها هوبنودجي (يُنظر الفصل الخامس)، حيث كان المطلقون الحواريون يساقون إلى الحواريين ويتعلمون بتواضع مطاعهم وتقليدهم. لقد تجذبت دراسات التابع والمشاركين فيها إلى الدوائر المتروية نوقاً من المشهورين الجدد.

جذبت دراسات التابع على طول الطريق، سبلاً غير عادي من النقد وبعدها الثاني على سبيل المثال، كان موضوعاً لمرجعة نقدية لمؤلفين متعددين في أربعين صفحة في مجلة عتيدة أخرى. وفي أوقات مختلفة، ألهم أعضاء من مجموعة دراسات التابع بالتأريخ السوي، والحماسة الثورية غير الكافية والقليل من الماركسية والماركسية الزائفة والحداثة الزائفة وما بعد الحداثة الزائفة، وقد تم انتقادهم على أنهم متفرون أكثر من اللازم، وينظرون إلى الفلاحين برومانسية، ويصنعون الطبقات الوسطى. وقد انتقدوا باسم لينين وباسم لاكان وباسم دريدا وباسم غادري. وباسم فالرشاين، ومن المظاهرات، باسم غرامشي. وأُشير كتاباتهما وزنهما الثقيل ليس لبعدهما غير مراد حول دراسات التابع¹⁴.

ما المزيد الذي يمكن أن يقال؟ يتضمن التعليق النقدي قطعاً جميلة جداً وإبداعاً مقالة للمؤرخ والمشارك السابق سوميث سركار، بعنوان «تفكير التابع

Ranjit Khosla & Gayatri Chakravorty Spivak (eds.), *Selected Subaltern Studies* (New York: Oxford University Press, 1988).

Vinayak Chaturvedi (ed.), *Reading Subaltern Studies and the Postcolonial Condition* (New York and New Left Review, 2000); David Ludden (ed.), *Reading Subaltern Studies* (London: Anthem Press, 2001); Vinay Lax, *The History of History: Politics and Scholarship in Modern India* (New Delhi: Oxford University Press, 2003).

في مؤلفات الفايغ^{١٢١}. تبينت هذه البطالة تأثير عمدة ما بعد المستقلة الهندية، والتي برأها ماركسز توتخا من المملوكة الفايغية^{١٢٢}. والفصل التي جلبت الشهرة كان لها لمن: الانجراف بعيداً من مشروع توتيق لأوضاع الفقير والمهموم، وتعيين الكلافن السياسية داخل الهند.

تساعد مجلدة ماركسز في فهم الظاهرة الكلافية التي آلت إليها مؤلفاته الطبع، لكن هناك شيئاً أكثر يمكن أن يقال من أجل التراضى هذا الكتاب. أعريت الإصدارات الأولى من السلسلة، خطلاً عن استوائها على كتابات تاريخية اجتماعية حياء من نظرية لها قدر كبير من الغلابة.

وفي حين أن مشروع توتيق سياسة الشعبية يستلزم الترخيص التجريبي الدقيق المتناسق الذي كوّن الجزء الأكبر من الإصدارات الأولى، فإنه لم يكن قط تجريبياً برباً، وعبارة جعاً استمرت فعلاً على كلمة نظرية مبهمة، إن حركات الفلاحين والطلبة العاملة كانت «سياسية». إنها لم تكن، كما افترض كل من علم التاريخ الوطني والماركسي لمن وجهة نظر جعاً القضاة عصرية وغير موجهة نظرياً، إما البعية الوطنية وإما الحزب الثوري الوحيد لإعطائها شكلاً سياسياً. وفي سياق الحكم البريطاني، جسدت هذه الحركات على وجه التحديد سياسة متاهة للاستعمار.

لم تكن هذه السياسة نتيجة السياسة النخبة. وكان هذا المبدأ للمجال المستقل الذي عزله جعاً لقد نمت سياسة الطبع من الطرائق المحلية للحيات وعبرت عن أشكال محددة من الوعي، وذاكها بلغة الدين المحلي، وبعض أروع الأوراق في الإصدارات الأولى له مؤلفات الفايغ لتظهر البذور المحلية للسياسة بشكل واضح.

ومن الأمثلة التي نستشهد على الانكباب (كتاب) أربعة متفرعين من عام

^{١٢١} David Daskin, *Writing Social History* (New Delhi: Oxford University Press, 1997).

٥٤١

^{١٢٢} سبازي فويسيت بعض المأثورات الماركسية

1883، الذي اكتشف فيه غودام بانورا¹⁷ من وثائق الاضطرابات الهائلة لذلك العام حكايات مثل قصة تاجر القرية ديفي سينغ (Dev Singh). كان هذا الحكاكة لقصة مجتمع محلي من الفلاحين من منطقة صغيرة تتناول شراً عجميات على مفرضي المال كما على السلطة البريطانية، وسحابة تأليف حكومة مستقلة. وهذه الانتماء على المستوى الصغير سرعان ما تم قمعها بالقوة وتشتت قادتها.

وبالأسوأ من ذلك هو مقالة ثوروا الفلاحين والوطنية الهندية: حركة الفلاحين في أوميس، الجياندرا باندي¹⁸ ومن باندي أنه، حتى في سياق الحركة الوطنية غير المتداولة في تلك السنوات، كانت السياسة الفلاحية المحلية حركة مستقلة ذاتها، كانت لها آلياتها التنظيمية الخاصة - كيسان سينها (Kisan Sabha) أو جمعيات الفلاحين - ولقائدها الخاصون بهاء وأساليب عملها الخاصة ضد ملاك الأراضي والسلطات. واسترعت التعاضدات الفصحى أثناء قاعة المؤتمرات الوطني الهندي. وعندما جاء غاندي إلى المنطقة وتدخل في القضاء، كان ذلك بشكل رئيس كتحجج جميع الزراعة القذالية للفلاحين. ويجادل باندي بأن هذا يعكس الغرور الاستراتيجي لقيادة المؤتمرات بالتحالف مع الشعب الهندي، لإقامة الرأسمالية الاجتماعية للعامة. وتم سحق حركة غلام في أوميس، بدوره من الشرطة.

الصعوبة الواضحة في تتبع وهي الناجع هو أن قلة من المجموعات التابعة تركت سجلات مكتوبة، ولذا حتى ديفي سينغ قبلوا قبل أن يتنجوا أي تقليد شفهي. وفي واحدة من أروع حركاتها، طوّرت فواصات التابع مغارة في سوسيلوجيا المعرفة للسجل التاريخي، وشذعت بفرادة تاريخ التابع من خلال الوثائق التي أنتجتها الحزب الاستعمارية.

هكذا في الورقة من عام 1897، التي سبقته الإخبارية إليها، يقرأ بانورا مذكرات المتصربين البريطانيين، لكنه يقرأها من وجهة نظر المجتمعات

Chatterjee, *From Subjects of Empire to Citizens*, *Subaltern Studies*, no. 4 (1985), 171.

Chatterjee, *From Subjects of Empire to Citizens*, *Subaltern Studies*, no. 4 (1985), 171.

المصلحة المهيمنة. وحرص غيوش تشكرابارتي¹⁰⁰، في مقالة «شروط معرفة أحوال الطبقة العاملة»، على الجوت في كلكتا في أوائل القرن العشرين. وقد بين أن غياب التوليف حول القوى العاملة «حتى عندما يكون مطلوباً رسمياً» هو إشارة إلى النمط الطبقي لتوظيف العمال والسيطرة [عليهم] في معامل الجوت. وفي «نثر مكافحة التمرد»¹⁰¹، ومنطفاً كمقالة رئيسة له انتفاضة سانتال (1855) في عام 1855، بين جيتا كيف أن التقارير المكتوبة الأولية عن انتفاضات الفلاحين قد بنيت لتبرير استعمارية «الزواج» البريطاني [الهند البريطانية]. وقد مال المؤرخون اللاسطين إلى إعادة إنتاج وجهة النظر القسرية في هذه الوثائق، أو إلى تمثيلها بسرد شامل للضال الوطني أو الثوري. ومع ذلك، وكما بين جيتا أيضاً، فبقرارة نقدية منفصلة للأرشيف، يمكن إعادة بناء «مقصودية» وهي الثوار، ويمكن فهم المنطق المحلي للحركة، بما فيها عصرها القوي.

ولكنني مدّية في المهمة نفسها، فقد حاولت أن أهتم الطبقة والتغير في نوع الأمر من المستعمرات¹⁰²، وقرأت هذه الأوراق باهتمام ومنعت إنها تاريخ ماهر جداً. وهذا ليس لأن المؤلفين لديهم إحساس وإدراك لتفاصيل المهمة، وموهبة التحليل والسرد معاً. وكما في الحال مع هوكينز في أفريقيا وشرماتي في إيران، فإن سميتهم أعطيت إنحاشاً بوعي حاد للسلطة.

في واحدة من المقالات النقدية المبكرة في دراسات التابع، ناقشت روزا ليت أوهانلون¹⁰³ أن تالية «تابع» وتلبية الذي كان جيتا ورفاقه يتقدمونها

Dipak Chakrabarty, 'Conditions for Knowledge of Working-class Conditions: Employers, Civil Government and the Free Thinkers of Calcutta, 1890-1940', *Subaltern Studies*, no. 2 (1983).

Ramgopal Sanyal, 'The power of counter-images: Subaltern Studies', no. 2 (1983), 114-11.

Ramgopal Sanyal & T. B. Irving, *Class Struggle in Indian History* (Madras: 1977) Longman Classics, 1980).

Rosalind O'Hanlon, 'Reconstructing the Subject: Subaltern Studies and Histories of 1921 Resistance in Colonial South India', in: Rosalind O'Hanlon (ed.), *Reading Subaltern Studies* (London: Anthem Press, 1998).

بشدة، لم يكن مضموناً بها كثيراً تسمية فئات اجتماعية بقدر ما هي تهويل سرحي بانتشار السلطة والهيمنة. وقد كانت طريقة خلق أجندة للاستقصاء والتعليق دائماً إلى مقاومة السلطة، سواء بشكل علني مدخل أو غير علني.

أعتقد أن أرومانون كانت معينة، وإن حسابية مضمونة فحركات التاج لفعلها السلطة مسؤولة عن وضوح كتابة أفعالها عبر نطاق واسع من الموضوعات والمواقف التاريخية. وهذه طريقة رئيسة تختلف بها دراسات التاج عن الماركسية الأكثر تقليدية التي كانت القوة الرئيسة في اليسار الفكري الهندي. لقد كانت البحوث الماركسية معينة إلى حد بعيد في تعريف الفئات الاقتصادية الاجتماعية، وعصويتها الطليقات، وتوزيعها بصورة صحيحة.

مع ذلك، فإن باحثي دراسات التاج قد جازوا من الماركسية، من دون أدنى شك، وراحيت جداً، مثله على أن أحمد ليطر الفصل السادس، كان ناشطاً في حركة العمال في أربعينيات القرن العشرين وعصبيته. وكان على وجه الخصوص متابعاً في الحزب الشيوعي الهندي، الذي نشق عنه أيضاً متأخراً إلى حد ما عن ترك أن أحمد لحزب نوفا¹³. والمجموعة الأصغر سناً التي جمعها جمعاً لإنشاء دراسات التاج كانت متأثرة بالتطورات في الفكر الماركسي في ستينيات ذلك القرن وسبعينياته بما في ذلك تاريخ الطبقة العاملة الجديدة التي من بريطانيا والماركسية البهوية الآتية من باريس. وهناك مع ذلك إشارات قليلة من أي تأثير من الفكر الكوري في العالم الثالث كما في مقرونة قانون.

كانت الخلفية الماركسية نقطة البداية لبحث جمع الطموح، السيطرة من دون هيمنة وعلم تلويحيته¹⁴، والذي يجادل فيه بأن الأمبريالية البريطانية لم تحقق قط الهيمنة في المستعمرات الهندية، لا بل إن الراج كان مستقلاً إلى نحو مختلف وجهة وثيلة من الشرعية. ويشير جمعاً إلى أن التزعات المعولمة لتفافة البرجوازية، المستندة إلى الميول التوسعية لرأس المال، نجد جذعاً التاريخي

Shalini Aune & Gertjan Maas, «Kamraj Gode: A Biographical Sketch», *Indologist* 13:1 (2009), no. 9.

Kamraj Gode, «Dominance without Hegemony and its Historiography», *Indologist* 13:1 (2009), no. 6.

في الاستعمار. وهذه مناقشة تتقاطع مع النقد المتأخر لبريتش¹¹ الثيرالية في الأطراف.

والفكر الماركسي هو أيضًا نقطة الإنطلاق لأكثر محاولات دراسات التابع صراحة في التطوير للسلطة. ففي بحث أبارتا تشارجي عنوانه «المزيد من أنماط السلطة واللامعين»، وفي بحث سابل، وهو دراسة عن تقلبات التزم الطائفي في البنغال، أشار تشارجي إلى أن التفسير يكمن في نماذج أنظمة السلطة المتنافسة التي كانت موجودة خلال الانتقال إلى الرأسمالية. ويشرح تشارجي في «أنماط السلطة» في تنظيم هذه المفرد، والتي عُرِّف أنها تطبيق بشكل واسع على مجتمعات زراعية كبيرة.

تبدأ المحاولة بالقول بأن التبدل في نمط الإنتاج، كما تفهم بالمصطلحات الماركسية التقليدية، المرتبطة بهذه البنى الاقتصادية، لكنها غير مفهومة فيها هي أنماط من التبدل السياسي، المتمركز على الملكية وعلى تعريفات الحقوق أو الاستحقاقات. ويسمى تشارجي هذه أنماط السلطة. وهو يحدد ثلاثة أشكال: الطائفي حيث تُخصص الاستحقاقات على سلطة جماعة اجتماعية بأكملها، والإقطاعي وفيه تتبع الاستحقاقات بشكل أساس من القوة المادية (أي حالة هيمنة مباشرة) والبرجوازي، حيث حقوق الملكية مضمونة بقانون معتمد، والتمثل الهيمنة غير المباشرة من خلال مؤسسات متكومة تمثيلية.

الجزء الأكثر إثارة للاهتمام في مناقشة تشارجي يتعلق بالتفاعل بين هذه الأنماط. فالمجتمع الإقطاعي لم يُؤسَّس بوصفه نظامًا متجانسًا بل إنه يتضمن إندماج النمط الإقطاعي للسلطة في العالم الطائفي. كانت النتيجة مقاومة مستمرة للسلطة الإقطاعية، مع نتائج غير مستقرة. الاختلافات المتفاوتة، وإحادة التشكيل، كانت ممكنة، وبمحصولها عندما تصبح الملكية الإقطاعية لاعبًا قائمًا.

Raul Prebisch, «The Latin American periphery in the Global System of Capitalism», (1974) CEPAL Review, no. 11 (1984), pp. 143-158; Raul Prebisch, *Capitalismo periférico: crisis y transformación* (Buenos Aires: Fondo de Cultura Económica, 1981).

التمتع الطائفي للسلطة كان قائماً على توليد قيادة محلية عند الحاجة إلى ذلك، لكن من دون تأسيسها. ويتناول تشاترجي بإيجاز لعب التحوّل إلى النمط البرجوازي للسلطة، لكنه يقدم النقطة الرئيسة بأن توسع الرأسمالية يعني بساطة الإقطاعية. في الحقيقة كان بإمكانها دمج البنى الإقطاعية للهيمنة. وما تميل الرأسمالية نحوه هو انقراض النمط العائلي للسلطة. ويقدم تشاترجي تلخيصاً يليقاً لعنتي سنة من الاستعمار:

السمات السائدة هنا هي التحام أليات استيرادية جديدة في الاقتصاد الزراعي، وفلاحاً بالدعم الشد القانوني والنسج للسلطان السياسي الاستعماري، الأمر الذي يؤدي إلى إخضاع الطابع التجاري المنظم على الزراعة وإدماج الاقتصاد الزراعي بدرجات متفاوتة في سوق عالمية رأسمالية أكبر، ونمو قطاع صناعي جديد ذي قطاع محدود عامة مقترنة بالتخمين الكامل للاقتصاد. ومع تركيزات متفاوتة من رأسي المال الأجنبي، ورأسي المال الكومبرادوري¹¹⁶¹ وراشي المال الوطني، ونمو مؤسسات وعمليات سياسية جديدة مستندة إلى مفاهيم برجوازية للثقل والبروقراطية والنسج¹¹⁶².

كان التأثير في البنى الاجتماعية الموجودة من قبل متفاوتاً جداً في الممارسات، خالفاً الكثير من الاحتمالات غير المتوقعة، من خلال تداخل الأساليب المختلفة للسلطة، ومن هنا، وإمكانات استنتاج الصورة المرفقة الموثقة في عوالمات الفلج. ويقلون تشاترجي بصراحة هذا بصورة السلطة «الشرعية» [الدقيقة جداً] في أوروبا التي فدعها فوكو. ويقترح تشاترجي، أنه في «إيلام» التي تسمى متخلفة، فإن استل هذه الأشكال من السلطة مدني محدودة. فالتركيزات المتعلقة لأساليب السلطة عند الدول بعد الاستعمار هي العنفة المبرّرة، والقائمة الطائفة جديدة بالتكامل لإمكانات الطبقات الحاكمة التي لممارسة هيمنتها.

1161: أحوال المشروعات الأجنبية (البرجوازية)

Pasha Chatterjee, *Illusions of Power and the Peasantry: Subaltern Studies*, 1171
no. 2 (1988), p. 347.

هذا الاستنتاج الكتيب لم يكن الكلمة الأخيرة له دراسات الطبع حول موضوع السلطة. ففي الأعداد اللاحقة، بالإضافة إلى موضوعات البحوث تحولت بعيداً من المجموعات التابعة، لكن كما بين سركار¹¹¹، تحول الأفكار المفاهيمي أيضاً، وما عاد الانشقاق الرئيس بين الطبقة الحاكمة والطبقة التابعة، ولكن بين السلطة المعركة الاستعمارية المؤسسة في الدولة الحديثة، والدولة اللاحقة. وهذا واضح في كتاب بارنا لشارجي الأمة ونشاطها (*The Nation and its Fragments*) الذي نُشر بعد عشرة أعوام من البحث المتعلق بالسلطة. ما عاد التركيز على أنظمة سلطة الطبقة والأشكال المتغيرة للاقتصاد، لكن على محاوره الترتيب الوطنية والعلاقات مع هذا الدولة على أنها محور السلطة. باختصار، لقد تحركت دراسات الطبع والمجموعة التي حولها صوب ما بعد حداثة أكثر تقليدية. وأعتقد أن هذا أمر مؤسف لأن بنوية نموها بحسب جعلها وتحويل تشارجي الأصلي المفاهيمي للسلطة، كالتقارير مضمين إلى درجة عالية.

الجنود والعنف والنظرية النسوية

كان من بين الانشقاقات الموجهة لدراسات الطبع أنها لم تفلح إلا القليل حول نظام الطبقات الاجتماعية بين الهند والقبل لتقوله حول علاقات الجنودية (على الرغم من المخاطر نصيرة معروفة جداً لحقوق المرأة معها، وهي غيري سيغال¹¹²). وهذه الانشقاقات صحيحة بصورة محتملة بالنسبة إلى الإصدارات الأولى، والقصاص عن انتفاضات الفلاحين تحدثت كثيراً عن القادة المحليين لكنها بالكاد تلاحظ أن القادة هم حصراً من الرجال. ومع ذلك، فإن قضايا الجنودية دخلت لاحقاً. ففي المجلد الخامس، كتب جينا نفسه بحثاً وأعاد عوارض سموت تشاندرا¹¹³، حول علاقة من الفلاحين في البنغال في أواخر القرن التاسع عشر. وفي هذا [البحث] يعمل في شقها صغيرة جداً من الأمل ليشي صورة عن نظام الجنودية في مجتمع ريفي، والرموز التي قدمتها النساء الرقيات على السلطة الأبوية.

¹¹¹ Sarcar, Writing.

[111]

¹¹² Ranajit Guha, *A/Thousand Country: Subaltern Studies*, no. 1 (1982).

[112]

لم يكن بعدد بالطبع، الرجل الأول الذي يُشغل نفسه بالمصطفاة المراء. فكما لاحظ تشاترجي¹²⁰ فإن العلاقة بين الجنسين كانت قضية رئيسة في البنغال في منتصف القرن التاسع عشر. وكانت الإحصائيات عن المعاملة الهندية البرية للنساء جزءاً من البريز البريطاني للحكم الاستعماري، لكن الموضوع لم تناوله أيضاً من مفكرين من السكان الأصليين. فامورتلاندرا فيدياساغلر (Bharuchandra Vidyasagar) المصلح التربوي والشخصية الرئيسة في النهضة كلكوتا، في منتصف القرن التاسع عشر، انتقد بحدّة نظام علاقة القرابة الأبوية في أرماء بما في ذلك تعدد الزوجات وزواج الأطفال والمحظر المفروض على زواج الأرامل، وقد كتب الأسطر التالية اللاذعة:

لا تدعوا الجنس الأصعب غير المسطور يولد في هذه البلاد، حيث ليس لدى الرجال طفلة ولا تهرس ولا يعمور بالحق والخطأ ولا القدرة على تمييز الحفيد من المؤذي، وحيث الحفاظ على ما كان عليه هو ما يُعزى الوظيفة الوحيدة والمفوس الوحيدة [...] وحسب رأي عبقية تولد النساء في بماراتشاندرا على الإطلاق¹²¹.

وفي الجيل التالي، فإن بانكيشاندرا تشاترجي (Bankimchandra Chatterjee) [نشتابادهي] أكثر الروائيين الهنود شهرة قبل طاعون، والمعروف كمؤلف ترنيمة *Bande Mataram* للسلام للأوطان التي أصبحت أغنية وطنية أخذ موقفاً أكثر راديكالية. ففي مقالة له عن المساواة، استنكر حقيقة أنه «في جميع البلدان، النساء إماء لدى الرجال». وقد جادل ليس دفاعاً عن حق المرأة في الزواج وحقوق المرأة في الملكية وحسب، لكن أيضاً عن حق المرأة في التمتع في الأكنة العامة والمشاركة إلى مشاركة الرجال في رعاية الأطفال والعمل المنزلي، وهو موقفه لا يزال منطوقاً حتى بعد مئة عام¹²².

Partha Chatterjee, *The Nation and its Fragments: Colonial and Postcolonial Histories* (1993) (Oxford: Princeton University Press, 1993), chap. 4-7.

Notari, p. 267.

Sharma 12:11.

Bankimchandra Chatterjee, *Sociological Essays: Utilitarianism and Positivism in Bengal*, 1921 (S.S. Mukherjee & Maruti Mukherjee (trans. and ed.) Calcutta: Bhabhi India, 1986).

وقد تراجع تشاترجي لاحقاً عن هذه النظرة، لكن رجالاً آخرين في الإنجليزيا الهندية حملوا أيضاً قضية حقوق المرأة بمن فيهم السيد أحمد خان، كما سبقت الإشارة إليه في الفصل السادس.

كان تطور السياسة النسائية حول العدالة الجنوسية عملية بطيئة ومعقدة، وكانت النساء حاضرات في الحركة الوطنية بأعداد كبيرة، وليس النخبة منهن وحسب. وقد اعتمدت حملة غاندي للعزل الجماعي على دعم النساء. لكن النزعة الوطنية السائدة كما يتجلى بارزاً تشاترجي¹²¹، لم تطور برنامج سياسة جنسية في المجال العام. وشكلت مجموعة متنوعة من المنظمات النسائية في عشرينيات القرن العشرين منظمة شاملة، هي مؤتمر نساء عموم الهند. وطورت هذه الهيئة منظوراً للمساواة في الحقوق، لكنها ظلت أكثرها بعد الاستقلال. وهذه المنظمات النسائية التي كان لها مدى لمحي كانت بشكل رئيس المجموعات المشاركة التي أنشأتها الأحزاب السياسية التي يسيطر عليها الرجال.

وتأثير هذه المجموعات موضح بدراسة واثا راني¹²² للسياسة النسوية في كلكتا ومومباي، التي تبحث من كتب في باتيم بانغ طانانتكريك ماهيلا ساميتي (Pancham Banga Ganatantrik Mahila Samiti)، وهو الجناح النسائي للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) الحاكم في غرب البنغال. وقد عمل ساميتي أساساً لتفكيك الخط الرسمي النازل من القيادة الذكورية، وألغى ذلك الخط على التضامن بين نساء الطبقة العاملة ورجالها. لهذا، ففي حين أن نساء ساميتي عملن لتقديم الاقتصادي والتعليمي للمرأة، إلا أنهن أخرجن عن أي نهج مباشر لمصالح الرجال على سبيل المثال، جعل العنف الأسري قضية عامة.

كان العنف ضد المرأة، في أي حال، القضية المحفزة في أجزاء أخرى من الهند. وقد شكلت بعض مجموعات نساء المرأة في أوائل سبعينيات

¹²¹ Chatterjee, *The Nation*.

[121]

¹²² Rana Ray, *Fields of Power: Women's Movements in India* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995).

القرن العشرين. وفي السنوات التي أعقبت مباشرة دكتاتورية إندرا غاندي الموقرة، «الطوارئ» بين عامي 1975 و1977، انتشرت المنظمات النسوية بسرعة. فظهرت إلى الوجود طائفة واسعة من مجموعات النساء المستقلة، ولم إطلاقاً دوريات - وكانت أشهرها المنظمة (ملقوبتي) التي يؤدى نشرها في عام 1979 - وتعلقت بالبحوث والتعليم، ويؤثر بحملات عامة¹²¹.

بعد بضع سنوات، أجرت ناندينا غاندي وناندينا سينغ¹²² مسحاً استقصائياً عبر مقابلة مجموعات نسائية في أنحاء البلاد، وقد أحدثت مدى التوعية واتورها وفقاً في عسيهما. كانت هناك حملات حول العنف الأسري وجرائم القتل المتعلقة بالمهر والاغتصاب وصحة المرأة والمرأة في مكان العمل والإصلاح القانوني، وأكثر من ذلك. لكن مع هذا التنوع كله، كانت الحقيقة المستمرة عن عذب الرجال - الإحساس بالتهديد الذي تعيش في قلبه المرأة - هي المركزية للمحركة. وكما وضعتها كلمة التحرير في أول أعداد ملقوبتي:

أن تعيش كامرأة هو أن تعيش بخوف من الشروع والاغتصاب ومن الحرمان الاجتماعي في كل فصل من أصداننا نظرية. علينا أن نخشى القيام بكثير من الأشياء: أن نكون في الطريق بعد طول الظلام، أن نسافر وحدنا، أن نخرج البسول، أن نكون وحدنا في البسول، أن نكون مع الآخرين، أن نخوف حتى لا نقسم برهائنا الخاصة: أن نحبه، ونسقطه، ونعيش¹²³.

ولهذا بإمكاننا أن نتوقع أن تولد الحركة النسوية الهندية نظريات مميزة حول العنف وطبيعة النظام الجندي الذي أنتج مثل هذا الخوف المتفشي. لكن غاندي وشاء اللتين وضعنا عنواناً فرعياً لكتابهما النظرية والممارسة في الحركات النسائية المعاصرة في الهند، وجدنا القليل من العمل النظري التجريبي فيؤثران الحركة النسائية، بحسب روايتهما، ركزتا على التوثيق التجريبي

Radhika Kumar, «From Chaper to Kari: The Contemporary Indian Women's Movement», 1211 in: Niradhi Munshi (ed.), Gender and Politics in India (New Delhi: Oxford University Press, 1999).

Nandini Gaudil & Nandini Singh, *The Women at Stake: Theory and Practice in the 1211 Contemporary Women's Movement in India* (New Delhi: Kali for Women, 1992).

Radhika Kumar in Radhika Munshi (ed.), *A Shared-up Movement: Indian Women's Struggles* 1211 (London: Zed Books, 1998), p. 143.

لوضع المرأة وعلى مناقشة مشكلات الفاعلية. ومن إحدى المناسبات عندما كانت هناك محاولة واسعة لتحييز نظرية، فإنهما أوردتا بصراحة «مطلحة دراسية» شاكها شاكلي (Shankar) وهو مركز موارد مقرر في ممبائي، ليبحث المفاهيم التحليلية مثل السلطة الأبوية، والحركات النسوية وغيرها المختلفة. وكان عليه أن يوافق للافتراض إلى أنشادامس¹²⁸.

هل يمكن حركة نشطة ومتنوعة وإبداعية لتعدي القضايا حول سلطة الدولة، والتفاوت الطبقي الاجتماعي والتعريفات الثقافية للهويات النسائية، أن تعمل من دون نظرية؟ ربما لا، لأنه سرعان ما تم استيراد أنواع عدة من النظرية. وبواحدة كانت مضمومة من الأفكار المأخوذة منذ مدة طويلة بين اليسار الهندي: الاقتصاد السياسي الماركسي. وأصبحت الحركة النسوية الهندية مشاركة في المظاهرات، المأخوذة أيضاً في المديريول، حول العمل المنتج وغير المنتج وأجور العمل المنزلي والنساء كحيلي احتياطي للعمل، وانتقدت حول الأسرة وعلم جرم. وعلى سبيل المثال، فإن غابرييل ديتريش¹²⁹، إحدى المساعدات طوال أربعة عشر عامًا، كُرست قصلاً من الوزن الثقيل من كتابها تأملات في الحركة النسائية في الهند (*Reflections on the Women's Movement in India*) لهذه الأفكار. وقد استجبت، ولا غرابة، أن مسألة المرأة لا يمكن حلها داخل الرأسمالية، لكن هناك أيضاً ضرورة لحركة نسائية مستقلة.

ولمات الحركات النسوية الهندية الأخرى أدبيات النسويات الراديكالية التي أُنشئت في الولايات المتحدة بشكل رئيس في سبعينيات القرن العشرين. ولمعهم «السلطة الأبوية» (patriarchy) بوصفه نظاماً للهيمنة بأنه موضوع تحرير المرأة (Women's Liberation) في مطلع ذلك العقد. وبعد فترة ليست ببعيدة، قامت ماري دالي (Mary Daly) وسوزان غريفل (Susan Griffin) وكارولين ميرشت (Carolyn Merchant) والأمريات بإعلان صراحة هذه الفكرة في دولة شاكها

128. Gandhi & Singh, p. 208.

129. 1291

Gabriele Dietrich, *Reflections on the Women's Movement in India: Religion, Ecology, Development* (New Delhi: Baniyan India, 1993).

للمجتمع تكون فيها الإثاث مساحات ومتعلقات وفريات إلى الطبيعة، بينما يكون الذكور محدودين متنافسين ومعادين للطبيعة، وقد اعتبرت هذا النموذج المرأة التي أصبحت بعد سيطرت البشر المدافعات عن حقوق المرأة خارج الهند، فدلتا شيفرا (Pandita Shrivastava).

طبقت شيفرا في [كتابتها] البقاء في قيد الحياة: النساء والبيئة والتنمية¹⁴⁴ هذا النموذج على التطلعات البينة في الهند، وكان مصدرها الرئيس ميراث، وفروغن. وتشمل مواطن القوة في الكتاب سرعة لحركة حماية غابة تشينكو في شمال الهند منذ عام 1972، والذي أكدت فيه شيفرا، بطريقة لم تجعلها هزائم الطبع فقط، أعيد النساء في القيادة المحلية. وينتقد الكتاب بشكل زارعة الثورة الخضراء المستندة إلى بعوث على مستوى القرية على القدرة الرفيعة، وبرامج التنمية التي تستهلك المياه، والآن لم تتقدم لتتوشح عمل نساء القرية وإعادة إنتاج المجتمعات والبيئات المحلية.

هذه التعليقات، مع ذلك، مرشحة في الكلام البلاغي المبرر والتي تبين فيه النساء دافعا صالحات، وعلاقات بالبيئة، ومفردات في الطبيعة، ومساكنات، وهذات، ومفردات نحو إنتاج الحياة. والرجال في الغالب سينون ومزيجون والرجال الآخرين الذين هم سينون للبيئة، ومناخيون بشكل استثنائي، وهم منكون كالمحيم على الأسواق والأرياح والتنمية. التنمية ذاتا مدبرة، وهي ذاتا غير مصالح المرأة، وذاتا بقاومها «النساء والفلاحون وأبناء القبائل». هؤلاء الناس الفلاحون وذاتا تشيفرا، هم معنون بالعبادة التقليدية للطبيعة كـ«أم»، ويذمون «المبدأ النسوي» الأمي المعروف في التقاليد الهندية باسم براكري (Prakriti).

حسب ربح الفلاحين في شب الفطرة الهندية من المسلمين ومن المسيحيين إلى أقصى الحدود أن يتفردوا في عبادة الطبيعة لهذا على وجه التحديد مرفوض في القرآن، ينظر على سبيل المثال سورة الرعد. والفلاحون الآخرون مفتنون

¹⁴⁴ Pandita Shrivastava, *Keeping alive: Women, Ecology and Development* (London: Zed Books, 1993).

بين مئات الكهجات والعلاقات الاجتماعية والطوائف الدينية، وكما نلاحظ بينا أطروال¹³¹ في دراسة نقدية حكيمة، فإن شيئا في بنائها بصورة مثالية للنساء لتجامل التنوع الاجتماعي والديني والمناطقي والوطني، وهي لتجامل عمليا التنوع الجندي، وغالبا أهمية سلطة الطبقة المحلية في العمليات الاقتصادية.

وبكثافت الطابع الاجتماعي لبعض شيئا بصورة مبررة للاستغراب، فإدانة أسوأية في مناقشتها لشعر الكبد. هذا تحول شيئا¹³² حجة مبالغة نموًا عند الثقافة الأصلية للأشياء الغربية في الهند إلى استفزاز لأشجار الكينا ذاتها، والتي تبدو أنها تلمص الفوق المشعشع المذكورة، المعادية للحياة، والتي تكريها شيئا. ويبدو أنها لا تعرف أن الكينا ليس «زوجة مفرقة»، لكنه جنس كبير له أكثر من خمسة نوع مختلف، تتكلم بشكل جميل مع الينابيع المختلفة في جميع أنحاء أستراليا، ومعبودة أكثر في مواطنها الأصلية¹³³.

وما زال هناك تحط ثالث من النسوة المشرقية التي أشتحضر في إصدار متأخر من دراسات الطابع، غسوزي تارو ونيجاسوني نيراجاتا¹³⁴ يساورهما الغلق بشأن بروز نشاط المرأة في الثورات الوطنية للجناب الهندي الهندي، ودخول كينيا إسماء استخدام تكوين المرأة من مسؤولي المواد الكيميائية المعادة للمحل، ويساء تمثيلها في مناقشات حركة مناعضة المصور بين نساء الغربية. ما هي المشكلة النظرية هنا؟ بالنسبة إلى تارو ونيراجاتا، إنها التوافق المفرط للحركة النسائية مع الحركة الإنسانية والتفشل في الانفصال عن «الموضوع الإنساني»، والتشخيص مأمومة مباشرة من دليل ما بعد المعادلة النسوية في أستراليا الشمالية.

Uma Agrawal, «The Gender and Environment Debate: Lessons from India», in Niradhi, 1311
Memon (ed.), *Gender and Politics in India* (New Delhi: Oxford University Press, 1992).

Wiley, pp. 76-81.

1311

1312 من سيرة حياتها المعقدة مع الأنواع الغربية في ظل الترحيل الاستعماريين البريطانية

Robert Fyfe Zephania, *Disruptive Encounters: Queer Sex in Eastern Cape, South Africa* (Cape Town: UCT Press, 1994).

Simon Thom & Tejvan Gyanjani, «Problems for a Contemporary Theory of Gender», 1341
Suburban Studies, no. 9 (1998).

تؤدي هذه التصورين إلى أزمة في المشكلة الرئيسة حول النظرية في بلدان الجنوب. لا يستطيع مثقف يعمل خارج المربعول أن يتعامل الإنتاج الفكري للمربعول. ولا يخاف كثير، فإنه من الممكن والموفر للتعلم، استيراد نظرية مبرورية وإعطائها بساطة لمحة محلية. وهذا مفهوم حين نواجه حركة ناطقة مشكلات محلية ضخمة وهذا صحيح بالنسبة إلى حركة النساء الهنديات. وهو مفهوم أيضًا - على الرغم من أن الفروقات مختلفة - حيث يتوحد جزء كبير من الجمهور في المربعول الذي هو صحيح بالنسبة إلى مراسلات الطبع اللاحقة وترجمة الحياة الشيعية.

كانت مسألة النظرية الجنوبية، بعلية الحال، محل اعتبار المفكرين الهنود وتشارجي¹³¹، على سبيل المثال، يدعو إلى تنويع هدي لطال الفلاحين، بدلًا من تطبيق النماذج الأوروبية. وهو يعرض بعض الأفكار البديلة للاهتمام عن كيفية تحول الفكر الأوروبي عن المعدلة إلى النموذج عالمي وكيف قاد إلى قرادة خاطئة للمجتمع الاستعماري. يمكن رؤية معالجة للمشكلة أكثر استباقية وعملًا في عمل فينا داس¹³² الأحداث المرحلة: منظور التروبولوجي على الهند المعاصرة، وهو كتاب يصور، بين أشياء أخرى، أن التطور الفيزي حول العنف الجندري متولد من التجربة الهندية.

المعدلة والموت وحدود العلوم الاجتماعية

فينا داس عالمة أنثروبولوجيا متزوجة. وبدأ كتابها الأحداث المرحلة بدائل عميق في مهنتها العامة وعلاقتها بمجتمعها. والهدف ملها مثل أساتذتها (ينظر الفصل الرابع) كان، فترة طويلة منجم يشارك المفكرين الاجتماعيين المبرولين، من ميلاند (Melville) وبين (Bain) في القرن التاسع عشر حتى الرجل القوي (Homo Hierarchicus) لدمون (Dumont) في ستينات القرن العشرين. وقد طعن في استنكار هؤلاء للتأثير الفكري. ونصف داس متطرفة

¹³¹ Chatterjee, *The Nation*.

[131]

¹³² Vidya Das, *Critical Events: An Anthropological Perspective on Contemporary India* [1991] (New Delhi: Oxford University Press, 1995).

وقعت قبل جيل أكتد فيها أواند كيشور ساران (A. K. Sanyal) إسكان بناء علوم اجتماعية من منظور هندي في حين أن مومون رفض ذلك.

والسؤال الرئيس بالنسبة إلى داس، هو كيف لدارس الأنثروبولوجيا في الهند والبحوث الإثنوغرافية ممكنة في المجتمع الخاص للشخص إذا توفرت تعديلات لمعتقور، كما بين عمل حديث عن النشاط الجنسي¹³¹. لكن نظرية الإثنوغرافيا الكلاسيكية تفرض مسبقاً وجود مجتمع عاملي، عالم صغير مرتبط بالتقاليد ليكون هناك للمعرفه. وتشكك داس بقوا في هذا الافتراض. وأحد الموضوعات الرئيسة في كتابها هو أن الجماعة ليست كياناً اجتماعياً موجوداً مسبقاً، والجماعات تصبح فاعلاً سياسياً يطالب بحق تعريف التاريخ وتنظيم الهوية وإحداث العنف. الآن، الجماعة أيضاً تستعمر عالم حياة الفرد بالطريقة نفسها كما تستعمر الدولة عالم حياة الجماعة. وفي أوضاع الحداثة الهندية فإن التشكيلات جديدة من الجماعة والثقافة قد تبلت، وقد أصبحت فعلاً مواقع التراع الرئيسة في المجتمع والسياسة المعاصرين الهنديين¹³².

ويقدم العالم الأنثروبولوجي الآن، ليس بالانغماس في حزام دائري من التقليد، لكن عبر طريق مؤلم من دراسة تلك التراجمات الرئيسة. ويبحث النص الرئيس من الأحداث المخرجة سلسلة من التراجمات داخل المجتمع الهندي في الجيلين الأخيرين: العنف ضد المرأة عند التقسيم¹³³ في عام 1947، والحالة الفئاعية لمطالبة امرأة مسلمة زوجها المطلق بالثقة، وهواقب موت امرأة شابة من الراجهوت (Rajput) بالساتي¹³⁴ (sati) التثاق لصلال الشيخ الانفصالي، والكارثة الكيميائية المروعة في بوبال (Bhopal) في عام 1984، حيث قُتل أثنان

Sapna Bhattacha, *Made in India: Globalization, Power, Sexualities, Transnational* (2011) Penguin (New York, Palgrave Macmillan, 2014).

Das, p. 11.

[131]

[132] هو تقسيم الإمبراطورية الهندية في عام 1947 والموافق مع حرب بين القوات الهندية من جهة والقوات الباكستانية حول عصر المناطق الحدودية بينهما ذات الأغلط السكاني بين المسلمين والهندوس، المخرجة.

[133] قضية المرأة بطبها في نر سعرة لعل زوجها -المزوجة-

وخمسة شلص وتكر أكثر من ثلاثة ألف آخرين في أسوأ حالات صناعية في التاريخ.

لذلك فإن تحليل داسي للكارثة يهيئ ليس محاولة لأتواخاها من المجتمعات المحلية التي تدعو بتسرب الغاز السام. لا بل إنها تركز على المشاركة القانونية التي تبعد ذلك، وبصورة خاصة على المناقشات الطبية والقضائية والسيطرة على المعرفة. كان هناك تدخل قوي من الدولة. وتولت حكومة الهند الإجراءات ضد شركة يونيون كاربايد وسيطرت الحكومة الإقليمية في داتيا برايش على المعلومات الطبية عن أثار الكارثة، وفرضت المحكمة العليا تسوية (بمقدار مليون أنها غير عادلة جزئياً) على الشركة وعلى الضحايا. وكللت المهمة الطبية مشاركة أيضاً بوضع شروط لبحث الأثار، والمسؤولية جعلت من المستحيل على كثير من الضحايا تقديم قضاياهم. وبالتالي، فإن معاداة التاجين أصبحت مناسبة لممارسة السلطة من المهنة الطبية³⁴.

مع ذلك فإن هذا يتجاهل أمام العملية القانونية التي تتركها داس، حيث أهرست فيها أصوات الضحايا طوال سنوات، وعلقت الحكومة والمتاورات القضائية محل التاملين، والتفاصيل أكثر تعقيداً من إعطاء ذكرها هنا، لكنني سأكتسب بالتكامل ملخص داس المترجم للدور الهلالي الذي كان على معاداة الشعب أن تؤديه:

كان القضاة محبين وأظهروا إنسانيتهم وحداية لفرعية المؤسسة القضائية التي كانوا جزءاً منها. وكانت سمعة الضحايا أملاً سرمد طيفاً يمكن إقارنها لشرح لماذا لم يتم استشارة الضحايا، ولماذا أُميد تعريف احتياجاتهم على التسوية على أنها أفضل أليس لا يتحملون المسؤولية، وبهذا، ولشرح استبعاد حقيقة أن القضاة لم يسمعوا أنهم مازمون بالطلب من الحكومة ومؤسستها الطبية أن تفتح أمام المصحف العام ما تمزق من باب الإغاة والمساعدة وأن تتعامل ما لم توليد من أثار العنايات المعترية الفائلة في صحة الناس.

وأخيراً، يجب حثيئة أنهم فشلوا تماماً في تحديد المسؤولية عن الحادثة، وبالتالي حولوا قضية مسؤولية التعويض المتعلقة الجسيات إلى مسألة صدقة متعددة الجنسيات.¹⁰⁷

مخضبةً داس وأصبح ومن يمكنه التملك في أنه مبررةً لكن إضافة إلى تعبيرها عن سطوتها على مجرى الأحداث الأليماء فإن هذه القصة تصور أيضاً تحليلها الاجتماعي الدقيق، والمركّز على التفاعل بين الخطاب والسلطة المؤسسية. وفي ممارسة السلطة القانونية والسلطة الإدارية، أوجست ألام فصاحتها التسمم الاجتماعي إلى خطاب تبريري للذات من المؤسسات. وأحداث القولة، بالنتيجة، تعریف الحقيقة، لكن ليس في حيز ملصقة الناس الذين تدعي أنها تعاليمهم.

وقدرة القولة على تعريف الواقع هي أيضاً قضية في تناول داس للعنف الجندي في التقسيم. لقد كان أمر حمل للحكم الاستعماري البريطاني هو تقطيع الهند إلى أجزاء، وكان تدشين الدولتين المستطلتين باكستان والهند مصحوراً بزعامة طائفية مرّة مات فيها مئات الآلاف، وأصبح ملايين حدة لاجئين عبر الحدود الجديدة.

إحدى السمات الخاصة لهذه الأحداث كان العنف من الرجال ضد النساء: الاغتصاب الجماعي، والاختطاف والتحويل (بحسب ما قيل) بنساء مجتمع «الأعداء» وجرائم قتل الشرف للنساء من مجتمع الشفيع نفسه. وتجلت داس هذه الأحداث، وبخصوصاً بين السكان السبع والهندوس في البنجاب في شمال غرب الهند. وهي تقرأها إلى أبعد من حالة النساء المأثورة لليفي ستروس بأنها علامات في التبادل الزوجي بين الرجال. تصبح النساء في أحوال الأزمات، علامة في التبادل الزوجي للظروف والكراهية بين مجموعات الرجال. وتصبح أصداء النساء أرض معرفّة الرجال: من هنا يبحث قبل منهم عن معاقبة الآخر، ليس بعلامه وحسب لكن أيضاً وبصورة خاصة أكثر، على نساء الطرف الآخر حتى تصبح ذكرى إهدار الكرامة لا تقطع عن معارقة المستقبل.¹⁰⁸

¹⁰⁷ Ibid., p. 144.

[107]

¹⁰⁸ Ibid., p. 146.

[108]

بانت حملة المهاتما غاندي الطويلة لتوحيد الهندوس والمسلمين بالقشل، وكانت حملة الأخيرة معارضة لإلغاء هذا العنصر. ولهذا تم إسكانه إلى الأبد من سلّج هندوسي¹⁰⁰. واتخذت الحكومة بعد الاستعمار لمهند موثقا قريبا من موثق غاندي. في الواقع، إن العنصر الصناعي توثق في أوائل عام 1948. وبعدما واجهت الحكومة مسألة ما ستفعله بألاف النساء اللواتي كن قد اعتلطن.

يقدم تحليل داس عن الارتجال الذي يلي تقريرا رافعا عن تعقيدات علاقات الجندر وسلطة الدولة. فقد أقامت كل من حكومتى الهند وباكستان برامج لإعادة اللاجئين إلى الوطن، في الواقع أدخلت في عالم الدولة اعتبارات الطهارة والشرف التي كانت سابقا من شؤون العائلة والقرية.

على الجانب الهندي، وهو مجال تركيز بحث داس، دعت الحكومة الاختصاصيين الاجتماعيين لحل المشكلات بين الأفراد والمساعدة في إعادة التوطين. أصبح الاختصاصيون الاجتماعيون، مثلهم مثل الأطباء والقضاة في أحداث بهوبال، الأصوات صاحبة السلطة في تحديد ما هو جيد للنساء المعنيات. ولجعل الآلة تعمل، أعادت الدولة في هذه الحالة أيضا تعريف الواقع، وضعت النساء في قوائم إما مسلمات وإما هندوسيات، أصبح متجاوزة جميع تعقيدات الارتباطات المختلطة أو العلاقات والهويات المتغيرة.

كانت النتيجة في بعض الحالات - ومن المستحيل معرفة عددها - مأساة إنسانية جديدة، تم فيها تعزيز علاقات جديدة وأسر مختلطة. وقد تهرت نساء من الأقليات ورفضن العرف. ولاحظت داس أن الرمية العامة لإعادة النساء والأطفال إلى مجتمعاتهم تجاهلت مرونة علاقات الجندرية والممارسات الأممية، التي كانت في كثير من الحالات قد خلقت المصالحة بالفعل. كما أنها تجاهلت مخاوف الأحداث التي قد تكون فيها الزوجات المختلطة تزيّنا محظيا طارئا لحماية نساء من مجموعة الأقلية من العنف في كل مكان حولهن.

¹⁰⁰ Yogesh Chhabra, *Reconstructing Gandhi's* (London: Century, 1997).

لو أن النساء ذُعنَ عكس أيديولوجيا الطهارة قد يفضلن العيش في مجتمع آخر بدلاً من أن يُلقنَ بذاعي الشرف على أيدي أقاربهن الذكور، وحتى في مثل هذه الحالات البائسة، كما تجادل داس، فإن لدى النساء درجة من الفاعلية التي كان التفسير الرسمي للأحداث غافلاً عنها.

في الفصول الأخيرة من الأحداث المخرجة، تُعيد داس أفكارها في أنثروبولوجيا الألم وفي طبيعة العلوم الاجتماعية. وهي تأخذ في الاعتبار، لكنها لا تقبل، أن أعراف العلوم الاجتماعية تعود إلى الخلق على دوركهيلم الذي اعتبر الألم (مطلقاً في المبادئ) وسيلة للتقادم الاجتماعي، والذي يرى العلاقات الاجتماعية متفردة على البدن. وفي أحداث مثل عطف القسم، كما تشير داس، فإن العمليات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية تُعطى العصب عن الكلام وعن المعرفة على تمثيل معاناة المرء، مما يزداد من الإزهاب نفسه والعطف الجنسي والإنجابي للتقسيم:

لا يمكن فهم بأحد العلاقات الاجتماعية على أنها النموذج لهم أي علاقة بين الأشخاص حتى لو كانوا يعرف بعضهم بعضاً قبل هذه الأحداث؛ لو بأحد العلاقات بين الأوجه المختلفة للبيئة الاجتماعية كما في السياسة والتقريب على أنها النموذج.¹⁰⁰

كانت هذه الأحداث مخرج إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، كان على الناس أن يخترعوا النصوص. وفي لحظات الإزهاب هذه، فإن مصير الناس المستمولين، والنتائج الحسة أو السيئة، كانت تتقرر بعمليات أبعد من الفهم الإنساني؛ إنه في هذا السياق الثقيل، عند العرق العريق في السوسيولوجيا بالبحث عن معنى في وجه المعاناة وبدلاً من ذلك الفرحنة نظرية فومبي قد تكون أقرب كثيراً لهم النفسية للعالم على أنه عرضي وعجائز في طبيعة.¹⁰¹

Das, p. 208.

[101]

Das, p. 21.

[102]

لكن هذا لا يعني أننا يجب أن نعتبر السوسولوجيا أو الأنثروبولوجيا وفي واحدة من أكثر الخطوات أصالة وتأثيراً في مناقشتها، اقترح ماس وثلاثة مختلفة لعلم الاجتماع. يجب أن يقوم علم الاجتماع التواضع مع جميع محاولات إنشاء احتكاكات للحقيقة، سواء أكانت من الدولة الحديثة أم من «الجماعات» التي تدعي مكاناً في السياسة، أو تلك الجماعات المهنية.

تحتوي هذه السرديات القوية مسألة ملحة من أجل إتاحة المجال للسرديات الأخرى أن تقدم، ولربط مختلف السرديات بعضها بعضاً. وهذه عملية إيجابية، وليست سلبية معطلة، وهي تسمح للتحالف لوضع أكثر للتحالف مع حلقة الضحية، الحلقة المتجسدة في الضحية. ويشرح هذا لإمكانات جديدة السعي نحو العدالة، والأنثروبولوجيا يمكن رؤيتها مشكلة جسداً واحداً مع الضحية¹⁴⁰.

هذا القرائن صعب، مع أنه قد يكون واحداً كاملاً في حرف علم الاجتماع التداخل نفسه بالجمع والفهم، وليس من الصعب رؤية كيف يمكن أن يطين على علم الاجتماع لما هو أبعد كثيراً من الهند، كما في التحليل العميق لمداني¹⁴¹. للإبادة الصناعية في رواندا في عام 1994. وفي أي حال، هناك تعقيدات. في أحداث دراسات ماس، هناك القليل من الشك حول من هو الضحية، وهنري ممداني عندما يصبح الضحايا قلة، يشير إلى أن هذا يمكن أن يكون موضع شك. كانت أعداد الوفيات في عام 1994 الأسوأ في حلقة من القمع والقتل والخوف والانتقام التي كان فيها كل من الهوتو والتوتسي فاعلين، حلقة بدأت قبل ذلك بكثير، وقد لا تنتهي.

مع ذلك، فإن بحث ممداني يؤكد بصورة صارخة صحة أخرى من صميم ماس. فنتقدم مثل الهندوس والمسلمين في الهند، لم يكن الهوتو والتوتسي في رواندا وبيروني وحدين اجتماعيين أصليتين مع أنهما الآن «جماعتان»

140. Ibid., pp. 23, 209.

141/3

Mohamed Mamdani, *When Politics Becomes Culture: Colonialism, Nationalism and the 1994 Genocide in Rwanda* (Princeton: Princeton University Press, 2004).

متعارفان، إلهما لشخصيتان (موريتان) حديثتان نسبيًا، أُنشِتا سياسيًا، واخترتا وتشكلتا على وجه الخصوص من الدولة الاستعمارية.

وهذا متصل بنظرة داس إلى وطبع علماء الاجتماع في الأطراف. داس مفروء جدًا في الأقيان الأمريكية والأوروبية الشمالية، وهي تترك أن يبحث الأثنروبولوجيا ما زال فيه إعجاب أوروبي التوجه، ومع ذلك فإنها تؤكد أن النمط المتصور في عالم الأثنروبولوجيين في أقطار الأطراف مثل البرازيل والهند لا تماثل تلك التي في الأنماط الأوروبية¹⁰⁰.

والأنماط المختلفة لأن تكون كذلك قد تؤدي إلى مساوات مختلفة لعوم الفهم. ومن هنا، فإن دراسة داس ذاتها للأحداث العرجة، بوصفها طريقة لتجاوز التركيز القديم على المجتمع المحلي، تؤدي إلى الاهتمام بحدود نتائج العلاقات الاجتماعية. وعند نهاية الكتاب تمامًا، تتناول داس العلاقة بين العمليات العالمية والبحث عن تفاصيل محلية، والتي غالبًا ما تربحت في أحوال يكون فيها المحلي تغطي عليه. وإنه في هذا السياق برز في التركيز دور تفكيكي وجاد لعلم الاجتماع.

المعارضات الحديثة

أجرت فيما داس بحثًا حول عطف التقسيم بالتعاون مع أشير لاندري (مفرد) وديفيد، وهو ثاني أبحر إلى الآن. واحد من المفكرين الرواد البرازيليين في الهند، لاندري يُعاهض كلاً من الترحيل: الرطوبة الهندوسية والعلمانية على حد سواء. وهو كاتب غزير الإنتاج كتب مقالات مقصدة بالبحرية عن التاريخ الأمي والسبيل المعاصرة وتراجم الحياة (الشعر) العلمية والفروع الفنية وحكومة التكنولوجيا. وأكثر من ذلك، وسأركز بشكل رئيس على نص واحد يناقش فيه الثقافة الاستعمارية والدور السياسية الغائبة، لكنني سأبين أيضًا أن هذا قاد إلى تلخيص واقع لجانب آسيا المعاصر.

وللندي عاقبة في علم النفس السريري، وقبلة للفكر الفرويداني واضح. والجانب العاطفي من الثقافة والسياسة هو اعتمادها المركزي. ويستخدم ناندي بحرية التصديقات الفرويدية وما بعد الفرويدية ما يجعله في بعض الأحيان قريباً جداً من مدرسة الثقافة والتمثيلية، للأنثروبولوجيا التحليلية النفسية في الولايات المتحدة في أربعينيات القرن العشرين. لكن حيث كان لهؤلاء المتعبرين نظرة ثابتة أو جسيمة للثقافة، فإن ناندي يعمل على النموذج للثقافة جمعي، متغير باستمرار، متخبط يعمل في سياسة الحداثة.

على الرغم من أن ناندي استخدم بحرية علم النفس المتروبولي - وأيضاً الفلسفة والتاريخ والسوسيولوجيا والتحليل الثقافي المتروبولي - إلا أنه بعيد من القيام بنظرية شمولية في الجنوب. وبعد إحدى النقاط اعترافاً مازحاً بإساءة الاستخدام المتعمدة لمفاهيم من علم النفس والسوسيولوجيا مؤتمراً على رغبة في الاستعارة لكن أيضاً على تصميم للمجادلة بمصطلحات غريبة، كما نرى في مطلع هذا الفصل.

يقترح هذا سبباً لثقة في المصطلحات الهندية، وناندي لديه ما يبرر لذلك الثقة هذه. فلهذه معرفة تفصيلية بالأعراف الهندية التقليدية للفكر الديني والفلسفي والسياسي والأدب والفنون وقد استخدم هذه المصادر في عمله بحرية. على سبيل المثال، كتب مجلة *والده* عن روبرت راينفولدات طافور يبحث مستقيماً عن الطابع المتغير للوطنية والهوية الوطنية والبناء السياسي للثلاث¹⁰¹. وقد سلط ناندي الضوء على شخصيات هندية يوصفه متأخر الحياة النمسي كليل بهالشارجي (K. L. Bhattacharya)، المتشدد لبناء الحدود في خمسينيات القرن العشرين - وفي سجل مختلف - لائل غاندي البراهماني (Mahatmas Gandhi).

تناولت بحوث ناندي المبكرة¹⁰² معضلات القيام بعلوم على النمط

Aditi Nandy, *Daughter of Canada: The Essential Aditi Nandy* (New Delhi: Oxford 1981) University Press, 2004), pp. 100-111.

Aditi Nandy, *Alternative Sciences: Creativity and Ideology in Post Indian Science* (1991) (New Delhi: Aditi, 1992).

العربي في المستعمرة الهندية، مثيرة مغلوبة تكتيلية ثقيلة التي لهوتوندي في أفريقيا الغربية (نظر الفصل الخامس). واستمرت اعتمادات تاندي بالعلوم، لكنه لم يتحرك في اتجاه سوسيولوجيا المعرفة، بل نحو تشخيص الثقافة التكنولوجية، وقد شكّل هذا بدوره بتحليل للتكنولوجيا في كتابه الأكثر تأثيراً: *العلم العميق*¹⁰⁰.

يتألف كتاب *العلم العميق* الذي يحمل العنوان العربي «فقدان الذات واستعادتها في ظل الاستعمار» من تمهيد، بليغ، ومقالتين مقارنتين، متداخلتين جزئياً هما سيكولوجية الاستعمار «The Psychology of Colonialism»¹⁰¹، والمعلق غير المستعمّر «The Uncolonized Mind»¹⁰²، يبدأ بتندي بالتأكيد أن الاستعمار لم يكن بنية اقتصادية وسياسية محض، لكنه كان أيضاً بنية ثقافية ونفسية، حالة ذهنية في المستعمرين أبكر العمى والمستعمرين أفتح العمى¹⁰³، وهذا لم يبدأ في وقت الفتح الأول، لقد تطلق الملوك - المصومون في شركة الهند الشرقية بسرقة محافظ السكان المحليين ولم يكن لديهم أي اهتمام بالعبث بحلولهم. في الواقع كان الفتحون الأوائل يكونون احتراماً كبيراً للحضارة الهندية. لكن هذا تغير في «الاستعمار الثاني» في القرن التاسع عشر، عندما تطلق البريطانيون للسيطرة على ما كانوا قد أصبحوا يعتبرونه الآن ثقافة بدائية ولتغييرها.

كانت حركة تاندي الرئيسة تسلط ضوء على المستعمرين. لقد أُنشِج حكم الراج في القرن التاسع عشر تغييرات عميقة في الثقافة البريطانية. ويشدّد تاندي على أمرين: مبالغة وتسيط للتكورية المثبتة الآن في تعلمين نام مع الأنوثة وتكسين لسن الرشد مقابل الطفولة، الذي أصبح الاستعارة المهيمنة في التنمية الثقافية. باختصار، نحيل المستعمرون البريطانيون أنفسهم كتاباتين الفحول الذين يحكمون أفعالاً مثل الأطفال وأو متخشين بحاجة إلى التوكير والتسويق والزجبار في اتجاه الحضارة والتقدم.

John Hardy, *The Atomic Energy: East and West under Colonialism* (Oxon: 1921)
Oxford: Oxford University Press, 1989.

Ibid., p. 1.

1011

قبل بعض هذا في تواريخ علماء آخرين عن الإسرائيلية. وجهة نائدي فرقة في تشديدها على الأضرار السيكولوجية التي سببها هذا النظام للبريطانيين. لقد أدى إلى لمجد العنف واحتقار الضعيف والأثولة والخوف من التعذيب الثقافي والحاجة إلى تحصين النفس من الأثر الشرطي وعبادة البسالة المذكورة. ويمكن رؤية هذه في شكل مبالغ فيه بين قوات الاحتلال، لكن أحميد تقديمها في الثقافة البريطانية في الوطن. وقد رعت هناك وهم التجانس (التجنس البريطاني) الذي هو واحد من أفكار التسمات برونزا في الأيديولوجية الإسرائيلية. وقد تم تصغيره كما ينبغي إلى المستعمرات الاستيطانية كإسرائيليا وكندا. وساعد على تعزيز الدخيل على الصيغة الغربية في الحرب العالمية الأولى.

يطور نائدي هذه الأفكار الرئيسة في تحليل بارغ لروبنارد كيلنج (Killing) (1994)، المفكر البريطاني الأكثر شهرة في الامبراطورية البريطانية أيام دروبها. وتدعي طقولة كيلنج مع موطئه الهند أكثر دالما في مرحلة الرجولة على الرغم من أنها كايلا مخطي حازت كتابات رائعة من الهند. وقد أضيف كيلنج، في الواقع، صفة ذاتية على ضرورة عقب الاستعمار: «إذا لم يكن لديه أي شفقة نحو ضحايا العالم، فلم يكن لديه أي شفقة نحو جزء من نفسه أيضا»¹²⁴. وتتعلم توازن كيلنج عندما قلل إنه على النجبة الغربية في عام 1913.

لكن الضرر النفسي كان واسع الانتشار أيضا بين القسام المجتمع الهندي المكشوفة¹²⁵، والتي أجبرت ليس على التصالح مع الاحتلال وحسب، لكن أيضا مع الاحتلال العنصري المنغرس في النظام المطور للحكم البريطاني. وتعلمت بعض أقوى كتابات نائدي رعات الفعل المتبادلة للمفكرين الهنود على هذا الوضع في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وإن فنانة السيكولوجية - كالتصافي مع المحتدي - لها نوردها ونائدي فازر على تحليل المشكلة التي دعاها آل أحمد «التسمم بالغرب» (إنظر الفصل السادس) بعض أكبر بكثير.

¹²⁴ Ibid., p. 88.

[24]

¹²⁵ Ibid., p. 76.

[25]

كانت إحدى دعائم الفعل لسبع الذكورية المبالغ فيها لثقافة الاستعمارية البريطانية، ولم يكن من الصعب القيام بذلك، أصلًا في الاعتبار الثقافة الاجتماعية الغائبة، التشتتية، والبعيدة عن الطيف المصحف في التلاسيكيات الهندوسية، وأصلًا في الاعتبار أيضًا الميل البريطاني إلى الإعجاب به الأعراف العسكرية¹ بين رعاياهم. وهذا أنتج معارلات للثورة المسلحة:

لقد سعوا إلى إحياء ذكرى الهنود بالتحال الهزيمة بالبريطانيين، وهم يقاتلون في الأقطاب ضد احتمالات ميؤوس منها لتحرير الأول، مرة واحدة وإلى الأبد، من القادة التاريخية لوزيمهم الطغاة السلة في أعباء السلطة العفنة، والسياسة المشددة. وأعطى هذا شرعية من الفرجة القاتلة لما كان قد أصبح، في الثقافة المهيمنة للاستعمار، الصفات المميزة الحاسمة للرجولة العدواني والإنجاز والسيطرة والتفاني والسلطة².

أحمد البريطانيون هذه التحديات من دون مشقة كبيرة، إذ كانت لديهم بئارض أكثر، ومرفوا ما يجب القيام به بشأن مثل هذه المعارضة.

وربما آخر كان في المبالغة في ما بدا أن البريطانيين يرفضونه أكثر من غيرها: الديانة الهندية. وقد قاد هذا إلى طبع آخر، مع بدء أصحاب الصحوة بإعادة بناء الروحية الهندوسية السلسة واللامتناحية على نمط الدين المسيحي. وحلاوة على ذلك هناك رد آخر هو اعتماد وجهة النظر البريطانية حول تخلف الثقافة الهندية والانتكاس على برنامج التحديث. وقد يشمل هذا المدارس على النمط الغربي واستعمال اللغة الإنكليزية في المنزل واعتماد اللباس الغربي والتحول إلى المسيحية أو العمل لدى النظام الاستعماري.

كان هناك الكثير من المجموعات المؤلفة من هذه الرموز. وقد كانها ناعدي من خلال دراسات حالة قصيرة للمثقفين، مثل الروائي بانكيماتشارا نلناترجي التي تمت الإشارة إليه من قبل، والذي شق طريقه عبر الإيديولوجية اليسارية على طريقة جون ستوارت ميل إلى طائفة من الكوكتا مبية على خطوط

أوروبية¹⁰⁰. وتحليل نقدي الأكثر تأثيرًا لسري أورويندو بعنوان *دولة أول* (عالم طائفة خفية) (2004) غنّي معاصر بمعنى أنه زعيم طائفة مستبد.

كانت طفولة أورويندو في أواخر القرن التاسع عشر صورة مرآة لطفولة كينغ، مبتدئة في أسرة يحكمها أب ملتزم بالكامل بالثقافة البريطانية. وقد أخذ والده إلى إنكلترا وهو في السابعة من عمره، وأُترك هناك مع عائلة إنكليزية، وأُرسل إلى المدرسة ثم إلى الجامعة في إنكلترا. وحق أورويندو بصفته تلميذًا وخبيرًا طريقه نحو الرغبات المعنوية للإمبريالية البريطانية، وعاد إلى الهند، وأصبح بعيد أريج لغات، وحاررًا كافيًا وطنيًا ثوريًا، وأخذ صورة تشترجي المجازية للهند على أنها الأم المحتاجة إلى الإصلاح. وبطول عام 1908 كان في السجن بسبب التحريض على الفتنة.

ولحسن حظه خلى سبيله، وغرّر أورويندو اتجاهه وانسحب إلى حياة نامية بومبي معتكفًا، سعى بعد ذلك إلى شلطة اليوغا بدلًا من السلطة العسكرية. وعلى مدى الأوامر الثلاثين التالية، ونحت تأثير أحد الفرنسيين من أتباعه، والذي مثله أورويندو بشكل الأم، تحولت مجموعته إلى طائفة دينية هندية متعبدية ومحافظة مع أورويندو كسلطان أعلى. وقد انسحب في محادثات لتحقيق سلام عالمي بممارسات يوغا لا تصدق بشكل متزايد.

وكما يلاحظ نقدي من المستحيل قراءة حياة أورويندو من دون استشعار الأهم "الداخلي" الذي سار مع الإمبريالية في الهنداء الأهم الذي خوره في العاقلة وفي التعليم، متجهًا للخلام في التصوف وحسب التصوف السياسي في البداية، ثم كعبادة طائفية. وقد أخذ نقدي هذا مؤخرًا إلى رد تكاهي أوسع، رد فيه المجتمع الهندي على استبدالات الهيمنة الاستعمارية بسطافات وتناقضات. وفي مطلع ميزاء كتب:

إن عالم كاتب البث الذي يكتب في سر بعيد، فيما أنه يخطب من عالم كوي، أو يؤكده بطريقة مزيلة من على سطح المنزل... لا يلهي، الشعر هو

شعر وحسب، والمهرجون هم مهرجون وحسب (١٠٠). ولآخرين، الشعر - والمهرج - يمكنهما أن يكونا أيضاً تمرقاً سرّاً، تأكيداً للحالة الصحية للعقل في عالم صحي، فكري وعاطفي للشعر. وليس بالضرورة أن يكون التمرق دائماً برعي ذاتي، وليس بحاجة لأن يكون دائماً مدعوماً بالمرافقة المظلمة الداكنة والأضواء التي تنبض فيها الفيلاندات الترفيدية، وبصورة متزايدة الآن كما الأكثر حداثة وفحمة للهندوسية^(١٠١).

هذا يوصلنا، كما أوصل ناندي، إلى مهندس كارامشاند غاندي: الواحد من القلائد الذين ربطوا بالسياسة الوحي الذي بقي نصيباً على ترويض الحكم البريطاني في الهند^(١٠٢).

غاندي هو الشخصية المركزية في العنبر العظيم، وفي عمل ناندي ذاته. وهو حاضر ليس كالمثال الكامل لأي نمط ثقافي أو سيكولوجي وحسب، لكن كالتخصص الذي صَدَحَ رمز الاستعمار، الذي اكتشف الطريق إلى الخروج من التيهات المسدودة والتي هزمت جميع المصلحين الهندوس الآخرين. كان هو الشخص الذي وجد «الحالة الصحية للعقل»، وجعل منها ليس تمرقاً سرّاً لكن خلقيات عامة وبنائياً سياسياً.

إيداعه غاندي غير مقدرة بسهولة خارج الهند، فهو يرى بشكل واضح بين الناس على أنه المسالم النموذجي الكنت الأملاق، أو على أنه شخص رفض التكنولوجيا الحديثة مفضلاً عليها الحياة البسيطة، لكن ولا صورة صحيحة بالكامل، كما أنه ولا واحدة تلتقط رد غاندي المتطور جداً على الاستعمار. وبالنسبة إلى ناندي، فإن إيداعه غاندي تكمن في إدراكه أن معارضة الاستعمار بالشروط التي وضعها الاستعمار نفسها تعني الهزيمة من البداية. على العكس، أن يخطو خارج منطق أن يكون لأمة أو لأمة مضادة، في النظام.

Handy, *The Immortal Dream*, p. 98.
Ibid., p. 100.

[101]
[102]

كان المصدر لهذا طابعاً ليس في النقابات الشعبية التي توجد إليها المصلحون السابقون بل في هندوسية الشعب التي طاباً ما اضطروها. لقد خلق غاندي والعماد سياسة جديدة من نوع لم يسبق أن تطبق (حزب) المؤتمر الوطني الهندي من قبل، والذي لم يستطع النظام البريطاني أن يفهمه ولا أن يسيطر عليه. وأساليب الساتياغراها (Satyagraha) (عدم استعمال العنف في المقاومة) في الهند كما في جنوب أفريقيا من قبل، كانت بالتأكيد سلمية لكنها في الوقت نفسه كانت قسرية. لقد أجمعت النظام على الكشف عن عظمه والكشف عن فشله. وبرفضه معايير الثقافة الاستعمارية والذكورية المهيمنة والتحديث والعقلانية العلمية، إضافة إلى الثروة والمنصب، نزع غاندي الشرعية عن النظام الاستعماري بشكل دائم، وأصبحت الهند، ولستعمل مصطلحاً أكثر حداثة، عصية على البريطانيين.

لكن غاندي فعل أكثر من مجرد الخروج الساتياغراها وجعل الهند غير قابلة لأن تحكم، سياسته كانت تستند إلى مبادئ أخلاقية هي: مثل الثقافة الهندوسية الشعبية، شاملة بشكل أميل. ونكف غاندي الشهيرة عند الغرب - عندما سأل أحد الصحفيين عما يعتقد في الحضارة الأوروبية، فأجاب: «أعتقد أنها ستكون فكرة جيدة» - كانت غير معروفة قليلاً. وكما وضعها غاندي في مقالة أخرى: «الافتراض الأساس هنا هو أن الطائفة المتزوجة عنه صفة إنسانية هو ضحية لهذا النظام بقدر أولئك الواقعين تحت الظلم، وينبغي تحريره أيضاً»¹⁰⁰. ويعيد من رفض الشعب المستعمر وحيته وثقافته، فإن غاندي بحث فيه عن مواضيع خاصة وبالتأكيد يوجد بعضها. وهذه تشمل مبدأ عدم العنف ذاته، والذي ادعى أنه وجدته ليس في الكتب الهندوسية المقدسة، لكن في موقعة يسوع على الصليب.

إن الشمول الأخلاقي والشملي هو، بالنسبة إلى غاندي، ما يميز مشروع غاندي من مشروعات جميع القادة الرئيسيين في الشؤون السياسية الهندية.

¹⁰⁰ Ashis Nandy, *Indians, Young and Old: Essays in the Politics of Awareness* (New York: Oxford University Press, 1987), p. 38.

بمن فيهم المصلحون الذين وصلوا إلى السلطة في عام 1947. فقد تم تطوير مشروع تعديلي في البدء كمعارضة شرعية داخل الهند البريطانية، مشوقاً سمعة الثقافة القائمة حتى وأصبح مستوياد الأفكار الدينية الهندوسية¹⁰¹. وداعياً إلى التحول نحو العقلانية والعلم، والأفكار الطولية لزمن التاريخي. وقد أذيع هذا المشروع أولاً في دولة ما بعد الاستقلال، على أنه أيديولوجيا الطبقة المتوسطة التي تتعلق بتادي التحليل أمراً فيها في نصوص أخرى كثيرة.

يخلص ناندي في عوام العقود الخمس باستحضار ثقافة حديثة مميزة بسلاستها وفترتها على العيش مع الغموض وحذاقتها في البقاء في قيد الحياة باستعمالها المضغوط، وبالتالي «تدجين الغرب»¹⁰². ويتطلب بناء الثقافة في قيد الحياة في ظل الاستعمار أولاً معيّنًا من تشطير الشخصية، والقدرة معية على التسلسل والحبك، ويطيحية أكثر، لأنه ينطوي على واقعية قوية غير مأكولة، ودموية معية للإيمان بالحياة¹⁰³، والموجودة بوفرة في الثقافة الشعبية الهندية. وحدها هذه القوة غير الطولية والقدرة على البقاء هي التي بنى عليها ناندي النموذج الساتياغراها للمقاومة. وهنا يأخذ ناندي وجهة نظر أكثر تفاؤلاً للسلطة والحكم الذاتي للثقافة الشعبية المحلية أكثر مما فعل غارسيا كالكليني في المنكبك (نظر الفصل السابع).

يدافع ناندي في هذا الكتاب وفي مقالات أخرى أثبت في الوقت نفسه تفريقه عن نظرة إلى التكنولوجيا والنموذج للسياسات المتعاطفة للتكنولوجيا هي أبعد ما تكون من سياسة إعادة البحث لقانون، وفيغارا وشريتي. وفي مقاله في عام 1978 «نحو يوتوبيا عالم ثالث» (Towards a Third World Utopia)، يتفقد فكرة العنف المظهر لقانون على أنها لا تتغير مع المقاومة الثقافية للمدعوين¹⁰⁴. وهو يعتبر أن هذه الأساتيزية للمعارضة قد تم احتواؤها ضمن مناطق الاستعمار.

Nandy, *The Intimate Enemy*, p. 26.

[11]

Ibid., p. 108.

[12]

Ibid., pp. 109-110.

[13]

Nandy, *Tradition, Bravery and Utopia*, p. 70.

[14]

منتجة فكلورتها المفرطة وغيابة العنيد، وغياب الارتباط العاطفي ونزع العفة الإنسانية عن الأعداء.

يرتبط نقد ناندي لدولة ما بعد الاستعمار ارتباطاً وثيقاً بتعليقه للعلوم. ففي مقالة رئيسة: «العلم، السلطوية والثقافة» (Calvin, Authoritarianism and Culture)، التي نُشرت في عام 1990، يطور نقداً لثقافة العلم العينية على الميكانيكية البيولوجية «العزلة» أي، فصل الإدراك عن التفكير¹⁰². وكان الانكسار البيولوجي من فرض الدراسة حاسماً في السداح للعلم الغربي. أي يطور. لكن العلم مثليته الآن مع التكنولوجيا القوية ومنحاز للدولة ونخبها الحاكمة. لقد أصبح العلم مفتاحاً للأيديولوجيا المهيمنة للدولة ما بعد الاستعمار، مسبباً الشرعية على العنف المفرط باستمرار باسم التنمية الاقتصادية.

من الواضح أن ناندي يراي عزل المعرفة عن العاطفة والتصورات المجردة للعلم، والالتزام بالبرامج بدلاً من الناس، على أنها مرض عام جداً لثقافة المعرفة. وهو ينادي في نحو بيولوجيا عالم ثالث، ملاحظات عن كيف أن الغرب الحديث:

قد أدمع أيضاً مفهومنا حقلياً إلى درجة مدمرة للاستقلال الذاتي والفردية والتي صُمِّرت بشكل متزايد الفرد الغربي. وكثير من الملاحظين غير الغربيين لثقافة الغرب الحديث [...] حددوا بالطريقة التي عيشت فيها الفردية والعادية والخاصة - والوجدانية المعقدة التي تتدفق منها - على المجتمع المعاصري الغربي¹⁰³.

وفي مقالة لاحقة «الثقافة، الصوت والتنمية» (Calvin, Voice and Development)، يوحى ناندي بأن أيديولوجيا التحديث سببها في الطيقات الوسطى بعد الاستعمار وفي الدولة بعد الاستعمار والتي هي الآن - على الأقل في حالة الهند وسريلانكا - أكثر تطوراً مما كانت عليه عند الاستقلال. هذه الأيديولوجيا مدمرة بشكل معتق لثقافات الموجودة من قبل. ليس في طمسها،

102. Ibid., pp. 15-126.

[102]

103. Ibid., p. 50.

[103]

بل في اعتبارها من الثقافات الموجودة الجنوب التي تضمن المطالب
 السيكلوجية للعدالة. إنها تصغر معرفة السكان الأصليين إلى «الطماطة مضافة»¹¹⁸¹
 عابرة، قابلة في الزيادة ليس أكثر من مبيعات طفيفة للعلوم الإيجابية
 المرتبطة بالدولة التطويرية. وهكذا، فإن طمحايا عملية التنمية يجدون صعوبة
 في المرور على صورتهم يمكن أن يكون مسموحاً فعلياً¹¹⁸².

لا يرفض ناندي التعامل مع الغرب، ولا حتى اعتماد أجزاء كبيرة من
 الثقافة الغربية. ومثل آل أحمد، فإنه يظن أن هذا لا مفر منه. وكما كتب في
 مقالته عن طامحور، يلقى الاستعمار أنفسي أولئك اليهود الذين تعرضوا للنظام
 الاستعماري، وتصوروا الغرب «القوة موجهة عاصمة داخل القامات الهندية»¹¹⁸³.

والسؤال هو: ما الشروط التي يتم فيها دمج «القوة الموجهة» وما القوى
 المضادة للحفاظ على أمراتها ضمن حدود. ناندي وطامحور، في زمتهم، وجدوا
 إجابة في أشكال الوطنية غير القومية، وفي المخلوقات العالمية الأعلى من الامتدادات
 الأنثروبولوجية الاستعمارية، فهل يمكن المرور على مثل هذا الحل الآن؟

إن نندي ناندي كمتنظر تنسأل من نسخة الصحة السيكلوجية مع تحليل الثقافة
 والأمر السياسية معاً. ويؤدي في نحو يولوجيا عالم ثالث ملاحظة بأنه «لا يمكن
 رؤية للمستقبل تجاهل المعادلة المؤسسية التي نفس الدب الأعمق للإنسان، وأن
 المجتمعات ينبغي لها العمل من خلال ثقافة مثل هذه المعادلة وسيكلوجيتها»¹¹⁸⁴
 إضافة إلى أمورها السياسية والاقتصادية¹¹⁸⁵. وموقف ناندي ليس سيكلوجية
 منسكاً بها، بقدر ما هو إنسانية ثابتة، احترام للنفس العادية والتجربة القومية.

وعلى عكس ما قد يتوقعه السوسيولوجيون، لا تتولد سيكلوجية ناندي
 إلى تأكيد مفرط على الفرد. ناندي يتفهم بامتداده أن الشخصي هو سياسي،
 وأن البنى الأكبر تنقسم في التجربة الشخصية. في الواقع، إن واحدة من أكثر

Aditya Nandy, *The Remains of the State, and the Fate of Ethnic in the Indian State* (1971)
 Delhi: Oxford University Press, 2009, pp. 111-178.

Nandy, *Realities of Consciousness*, p. 120.

[181]

Nandy, *Traditions, Economy and Utopias*, p. 26.

[183]

مناقشتها إيماعاً وأخوة هي حول الروابط السيكلولوجية التي تربط الأنظمة الاستعمارية أو العالمية معاً على سبيل المثال، «الرباط غير القابل للانحلال» بين مستقبل الأطراف في العالم ومستقبل المراكز الإمبريالية التي تبدو مستقلة ذاتياً وقوية، ومزجها¹⁷⁰. ومناقشة ناندي، والواضح أنها مستمدة من قلق ناندي الخلقي بشأن البريطانيين، تؤكد بشكل متكرر التفاعل بين المستعمر والمستعمر بين المتطوعين والمتطوعين، بين الفنى العالمى والتغير العالمى.

ما المنتج الذي تستند إليه هذه الاستنتاجات؟ يطور ناندي بعض الأفكار في تحليلات دليلة للأعمال الأدبية أو الأفلام أو الحركات السياسية أو بين المثقفين. وبعض منحه مستندة إلى عمل إسبريفي، مثل: القتل في زمن التقسيم، لكنه أيضاً يخلق حجلاً في التصيديات الكاسحة والفرضيات والتضخيمات. وهو يستشهد باستحسان لودوا ناندي للتاريخ كصفة للمعرفة، وتطبيقه للأساطير. من غير الواضح في الغالب كيف يمكننا أن نعرف ما إذا كان ناندي صريحاً أم لا. ومناقشته لم تواجه - وأفضل، كما فعل ثوربو العالم الثالث - اعتباراً صريحاً في الممارسة.

هناك بعض الفصول المقتطفات لناندي. في الفصل الحميم، كانت قائمة الفاعلين بالكامل تقريباً من الذكور، والمرأة الوحيدة التي كان لها دور مهم تلك المرأة الفرنسية المخدوعة في حكاية سري لورينغندو. وقد طور ناندي مناقشة أصيلة ومهمة حول الذكورة والأنوثة، لكن بين الرجال وليس بين النساء. وحتى في مجتمعات الهندية وبنجابية الدولة¹⁷¹، فإن نصف سكان الهند يشتر غير موجود.

لقد لاحظ الممثل الأسترالى غيليب داري¹⁷² أن ناندي يرغب في الحديث عما هو أبعد من الواقع الهندي، وأنه امتد إلى إمكانيات التطور الإبداعي داخل التصييدات المهيمنة. لكن كيف يمكن القيام بذلك؟ يؤكد ناندي في الفصل

End., p. 10.

1701

Nandy, *The Discovery of the State*.

1711

Phillip Dwyer, «The Alternative Histories of India Nandy» *Orientalist*, no. 178 (2004).

1721

الصميم المبدور المحلية لاسراتيجية غاندي، وارتباطها بالهندوسية الشعبية إضافة إلى تخطيطها للثقافة البريطانية. ومع ذلك، فإنه يستعمل لاحقاً هذه الاستراتيجية كأساس لاتخاذ قانون في الحقيقة، لكل التوريين والتطوريين على صعيد عالمي. وهذا الخط من التفكير هو جرم باستحداث إلى أبعد ما يمكن من قبلي لال في إمبراطورية المعرفة¹⁷⁴.

قد تكون الثقافات المفقودة في أوضاع متشابهة في العلاقة مع الدول والرأسمالية العالمية. لكن الأمر ليس دائماً هكذا. كما بين كاروسو وفاليفو برسم عرائط الأنماط المختلفة للتيبة (ينظر الفصل السابع)، لا تمتلك الثقافات المفقودة جميعها على وجه التأكيد التاريخ نفسه والقدرة على التحرك، وغاندي بصورة ملونة للاعجاب، قدم حركات الستة لفرعها إلى درجة من النجاح في بلدين: جنوب أفريقيا والهند. فهل يستطيع غاندي القيام بذلك مرة أخرى؟

ربما بالغ غاندي في التأكيد لاسراتيجية واحدة للمعرفة، لأنه يميل إلى جعلها مبدئية. والجانب السلبي من حركته السيكلوجية هي بالأحرى نظرة نمطية للدول، وفراغ حول رأسمالية الشركات الحديثة. والجانب السلبي من حماسه للدين الشعبي، كما يلاحظ سركار¹⁷⁵ هو عدم مبالغ فيه للمعنوية. وفي تلك باتدي للتصورية فإنه من الصعب رؤية سبب أن هذا كثير من الناس، وليس الطبقة الوسطى وحسب، يؤيد فعلاً مبادرات التنمية والحكومات التي تتبعها. كما أنه من الصعب رؤية الأوجهيات في حجاج غاندي، التي يمكن - كما نلاحظ داس وسركار بوضوح - أن تستند إليها المجموعات التابعة في إجراءات الدولة القانونية أو أفكار الحقوق المدنية لتحدي الاضطهاد الذي يعانونه. وفي هذه الحقيقة من الرأسمالية عبر الوطنية، فاني أشرح أننا بحاجة إلى جميع نظم غاندي الرائع للعمليات الثقافية النفسية مع تحليل للمؤسسات أكثر قوة ودرجتها.

¹⁷⁴ Vaid, *Empire of Knowledge: Culture and Ideology in the Global Economy* (London: 1993).
¹⁷⁵ Sarkar, p. 96.

القسم الرابع

تأملات فكرية التيبودية⁽¹⁾

(1) التيبودية (tibetism) تعني حرق حلة برفلين متقابلين تشكلا على فكرة الأرمية الجبل القطب الشمالي والقطب الجنوبي، كما تعني الكلمة باللغة الفارسية عند الإنكليز والإيرانيين وسكان أمريكا ونيوزيلندا نسبة إلى جرد الأكيروس (tibetism) في المحيط الهادئ. (المعجم)

الفصل التاسع

سميت الأرض

كل شيء عن مجتمع الأوروبيين⁽¹⁾ مشابه بطريقة لا تقصص، وحصل بالأرض، الثقافة هي الأرض، الأرض وروحانية الأوروبيين، معتقدات الثقافية أو سبب وجوهنا هو الأرض. إن أصلها فالتأثير سبب وجوهنا. لقد أثبتنا الأرض. ونحن نرفض ونفي ونرسم للأرض. إنها تتجلى بالأرض. وإن أقواها من أوجها، فمن، حرقها، قد أشرقت من القدر.

مايكل غودسون (1993)

وصفت في الفصل الثاني الفضاء الخالي الذي كان هو الاختراض المخبوء في نظرية جيمس كولمان للاختبار العقلاني للمجتمع. والمتاورات والمساومات التي لاحظها وكلاهما حسب أنموذج السوق في قضاء مفتوح خالي، بالمعجزة، من السكان السابقين. وقد أشرت كذلك إلى أن لهذا الفضاء الخالي موقفاً عاماً على سطح الأرض. ويمكن العثور عليه قرب سبدي أو شيكاغو أو مدن أخرى أنشأها الاستثمار الاستيعابي.

يقدّم كولمان حالة متطرفة لها سمة عامة للنظرية الاجتماعية الحديثة: انظروا إلى الاعتماد بالمكان والسياق المادي، وبخصوصاً الأرض. وعلم

(1) الأوروبيون (European) سكان أوروبا والأميركا. ويطلق الاصطلاح على السكان الأميركيين غير الرئيسيين الأميركيين جنساً إلى جانب مع يظهر من الجور الأميركية. المترجمة

الاجتماع بقتل، غداة التعيينات الخالية من السابق. وتبدأ بالتالي تكلفة خاصة للظرفية المعروفة بهذا الشكل بحيث تبدو وكأنها صحيحة عالمياً - منحنيات عدم البلاء للاقتصاد الاستهلاكي، والتماذج البنوية ليفي ستروس، واندماج المدرسة ليونيو وغيستر - أو التي تبدو قابلة للتطبيق في كل مكان، مثل اندماج فوكو للسلطة والموجودية.

لم يكن الأمر كذلك دائماً. ففي البداية، اعتمد الاقتصاد السياسي اعتماداً كبيراً بالمكان والأرض. وفي *لوردة الأمم*¹⁰، فصل طويل عنوانه: «عن إيجاز الأرض» (هذا هو *De la Terre*) والذي يبحث فيه آدم سميت نظم الأرضي والنظم الزراعية في أنحاء مختلفة من غرب أوروبا وشمالها، مع استطراد عن المناجم وقيمة التربة. وقد فعل الشيء نفسه بالنسبة إلى أميركا في فصل طويل: «عن المستعمرات» (*Des Colonies*). وقد تحصل سميت غداة جمع الكثير جداً من المعلومات حول الحياة الريفية إضافة إلى معامل الديبليس، واعتمد بالطريقة التي يختلف فيها الإنتاج الريفي من مكان إلى مكان.

وفترض سميت في *لوردة الأمم* أنه سميت وجدت الأرض هناك أيضاً صاحب الأرض؛ مالك محدد لكل قطعة معينة من الأرض. وفترض الاقتصاديون الآخرون الأوائل الأمر نفسه. فديفيد ريكاردو يبدأ طبعاً كتابه *مبادئ الاقتصاد السياسي* وفرض الضرائب بشرح هذه النقطة.

إنتاج الأرض؛ كل ما هو مستمد من سطحها بالتطبيق المشترك للعمل والأداة ورأس المال ينقسم بين ثلاث طبقات من المجتمع، وهي بالأسبق مالك الأرض، ومالك الرصيد أو رأس المال الضروري لتلاصقها، والمعدن الذين يكتسبون لهم فلاحها¹¹.

وهذه إشارة إلى سبب أهمية الأرض في نظرياتهم. وكانت مجموعة

Adam Smith, *An Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations* (London: J. G. Bell, 1776).

David Ricardo, *Principles of Political Economy and Taxation* (London: Pearsone, 1817), p. 11.

أصحاب الأراضي - الأرستقراطيين أو الأعيان - في الواقع الطبقة الحاكمة في المجتمعات التي عرفها سميت، وهيمنت مصلحة مالكي الأراضي على الشؤون السياسية في بريطانيا القرن الثامن عشر، وكان المجتمع مالكي الأراضي⁶¹ تتشكل اجتماعيًا لا يمكن إغفاله. وفي الأيام التي سبقت تركات الأجداد الزراعية، فإن كل عائلة من طبقة الأعيان كانت ترتبط بأراضي معينة.

ومما لا شك فيه، كما يقول تومسون⁶² أن بيتهم أنهم كانوا يتعاملون مع أراضيهم بنشاط رأسمالي على نحو متزايد، حيث إنه في معظم أنحاء أوروبا سبقت الرأسمالية الزراعية الرأسمالية الصناعية. وكان لهذا انعكاساته في النظرية بالتمديد. وفي السنوات الأربعين ما بين ثروة الأمم ومبادئ الاقتصاد السياسي وطرأت المفاهيم: تطورات عملية تجريدية، ولم يكن لدى ريكاردو شيء من اعتماد سميت الشديد بالتفاصيل الواقعية حول الصناعات والأماكن. وفي معظم الوقت كان ريكاردو قلقًا بسط مباشر من طريق تحليل أمتة وعيد وهكذا، فإن علم الاقتصاد سار إلى الطريق المؤدي إلى التجريد اللامتناهي الذي أنتج الثورة «الحديثة» (modernity) في أواخر القرن التاسع عشر، والنمذجة الرياضية في القرن العشرين.

مع ذلك، ففي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، كانت فكرة مصالح أصحاب الأراضي لا تزال قوية بحيث إن البريطانيين في الهند فسروا الشعب المحلية على أنهم «المالكون الطبيعيون» للأراضي، وحاولوا أن ينوا حكمهم على علاقة مع مالكي الأرض⁶³، وفي مستعمرات الاستيطان الأسترالية، كانت هناك محاولات لخلق طبقة أعيان من أصحاب الأراضي، عرفوا زعمًا باسم «المحتلون» (squatters) بعيدًا من العنف والفوضى في

C. E. Blagay, *English Landed Society in the Eighteenth Century* (London: Routledge and Kegan Paul, 1964).

E. E. Thompson, «The Possibilities of the English» (London: August 1964).

[21]

Ramón Guba, «Dominance without Hegemony and its Heterogeneity» (Chicago: Studies, 61 no. 4 (1996).

التطور الوعوية¹²⁴. وقد حصل هذا بالفعل في كثير من المستعمرات الأمريكية. فمثلاً، كان أصحاب الأراضي خلال أجيال عدة هم القوة المهيمنة في تكتيلي، في حين قاد الأفيان في المستعمرات الناطقة بالإنكليزية سرباً للاستقلال، ومن خلال أعضاءهم، مثل جورج واشنطن وتوماس جيفرسون، أسسوا الدولة الجديدة.

في أي حالة كان هناك في المستعمرات في ذلك الحين سكان لهم علاقتهم الخاصة بالأرض. وهذه العلاقة يمكن أن تكون مختلفة جداً عن فكرة الملكية التي جلبها معهم المستعمرون الأوروبيون، النموذج الذي افترضه مسبقاً كل من سميث وريكاردو. وكما تمت الإشارة إليه في الفصل الخامس، فإن الأهمية الحيوية لارتباطات الشعوب الأصلية بالأرض ناقشها سول بلاييه في الحياة المحلية في جنوب أفريقيا¹²⁵، في وجه مريحة جديدة من نزوح الملكية من النظام الاستعماري الجديد هناك.

مع إعادة إحياء حركات السكان الأصليين في أواخر القرن العشرين في أستراليا وأستراليا والمحيط الهادئ، وفي مناطق أخرى، أصبحت حقوق الأرض قضية سياسية رئيسة. وهي لم تخلُ التكتلات الجديدة من القضايا السياسية المتعلقة بحركة الأيريشيين (السكان الأصليين) والحكومة المحلية والوطنية والمحاكم والشركات عبر الوطنية والعنصرية الشعبية ووزارات حقوق الإنسان ووسائل الإعلام الجماهيري وحسب. سياسة حقوق الأرض أيضاً تقدمت تدريجياً وبطرق، وبدأت بتحويل مجالات من المعرفة العلمية - الاجتماعية، بما فيها القانون والأنثروبولوجيا والطبوغيا¹²⁶.

Barron Cassell & T. B. Irving, *Class Structure in Australian History* (Melbourne: C.U. Longman Cheshire, 1986).

Jul T. Phillips, *Native Life in South Africa: Before and Since the European War and the 1913 Act* (Johannesburg: Ravan Press, 1964).

Mandy Paul & Geoffrey Gray, *Through a Glass Mirror: History and Native Life* (Sydney: Aboriginal Studies Press, Australian Institute of Aboriginal and Torres Strait Islands Studies, 2003).

يعود أساس هذه الحركة عتيقة أن الكثير من علاقات المجتمعات المحلية للسكان الأصليين بالأرض أظهرت تشبهاً مدعماً في وجه الزعرين والبشرين والمزارعين والعاملين في التعدين والنقل، وصناعة السياحة في الواقع جميع ما عداه موهيمي¹¹¹ «البنية الاستعمارية». وبدأت العلوم الاجتماعية تتعلم من هذا.

لقد حاولت أن أعلم منها بالتأمل في قصة رويت في دراسة أسترالية مهمة لناسي وليامز¹¹² «بولنغو وأرضهم». وهذا الكتاب في جزء منه إثنوغرافيا تقليدية، وهو تحليل من عالمة لنظام القرابة في جماعة صيادين - جامعي شمال-وهميم، واقتصادهم، وعلم جزأ. لكنه يفرق عن الأوثوفاكية الأنثروبولوجية في الاتحاد نفسه كما الأحداث المحرقة لينا داس (انظر الفصل الثامن) بالتركيز على نزاع معين، منتصفاً الدولة الحديثة، والذي أعيد فيه صيغ نمط من العلاقات. وكان هذا قضية أراضي يوكالا (Yokala) الرائدة في المحكمة العليا للمقاطعة الشمالية. وترى وليامز دورها ليس بهدف ملاحظة محايدة، لكن بهدف خلقاً مدعماً بمهارات مهنية يقع المعرفة في النشول نوبة عن المجتمع المحلي وبالأمان منه.

يعيش الناس الذين تدورهم وليامز «بولنغو» (Yolngu) في الجزء الشرقي من أرهم لأند (Arnhem Land) في النهاية العليا للمقاطعة الشمالية¹¹³. وتشمل أراضيهم مناطق ساحلية وأرضاً داخلية عشبية، ولهذا هناك تنوع في مصادر الطعام. وكانت هذه الأراضي ذات قيمة عظيمة للمستوطنين البيض، ما عدا بعدة من الكنيسة البروتستانتية (الميلونية) التي أنشئت في مكان اسمه يوكالا، حتى طغرة التعدين الأسترالية في ستينيات القرن العشرين. ولقد تبين أنه كانت

¹¹¹ V. V. Stauden, *The Invention of Africa: Gender, Philosophy, and the Order of Knowledge* (1991) (Bloomington: Indiana University Press, 1994).

¹¹² Nancy M. Williams, *The Yolngu and their Land: A System of Land Tenure and the Fight for its Recognition* (Canberra: Australian Institute of Aboriginal Studies, 1980).

¹¹³ «القرارة الأصلية» هذه بلاد حارة في المنطقة نفسها التي يقع فيها كالكوم (كالكوم) برك (الشمير (الجزء) كالكوم (الشمير)).

هناك رؤا سب من مائة البونكيت (يؤخذ منها الألبينوم) الفنية في العوار. وفادت الكتبة والحكومة الوطنية البنية، وكانتا سيطران في ما بينهما على السمية الأوروبية، بالساح انبالكو. وهي شركة تعدين كبيرة بتطوير منجم. وقد انتج بعض البولغو على عدم التشاور معهم، وأرسلوا استرحام القضاء الشهر إلى البرلمان الاتحادي¹¹. وفي نهاية المطاف، انطلقت مجموعة من شيوخ البولغو المتفردة غير المسبوقة بالمباشرة بدعوى قضائية لإيقاف التطوير. مدعين أن مجتمعهم يملك الأرض.

لم يكن هناك في أستراليا في ذلك الوقت تشريع لحقوق الأرض. وكان يتراضى عموما أن المستعمرين البريطانيين الأوائل قد احتلوا أرضا بلا صاحب، وهكذا فإن الحقوق الوحيدة في الأرض هي حقوق الناج البريطاني، ولقدم الكثير من المنتج والإجراءات. ولهذا فإن صلب الموضوع الغريب في قضية أراضي بركالا (Barkalla) هو أنه كان لزاما على البولغو إثبات أنه كانت لهم علاقة سابقة بالأرض، بما يقابل نمط آدم سميت مصالح الملكية في الأرض، حتى يمكن القانون الإنكليزي أن يعترف بها.

لكن شيوخ البولغو لم يروا الأمر بهذه الطريقة. لقد تعاملوا مع قاعة المحكمة وكأنها اجتماع استشاري، عازمين على التوصل إلى تفاهم متبادل وإتفاق جماعي، وأعطوا وقتهم بشرحون بعناية للقاضي وللمحامين التفاصيل المتعلقة لعلاقة مجتمعهم بالأرض. في هذه الأثناء، كان محامو المشتكى عليهم (أي مصالح التعدين والحكومة) يتعاملون مع قاعة المحكمة على أنها منتدى للمصوغ، يكتبون تعليقات البولغو حالما تكشفه، محاولين تشويش الشهود وإقناعهم في مقيدة التناقضات. ولد صور المشتكى عليهم لعب البولغو على أنهم بدائيون يتجولون بحرية في الأرض من دون حقوق ثابتة أو ملكية أو حدود.

وان حكم المحكمة الذي صدر في عام 1971 البولغو. وخلفه القاضي لوكي تهلند، كان قد قام بجهد كبير ليفهم قضية لا سابقة لهذا إلى أن المجتمع

له علاقة قابلة للتعريف، معبر عنها من حيث الفرض والدين، لكنها ليست مصالح اقتصادية بالملكية. ولهذا فلا يمكن الاعتراف بها كملكية في القانون البريطاني. ومضى على المنجم مُدَّةً، ولذلك فعلت حركة ليبرالية نامية من أجل حقوق الأراضي، والتي نتج منها في عام 1874 تشريع اعتمد إلى حد بعيد على الامتيازات والمصالح في قضية برادلا.

لم نألِ نقسي وليامز جهداً لبرهن أن القرار القضائي في قضية برادلا كان خاطئاً في الواقع. لقد كانت هناك بالتأكيد بنية من الحقوق الاقتصادية والسياسية إضفاء إلى الروحية في أراضي يولونغوا على سبيل المثال، نسط مثل «فلسفاتي» للحقوق التي تضمن لكل مجموعة حق الوصول إلى كل من الأنظمة الإيكولوجية الساحلية والداخلية على حد سواء. لقد كانت هناك ملكية ثابتة، وإن كانت معقدة، ومستقرة عبر الزمن تعمل من خلال نظام القرابة من الأمور. وعلى الرغم من أن الجماعات الأولية ظهرت كملاك للأرض، إلا أن الأقرباء من جانب الأم كان لهم حق الشفط على كيفية استعمالها. وكانت الملكية معترفاً بها بشكل علني، حيث إن المجموعات غير المالكة لها حق الحصول على إذن باستعمال الموارد الموزع معين، وهي نقطة مثيرة الآن في التصانيف الضبابية وجامعي الثمار.

كانت الصعوبة أن هذه المجموعة المتناشقة من الحقوق والعلاقات مختلفة كثيراً عن الملكية في الرأسمالية الأوروبية أو الرأسمالية الاستعمارية، بحيث لم تكن هناك ترجمة سهلة إلى لغة مألوفة لأجهزة الدولة مثل المحكمة العليا. فمثلاً، يفترض القانون المتروبولي في مناقشة الملكية مجموعة ثابتة محددة بوضوح، مثلاً، شركة زيروكس أو عائلة روكفلر. لكن في استعمال يولونغوا، وبشكل أوسع بين الشعوب الأسترالية الأصلية، تطبق الأسماء على المجموعات، والترسيم الموضوع بين المجموعات يختلف إلى حد كبير أيضاً للموضوع قيد المناقشة والفرض الذي من أجله جرى التمييز في ذلك الوقت. وتتخذ وليامز الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، علاوة على القانون، لميلها إلى تجسيد مثل هذه الفروق

المتعلقة إلى مجموعات عبارة المدفونة، الوزن، الجصاف، العشائر، الأعداد، المجموعات طوطمية النسب، وما إلى ذلك والتي كانت مغزون لجارة الأنثروبولوجيا الأسنابية لمتة سنة.

الحياة التي يُعرف بها في علاقات اليوانغو بالأرض مستمدة في نهاية المطاف من الكائنات الروحية التي شكلت المناظر الطبيعية في زمن المسرحيات الدرامية المؤسسية التي يُطلق عليها بالإنكليزية «الحلم» (Dreamey)، خلقت الكائنات الروحية المجموعات التي شجعت لها الأرض وسكنها، وخلق ترعاهم بين المناظر الطبيعية حركات وحيل بين المجموعات المرتبطة بمواقع محددة على طول الطريق. بجانب تل معين، أو الحديقة، أو تشكيلة مصفورة، أو مكان يتغير فيه الخطأ النهائي، قد يكون مركزاً أو حدوداً وعملية التسمية مركزة، وجميع الأسماء لها صلة بمواقع معينة.

وفي بيان الاختلافات في حياة الأرض بين المستوطنين والسكان الأصليين، أصبح دائماً القول إن الناس في النظام الأوروبي يمتلكون الأرض، في حين أن الأرض هي التي تمتلك الناس في نظام الأوريجيين، وتجادل وليامز بأن هذه الصيغة لم تقدم بما فيه الكفاية، والتخصص حول رحلات الكائنات الروحية لا تنعكس علاقات اجتماعية مع المجموعات التي تمارسها وحسب، بل إنها «تشكلها». ولذلك فمن المستحيل فهم بنية اليوانغو الاجتماعية من دون تعيين المكان الطبيعي الخاص بها. والأرض هي جزء من النظام الاجتماعي. هي ليست مجرد بنية لحيمة فقط، وليست شيئاً يمكن إهني ستروس أن يعرفه منها بشكل شرعي.

ولهذا فإن الأرض قادرة على الدخول في معرفة اجتماعية منظمة، ولها دور مركزي في تعديلات المجتمع، دعني أقدم مثالاً آخر، على بعد ألف وخمسمئة كيلو متر إلى جنوب أرتهم لاند، تقع قبيلة الجافة لأستراليا الوسطى، موطن شعب الأوريجي (Aurij) - من بين الآخرين - والتي أسست ممارستهم الدينية لبنة موركهام (نظر الفصل الرابع)، وطومات القطر (de pumey) لمجموعات الصحراء الوسطى الأوريجية، والتي يتم رسمها الآن بتغطيات من

الأثريولوجيا، ويتم تناولها كأصناف فنية في سوق عالمية. وهذه هي أكثر مدرسة معاصرة شهيرة للفنون البصرية الأسترالية²⁴.

في شكلها الأصلي كرسومات للأرض والصخر والجسد، وأيضاً في شكلها التجاري كأصناف فنية بالأثريولوجيا، تُعبر هذه الفروقات عن معرفة بمجتمع السكان الأصليين، ويربط كل تصميم تقليدي بسرديات عن الكائنات الروحية، التي ترتبط بمجموعات معينة في المجتمع، وتكشف السرديات أو نصف العلاقات بين المجموعات. والأحداث التي يدل عليها التصميم (مثل ولادة، أو اجتماع، أو عمل خلاق)، قد نصف مشكلات اجتماعية، مثل نزاع بين مجموعات القرى، والتوترات بين الأجيال. وقد تفرح أيضاً بحلولاً.

والنقطة الحاسمة هنا هي أن التصميم يشير باستمرار إلى الأرض. وتحتل عناصر التصميم أماكن مثل البحيرات الطبيعية ومواقع المعابدات، وتظهر الأنماط العلاقات بين عناصر المنظر الطبيعي: مثلاً، وأقلام مسطرات الكائنات الروحية عبر البسائط الطبيعية المتطورة. ويجب أن يرسم تصميمًا معيّنًا نفس معيّنون أنهم علاقة ملازمة بالأرض وبالعلم في العلاقة. والفروقات فيها طيفيات من المعاني، وبعضها يمكن كشفه للكل، بينما وإفرازات يتنا فيها معانٍ أخرى معروفة لأولئك الناس الذين لديهم مسؤوليات نحو الأرض والأحلام والتصميم وحسب.

هذا النمط متطور جيداً لتمثيل العلاقات الاجتماعية والحدود الاجتماعية، وحتى النزاعات الاجتماعية في ما يتعلق بالأرض. وألغتها الرمزية بعيدة مما نعلمه تقليدياً أنه علم (سأعود في الفصل العاشر إلى مفاهيمها).

بقيت مسألة العلاقات بالأرض في قيد الحياة بالتصالات من أجل حقوق الأرض الأصلية بالتطور منذ تلك المتعلقة ببركاتلا، خصوصاً قضية مايو (Mayo) التي حُكم بها في عام 1992. وفي هذا الحدث المذهل، قضت

Peter Sutton (ed.), *Aboriginal: The art of Aboriginal Australia* (New York: Asia Society, 1994).
Caldwell, 1988; Valérie Johnson, *Aboriginal Art of the Western Desert: A Biographical Dictionary* (Oxford: Clarendon Press, 1994).

المعتمدة العليا في أستراليا بأقلية كبيرة رفض مبدأ «الأرض بلا صاحبة». وأقنعت أن القانون العام الأسترالي يعترف بالحق الشرعي الفطري، على الرغم من أنه لا يعترف بالسيادة الأيوريجية¹¹¹. وفي مدة من الوقت، كانت هناك فترة جديدة من التنازل بشأن حقوق الأرض وتسوية الخلافات في أستراليا، على الرغم من أن هذا تم إبطاء بشكل منهج من الحكومة الوطنية النيوزيلندية منذ عام 1996.

بالنسبة إلى الفراء الفارقين في الأفكار المتروبولية عن الاجتماعي، ولهم دراسة بمقارنهم مثل الطبيعة أو الثقافة أو الأسلاف، فإن «حقوق الأرض» تبدو إما أنها مفهوم غريب، أو عاصي، لكنها مرتبطة لفهم الحياة الأيوريجية المعاصرة، على الرغم من أن نسبة كبيرة من الأيوريجيين يعيشون في مدن. وقد أصبح في هذا ما يكل فوردسون، وهو مدير سابق لمجلس الأراضي الشمالية، في مقالة «حقوق الأرض والعنصرية الاجتماعية» التي أجسدت منها في مطلع هذا الفصل.

بدأ فوردسون بالضغط بشكل القطعي عن النظر والإقتصاد الاجتماعي مما هو مألوف في العلوم الاجتماعية المتروبولية. وهو يجادل في أن الفجر والافتقار إلى البنية التحتية في مجتمعات الأيوريجيين المعاصرة في أستراليا يشكل انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان. لكن حقوق الإنسان عند الأيوريجيين تتمركز على العلاقة بالأرض: «حقوق الأرض هي نقطة عدالة اجتماعية لأن نتائج عدم حصولك على حق الوصول إلى أرضك هو تدمير للثقافة واللغة والقيم الروحية»¹¹². وحتى حقوق الطيلاء كل ما بقي من متي سنة من الاستعمار، له أهمية. وفي كثير من الأحيان ما زالت هذه أشكر، مع وجود بوابات توصل فعلياً على الطرق إلى الأراضي التقليدية.

Murray Cook & Tim Bower (eds.), *State a Better Offer: The Politics of State Obedience* (1991)

Philip Barak, 1994, *Native Rights and Aboriginal Sovereignty: Reflections on Race, State and Justice* (Sydney: Allen & Unwin, 1994).

Michael Dodson, *Aboriginal Rights and Social Justice in Contemporary Societies* (ed.), (1991)

Land is Our Life (Brisbane: University of Queensland Press, 1997), p. 43.

هل هذه التجربة غريبة بالكامل عن ثقافة المستوطنين البيض؟ لا أظن ذلك. وأنا أعتقد في ذلك إلى تجريبي الشخصية عن علاقة مكثفة مع جزء معين من الأرض. هي بلاد إلى الجنوب من خليج بروكس، من المحيط الهادئ في الشرق من وادي نهر هاوكسيري في الغرب. بما فيها بورت جاكسون والمعروف بشكل أفضل باسم ميناء سيدني. ومن ناحية جيولوجية فإن هذه البلاد يعلوها الحجر الرملي الهاوكسيري، والذي سمي كذلك نسبة إلى أرمستراي إنكليزي يولد. وجزء كبير منها محجوب الآن بأشجار مدينة سيدني. لكنني أتعلم بقدر الجدول وتجميعات المياه تحت الضواحي. بقي جزء من الغابة الأصلية المطوخة وأجمل أشجارها هي الأوجوراس، من فصيلة شجر الكينا الذي يحدث في الفصل الثامن. وأوديتها الغارقة مخططة بأشجار الكينا الهندي تحت الحروف الصغيرة الرمادية الضبابية حيث تحت الرياح أشكالاً مذهلة من الصخر الكينا. والرووس البرية في البحر تعلقت كمصائد للعد والجور في الأسفل، وأراضي بور وحر في الأعلى. وفي الأودية، قليلاً إلى الداخل، هناك بلع من الغابات المطيرة المعتدلة الحارة وقد ذهبت جميعها الآن بتأثير الموانئ الصناعية والمستزعات، ومشايخ تطوير الإسكان.

لقد وُكِّدَ في هذه البلاد على الرغم من أنني خفلة حرب سرجان ما نُحِلَّت بالكاتب¹³⁷ بعيداً. لكنني رجعت أربع مرات لأعيش في هاوكسيري. بلد الحجر الرملي، لذا فإني أعتقد أن هذه حقاً البلد الذي أنتمي إليه. وإرتباطاتي بهذا البلد هي جزء مهم مما جذرتني وأعطاني إحساساً بالاستمرارية والقدرة على المطوخة، كما أنه له شأن في حياتي الفكرية. ولتكوني واحدة من سكان هاوكسيري، الحجر الرملي ليس هوية أستطيع استخدامها بسهولة في الحياة الاجتماعية، مع أنني أعرف أن ارتباطاتي ليست فريدة من نوعها. ويمكن رؤية الشعور عميق نحو الأرض نفسها في الرواية الرائعة سبعة رجال ظفراء من سيدني لكريستينا سيني¹³⁸. وفي

137: (1985: 20) مرة يدركين بحرارة الحضانة (المترجم)

Christian Smith, *Seven Poor Men of Sydney* (Sydney: Angus & Robertson, 1986).

138:

سلسلة كاملة من الروايات بما فيها شجرة الرزبل لبارثولم وبيت¹¹⁹ والعالم العظيم لتيفيد معلوف¹²⁰، وأكثرها حداثة النهر السري لتكيت طرغليل¹²¹.

بصرفه، هذه علاقة بالبلد مختلفة جداً عن العلاقة في برادلا. برصول البريطانيون في عام 1788، أصبحت المنطقة حول بورت جاكسون أول التطور الاستعمارية في أستراليا. وكان يعيش هنا شعب ينحدرت بلغة عاروخ (Dharug) وربما كان عددهم 5000 شخص، وبدأ مدارهم في عام 1788 بواء الجدري المدمر، متوقفا باستيلاء البريطانيين على الأراضي الخصبة ومصادر الأسماك مثلاً المرحلة الأولى من مقاومة الأبوريجيين والعنف في الثغور. السجلات متنازعة ومن الصعب التأكد أي عشيرة كانت موجودة وفي أي منطقة بالضبط. ومن المحتمل أن يعني الذي يعني قبل عدة سناء قد يعني على أرض كان مسؤولاً عنها شعب الوندال (Wandjal) قبل عدة سناء من ذلك¹²².

لهذا فإن صلاتي بالأرض تقوم على النزاع الملكية وهذا صحيح بالنسبة إلى كامل مجتمع المستوطنين. ونحن لا نستطيع أن نطرح هذا التاريخ بعيداً لكنا مع ذلك، نستطيع التقدم نحو مشاركة في التجربة واحترام متبادل كما كانت حركة المصالحة في تسعينيات القرن العشرين. في الواقع، من المحتمل أن أحد تأثيرات ثقافة الأبوريجيين في ثقافة المستوطنين - وهو تأثير يعرف به الموريمون بشكل متزايد - كان انتقال الإحساس بالمكان. وعلاقتي ببلاد هاركسبري الصغير الرملي، في أقل تقدير، تعطيني الإحساس بما سيكون عليه فقدان الارتباط بالأرض التي أحب.

يعطى التاريخ الكامل للإمبريالية والهجرة والاستيطان الاستعماري على

Pamela White, *The Day of Blue* (London: Eyre & Spottiswoode, 1966).

[119]

David Malouf, *The Great River's* (London: Chatto & Windus, 1988).

[120]

Kate Grenville, *The Secret River* (Melbourne: Text, 2005).

[121]

Val Anandrew, *Subject 1* (أولاد حول ملغبي لاوريجيين حينها عرفها بـ إيلبرو في).

[122]

Aboriginal Past: Investigating the Archaeological and Historical Records (Sydney: UNSW Press, 2002).

استلاب الملكية وبيع الاتصال. وبحلول عام 1970، كان شعب البولنغو محظوظاً في قرا أراضيهم بالأرض. ومعظم المجموعات التي تكلمت باللغات المتين وخمسين لسكان أستراليا الأصليين^[121] كان قد تم منحها ألكاف أو شت [المزدهد] أو كدوا إلى الإرساليات والمحميات أو أجبروا على العمل لدى المالكين الجدد لأراضيهم، وكما تبين حالة حقوق أرض يورنا يورنا (Yorta Yorta) في عام 1998، فإنه من الصعب على مجموعات الأبوريجيين في جنوب شرق أستراليا حيث كانت مستوطنات البيض أكثر تركيزاً، أن يفعلوا محكمة باراباطهم المستعمر بالأرض^[122]. وعبر العالم المستعمر، من كالكونا حتى كاليفورنيا، فإن هذه العمليات من التطوير ونزع الشرعية مألوفة. ونحن نستطيع إضافة كامل التجربة الفاتحة للرق الأطلسي إلى تاريخ الاستلاب^[123].

يبد أن الاستلاب في كل حالة له قصة محلية. وسأعط مثالاً إضافة لتشكل تاريخية مفصلة بشكل ممتاز لـ «كيف ضاعت الأرض» في جزء آخر من المحيط الهادئ، في وادي كاهانا (Kahana) على الشاطئ الشمالي الشرقي الواقع لأروغو (Arogo)^[124]. لقد تأثرت الشعوب البولينيزية (Polynesian) في جزر هاواي بشدة بالمبشرين والتجار البيض خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكنهم لم يلقوا إلا القليل من أراضيهم مباشرة. ولم يكن هناك خروج استعمارية مباشرة، كما كانت الحال في أستراليا، أو في أجزاء أخرى من بولينزيا مثل نيوزيلندا وتاهيتي.

بين عامي 1946 و1953، أنقذت الحكومة الملكية في هاواي المسيطر عليها من الأميركيين الشماليين، نظاماً لملكية الأراضي على النمط الغربي، مسجلين حقوق استعمال معتادة للأراضي، قرية القرية، وسجلين إياها إلى

[121] Gill triller & Frances Hingley (eds.), *Marguerite Jiles of Indigenous Australia: Culture (2011) and Society Through Space and Time* (Sydney: Marguerite Library, 2004).

[122] Paul K-Sing, *Through a Family Mirror* (2004).

[123] Hugh Thomas, *The Slave Trade: The History of the Atlantic Slave Trade, 1482-1875* (2011) (New York: Simon & Schuster, 1997).

[124] Robert H. Ralston, *Kahana: How the Land was Lost* (Honolulu: University of Hawai'i, 2003) Press, 2004).

ملكية فردية. وقد شكّلت «الماعيلي الكبرى»، أو التقسيم (العملية تشابه غريب مع خصخصة الأصول العامة والتعاونيات من النيواليراليين منذ لعقنيات القرن العشرين). وعلى الرغم من موقع المرأة القوي في ثقافة هاواي، إلا أن العفارات ذهبت إلى الرجال، حيث إن المسؤولين اليهوي دخلوا إلى حد كبير الأعراف بملكية العفارات للنساء. وفي البداية، كان هناك تردد كبير لتسجيل الأراضي بهذه العملية. وانهارت المقاومة عندما أقرت الأرستقراطية البوليزية (التي «أفادت» أن باستطاعتها الحصول على كثير من القود من خلال العملية، ووضعت هيبتها وتأثيرها لتفليدها. وسرعان ما فقد الأسى حصصهم من التوزيع لرجال الأعمال الأميركيين والصينيين نتيجة لاقترابهم السافج أو البيع المباشر، وأكثت عامة الناس أنه يصعب التعامل معهم.

في كاهانا (مضائق)، وهي قرية لزراعة القلقاس وحيد السمكة، لسكّات سكان القرية = وحرّوم قوي = بأراضيهم لجيل آخر. وحتى أنهم أقاموا تعاونية ناجحة في عاى 1874 و 1879، «الكاهانا هوي». لاستغلال الأراضي الصناعية وإعطائها وكانت «التعاونية» جزءاً من حركة تعاونية في هاواي على نطاق أوسع في ذلك الوقت. لكن التعاونيات توقفت بنظام قانوني رأسمالي الذي أنشأ أسهناً في السلع، وتقرّض حكم المحليين الوحيد ببيع بعض أسهم كاهانا هوي إلى المملك. كما تم تقويض استغلال الحياة العقلية بتحويل الأراضي الزراعية والسكنية إلى سلع، وإزاحة الأمر سواً يلقون الزمن العفاري لعام 1874 الذي لا يزال تحت سيطرة الحكومة الأميركية (كاهانا في ذلك الوقت أكثر المصرفيين في البلاد، والذي سمح بالمعس الهين الزمن.

ملاحظات: سطر عن الماعيلي الكبيرة (وهيكلها فمن الصواب القول بأنه من الناحية الفنية، فإن الماعيلي لم تفقد هناك واحدًا للأجانب، لا بل إنها أنتجت مجموعة من الأحوال التي جعلت أراضي السكان الأصليين عرفة لأن تؤخذ بكاملها¹⁷). وفي العقود الأخيرة القليلة من القرن التاسع عشر، فإن معظم المجموعة من الأحوال، جعلت بكفاءة تجارية لسلب قوي كاهانا. والمخاض

عدد السكان بما في ذلك الهجرة إلى المدن، وتأثيرات مرضي الجذام، كانت تعني أن بعض المناطق قد أُخرجت من إرثها المحلي، قد يكون الأقرباء في مكانة أخرى قد وورثوا أو أن الأنحبة بيعت إلى غرباء. وسابقة بيع الأمهات إلى المملوك وإلى أجنبي آخر كان رفيق المورمون (Mormons) بالطفلة البدينة المبهمة في الوادي، أدت إلى السيطرة التدريجية على الهوي (Hui) من الغرباء الأقرباء، وبخصوصاً عائلة فرستر (Fraser) وفي ظل قانون الرهن العقاري، فإن السكان المحليين كانوا يقترضون المال لشراء بضائع مصنعة لم يخفون، أما أراضيهم فنقلت إلى الصينيين.

أُنشئت في الوادي مصلحة لزراعة الأرز يسيطر عليها الصينيون، وقد أعطت دفلاً من الإيجارات الهوي، لكنها استمرت في تحويل الأراضي إلى سلعة. ورغب الأقرباء في الأرض ولا يملكون قطعاً منها بمرور الوقت؛ أراضي الباشية (التي عززت البلباء) والسكان المحليين والكيون الشاطبية (التي عززت القرية نفسها) ويتم تحويل مياه الشاطئ الشرقي إلى الغرب؛ لاقتصاد المزارع التجارية التي أُنشئت في أوامر (Orders) مستخدمة العمالة الصينية واليابانية. واستولى هذا النظام على معظم المياه التجارية في وادي كاهانا ودفتر الري في الوادي. وبحلول أواخر القرن العشرين، كانت الملكية المحلية واقتصاديات القرية التي كانت توطنها قد انتهت.

لم تكن قوة السلاح، بلّاء الطريقة الوحيدة لترج الحياة حين يحدث وباتأكيد إننا لا نستطيع سريان الهيمنة البحرية الشامة على (المسحط) الهادي من السلطات الغربية، السادة المحلية لأصول النظام الملكي في هاواي. وعندما استولت الولايات المتحدة رسمياً على جزر هاواي بوصفها مستعمرة في عام 1898، كانت الهيمنة الموقوفة للبحرية الغربية من البلباء في تسوخيمها (Nanaimo) بعد حشد من الزمن. وفي ذلك الوقت، كانت 90 في المئة من أراضي هاواي قد ضاعت فعلاً، وكما أوضح سرد ستوفر المفضل الراجع، لقد كانت التنبؤات الاجتماعية داخل شبه المستعمرة هي التي أُخرجت الأرض من أيدي أهلها الأصليين.

وقد ذكرت آنفاً دور فساد الطبقة الأرستقراطية وعدم مسؤوليتها، لقد بيعت أراضي الأثري في وادي كاهلا في وقت مبكر يعود إلى عام 1857، والثاني الذين لهم روابط بالنظام الملكي كان لهم دور معين في هزيمة كاهالا الملك، قسداً مع أسبده في الهوي، وعائلة فومستر والأخصار القويون للأسرة الملكية، الذين انتهوا بسيطرة كاملة على الوادي بحلول عام 1820. وأدت العلاقات التبشيرية البروتستانتية نوزاً منها وموروكا، إذ انطلقت في البداية للإغلال بالنظام الاجتماعي في هاواي في سبيل القضاء على الوثنية، ولقد نجحت، ثم انتقلت إلى النظام لاجئي ثروة تجارية من أملاك الأراضي نفسها، وكان المورمون ذوي أهمية خاصة في كاهالا، قد تسلطوا في ايده الهوي، ثم فوضوها في سبيل مصالح إمبراطوريتهم العالمية الشبيهة بالتبشيرية.

لقد رويت هذه القصة لا لأشير إلى النموذج عام من نزوح الهجرات، لكن لأقترح عكس ذلك: الفكرة العامة لنزوح الهجرات - وهي واحدة من أكثر المفاهيم أهمية وأقلها نظرياً في العلوم الاجتماعية - تحتاج إلى إغراق الجذور في وحل أراضي طيعية بعينها.

إن لأخذ الأراضي على محمل الجد مفاهيم المعرفة علم الاجتماع، فقد أبدى المؤرخ الإنجليزي الشهير ريتشارد هيري تالوني (R. H. Tawney) ذات مرة تعليقاً مفاده أن أضعف أدلة لعقارب التاريخ هي علماء حين كتابة عن التروال إلى ميدان الواقع العملي. وأنا أطبق هذه التصبيحة في العلوم الاجتماعية عموماً، وأقترح مقصورة - خطوة لجنة فوليتكوان (1846) - على «العلوم التي أعنى بالقوانين العلمية العامة المستندة إلى التعميم» مقابل «العلوم التي أعنى بدراسة الحالات الفردية المحددة على نحو ما هو معروف في الإنسانية العلوم الجزئية» (particularistic)، بدلاً من العلوم العامة (generalistic). جميعهم بحاجة إلى أن يتعلموا أخلاقية جليلاً، والباحث الجيد في جميع العلوم الاجتماعية يفعل ذلك.

يتعلق هذا على المتطرفين كما على الباحثين التبريريين الذي يكونون بعضاً من الطبقة. وأنا أريد أن أقترح معنى جديداً للمصطلح «النظرية متأرجحة»: ربط

النظرية بالأرض التي تدومها أصلية المنظر. والتفكير بهذه الطريقة هو رفض لإعادة العقل المنجلدة بدمق، والمشار إليها في بداية هذا الفصل، التي يكون فيها الإعجاب بالنظرية في العلوم الاجتماعية هو بالتبسيط والدرجة التي تجتنب فيها التعقيدات المعقدة والتكلم في مسلمات مجردة.

هناك وضع مضاد، مألوف في علم تأريخ الناطقين بالإنكليزية، ولعزز بعض الثباتات في ما بعد التحذيرات، وهو يشكك في التعصبات في حد ذاتها. وبالنسبة إلى هذه الطريقة من التفكير، فإن المعلي هو الموقع الوحيد للمعرفة أو الموقع الشرعي للأرضاع السياسية. ويمكن أن يؤدي الاهتمام المعقول بالكامل بالمعطيات الحرة إلى الاتجاه نفسه. فمثلاً، التعصبات السوية حول النظام الأبوي تم تسليحها بتجارب بحسب الطبقة والعرق والجنسية والثقافة والهوية⁽¹⁾. في الواقع، إن مجالاً جديداً من الدراسات عن «التقاطعات» (intersectionality) قد نما حول هذه المشكلة.

منحى التفكير هذا مظهر، إذا أمضى إلى رفض للتعميم شريك حياة العلوم الاجتماعية كتشكيل لغائي. فالتعميم متعروط في الاتصالات وفي اختيار الأمثلة، وفي التخييل العلمي والبحث عن بيانات جديدة وفي تطبيق المعرفة واستخدامها وفي القدرة المعرفة على النمو. إن رفض التعميم في العلوم الاجتماعية ينمنا من الحركة.

لكن هذا لا يعني أن نلزم نعيم المسلمات المجردة وأهليات الطامع بقيد هذا، إذ يقول إن علينا دائماً التفكير بالسافات الاجتماعية المعقدة التي تنمو منها التعصبات، والسافات التي أهرمت التعصبات فيها. والتفكير المتأخر في الأرض الطبيعية المكتشفة ليس مجرباً في مصيدها، لكنه بالتأكيد بحاجة إلى معيار آخر ذي أهمية أكثر من المعيار الذي استغنىه المسألة المجردة، حيث كلما ازدادت الحالات المعقدة قويت الحاجة المنظر في أن تكون.

Chitra Balakrishnan, *Re-Orienting Western Feminism: Women's University in a Postcolonial World* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

وقد أرى هذا المعيار في مفارقة العلوم الاجتماعية أصبحت ناقشها بمزيد من التفصيل في الفصل العاشر، وبخصوصاً في العلاقة الشقة للنظرية مع البيانات المولدة محلياً. فليس المعطيات وحسب، تتقد النظرية، لكن النظرية أيضاً تتقد المعطيات. وفي هذا الجدول المستمر، يحاول المرء أن يصل إلى التريب للمعرفة بكتشف تيمامة لحظة معينة من تاريخ البشرية. ومحاولات كهذه تُنتج تعميمات، لكن الضميمة منها لا غير هي عامة. ولغوة تعميمات العلوم الاجتماعية تتضاعف إذا أمكن ربطها بخصوصيات السياق الذي تُطبق في داخله.

هذا يوحي بصحة مبدأ النظرية العامة المخصص، لمصلحة ما قد نطلق عليه النظرية العامة أي، التفكير المرتبط بأوضاع معينة. وهدف النظرية العامة ليس أن تُخرج في خاتمة، لكن أن تُوضح، وليس أن تُصكف من الطراز، لكن أن تبرز وضعاً في حالته الحسية. ومن أجل ذلك الغرض - ولتقير الاستمارة - التكل تحب للمطعم بالنسبة إلى المنطقة. ومصطلحتنا بصلتنا باحتين لعظيم لزوء المواد التي يتم إدخالها في التحليل والتفسير. كما أنه من مصطلحتنا أن تضاعف، لا أن تُخلص الأذكاء النظرية التي ينبغي لنا العمل بها. وهذا يتضمن مضاعفة الموارد المحلية للتفكير، كما يحاول هذا الكتاب أن يفعل.

لكن، هل يمكن الواقع نفسه أن يتجاوز هذه الحقيقة؟ محاولة استيلاء النيوليبرالية على العالم لها نتائج معرفية، فضلاً عن الاقتصادية والسياسية. وينظري مجتمع السوق المبني على التحريك العالمي للسلع على تجريده عالمي كجزء جوهر من واقع، فالدعوة للتشبيك بالتجريدات التي لا مكان لها للاقتصاديات الكلاسيكية الجديدة، ولجاءل الأرض ليس اختصاراً نظرياً واحداً بين اختيارات وحسب، بل إنها مستان بارزتان للمعان الأيديولوجيا المجتمع النيوليبرالي.

ليس من المستغرب، إذًا أن الحكومات النيوليبرالية معادية بعناء لمفروق الأرض للسكان الأصليين، والحكومة الأسترالية الحالية حتى تحول اهتمامها من المهمة السارة في تخصيص نظام الاتصالات السلكية واللاسلكية، للقضاء على المؤسسات المسيطر عليها صناعياً من الأبروريين، لتعمل محلها

المشروعات ذات الميزة القومية، وبالتالي ترك القوى السوق أن تحكم. كما
تعتبر قوى السوق في عالمي.

زيادة رأس المال فضلاً عن المكان، كما تلاحظ أليات العولمة.
ومن أبرز سوق اليورو دولار في سبببات القرن العشرين، فإن نسبة حيازة
من رأس المال لم تعد مرتبطة بعملية محلية ولا، لهذا السبب، مرتبطة بنظام
وطني تطبيقي لغرض الضرائب. ورأس المال العاجل¹²³، الذي يركب موجات
الأسواق المالية هو شكل من الامكانية رأس المال، ويربط أسواق الأسهم
والسندات الوطنية هو شكل آخر ومشروع ما زال قيد الإنجاز. وهذا سيجعل
محلي النمط الجاري من استثمار المحفظة الدولية سوقاً عالمية لا يمكن فيها
للملكية الاعتبارية. والشركات العابرة للحدود نفسها هي شكل ثالث، وربما
الأهم بين الجميع، لأنها ستشكل محددات العلاقة بين الرباب العمل والعاملين.

مع هذه الامكانية لها حدود. فننظر إلى شركة محاسبة ومستشارة إدارة
عابرة للحدود الوطنية مثل إرنست أند يونغ، أو برايس ووترهاوس كوبرز، أو
أي من منافسها. شركة كهذه هي واقع مستهلك عالمي تتعامل مع مجموعة
كبيرة من أماكن العمل المحلية في جميع الأقطار التي تعمل فيها الشركة.
والمواقع المحلية مرتبطة بنظام بشريون كبار يمشون الكثير من الوقت في
رحلات جوية مسافات بعيدة، والأكثر أهمية، أنها مرتبطة بنظام اتصالات
إلكتروني معقد ومركز هذا النظام على قاعدة بيانات متقدمة ضخمة يدخل
إليها بائعوا المهنيون في الشركة والمندوبون، ومن خلالها يستفيدون
لعملهم. وهذا ليس فقط إلكترونيًا، فهو كما لا حدود له. إنه موقع محروس
جيدًا وخاص إلى درجة عالية، وخصوصية ضرورية لأداء الشركة الخيرة
وبالتالي تستطيع مراعاة الأرباح.

هكذا، فإن القطاعات العابرة للحدود للشركات المعولمة لها مكانة

¹²³ رأس المال العاجل (cash) هو أي الذي يحول من مركز تجاري إلى آخر بسرعة عالية
ويج يكون أعلى أو أسرع. (المجموعة)

حوادث، وينبغي لها أيضًا أن تهبط في قضاء عالمي. وهذه هي مناقشة ساسن في الجمعية العالمية¹⁴⁰. في بضعة أماكن مركزية - لندن ونيويورك وطوكيو - هناك نمو سريع لخدمات المنتجين، بما فيها القانونية والمحاسبية والإعلانات والشركات المالية والمصارف، حول التدفق الواسع للأموال في الشركات العابرة للحدود الوطنية. والقوى العالمة فيها برواتب عالية مدفوعة بطورها بالظواهر وسجارة التجزئة والخدمات البشرية والعاملين في المنازل، ما يؤدي إلى هجرة ذات الجور منخفضة وتغيرات في البنية الاقتصادية المحلية. لقد أعلنت ساسن¹⁴¹ مثلًا رسم هذه الصورة: مطيرة إلى النمو الذي حدث مؤخرًا للشبكة العالمية من حوالى أربعين مدينة مرتبطة، والتي تؤدي وظائف القبط والخدمات نفسها بطريقة لامركزية بصورة أكثر.

نتائج ساسن، على الرغم من أنها تخطيطية كما هي، تستدعي الانتباه إلى مادية عمليات العولمة. ولا ينبغي التجريد المظن في التحويل إلى سلع والعالمية الدولية، الفضا، لا بل إنها بعيدان تشكيل متكررات. والثروة التي اكتسبها الاقتصاد النيوليبرالي لا تطفو إلى أثر متفرق عابر للحدود، إنها تسحب في جيوب بؤات معينة، وتعطي أرباحًا فقط أو تجلس، أو تستلقي على أستر مريحة معينة من الأرض. والقوة الملحقه بالثروة المعاصرة هي بالتالي قوة موزعة، على الرغم من أنها ليست محلية.

هذا هو السبب في أن جهداً كبيراً يلعب لصناعة أمكنة الألقاب. في التاريخ البشري كله، فإن الصبغة الاقتصادية بين الألقاب والقرارات لم تكن أكبر مما هي عليه الآن، وإلى درجة غير عادية في تاريخ العلاقات بين الطبقات، فإن الطبقة الحاكمة المعاصرة العابرة للحدود الوطنية قد وضعت جذراً حول نفسها ضد الآخرين، في شلق معروسة بالأمن والتطاحات سحب الشركات وطائرات الشركات الطاقة وسيارات الملايح والمتنزهات، ومجموعات النصوص التي وألقها

Robin Sassen, *The Global City* (New York, London, Tokyo: Princeton University Press, 1991).

Robin Sassen (ed.), *Global Networks, Global Cities* (New York: Routledge, 2002).

بقيادة مايك دونالدسون وسكوت بويتش في كتابهما *رجال الطبقة الحاكمة*¹¹¹. وتكبر عقل مايك ديلز لطيفة الكولونزا¹¹² الكلاسيكي التاريخ الاجتماعي للوس أنجلوس في الولايات المتحدة وأظهر كيف أنه في السنوات الأخيرة ومع توصل رأس المال العابر للحدود الوطنية إلى الهيمنة على الشعب الساطفة، أصبح الفصل الطبقي والعرقي حرفياً ميبكاً داخل نسيج المدينة. فالعبارتي - في الواقع نواح بكاملها - تم تخصيصها لإبقاء الفقراء خارجاً، وتكسخت صداقة الناس، خاصة لتوفير وسائل عرض الاستبعاد.

لهذا فإن الأرض ليست غير ذات صلة، حتى في فلاح المعرفة. ينبغي لنا فهم أهميتها الاجتماعية في جدلية معقدة للمكان والسلطة التي يشكل تاريخ الاستعمار وما تبعه من انفصالات عتوق الأرض للسكان الأصليين أجزاء رئيسة منها. هذه الانفصالات، والتجارب التي أبرزتها، والتحجج المتقدمة في سبيلها، هي الآن أمور استراتيجية للعدالة الاجتماعية على الصعيد العالمي. وأخذها على محمل الجد، والتعلم منها لا يذ منها لتجديد العلوم الاجتماعية على مستوى العالم.

Mike Donaldson & Scott Bunting, *Being Class: How Money, Sex and Power Matters* (Berkeley, 1991).
Peter Lang, 2000).

Mike Davis, *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles* (London: Verso, 1991).
1998).

الفصل العاشر

علم الاجتماع على سعيد عالمي

توجهت نحو السؤال الجوهري، ليس من أوروبا بوضوح يمكن تعلم الشيء الكثير لقد ولم هذا العصر الحديث الكثير من الأفكار الترفيعية من بين السكان الأصليين أنفسهم من اليابان والصين وأمريكا والهند والجزيرة العربية من الشعوب كلها على وجه هذه الأرض. لقد كانوا الطاب الأممي التي أعطيت الحياة لأصبح بآلة رومبا على خطا سبني رومبا بعد أجيال نفسي. كيف لا أفرد. وتوافق التركت التي مثل جميع الأمم. والعصور كلها الماضية والحاضرة.

برامبدا ألبا تور (1979)

دراسة اجتماعي في مساحة العالم

خلال هذا الكتاب قدمت باستعمال امر للطرفين المطلقة لتسمية أقسام العالم. وهذا يشمل مصطلح الشمال/ الجنوب من مناقشات الأمم المتحدة ولغة ونوبل بريش المركز/ الأطراف والغرب/ الشرق بلغة الاستطراق وتقدم والمقدم/ المتخلف بلغة نظرية التنمية والتجربة والمثربول/ المستعمرة بلغة الإمبريالية الفرنسية. ونادرا ما استعملت العالم الأولى/ العالم الثالث، أو [تعبيرات] نظرية أنظمة العالم «القلب» شبه الطرف/ الطرف، على الرغم من أن هناك من لا يزال يجد هذه المصطلحات مفيدة أيضا.

على الرغم من أن لكل من هذه المقاييم نقاط المرجعية الخاصة به إلا أن من الواضح أن هناك قدرًا كبيرًا من التداخل. والجغرافي ما بعد البنيوي ديفيد ميلتر¹¹، في عرضه للغة «الشمالية الجنوبية» و«الشرقية الغربية» يحاول بحث أنه مع كل التعويض في المصطلحات فإن حقائق الأقسام العالمية تظهر. وتعود هذه التعويضات كلها إلى النمط الطويل الأمد لعدم المساواة في السلطة والثروة والتأثير الثقافي التي نمت تاريخيًا خارج الإمبريالية الأوروبية وأمريكا الشمالية. ولهذا النمط العام فإنني استعملت المصطلح الهجين «المثروبول» الأطراف.

التعرف إلى هذا النمط والقدر على تسمية المثروبول وتسجيل الأوضاع المختلفة للمثروبول والأطراف، شرط مطلق للعلوم الاجتماعية لتعمل على مسعد عالمي. والتعريفات التي لا تعرف إلى هذا النمط أو هي تراوح بين أصولية السوق والهيمن الثقافي (العالمي) تشمل في أول اختبار للواقعية. والتعريفات التي تجسد «المعنى الزائف للعالمية» التي شخضها بريش، هي مائتا مائة على الخطأ نفسه. إنها تعتمد النموذجها على تجربة الستة مليون إنسان الأكثر ثراء لم يفرض أن هذا يمثل الستة آلاف مليون الذين هم فعلاً في العالم.

ما من أحد يتكلم الخطأ يفترض أن البضعة آلاف والربعمائة مليون الآخرين هم في الوضع نفسه. واستعمال مقاييم مثل «الطرف» هو مجرد بداية التحليل لا نهايته. وتضمن الأطراف أقطارًا تقود إلى درجة بالغة مثل بين (between) وأقطارًا غنية إلى درجة مدعشة مثل أستراليا، وكما بين كاردوسو وفاليتز (between) الفصل السابع، فإن أقطارًا الغنية ومساكنات الغنية تختلف بشدة حتى في منطقة واحدة.

وكما يعمل كاردوسو وفاليتز، ينبغي لنا أن ننسج في الصورة الواسعة الظواهرات المحلية للثروة والسلطة. وتكسر لغة «الغنية/الناحية» في الفصل

David Gauthier, *Complexities and the Post-colonial: Revisiting North-South Relations* (Oxford: CUP Blackwell, 2004).

الثامن إلى الأوضاع السياسية المختلفة التي نشأت من هذه الاختلافات في الهند المستعمرة. لقد أثمرت في الفصل التاسع إلى مطالبة مايكل فوردسون عن وضع الأوريجيين في أستراليا المعاصرة، والأمر يستحق القياس بعض إحصاءاته:

المؤتمرات الاجتماعية الخاصة (...) إنما لا تزال أولئك الذين هم 18 مرة أكثر احتمالاً لتكون في السجون، وهي لا تزال تؤدي بشكل غير ملائم 60 في المئة منه ولا تزال أولئك الذين يموتون أصغر بـ 18 إلى 20 سنة من الأستراليين الآخرين، ولا تزال أولئك الذين يحصل أن ينهي تعليمهم فقط المدرسة الثانوية، ويحصل أن يكون ثلاثة أضعاف عاطلين من العمل (...) 78 في المئة من المجتمعات الأوريجية لديها موارد مالية لا تفي بمعايير منظمة الصحة العالمية¹².

كما يدرك فوردسون جيداً فإن المشكلات نفسها تواجه السكان الأصليين في أقطار أخرى، على الرغم من أن أقطاراً كثيرة أخرى لا تملك وفرة من الوسائل الاقتصادية لحلها. إنه ليس الانتظار إلى الموارد، لكنه عدم المبالاة المتحيز للطفلة الحاكمة المحلية هو الذي يمنع حل مشكلات كهذه في أستراليا.

تتوضع القوى الاجتماعية في الأطراف ليس دائماً. تظهر جهات فاعلة اجتماعية جديدة، كما هو مبين في كل من أميركا اللاتينية والهند عبر الحركات النساء (ينظر الفصلان السابع والثامن)، وفي أستراليا وبنغلاديش عبر حركة حقوق أرض السكان الأصليين (ينظر الفصل التاسع)، وفي إيران عبر ظهور الإسلام السياسي (ينظر الفصل السادس)، وفي أفريقيا عبر حركات الاستقلال نفسها (ينظر الفصل السادس). واعتباراً أن لواقعية علم الاجتماع، إنَّما هو في قدرته على التعرف إلى دينامية الأطراف.

التنوع والدينامية هذان لهما عواقب مباشرة لصنع علم الاجتماع. إنتاج

Michael Dodson, *Land Rights and Social Justice in Contemporary Singapore and the Other C11* (London: The City University of Hong Kong Press, 1997), p. 46.

المعرفة مشروع مختلف جدًا في بلد طرفي ثوري مثل أنغولا، وبلد طرفي غير
 مثل إندونيسيا. والنظرية الاجتماعية للكتاب مثل أتور ناندي في الهند تُنظر
 الفصل الثامن، معتمداً على تاريخ فكري غني للسكان الأصليين، تُقرأ بشكل
 مختلف جدًا عن الفكر الاجتماعي للمفكرين الأفريقانيين في جنوب إفريقيا،
 والذين تم فصلهم بدينامية ترعة المستوطنين الاستعمارية عن موارد فكر
 السكان الأصليين¹⁰. إحدى المشكلات الجوهرية التي يواجهها علم الاجتماع
 الآن هي ربط المشكلات المختلفة للمعرفة في الأطراف بعضها بعضاً. سأصل
 إلى بعض المسائل العسبة للقيام بذلك في هذا الفصل.

حاولت أن أبرهن في الفصلين الثاني والثالث أن إحدى آليات تشكيل
 النظرية التسمية كانت محور التسمية من الأطراف. وإبطال هذا المعو هو مهمة
 أولية في إعادة صياغة العلاقة بين الأطراف والمدربول. لجعل عملية التعلم
 المشتركة ممكنة، يتطلب هذا في المقام الأول، ترفاً من البحوث كالذي قامت
 به دراسات التابع، توليد تجربة المفسّطين، خصوصاً تجربة أولئك الذين
 تُركوا خارج السرديات المهيمنة، في التاريخ والتعدّاة. وكان هذا أيضًا مهمة
 سول بلاتيه في الحياة المحلية في جنوب إفريقيا. وهناك كلاميكيات للعلم
 المدربولي أيضًا، والتي قامت بذلك تمامًا. ويتبادر إلى الذهن كتاب كنفيلد، يا
 لرون، ندفن العالم الذي صنعه العبد¹¹ ليوين جيتونيزي.

هذه [المهمة] مختلفة عن المهمة التي قامت بها الإثنوغرافيا السائدة، بناءً
 مكتبة لوصف المجتمعات غير الغربية. وعندما نشر جومو كينيا مواجهة هيل
 كينيا في عام 1958، لم يكن مجرد إضافة إلى مجموعة مدرسة مالينوسكي
 (Malinowski) عن الأسرى المهدلين. لقد كان معادلة الأسر الحقيقي لشعب
 الميكرون (Gilbert) بتقيد القصة الاستعمارية البيضاء عنهم.

Herbert Chabal, "Survival in Justice", in *Anthropology and the Question*, 111
 Comparative Studies in Society and History, vol. 36, no. 1 (1994).

Edward S. Sherry, *And, Jordan, And: The World of the Green Book* (New York: Vintage, 1978).

وتطبق النقلة نفسها الآن. نحن لا نستطيع الوصول إلى تشكيل جديد للمعرفة بتكريم وصف فوق وصف، مهما كان متفناً وشاملاً. وعليها أن نستذكر تأكيد رادكليف جيداً بأن دراسات التابع يجب أن تهتم بالشؤون السياسية للفاس، وليس بوصف تجاربهم وحسب. وعليها أن تستذكر أيضاً ما كان يفعله مايلز دورسون بالإحصائيات التي قيسناها توما: تشكيلها في حجة من أجل حقوق الأرض.

ما هو مهم، إذاً ليس موضوع بحث وحسب، لكن أيضاً قوته الموجهة وتصميمه، وعلاقته بالبنى حول والتي قد تشكلها سياسات التغيير. في كتابات بلاتيه ودومسون - وبالتأكيد في كتابات جيهونيزي - الحقيقة المركزية هي تجربة «الخسران». وهناك عمل تحليل نفسي مثير للإعجاب حول هذا الموضوع¹¹، والذي يؤكد بأن النظرية الاقتصادية تعتمد به، وفوق ذلك، فإن الخبرة الصناعية بوصفها عملية اجتماعية على نطاق واسع جداً هي مركزية لتاريخ الاستعمار. وقد أعطى الفصل التاسع مثلاً موقفاً جيداً لخسارة الأرض - ومعها خسارة النظام الاجتماعي - من واحدة من المستوطنات الساحلية البوليزية، وبمكاننا مضاعفة الحالات.

هناك تجارب أخرى للخسائر إلى جانب خسائر الأرض. فالتفككون التبشيريون إلى هاواي أرادوا أن يخسر السكان الأصليون دينهم. ولم يكن الأتباع في أي حال من الأحوال ساذجين في رؤية التهديد للإسلام كنسمة ودية للاستعمار في القرن التاسع عشر، ولا كان آل أحمد مخطئاً في رؤية عدم السيادة الدينية لإصباح العقيدة، وليس اعتماد واحدة أخرى (علماً على الرجل المستعم بالغرب. وفي بيان هورتهان عن أميركا اللاتينية المعاصرة، فإن مبحثاً رئيساً فيه هو ضياع الزمات والأمل والطاقة والذي ارتبط بمشروع الدمج الاجتماعي والعدالة.

هناك أوجه أخرى لتجربة المستعمرين التي من الصعب تمثيلها في علم الاجتماع كما هو مكتون الآن. لقد أشار الفصل الثاني إلى أن الطريقة التي يتم التعامل فيها مع الزمن في النظرية السوسيولوجية غير متوافقة مع تعزيز الزمن

وعدم التوضيح المتمثل بالغزو الاستعماري. وليس الغزو القطعاً نهائياً. ونحمل عدم الاستمرارية قسداً إلى داخل المجتمع الاستعماري بوجود ما ندعوه «تكتين موميسي»¹²¹ «البنية المستعمرة» - الهيمنة على الفضاء وإعادة تشكيل العقول المحلية، من الدولة التطويرية، إذا تبعنا تشخيص أنشيز ناندو¹²²، علاوة على العيوط من اقتصاد الشركات.

يشير تشخيص تسور غاروبا كاتكليني¹²³ لتكسيكو إلى نوع آخر من عدم التوضيح وذلك للمدن المضخمة جداً في الأنظار الطرقة. لا يوفر اندماج النخب الوطنية في ثقافة المثرونية والرأسمالية العالمية، أي وسيلة للاندماج التي الواقع، يساعد على تعزيز الاستراتيجية الوطنية السابقة للاندماج بالنسبة إلى سكان هذه المدن الكثيرين جداً، والفقراء والمهاجرين في الغالب ووصفة «الاجتية» جميعاً «السيطرة من دون هيمنة» قد تكون ذات صلة أبعد بكثير وراء حالة حكم الراج البريطاني.

تحدثت النظرية الاجتماعية المثرونية براحة عن بناء المجتمع، وعن كل بناء العمليات الاجتماعية، وعن إعادة إنتاج البنى المجتمعية. لقد كانت أقل حرصاً بكثير - وربما تنظر إلى المفاهيم - لتحدث عن تدوير العلاقات الاجتماعية، وعن عدم الاستمرارية والاستلاب، وعن إزالة الدماء والمعاداة التي تغزو عليها حلق العالم التي تعيش فيه حالياً. وهناك موقف دفاعي جميل جداً هنا. عندما نشرت أول مرة جزءاً من المناقشة الواردة في هذا الكتاب، صرح مفكر مثروني معروف، وفي المجلة نفسها، أن هذه كانت مرحلة ذهب مومبولوجية¹²⁴.

V. T. Madhuban, *The Invention of Africa: Goats, Philosophy and the Order of Knowledge* (O1) (Bloomington: Indiana University Press, 1984).

Julian Nandy, *The Remains of the Same, and the Fate of History in the Empire* (O2) (Delhi: Oxford University Press, 2003).

Miriam Garcia Canclini, *Splendid Cultures: Strategies for Entering and Leaving Modernity* (O3) (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995).

Randall Collins, «A Sociological Goli: Top Comment on Connolly», *American Journal of* (O4) *Sociology*, vol. 105, no. 6 (1997).

مع ذلك، هناك خطر في التركيز الضيق على الأطراف. وتجارب مثل الاستلاب والزمن المتقطع قد تظهر بوصفها نوعاً من الكثرة الطبيعية التي حدثت بساطة الناس الواقعين تحت الاستعمار. ولستحضر ما قاله أربيل نورمان عن انقلاب عام 1972 في تشيلي، العنف هو عمل أناس معينين، لعبوا أدوارهم. والمجموعة المستهدفة قد لا تراه كذلك، لكن القية - وإمكان العمل خلاف ذلك - يمكن رؤيتها من حيث المبدأ. وإنه لأمر حيوي التعرف إلى الفاعلية (agency) المعنية في الاستلاب الاستعماري والديكتاتورية العسكرية وإعادة البناء النيولبرالية على حد سواء.

لقد قرّس دانييل برينش أكثر من ربع كتاب التقنية الانفصالية في أمريكا اللاتينية ومشكلاتها الرئيسة للكتابة حول الولايات المتحدة. ليس كافي أن نسمي البرينبول وظيفة علم الاجتماع تحليله. وهذا سؤال القيم العمليات الاجتماعية - المؤسسات والمصالح والاستراتيجيات - التي تولد الكوارث. وفي ستينيات القرن العشرين، فإن سوسيولوجيا بشارية جديدة دعت هذا «الدراسة للأعلى» (top-down) في معارضة للممارسة المألوفة حيث الأكاديميون من الطبقة الوسطى يدرسون «الأسفل» على الفقراء والهامشين والمهمشين. وانطلقت بحوث بنية السلطة لدراسة الأغنياء بدلاً من ذلك، وأنتجت على نحو واثق نتائج مهمة عن تركيز الثروة وشكل الشعب المؤسسية، وخصوصاً في الولايات المتحدة¹¹². والاستراتيجية لا تزال مشرقة¹¹³.

يعطين المخطط نفسه على نطاق عالمي، كما تمكن رؤيته في بحوث العولمة الأكثر إبداعية، وخصوصاً دراسات الربط (يُنظر الفصل الثالث)، فعلى سبيل المثال، الطبقة الرأسمالية العابرة للعولمة الوطنية ليست سوى شكل¹¹⁴ تتجمع مقادير برنامج طريق من البحوث عن الشركات العابرة للعولمة الوطنية وعملاتها السياسية.

¹¹² William Darity, Jr. ed., *New Directions in Poverty Research*, Special issue of 1141 *American Sociologist*, vol. 1 no. 3 (1979).

William Darity, Jr. and Scott Wrynn, *Being Class Poor: Money, Race and Power* (Berkeley: 1311 Peter Lang, 2007).

¹¹³ Leslie Sklair, *The Transnational Capitalist Class* (Malden: Blackwell, 2001).

1121

الشركات ليست المؤسسات الوحيدة التي تسمح للأطراف الغنية بممارسة السيطرة ومراقبة الموارد. هناك أيضًا الدولة المتروبولية التي تغيرت من الكبرياء الإمبريالي المتضخم، آنذاك، إلى فزاعة ليبرالية جديدة في الحاضر، مقلدة التزامها دعاية المواطنين في حين تسيئ قدرتها على التدمير الخارجي. هناك المناخف ومعاقد البحوث التي كانت لأهمية أساسية في مركز البيانات من العالم الاستعماري. وهناك علوم جديدة وتكنولوجيات، كما لاحظ آل أحمد⁽¹⁾، تكمن وراء خطورة الآلة التي هي حرية التسمم بالغريب. ومنذ أيامه، فإن تكنولوجيا الحاسوب أوضحت هذه النقطة بزيادة من القوة. وهناك أيضًا مشكلة تتبع الموضع المتغير للسلطة في نظام حيث القرارات الرئيسة التي تشكل الحياة اليومية، كما يقدمها فارسي كاتكليني⁽²⁾ «تأخذ الآن في أمتعة لا يمكن الوصول إليها ويصعب تحديثها».

ليس من مكان أكثر من الأطراف نريد فيه تكويم لوصف للمتروبول. وحسب، هناك بالفعل توفيق واسع للحياة الاجتماعية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. وهذا هو، في أي حال المحتوى الرئيس للمعلومات الاجتماعية اليوم.

من وجهة نظر فهم المجتمع على مستوى عالمي، فإن أكثر ما يهم حول المجتمع المتروبولي هو، مرة ثانية، المؤشر: قدرته على العمل بوصفه متروبول. والمؤسسات والعمليات التي تدعم هذه القدرة. وعند هذه النقطة يمكننا أن نصل لغة المتروبول، الأطراف قليلًا، على الرغم من تخيلني من أن لغتي لا تزال غريبة. الغرض من المعرفة هنا هو مقدرة المتروبول - أو، إن كنا نفكر في اصطلاحات أكثر مؤسسية - أجهزة المتروبول في الأنظار التي تشمل المركز المهيمن في اقتصاد العالم والعلاقات الدولية والتفاهة.

يمكن هذا الجهاز خلف البنى المستعمرة والامتداد العالمي، وهذه يحتاج

John W. Aldred, *Shattering Whiteness*, John W. Aldred, B. Ahmad, Ahmed (eds.), 17-21, Chicago, IL: South, 1995.

Nancy-Garcia Canfield, *La globalización imaginada* (Pharmas: New, 1999), p. 11. (24)

إلى طائفة كاملة من العلوم الاجتماعية. فمثلًا، هناك بُعد جغرافي مهم، وأشير
ناصري في القسم القصيم كان واحدًا من أوائل من أشاروا إلى أهمية الجغرافية
للدولة الإسرائيلية. وتعتبر البحوث النسوية والمحاورة بالنسوية محورًا أكثر
اتصالًا بالذكورية الإسرائيلية¹¹². ومن جهة أخرى، فإن بحوث أنظمة العالم
أكدت الاقتصاد السياسي لعلاقات المركز - الأطراف. وبالكاد يستطيع العرب
الشك في أن الأشكال المتغيرة لرأس المال في المراكز المتروبولية، ولا سيما
جعل رأس المال اختراعيًا وتطوير أنواع جديدة للملكية والشؤون المالية، هي
مهمة لمطوريها الحالية على الهيمنة على الاقتصاد العالمي.

إنتاج المعرفة وتداولها

علم الاجتماع ككل يتجسد بالممارسة. إنه أمر يقوم به مجموعات معينة من
الناس في أوضاع معينة، وكان هذا واضحًا منذ أن رفعت الحركة النسائية قضية
ما يعنيه قيام النساء بدلًا من الرجال بإجراء البحوث، إضافة إلى قولهن أقرض
الباحث¹¹³.

كانت هناك دائمًا قوة عمل منخرطة في إنتاج المعرفة في علم الاجتماع
وإنه سيأخذ أين موقع هذه القوة العاملة على سطح الأرض، فإن تكون هناك
مفاجآت. علماء الاجتماع، مثل الباحثين الآخرين، ومثل القوى العاملة
المدنية قديمًا خصوصًا، يتحسرون في الأفكار الغريبة ومعظمهم يحمل للجامعات
والشركات والدولة. وبحوثهم ممولة من المؤسسات نفسها إضافة إلى التمويل
غير المباشر من الشركات من خلال مؤسسات في الولايات المتحدة.

ولعلماء الاجتماع العاملين في الأطراف توجه قوي نحو المراكز العالمية
لتخصصاتهم بالمتروبول. والعلوم الاجتماعية ليست غريبة في هذه العلماء

Barrye Connell, «Globalization, Imperialism, and Masculinities» in Michael S. L121
Connell, Jeff Hearn & Barrye Connell (eds.), *Handbook of Studies on Men & Masculinities* (Thousand
Oaks: Sage, 2005).

Helmut Bahmen, *Doing Feminist Research* (London: Routledge & Kegan Paul, 1991).

[113]

العلوم الطبيعية في أستراليا لهم أيضًا اتصالات قوية، لكنهم يركزون على الولايات المتحدة وبريطانيا، وهو نمط من شبه العولمة¹³⁷. ولوسط الشيء نفسه من بولان هورتونديجي¹³⁸ في الاطّلاع النظرية الفطرية في غرب أفريقيا، وهناك فإن المركز المتروبولي، بالطبع، هو فرنسا.

تشمل ممارسة الاتصال السفر الأكاديمي (الذهاب للفرص، الذهاب إلى مؤتمرات، تغطية إجازات الضرع العلمي في المتروبول، والرعاية والكفاءة والنشر وتشكيل شبكات بحوث، التي تتركز بشكل عام على الشخصية مرموقة في المتروبول. ويمكن الترائك أن تشكل في الأطراف وأن نجذب قوى عامة بأن تطور مكانة في «سيال» (CEPAL) في سانتياغو هي الأكثر شهرة في العلوم الاجتماعية، و«كوديسريا» (CODESRIA) في دكار هي مثال أكثر حداثة، لكنها قليلة جدًا مقارنة بالمتروبول. وقد تعتمد كلما تفعل «كوديسريا» على المنح من المتروبول. ومركز حسنة إرشاد الذي قصد شريعتي أن يصبح مركزًا عالميًا للبحوث الاجتماعية الإسلامية، لم سحله من الحكومة الإيرانية، أي إن القاعدة المؤسسة للعلم الاجتماعي في الأطراف هشة نسبيًا.

القاعدة المؤسسة للقوة العامة في العلوم الاجتماعية لها صلة بنوع المعرفة التي يتم إنتاجها. وأشار الفصل الخامس إلى ملاسقات التكنولوجيا مكثداوير¹³⁹ عن مفكري ما بعد الاستقلال في أفريقيا. وفي حقبة إعلانية بناء التوليفية، ومع الحكومات التي تريد خبراء يقدمهم صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، فإن المفكرين المحليين تطلّعوا إلى المنظمات غير الحكومية

Burton Connell & Julian Wood, «Globalisation and Scientific Labour: Patterns in a 1371
Lithography Study of Intellectual Workers in the Philippines», *Journal of Technology*, vol. 34, no. 2 (2003);
Burton Connell, Julian Wood & Jane Crawford, «The Global Connections of Intellectual Workers: the
Australian Study», *International Sociology*, vol. 26, no. 1 (2009).

Paulin I. Brumwell, «Producing Knowledge in Africa Today», *African Studies Review*, 1381
vol. 38, no. 2 (1995).

Thandika Mwendwa, «Non-organic Intellectuals and 'learning' in Policy-Making 1381
Africa», Paper presented to the ECED seminar on Africa in the Agencies and their Co-operating
Partners (Learn from their Experiences) 14 August 2000.

للدعم والاستماع. لكن المنظمات غير الحكومية التي تقدم مساعدات تريد استشارات وحسب، وليس برامج بحثية مستدامة، ولهذا فإن البحوث الأساسية لم تقلصها من الجانبين. وفي أمريكا اللاتينية، كما في أفريقيا، كان علماء الاجتماع مشاركين في مشروعات بناء الدولة في خمسينيات القرن العشرين وسبعينيات. وبحسب حجة مارتن هورنهيلين¹⁰³، فإن علاقتهم بالحركات التقدمية والنموة التنموية أصبحت المحور الرئيس لتعلم الاجتماع في هذه الفترة. وعندما سطمت الدكتاتورية والنوالبالية هذا السياق، فإن مشروعات العلوم تعطلت بعض، وكان لا بد أن تبدأ في إعادة تفكير جوهرية.

ليس مفاجئ أن الأفكار والمصطلحات وتكنولوجياات البحث يتم تصديرها من المبريول إلى الأطراف. لقد أشرت إلى استيراد الحرم الفكرية مثل النسوية الثقافية للولايات المتحدة إلى الهند، وما بعد البنية الأوروبية إلى أستراليا وأمريكا اللاتينية. وربما كان علم الاقتصاد الكلاسيكي الحزبة الأكثر تأثيراً من الجميع.

مثل هذا الاستيراد عملية شائعة جداً منظمة التجارة بالصوم، والتي هي بهذا الاعتبار ليست غير مجتدة على الإطلاق. فالتصوم أيضاً هي أشياء مادية يتجهها الناسون وتحكمها قوانين حقوق النشر. ولقد كان من الصعب دائماً للأعمال التي تُنشر في الأطراف أن يتم تداولها في المبريول. وفي أجزاء أخرى من الأطراف، ومثال جيد تقديم كتابه هورتونججي نفسه. فكتابه الأول *الحريات* (1973) المنشور في كولومبو في عام 1973، لا يزال غير معروف تقريباً. أما كتابه الثاني عن الفلسفة الأفريقية *مفهومهات* (1978) المنشور الذي نشر في باريس بعد ثلاث سنوات مع بعض المحتويات نفسها، فقد أصبح مشهوراً.

ما يتم تداوله، إنك يعتمد جزئياً على صناعة النشر، وهذا ليس دائماً على حالة. فالتسرون أصبحوا يعتمدون بازدياد على عدد صغير نسبياً من المؤلفين

¹⁰³ Martin Hopenhayn, *No Apologies, No Integration: Modernism and Postmodernism in 1981* (Lima: Amazona (Shambh) State University Press, 2003).

الأكثر مبيقة، وأيسر على القاصص الشعبية وحسب، والمفكرون المشهورون موجودون أيضًا في العلوم الاجتماعية، وتداول كتبهم مريح وفور تأثير مفاد وجميعهم تقريبًا هم من المتروبول- وأصبحت صناعة النشر نفسها أكثر مركزية مع صعود شركات مثل برانسلمان إيه جي (Bantam Books)، ويناقش غارسيا كاتكيني¹² نمو سيطرة الشركات الدولية على النشر الأجنبي في أمريكا اللاتينية، وهي عملية مألوفة في أنحاء أخرى من العالم. وفي أستراليا، فإن معظم الناشرين المستقلين - إن لم يكن كلهم - قد انهوا.

يستخدم النشر العالمي لغات عالمية مهيمنة، التي تعني هذه الأيام اللغة الإنكليزية بشكل رئيس. وشعب البولنغو (يظهر الفصل التاسع) قد يكون لديه ترتيب اجتماعي مرت، لكن ليس لديه الأعضاء لتشكيل سوق للناشرين. وأوروبا هي حياتها (Old Land is Old Land) المجموعة المهيمنة من كتابات الأوروبيين وتاريخهم الشعبي، التي حورها غارودي يونيوغو (Gabrielo Yonigo) والتي كنت أقبس منها، هي يكاملها باللغة الإنكليزية. وإن هذا طرحًا لتداولها وتكاليف الترجمة سوف تضمن أن أعدادًا كبيرة من المؤلفين الكبار في لغات أخرى لن يتم تداولهم باللغة الإنكليزية.

إن الطرائق التي يُنظَّم بها إنتاج المعرفة وتداولها تعظم، صعودًا، سيطرة متروبولية في العلوم الاجتماعية وعامةً طرية. وهذا اتجاه متواصل، لكنه ليس نظامًا مغلقًا، ولا لما كان هذا الكتاب ممكنًا. وهناك منافسة، والمفكرون الطرفيون لهم لمعالجتهم أيضًا. وهذه الزيادة المتعاقلة هي الأساس لأنموذج علي شريعتي في دوافع الفكر (الفردوس المستوردة)، وهو الذي تحتل المسؤولية إعطاء التوجهات للمجتمع. وكما بينت في الفصل السادس، لا يرمز هذا المفهوم إلى فئة اجتماعية بقدر ما يرمز إلى الإمكان الدائم للفكر والعمل التحوليين. وهو يشير إلى هشاشة أنظمة الهيمنة والتمهيش، ويجب إدخال هذا أيضًا عاملًا في أي فهم لكيفية عمل علم الاجتماع على نطاق عالمي.

¹² Néstor García Canclini, *Culturas híbridas: Apuntes sobre heterogeneidad cultural* (Buenos Aires: 1991) (Penguin, 2002).

العلاقات بين المعارف

قرب التوسيع الإمبريالي بالقوة مجموعات من الناس إلى بعضها بعضًا وقد كانوا سابقًا مستقلين، أو أنهم تواصلوا من بعد وحيد. وكانت هذه نقطة البداية لمشكلة لا تزال ناقش، ويتأكد خاص في أفريقيا، وهي ربط أنظمة المعرفة ببعضها بعضًا¹²². وتحدث هذه المشكلة في جميع أنحاء العالم، ولها تأثير في ما نعلمه بالعلوم الاجتماعية في سياق عالمي. وبحسب تقرير اليونسكو في أوائل تسعينيات القرن العشرين، فإنه لا تزال هناك على الأقل أكثر من عشرة آلاف لغة متيرة في العالم. وكان عنوان تقرير اليونسكو في العلاقة بينهما المتبادل¹²³ (*Our Creative Diversity*).

في جميع الثقافات، هناك طرائق للتسليم الاجتماعي، واللوحات الفعلية من مجتمعات الصحراء الوسطى في أستراليا، التي بحثها في الفصل التاسع، مثال جيد. إنه من الممكن تعلم علماء الاجتماع من هذه اللغة الرمزية - أو على الأقل من الجزء العام منها - وأن يبنوا موسيولوجيا السكان الأصليين، كما تشرح أكسولا كيورور بينا موسيولوجيا من الشعر القومسي لليبوريا (ينظر الفصل الخامس). وحدث شيء كهذا فعلاً عندما ألقى علماء الأنثروبولوجيا الأستراليون إضافة إلى شيوخ المجتمع المحلي، بشهادتهم في قضايا حقوق الأرض. وهم لم يستخدموا لوحات على وجه التحديد، لكنهم استخدموا السرديات الروحية ومصطلحات القرى المحلية وسواء أخرى من الثقافة المحلية لتصوير المجتمع المحلي وتأسيس علاقته بمناطق مختلفة من الأراضي. إنهم يحاولون ترجمة الرمزية المحلية إلى لغة مقبولة في جلسات استماع المحكمة.

وبعيداً من قضايا المحاكم حول حقوق الأرض، طباعاً سيكون الغرض من بناء مثل موسيولوجيا السكان الأصليين هذه الأنظمة الرمزية في التصاميم

Catherine A. Odion, *Support (ed.), Indigenous Knowledge and the Integration of I221 Knowledge Systems: Towards a Philosophy of Deliberation* (Chamorro, New Africa Books, 2002).

Ingrid Fiske, «UNESCO's Personal Story», in Ingrid Fiske & Sara d'Onofrio (eds.), *I221 at 50: A Contribution to the 50 Years of UNESCO: Constructing the Foundations of Peace* (Paris: UNESCO, 2004).

والسوديات جميلة في حد ذاتها، ويتناولها «سهور أوسع»، وتتعود إلى سلع يتم إنتاجها للسوق، وقد أصبح صناعة ناجحة. وليس هناك، بقدر ما أعرف، دافعة بشرية في الصعراء الوسطى لرغب في تطبيق مفاهيمها الاجتماعية على مجتمعات أخرى.

قد يحزننا هذا المثال من أي دافع عام لدمج الأنظمة المختلفة للمعرفة حول المجتمع. ما نريده مجتمعات الصعراء الوسطى من الثقافة المهيمنة ليس الاندماج، لكن الاحترام. والاحترام يشمل الدعم على مستوى عملي، حيث إن المجتمع الذي أنتج هذه الكلمة من المعرفة هو الآن تحت ضغط شديد.

نويل بيرسون¹²⁴ أحد أفراد فريق الأيوربيين المتفاوضين لقانون حق الملكية للمحليين لعام 1993، الذي تتبع قضية مويو الحقوق الأرضية، يقدم نقطة مساهمة حول قانون الأيوربيين. «حق الملكية» للمحليين، ليس هو بالفعل من مفاهيم قانون الأيوربيين. ويجادل بيرسون بأنه مفهوم اعترافه الذي بدوره يعترف القانون العام لمجتمع المستوطنين بشكل معين بالحقوق. «حق الملكية للمحليين هو لذلك المسافة بين النظامين، حيث يوجد الاعتراف»¹²⁵.

إن الانقطاع إلى الاعتراف هو فواع علم الاجتماع في الحقبة الاستعمارية. والمفكرون، من أمثال إميل دوركايم، اعمدوا حلقاً بمعتقدات الشعوب غير الغربية، لكنهم لم يكونوا مهتمين بعلم الحقيقة أو نقاد البصيرة الموجودة في هذه المعتقدات، لا بل إنهم عاشوها بوصفها معروضات في المتاحف عن الديانة. ولقد تحرك علم الاجتماع المتروبولي إلى أبعد من فكرة القرن التاسع عشر عن الديانة، لكن الانقطاع إلى الاعتراف استمر كما أظهر الفصلان التالي والثالث.

أنس علم الاجتماع المتروبولي علم الاجتماع في مرحلة مبكرة أسلوباً مفاهيمياً حيث النظرية خطاب فردي (مونتولوجي) يعرض حقيقة مطلقة بصوت

Paul Hirsch, «The Concept of Native Title in Common Law in Venezuela and»,
Ibid., p. 134.

[24]
[25]

مفرد، ويمكن رؤية هذا في وقت مبكر يعود إلى ريكارتو وكولت وسمنر. وفي هذا رؤية للعلوم الاجتماعية في نصف القرن الأخير، على الرغم من أنه يمكن العثور على استثناءات¹²⁴. وأخيراً، يطالب المنظرون بتسجيع - بل إنها تطالب - بزع صدقية وجهات النظر الأخرى، أو إخصامها.

تتحدى ما بعد الحداثيّة، في ظاهرها، هذه الطريقة في النظر، والحقالة بعد الحداثيّة لليوتار¹²⁵ نصّ تحييلي ومبدع يشكك في السرديات الكبرى التي تُطمت حولها أنظمة المعرفة الأوروبية. وتتشجع وجهات نظر كهذه فعلاً التشكيك في الانجازات الثقيّة. وبالتالي، نستطيع فتح إمكانيات جديدة للمعرفة والممارسة الاجتماعيّة¹²⁶. ومع ذلك، وتحرّكة في العلوم الاجتماعيّة، فإنّ حركة ما بعد الحداثيّة لم تكن جماعيّة بشكل ملحوظ. وما يوسّف له أنها تبني الأسلوب الأكاديمي، المصاطب لأسلافها، فوسّف مجموعة مبادئها الخاصة، وحاولت، تتويج وجهات النظر الأخرى كالحداثيّة أو الأمميّة.

وهناك تحدّ مختلف للأطر المهيمنة في الفكر هو وجهة النظر من الأسفل في مجاميع غير مثاليّة. ولهذا تاريخ طويل وفيّ يعود إلى انتقادات الطبقة العاملة للاقتصاد السياسي، والذي أخذ منه ماركس وغلز. وصيغة جورج لوكاتش لوجهة نظر البروليتاريا في تاريخ قوهي الطبقية¹²⁷ والمجموع مدّة طويلة، هو اليان الكلاسيكي، وواقعياً أفضل السوسيولوجيا الحديثة للمعرفة. وصيغة دوروي سميت (Dorothy Smith) لـ سوسيولوجيا النساء تتحدى ليس الآراء المعروضة وحسب، بل الأسلوب المعرفي بتكملة للعلوم الاجتماعيّة

1241 استثناء، أصبح هو مثلاً، عالم النفس إلام هندسون لحيوانات وحيد القرن العراقي في (1972) *The Fall of the Day* (المعرب: *الغروب في الفلّ*).

1251 Urry, Paul, *The Fall of the Day* (London: Jonathan Cape, 1972).

1261 Jean-François Lyotard, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1984).

1271 Herbert Marcuse, *Continental Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era* (1981) (Cambridge, MA: Blackwell, 1994), p. 279.

1281 George Yule, *Money and Class Consciousness: Studies in Marxist-Historical* (London: Merlin Press, 1973).

السائد وفكرة رابول بويش عن علم الاقتصاد الدول الثابتة تمت مناقشتها سابقاً كما أجبته راجيت جها عن تاريخ يستكشف وجهات نظر الساج.

يمكن تصورين مختلفين لبنية المعرفة أن يحدد أيقا لوكاتشي، المنظر هو هيئة مفيدة. وهو يعتقد أن الماركسية تنقل بولنا أفضل وحقيقة أعظم من الفكر البرجوازي. وقد أدى هذا إلى نظرية جديدة أحادية الخطاب والتي قد يتدرج فيها نظام المعرفة المهيمن السابق. ولما سميت¹³ المنظر تخيري. وهي تعتقد أن المعرفة التي نتجها سوسيولوجيا حول المرأة التي عملها اللاحق، سوسيولوجيا من أجل الناس هي من نظام أكثر غير تجريدي، علم الاجتماع التقليدي. وهذا أكثر مقل وترسقا ومطبعة ولا تتناول سميت الاندراج في نظام الفكر المهيمن، لكن لفتت بعض وكان على مسافة من مختلفة عنه.

هذه المواقف لها خطط عريضة واتسعت وجريئة. والعمل الذي نوقش في النصوص السابقة تمت سس النظرية الجنوية، على الرغم من أنه يحدد وجهة نظر من الأسفل على صعيد عالمي، له علاقة أكثر تعقيداً مع الأنظمة المهيمنة للمعرفة. وتشر النظرية الجنوية الموجودة إلى علاقة أكثر تشابهاً بين أنظمة المعرفة، وتؤكد لعملية تعلم تبادلية على صعيد عالمي.

لتنظر، على سبيل المثال، إلى علي شريعتي، التي تقدم طائفته الشيعة بدلاً للعلمانية الأوروبية بما هي أساس لنظرية اجتماعية (ينظر الفصل السادس). ما زال شريعتي أملاً بحرية من السوسيولوجيا الأوروبية عن الطيفات ومفاهيم الثورة. وقد استغل بأمل من الترويج الأوروبي، وعلى وجه التحديد الإصلاح البرونستاني، كما استخدم مفهوم الأنثولوجيا، واستفاد من المناظرات الغربية حول المفكرين. لم تنظر إلى موقف مارتن هوبنهايم (ينظر الفصل السابع). التكرات السياسية التي دمرت، علم الاجتماع الاقتصادي في أمريكا اللاتينية، أنتجت محلاً لأحد في الاعتبار دور وكالة الاستخبارات الأمريكية ومندوب

Christy E. Smith, *The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology* (Boston: 1991) (University of Toronto Press, 1987).

التفكير الدولي ذلك. لقد وجد هوبنباين، في التطورات النظرية ما بعد الحداثية في متروبوليت أفضل السبل لتمثيل النتائج المترتبة عن هذه الأحداث في الأطراف.

هذان المثالان النموذجيان، ويمكن المرء أن يضيف استخدام تاندي لتحليل النفسي، واستخدام بريش للإحصاءات الاقتصادية، واستخدام كاروجوسو وفاليتو لتحليل الطبقات، واستخدام فالديز لإحصاءات الانحياز الجندري، وتكريف هوبنباين للاقتصاد السياسي. كل تطور مهم في العلوم الاجتماعية في الأطراف يستخدم بعض المفاهيم أو النظريات من المتروبول.

لهذا فانه من غير الواقعي تصور مستقبل علم الاجتماع العالمي كتنسيق اعظم معرفة متميزة مجموعة من سوسيولوجيات السكان الأصليين، والاقتصادات السكان الأصليين، وعلم جزاء تعمل جميعها بشكل مستقل. ويساعد ادعاء وثيقة هوبنباين بأن هناك أكثر من عشرة آلاف ثقافة متميزة في العالم في عرض نوع التجربة الإنسانية بأسلوب غير لكنه قد يكون مضللاً أيضاً لأنه يجعل فكرة الثقافة ملغية.¹¹

إن سوسيولوجيا أفريقيا السوداء¹² لجورج بالانديف هي من أكثر المحاولات أهمية لعالم اجتماعي متروبولي لفهم ديناميات الاستعمار، لعطي سياقاً لمفاهيم المجتمع الواقع تحت الاستعمار هو مجتمع مأزوم. الحالة الاستعمارية نفسها تقع الكثير من الضغط على الأنظمة الاجتماعية المحلية لعرض تغيير جذري، وهذا ينطبق على أنظمة المعرفة وكذلك على أنظمة العمل، مثلاً التوتنم والشتوكوك التي صارعها هوبنباين ورفاقه في المعرفة القبلية (*Endogenous Knowledge*)، وحتى في أوضاع بعد ما الاستعمار، فإن هشاشة القاعدة المؤسسية لعلم الاجتماع والزمرة العضوية في أميركا اللاتينية والفشل في تأسيس المفردات علوم اجتماعية متناسكة في أستراليا جميعها تبين عدم سلامة نظرية التنسيق للمعارف المتعددة.

Jonathan Freedman, *Cultural Identity and Global Process* (London: Sage, 1994).

12-11

George Schaller, *The Ideology of Black Africa: Social Dynamics in Central Africa 1921* (London: South Branch, 1993).

ولذا سأذهب أبعد من ذلك لأقول، إن المستقبل الوحيد الممكن لعلم الاجتماع على صعيد العالم، ينطوي على مبدأ التوحيد التشريعي وهونيهان والأخرون كانوا يتصرفون بطريقة مثالية عندما بنوا حجة مستعدين مواد من المتيروبول، لكنهم لم يكونوا ينضمون إلى مدرسة، ولم يتم إخراجهم في النظرية المتيروبولية، ولم يدخلوا في مولوج أي شخص آخر.

وتنطوي العلاقة مع المعرفة المتيروبولية في هذه الحالات على مسافة حرجية أيضًا: الاستعداد المحتوي التشكيلات المتيروبولية (مثل، شريعتي عن ماركس)، أو التحكم بين التنظي عن موقع نظري معين (مثل هونيهان وخاربا كاتكليتي عن في ما بعد الحديثة)، وهي تنطوي على القدرة مستقلة بذاتها للقيام بتشخيص حداث اجتماعي معين (مثل أكيوروو عن التغير الاجتماعي في غرب أفريقيا) أو أبعد عن التغير في إيران، وعلم الاجتماع في الأطراف أيضًا، كما ينت من تحليل هذا الكتاب، بلهم موضوعات غير شائعة نسبيًا في الفكر المتيروبولي. وتتضمن هذه الأهمية الاجتماعية للأرض ولجيرة الاستلاب أو نوع الحياة والخسائر والقطاعات في الاستعداد، والقدرة المتيروبولية للمراكز العالمية.

الاشتبك والتفرد والاحترام والاعتراف (بمعنى بيرسون) لمواحد لتعلم المتبادل. ويتطلب تطوير علم الاجتماع عملية تعليمية، نحن في حاجة إلى التفكير فيها الآن على صعيد العالم، وتوحيد علم الاجتماع ليس عملية إتساع للمعرفة المتيروبولية، لأن المتيروبول أيضًا عليه أن يتعلم، بنشاط الأطراف نفسه على الأكل.

المعرفة الاجتماعية بوصفها علمًا

ينبغي لنا من ثم أن نتجاوز فكرة أنظمة المعرفة الاجتماعية بوصفها كيانات مستقلة ومعزولة، باستثناء حالة نادرة محددة. وفي الصفحة التي طرح سؤال هونونديجي حول الحقيقة في معرفة السكان الأصليين، فإننا نلاحظ التفكير بطريقة مختلفة. وهذا يدفع المجال لأسئلة حول نوع معرفة السكان الأصليين والتحديات للتفكير الاجتماعي في العوالم والتعلم الجماعي.

يعني المتحدث عن معرفة المجتمع كعلم الاختراش. أولاً، أنها قابلة للتصحيح بالبحث. النشاط المهني الرئيس لعلماء الاجتماع ليس عزل عن كتابة طلبات المنح، هو الاستقصاء. فمن لمطبي أوقاتنا في جميع المعلومات، وتفسير ما تمنا بجمعها، ومحاولة ربطها بالمعرفة القائمة. وهذه الممارسة الجماعية، والعافية كما هي في كثير من الأحيان، لها وظيفة إستيمولوجيا معصية. وهكذا يتم رسم حالة العالم، وكيف يتم العثور على الأخطاء والتشوهات، وكيف تقرر صدقية الادعاءات النظرية.

هناك، إذاً، ثورة دالة داخل العلوم الاجتماعية، مبنية على البحث التجريبي في عملية التعلم الجماعي. وفكرة النظرية القدرة المتبادلة إليها في الفصل الطابع تعرف بهذا البحث، وتنازع مفهوم توماس كرون¹² المعروف عن العلم الطبيعي (normal science) الذي يصف معظم الممارسة العلمية إلى حل دولي للمشكلة ضمن النموذج المؤسس. في الواقع، إن الثورة القائمة لتجلبها التصحيح توفر واحدة من أفضل النماذج عند الهيمنة المنويولة. إن كان علم الاجتماع في الأطراف يعتمد في النظرية على المنويول، فإن تلك النظرية محبة من مشائنها الترمية، حيث إن المنظرين المنويولين ناهزاً ما يكون اعتمادهم للمعوت من الأطراف. في حين أن علماء الاجتماع في الأطراف ناهزاً ما يتعرون بأنهم مطولون إعلالاً كتابة أفكار الخير المنويولي.

التحدث عن علم الاجتماع، لذلك، هو اختراش المقننة على التعميم. وكيف يعمل التعميم هي مسألة حساسة وصعبة، لكن حقيقة التعميم أمر حيوي. فالطريق إلى التعميم تأسيس للعلم، وهذا هو السبب في أننا بحاجة إلى نظرية أن العلم لا يمكن أن يكون أبداً مجرد كلمة من الحقائق. النظرية هي الطريقة التي نتكلم بها أبداً من حالة طرفة. إنها تطوي على القصود، والبحث عن أخطاء، وتقد المعطيات. إنها كيلة حصولنا على المعايير للمقارنة والمصفحات للتشخيص. والنظرية، أيضاً، هي خطوة لنمو علم الاجتماع.

Thomas S. Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions*, 2nd ed. (Chicago University of 1971) (Chicago Press, 1986).

وبهذا المعنى، طوّرت نظرت إلى تجربة الكمبيوتر في سوسيولوجيا السكان الأصليين (ينظر الفصل الخامس)، مع أنها المساعدة في كتلة عامة من المبادئ الفارقة في العلوم الاجتماعية للعالم، على أنها مبررة بشكل مطلق.

تأكيد الاستقصاء وقابلية التصحيح والتعميم ونمو المعرفة اعتراف أيضًا بحدود علم الاجتماع. هناك بعض الحالات التي لا ينطبق فيها هذا الشكل من المعرفة، أو أنه يجب ألا ينطبق. ونعطينا فيما داس في الأحداث الفرجة مثل هذه الحالات. فهي رافقت في حالة كارثة بوهيالك في عام 1989، عمل أنثروبولوجيا بين الضحايا، والتفتت بدلًا من ذلك إلى النظر في كيفية تولي الدولة معالجة هذا الحدث. وبالنسبة إلى نصف التقسيم بين عامي 1946 و1948، فإنها مبرّرت الأحداث التي كانت خارج إحداهما إنتاج العلاقات الاجتماعية، والتي كانت يفرق ما لا يمكن قولها أو تفسيرها.

لقد اقترحت، أن للغزو الإسرائيلي نفسه خصائص كهذه. تحدثت بفوق إمكانات الفهم إلى حد بعيد. وبهذا بحثًا ونظرًا بصورة جيدة للمجتمعات التي برزت إلى الوجود في أعقابها، فإن عيبًا من عدم إمكان الفهم ذلك ما زال يمتد إلى الأمام حتى يومنا هذا. وهو يتبع ما دعاه نوبل بيرسون «المسافة بين التقامين»، والحاجة المستمرة إلى بلد جديد للاعتراف. وعطينا ألا نشعر بالقلق إذا كان هذا الاعتراف جزئيًا دائمًا، فهناك حدود لأي نظام للمعرفة الاجتماعية.

في الفلسفة الأمريكية *Deconstruction*، وفي عيله الآخر، يعطى برلان هورتونديجي بأن هناك شيئًا واحدًا في الفلسفة فقط، وليس (أبحاث) هذه على الرغم من أنه في ذلك المبحث يجب تمثيل المزيد من الأصوات والتجارب. ومناقشتي كنود إلى نظرة مشابهة في النظرية الاجتماعية.

تدمن هذه النقطه وراء نقدي للنظرية الشمالية. فبالضمان التيقن، تبين أن السوسيولوجيا السائدة هي سوسيولوجيا إثنية للمجتمع المتروبولي. وهذا مخفي في لغته، وخصوصًا تأخير النظريات على أنها مفردات عالمية أو أدوات عالمية. ونساذج الفعالية المقصية من كولمان وغيلبرت وبورديو أنظمة متنازلة على هذه النقطة (ينظر الفصل الثاني). وقد أبدى برينش الملاحظة

نفسها على علم الاقتصاد السائد: لقد كان مستعداً إلى تجربة المارويول، لكنه أطر سمجه وكأنها عالمية (ينظر الفصل السابع). ومن الموصف أنه يجب قول الشيء نفسه عن علم الاقتصاد السائد منذ أن توفي بريس، على الرغم من أنه لا تزال هناك أصوات معارضة¹³⁴.

المارويولوجيا المارويولية الكلاسيكية في المشهد الذي أعرفه أفضل من غيره، هي ماريولوجيا إثنية واقعة فيها رؤى عميقة، ومسلح مع معرفة جيدة، ومفاهيم معروفة جيدة، والكثير من الممارسين المهور، وبعضهم من أبرز أسدقائي. لكن نظيرها قصد حالما ترفض الاعتراف بوجودها المارويولوجيا، ولنفسها بطريقة أخرى، موقعها في العالم وانتمائها في العالم. وإخفاقات الاعتراف الموقفة في الجزء الأول من هذا الكتاب لها عواقبها. والنتيجة ليست في الخلافات الخفية، بل في نقص رئيس، وفي المشكلة العميقة حول صدقية الحجج المتصاحفة كتعديلات عالمية.

الصدقية في علم الاجتماع مسألة لا تُناقش كثيراً في الوقت الحاضر. ونحن، ربما، تم إغراقنا بفكرة «الموضوع» يقوم بالمطالبة بالفتح وليس بالحقيقة وحسب، أو أنه تم ترميزها بفلسفة ما بعد الحقيقة، التي تفرض بشكل واسع أنها تثبت عدم الاستقرار بلغة تفرض أي ادعاء بالحقيقة. الحقيقة تؤول في الحكم وليس الصدقية. ولما متأكد أن كلاً من الزملاء في العلوم الاجتماعية هذه الأيام قد يتبنون النظرة السالفة بأن: «مصدرة ما تتوافق مع الحقيقة أو تفشل، أنها صحيحة أو غير صحيحة، أنها حقيقية أو زائفة».

مع ذلك، فإنني أود محاولة البرهنة - وتبدو ممارسة علماء الاجتماع اليومية تدعني - بأن هذا الافتراض من تراكستوس ليفينشتاين¹³⁵ يعني على مبدأ يتعد علم الاجتماع فعلاً. نحن نحاول برهنة باحثين أن يجعل بياناتنا تتفق مع الحقائق في حياة الناس الآخرين الذين هم مستفلون من بياناتنا. ونحن

Joseph E. Stiglitz, *Globalization and its Discontents* (London: Wapin, 2002).

[134]

Ludwig Wittgenstein, *Tractatus Logico-Philosophicus*, B. F. Foster & R.E. Marquand (1951) trans. (London: Routledge, 1953).

لنميز الأنظمة في المعرفة القائمة ونحللها بإصرار تصحيحها. وهكذا فإننا نساهم في عملية تعلم عامة ومشتركة.

من المؤكد أن هذه مجرد نقطة واحدة في بناء المعرفة في علم الاجتماع. وليس هناك من شخص له خبرة عملية في البحوث التجريبية سيشتك في صعوبة استخدام برهان معقد وترسيخ استنتاجات قاطعة. كل منهج في العلوم الاجتماعية له عيوبه. ومع ذلك، فإنه حتى أكثر المناهج تعقيداً - التاريخ الشفهي، على سبيل المثال - يسمح بالاستدلال من البرهان. وإن لم يكن هناك نوع الاستدلال الذي تنقله الفلسفة الغربية السائدة¹⁷⁴.

من دون هذا الجوهر من الاعتماد بالصدقية، فإن الادعاء بأن خطانا هو علم، وبالتالي مؤهل لأكتفاء واحترام معينين، أجوف. ولهذا فإن عدم الاتصال بالمعرفة والصدقية الإشكالية، في النظرية المتروبولية - باعتبار وضعها المهيمن - تمثل صعوبة بنيوية في علم الاجتماع في العالم.

إعادة تشكيل المعرفة على صعيد عالمي

أي مناقشة لمستقبل علم الاجتماع على صعيد العالم عليها أن تعترف بأن علم الاجتماع المتروبولي مشروع يتقدم، وأن الأوضاع الأساسية لغلبته العالمية ستغير على الأمد البعيد جداً وحسب.

وما يمكن أن يتغير بسرعة أكبر هو الطريقة التي يعمل بها علم الاجتماع المتروبولي، لتجعله ملائماً لعملية التعلم العالمية التي رُسمت أبعادها. وبإستطاعتنا أن نضع ما دعاه شريعتي علامة إلغاء على عملية السلطة في عالم المعرفة هذا. وبالعقل، فإن كل مبدأ من العلوم يقول إن علينا القيام بذلك.

يتطلب تغيير الطريقة التي يعمل بها علم الاجتماع المتروبولي في العالم إعادة ترتيب الأولويات وهو ما سيكون شاقاً وربما مستحلباً أيضاً. الصورة الذاتية المهنية والمخزونات الشخصية من المعرفة والامتيازات ومدارس التنوير

[174] (ألفا جوديث جورد، *عقول* (Linda White, Stephen F. Muecher & David William Cohen)، *Globalizing the Mind: Global Issues, Critical Practices in Global Theory* (Bloomington: Indiana University Press, 2004).

واستراتيجيات النشر لكل من الأفراد وفقر النشر والموصول على منتج، والتطبيقات العملية لعلم الاجتماع، كلها في كفة الميزان، وكذلك هو التعليم. عندما كنت أدرس تاريخ السوسيولوجيا ألتفت الفصل الأول، أصبحت على بينة من مدى وسوخ وجهات نظر المفكر العلمي في الولايات المتحدة في طرائق تدريسها وسامعها الدراسية. ولقد أت على وجه الخصوص مرسلة في برامج الدراسات العليا التي أنتج القوة العاملة الأكاديمية للعيل الثاني. تلك المنافع أحدا بالتغير، وهي لضم الآن مواد عن النسوية والأمريكيين الأفارقة أكثر من ذي قبل. وجعلها موجودة بالكامل نحو علم اجتماع عالمي يتطلب المزيد من التغير.

ومن الممكن بالتدريج نفسه، وبالمشقة نفسها، إنهاء تبسيط علم الاجتماع في الأطراف، لجعله أيضًا تناسب الحوار العالمي. والصعوبة الرئيسة هنا هي العثور على أسس غير متروية للسلطان الثقافي. وابن لمة الفلسفة الأفريقية، بصورة عامة كلاً من الحاجة إلى سلطة كهذه وطابعها الإنشائي. ولغة الأفعالي وشريعتي كانت في مفهومها الدينامي وليس الثابت للإسلام من أجل إطلاق تعطيها الاجتماعي. وتظهر هويات اجتماعية جديدة في الأطراف كما تبعها سوليا موتيسينو¹³⁷ في تشيلي، هو أحد أسباب عدم استطاعة التشكيل الثقافي الثابت. أن يربخ العلوم الاجتماعية.

هل يحتاج علم الاجتماع إلى التوسيع؟ هذا يساعدنا لقد ما بعد الحقيقة للنسبية. تشير المناقشة الموجزة للعلم قبل يقع صفحات خمساً إلى مخاطرة في المعرفة العلمية - الاجتماعية. المعرفة بطبيعتها مشكوك فيها، وعندما تعمل مؤسسات علم الاجتماع بشكل جيد تكون موضع تساؤل بالضرورة. إنه حجب الأساطير، وبالتالي نهاية عملية التعليم هي التي نحده التحفة التي يتحول فيها العلم إلى أجيالوجيا وتصبح أفكاره عقائد للدولة، أو الشركة، أو المؤسسة.

أعتقد أنه من المفيد التفكير في علم الاجتماع ليس بوصفه نظاماً مستقراً للمفاهيم والمنهج والنتائج، لكن بوصفه مجموعة مترابطة من الممارسات

137. Sonia E. Echeverri-Gent, *Identities and Divisions in Chile: In Manuel Antonio Garretón* (1991) and *Chilean Society and Development* (Oxford: Routledge, 2004).

الفكرية التي تتعلق من نقاط بداية اجتماعية مختلفة إلى مستقبل لا يمكن التنبؤ به (أو كان بإمكاننا التنبؤ بنتائج البحث ما كنا نقوم بذلك البحث المخاطرة في العلم أساسية).

قد تكون الروابط بين المشروعات فطرية أو غريبة. وفي إعادة التشكيل المعالي لمكونات المعرفة على صعيد العالم، فإن مشروعات الاستقصاء وإنتاج المعرفة التي أطلقت في الأطراف لها في معظمها طبيعة الارتباط في ما بين بعضها بعضاً. وكما أن مدارج التجويز بين مناقشات النهضة الأفريقية يُنظر الفصل (الخامس) ومناقشات أمريكا اللاتينية حول الهوية الإقليمية والنيولبرالية يُنظر الفصل السابع على الرغم من أن بين أجيال الاثنين تضامناً كثيرة مشتركة.

من الممكن إعادة تشكيل الدوائر التي تتحرك عبرها المعرفة في علم الاجتماع، من أجل تعديل التركيز الشروبيولي، نظراً إلى أننا لا نستطيع بسرعة أن نهبط. والمفكرون في الأفكار الطرفية الغنية مثل أستراليا وفي الطبقات المتميزة في أفكار مثل المكسيك وتشيلي والهند وجنوب أفريقيا والبرازيل، لديهم موارد مهمة لأعمال الفكرية وتداول المعرفة. وبسبب موقعهم في العالم بعد الاستعماري، فإن لديهم - أو يستطيعون أن يكون لديهم - وجهات نظر تتداخل مع تلك التي للأطراف التابعة.

من الممكن، إذاً، تصور شبكات من التعاون في العلوم الاجتماعية التي تدور حول الأطراف وغيرها. ويسمى غارسيا كاتكليتي في كتابه *العولمة المضطربة*¹⁹⁹ نمطاً من «العولمة العدمية» ذات العزمية، ويفترض إنشاء مثل هذه الشبكات لتهدد تحالفات وأسواقاً إقليمية هي موكزة في مقاربات غارسيا كاتكليتي لسياسات ثقافية في عهد العولمة.

ما الذي يمكن أن يدعم أطروحاتاً لقد كانت هناك محاولات لإيجاد مصالح مشتركة بين مجموعات كثيرة من الأفكار في الأطراف، مثل حركة عدم الانحياز في باتونغ في خمسينيات القرن العشرين، ومجموعة السبع والضعفين

أخي متيناه. ويشير تفكك هذه التحالفات إلى صعوبة تأسيس الأهمية المشتركة. والتجمعات الأصغر مثل مركز سور (Soroush) التحالف الاقتصادي لأقطار المخروط الجنوبي في أميركا الجنوبية) قد تكون أكثر استقراراً وبالنسبة إلى الجزء الأكبر، في أي حال، فإن المصالح المادية للعاملين في مجال الفكر تربطهم بأصغر مع المخربون.

لذلك، فإن الروابط الجالية بين العاملين في مجال الفكر - وبخصوصاً الروابط المتجاوزة لمنطقة المراء المباشر - تحتاج إلى حد بعيد إلى تعليقات عقلية غير مادية وهذه هي - في المقام الأول - فكري. ومجرد تحديد مجال مشكلة الداخل، يمكن اكتشاف مصلحة مشتركة في فهم عميق لثقافتهم. وهناك في المقام الثاني، روابط فكرية تلبية تتعلق بالاحترام والعدالة. وقد يبدو هذا حاداً، لكن بحسب تجريبي، فإن الارتباط الاختياري وحسن النية والامتنان المتبادل ليست أساساً كافية للتعاون الفكري. إنها توفر أساساً للعمل مشترك يشير إلى الأمام نحو مصالح مشتركة أخلاقي في الظهور، بدلاً من (أن يشير) إلى الخلف لمصالح أنست في بني التماسك.

من بين المصالح الفكرية المتداخلة، أود تأكيد تلك التي تتعلق بالبنية والممارسات العنصرية للحدود الوطنية. وهذه بقدر ما أستطيع صوغها تقريباً، الأرض المشتركة بين مؤلفين مختلفين مثل تاتشي، وآل أحمد، وهونغونجي، وغاروسا كانكليتي. وقد ناقشت في بداية هذا الفصل «المدرس جيداً» وفقدت على أن المسألة الحاسمة ليست وصف الحياة الاجتماعية في البلدان الغنية، لكن فهم مقدراتها على التصرف بوصفها متروبول أي أثر المتروبول وأجهزة المتروبول. وتتراد أهمية هذا التمييز بتوسع أجهزة المتروبول في القضاء العابر للحدود الوطنية، حيث تؤسس استقلالاً ذاتياً معاً من النظام الاجتماعي للأقطار الغنية، بينما تستمر في العمل بوصفها متروبول على صعيد عالمي. ولما نفهم حدودية بحتة كاملة تطور الآن، وهي معنية بهذا التغير الجذري، وبالتفاعل بين هذه الأجهزة المتغيرة وديناميات المجتمعات في الأطراف.

والديمقراطية...

أصل، العزيز، إلى الأهمية السياسية لهذه المناقشات. أي نظرة واقعية للتاريخ الفكري ينبغي لها الاعتراف بأن في علم الاجتماع تراثًا غريبًا معادًا للديمقراطية. من ثيورات القرن التاسع عشر للإمبريالية إلى علم الإدارة التكنولوجية الحديثة، وبحوث السوق الممولة من الشركات، وأكثر من ذلك. وقد كان متسقًا تمامًا مع هذا الموقف أن علم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد يرد بأن ليس هناك أي دليل للليبرالية في ثماريات القرن العشرين.

تحت سلطة الليبرالية منذ ثمانينات القرن الماضي، فإن العلوم الاجتماعية - بما فيها الاقتصاد - تواجه صعوبة مستمرة على الحقيقة والأنظمة الليبرالية الحديثة الرخوة وهي مراقبة ومخادعة، وقد حُرقت ولمهت. بالتعاون مع شركات الإعلان، التولعات الشعبية إلى درجة أن أصبح الغنى شيئًا عاديًا الآن في المجال العام ضمن بين المؤثرات المزعجة، استطلاعات الرأي التي تبين عدم الثقة المتزايد بالسياسيين.

أصبحت الأسس لممارسة علم الاجتماع بالاستقلال عن مصالح الشركات لتفلس. وفي أستراليا نطبق الآن قيود جديدة على تداول المعرفة الرسمية. فعلى سبيل الاستدلال، النمذجة الاقتصادية التي تقوم بها الحكومة الوطنية قبل اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسات أصبحت تتخذ الآن في السر، وحتى قضايا المحاكم حول حرية المعلومات لا يمكن الحصول على نتائجها وأصبحت بيانات تعداد السكان التي كانت بوقت سابقية مكشوفة، ويبدو اقتباس المعرفة الاجتماعية عقابًا تمامًا للقوى المهيمنة. وتستخدم الليبرالية القليل من علم الاجتماع، باستثناء الاقتصاد المخطط له، حتى هذا تم إقصاءه لضرورات التفاهات الشركات والحكومة.

أخيرًا في الاعتراف هذا التراث، وهذا الوضع الراهن، فإنه يبدو من غير المنطوق إلى مفاسد ديمقراطية من خلال تطور علم الاجتماع على مستوى العالم. ومع ذلك ينبغي لنا ذلك. فعلم الاجتماع له تراث ديمقراطي أيضًا كما تبين دراسات الطبقات والجنسية والاستعمار، وهو ما زال في قيد الحياة لأنه

يلبي حاجة للفهم الذاتي للمجتمع. وهذه الحاجة تتكثف مع تشويه القوى
المهيمنة المنهج لصور الواقع عندما:

استطاع أن أفكر بأربع طرائق رئيسة يخدم فيها تطور علم الاجتماع غايات
ديمقراطية: الأولى من خلال نمو الرصد. تبين فيما فاس بإحدى الطرائق، وعلى
شريعني بطريقة أخرى، كيف يمكن العلم الاجتماعي أن يحدد شعورًا مع
المحتفرين والمرفوضين وتطابقًا معهم. وعلم الاجتماع المنعقد المركز لديه
قدرة كبيرة على تناول معرفة تجارب اجتماعية غير تلك التي للدينية العالمية،
وبالتالي تمكين التعليم المبدل. وهذه بالتأكيد هدف أيرنستكو، وهذا أحد
الأسباب التي من أجلها وجدت تلك المنظمة بصفوة من النيوليبراليين.

والطريقة الثانية هي طريقة علم الاجتماع التقليدي. عندما يقتضي الباحثون
في موضوعات تعبر حساسة للنيوليبرالية، يجدون أنفسهم يضطرون مبدئيًا
وإفًا من الأكاديميات والتشويشات من الحكومات ومراكز البحوث المعولة من
الشركات. ومثال رئيس هو البحث في الفقر¹⁰³. وأحدًا في الاعتبار إعانة بناء
الاقتصاد العالمي ونمو الخاص العالمي، فإن قضايا العدالة الاجتماعية لها بعد
تولي لا محالة. وينبغي أن تكون بشكل متزايد مسؤولية عالمية مشتركة بين علماء
الاجتماع. ولين هذه الطريقة مشروعات مثل التي في أمريكا اللاتينية مؤخر
المشاركة المتكاملة *Intercambio de competencias completas*¹⁰⁴ وهو المشروع على
استناد الفكرة الرصد المساواة بين الجنسين الذي أشرنا إليه في الفصل السابع.

والطريقة الثالثة هي ببساطة أن علم الاجتماع ينتج أنكلاً حدة من
المعرفة التي تحتاج إليها الحركات الديمقراطية. والبحوث عن بني القوة
المعارة للحدود الوضعية مثال مهم. المعرفة حول نزوحات الدخل والشكالي
المنظمات واستراتيجيات المقاومة والإصلاح، والتأثير وسائط الإعلام الجديدة،

Peter Saunders, *The Poverty Myth: Reconstructing Research with Reality* (Sydney: 1991)
University of New South Wales Press, 2004.

Enrica Velasco (ed.), *El índice de competencias completas (ICC): Una estrategia para el 1991*
cuando concluyeron de la equidad de género (Santiago de Chile: FLACSO-Chile, 2003).

والأساليب الجديدة في التعليم، والآليات الاجتماعية للصحة، كلها لها علاقة بالسياسات الديمقراطية. ويجري تداول المعرفة عن هذه القضايا وفي جزء كبير من خلال علم الاجتماع.

أخيرًا علم الاجتماع في العالم له صلة بالديمقراطية لأنه في ذاته خلق من العمل الديمقراطي. تحدي سيطرة أقلية متعززة على مجال المعرفة هو قضية ديمقراطية سواء على المستوى المحلي أو المستوى العالمي. وعملية التعلم على أساس الاحتراف والمناقشة بين أجيال كثيرة - صورة المعرفة في علم الاجتماع التي عنها المناقشات في هذا الكتاب - هي عملية ديمقراطية أصلاً.

إنّ نتيجته ما إذا كان هذا التعلم يستقل إلى حبلات أخرى يعتمد على الجماهير التي ستجدها العلوم الاجتماعية. التمسك في الفصل الخامس من محدود ديوارا حيث علماء الاجتماع على افتراض الحزم الجماعي والتحدث إلى الناس وجهاً لوجه. هناك لحظات يتجسّد فيها هذا ولحظات لا يتجسّد، لكن المبدأ جيد. وكما بين غروب زدهلي لأن أحمد، وعمل شريعتي في مركز حسنية إرشاد، فإنه من الممكن أحياناً تكوين جماهير جديدة. وهذا ليس في المقام الأول مسألة وسائل إعلام جديدة، على الرغم من أنها قد تساعد. والأكثر أهمية أنها مسألة استجابة إلى الحاجات في التعلم والفهم. وهناك جميع الأسباب للتفكير في أن هذه الحاجات مشتركة عبر المناطق.

سيكون من الجدير الاهتمام بصورة ودية لمستقبل علم الاجتماع. لكن علم الاجتماع الذي يستحق أن يكون يجب أن يكون أحياناً قاسماً، يترك الآم التحولات في جميع أنحاء العالم. والبدائل الحالية لهيمنة المتروبول على علم الاجتماع ليست مستقرة بصفة خاصة، ومناهج العمل الفكري التعاوني عبر المناطق وغير تقليدية الفكر لثما تؤسس بصورة جيدة بعد. ولهذا فإن المسار لعلم الاجتماع الذي تم رسمه في هذا الفصل قد لا يكون الذي سيتبع في الجيل المقبل. وأقل ما أستطيع قوله أنه مسار ممكن. فهو الذي قد يؤدي إلى تعظيم الموارد الفكرية للعلوم الاجتماعية وصلتها بالديمقراطية العالمية، وتكادها هدف ينبغي لنا متابعتها.

المراجع

- Abell, Peter. «Review Article: James S. Coleman, *Foundations of Social Theory*» *European Sociological Review*, vol. 7, no. 2 (1991), pp. 163-172.
- Abenham, Edward. *Radical Islam: The Arabian Mythology*. New Haven: Yale University Press, 1989.
- Adler, Jon. «Gender, Capitalism and Globalization» *Critical Sociology*, vol. 38, no. 1 (2004), pp. 17-41.
- Al-Agha, Sayyid Jamal al-Din. *An Islamic Response to Imperialism: Political and Religious Writings of Sayyid Jamal al-Din 'al-Afghani*. Nikki R. Keddie & Hamid Algar (trans.). Berkeley: University of California Press, 1968.
- Albrow, Ted. «The Struggle for African Identity: Thabo Mbeki's African Renaissance» *African and Asian Studies*, vol. 1, no. 4 (2002), pp. 265-277.
- Alimama, Alimama A. «Sociology in Africa Today» *Current Sociology*, vol. 28, no. 2 (1980), pp. 1-33.
- _____. «Contributions to the Sociology of Knowledge from an African Oral Poetry» *International Sociology*, vol. 1, no. 4 (1986), pp. 343-348.
- _____. «Responses to Makindy/Lawyeri and Thirwa» *International Sociology*, vol. 6, no. 2 (1991), pp. 243-251.
- _____. «Indigenous Sociologies: Extending the Scope of the Argument» *International Sociology*, vol. 14, no. 1 (1999), pp. 115-138.
- Alatas, Syed Hussein. «The Autonomous, the Universal and the Future of Sociology» *Current Sociology*, vol. 34, no. 1 (2006), pp. 7-23.
- Albrow, Martin. *The Global Age: State and Society Beyond Modernity*. Cambridge: Polity Press, 1996.
- Al-ʿAṣadī, Isḥāq. *Qhawṣiyyat al-Mawṣiyyat* (Nawāṣiḥ). John Green & Ahmad Alimama (trans.). Lexington, KY: Maada, 1982; [1962 and 1964].

- _____. *Evanson Society: An Anthology of Writings*. Michael C. Hillmann (ed.). Lexington KY: Manda, 1982.
- Alexander, Jeffrey C. *Theoretical Logic in Sociology*. vols. 2-3. Berkeley: University of California Press, 1982-1983.
- _____. «The Centrality of the Classics,» in: Anthony Giddens & Jonathan H. Turner (eds.), *Social Theory Today* (Cambridge: Polity Press, 1987), pp. 11-27.
- Althusser, Louis & Étienne Balibar. *Reading Capital*. London: New Left Books, 1978.
- Amin, Samir. *Accumulation on a World Scale*. New York: Monthly Review Press, 1974.
- Amin, Majid & Gaston Bachelard. «Rangoon Delta: A Biographical Sketch,» *Subaltern Studies*, no. 9 (1994), pp. 222-225.
- Amirshahi, Mahabadi, Saei & Cui. *Tales of a Persian Immigrant*. J.E. Kesteven (trans.). Austin, TX: Center for Middle Eastern Studies, University of Texas, 1993.
- Anshel, M. et al. «A Descriptive Bibliography of Published Research and Writing on Social Stratification in Australia, 1946-1967,» *Australian and New Zealand Journal of Sociology*, vol. 3, no. 1 (1969), pp. 46-76; vol. 3 no. 2 (1969), pp. 126-152.
- Anderson, Francis. *Sociology in Australia: A Plea for its Teaching*. Sydney: Angus & Robertson, 1912.
- Appadurai, Arjun. «Disjunction and Difference in the Global Cultural Economy,» *Public Culture*, vol. 2, no. 2 (1998), pp. 1-23.
- _____. (ed.). *Globalization*. Durham: Duke University Press, 2001.
- Appellbaum, Richard P. & William I. Robinson (eds.). *Critical Globalization Studies*. New York: Routledge, 2003.
- Archer, Margaret. «Process without Systems,» *Archives Européennes de Sociologie*, vol. 28, no. 4 (1983), pp. 196-211.
- Arnold, H.W. *A Small Rich Industrial Country*. Melbourne: Cheshire, 1988.
- Arthur, Bill & Frances Murphy (eds.). *Macquarie Atlas of Indigenous Australia: Culture and Society Through Space and Time*. Sydney: Macquarie Library, 2003.
- Asad, Talal (ed.). *Anthropology and the Colonial Encounter*. New York: Humanities Press, 1973.
- Atkinson, Val. *Sydney's Aboriginal Past: Investigating the Archaeological and Historical Records*. Sydney: UNSW Press, 2002.
- Austin, J.L. *Philosophical Papers*. Oxford: Clarendon Press, 1961.

- Aspers, Johan. «Global Rites.» *International Sociology*, vol. 16, no. 1 (2001), pp. 23-33.
- Bach, Peter. *Founders, Classics, Canons: Modern Disputes over the Origin and Approval of Sociology's Heritage*. New Brunswick: Transaction, 2002.
- Baldock, Colin Y. & Ian Lally. *Sociology in Australia and New Zealand: Theory and Methods*. Contributions in Sociology no. 16. Westport, CN: Greenwood Press, 1974.
- Balanis, Mikhail. «Statism and Anarchy.» in: Sam Dolgoff (ed.), *Statism vs Anarchy* (London: Allen & Unwin, 1973; [1871]), pp. 325-330.
- Balandier, Georges. *The Sociology of Black Africa: Social Dynamics in Central Africa*. London: André Deutsch, 1970; [1933].
- Bannister, Robert. *Sociology and Scientism: The American Quest for Objectivity, 1930-1960*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1987.
- Barbalet, J.M. *Emotion, Social Theory, and Social Structure: A Microsociological Approach*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- Bartelson, Jens. «Illus Concepts of Globalization.» *International Sociology*, vol. 15, no. 2 (2000), pp. 189-196.
- Bauman, Zygmunt. *Globalization: The Human Consequences*. Cambridge: Polity Press, 1998.
- Bayart, Jean-F. «Marxist and Marx: A Critique of an «Islamic» Critique of Marxism.» *Af. Journal of Comparative Politics*, no. 18 (1990), pp. 39-41.
- Beck, Ulrich. *Risk Society: Towards a New Modernity*. London: Sage, 1992.
- _____. *World Risk Society*. Cambridge: Polity Press, 1999.
- _____. *What is Globalization?*. Oxford: Blackwell, 2000.
- Beck, Ulrich & Natas Samuelsen. «Unpacking Cosmopolitanism for the Social Sciences: A Research Agenda.» *British Journal of Sociology*, vol. 57, no. 1 (2006), pp. 1-23.
- Behloul, Scheila. «A Disputed Utopia: Islamic Economics in Revolutionary Iran.» *Comparative Studies in Society and History*, vol. 38, no. 4 (1996), pp. 775-813.
- Bellamy, Richard. *Modern Italian Social Theory*. Cambridge: Polity Press, 1987.
- Benda, Reinhard. *Max Weber: An Intellectual Portrait*. New York: Doubleday, 1968.
- Bennison, Mahmud. *The Making of Contemporary Algeria, 1930-1967*. Cambridge: Cambridge University Press, 1968.

- Berges, Peter L. «Four Faces of Global Culture.» *National Interest*, no. 49 (1997), pp. 23-29.
- Bernal, Martin. *Black Athena: The Afroasiatic Roots of Classical Civilization*, vol. 1. London: Free Association Books, 1987.
- Bernard, L.L., & Jeanie Bernard. *Origins of American Sociology: The Social Science Movement in the United States*. New York: Russell & Russell, 1965, [1946].
- Bourdieu, Philippe (ed.). *The Sociological Domain: The Durkheimians and the Founding of French Sociology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Bracha, Gaston. «Four Rebels of Eighteen-Fifty-seven.» *Sabotage Studies*, no. 4 (1985), pp. 129-179.
- Bhaskaran, Suparna. *Made in India: Decolonizations, Queer Sexualities, Transnational Projects*. New York: Palgrave Macmillan, 2004.
- Bitterli, Urs. *Cultures in Conflict: Encounters Between European and Non-European Cultures, 1492-1980*. Stanford: Stanford University Press, 1989.
- Bonajudi, Michael. *Asian Intellectuals and the West: The Born-not-Born Triumph of Nationalism*. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1996.
- Botwinley, Gillian. *From Another Place: Migration and the Politics of Culture*. Melbourne: Cambridge University Press, 1992.
- Botwinow, Tom. *Sociology: A Guide to Problems and Literature*. 2nd ed. London: Allen & Unwin, 1983.
- Botwinow, Tom & Robert Visher (eds.). *A History of Sociological Analysis*. London: Heinemann, 1978.
- Boudieu, Pierre. *Outline of a Theory of Practice*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.
- _____. *Algeria 1960: Essays*. Cambridge: Cambridge University Press, 1979.
- _____. *The Logic of Practice*. Stanford: Stanford University Press, 1990.
- _____. *Malefice Domination*. Stanford: Stanford University Press, 2001.
- _____. «Raconter une expérience algérienne.» dans: Franck Prouzet & Thierry Escapade (eds.), *Pierre Boudieu, Interventions, 1961-2007: Science sociale et action politique* (Marseille: Agone, 2002), pp. 37-62.
- Bowlby, John. *Love, Sorrow and Depression*. London: Borgarth Press, 1960.
- Bratburde, John. *Crime, Shame and Reintegration*. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.

- Brasford, Victor. «The Founders of Sociology» *American Journal of Sociology*, vol. 19, no. 1 (1904), pp. 94-126.
- Brennan, Teresa. *Globalization and its Terrors: Daily Life in the West*. London: Routledge, 2000.
- Bringing Them Home: National Inquiry into the Separation of Aboriginal and Torres Strait Islander Children from their Families*. Sydney: Human Rights and Equal Opportunity Commission, 1993.
- Brinson, José Joaquín. *Globalización cultural y postmoderidad*. Chile: Fondo de cultura económica, 1998.
- Bulchurin, Nikolai. *Abstracted Materialism: A System of Sociology*. New York: Russell & Russell, 1963. [1925].
- Bulbeck, Chilla. *Our World Women's Movement*. London: Pluto Press, 1998.
- . *Re-Orienting Western Feminisms: Women's Diversity in a Postcolonial World*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- Burke, Edmund, II. «The French Tradition of the Sociology of Islam» in: Malcolm Kern (ed.), *Islamic Studies* (Santa Monica, CA: Uclaena University Press, 1983), pp. 73-85.
- Butter, J.W. *Evolution and Society: A Study in Victorian Social Theory*. Cambridge: Cambridge University Press, 1966.
- Burton, Clare. *Subordination: Feminism and Social Theory*. Sydney: George Allen & Unwin, 1985.
- Bury, J.E.T. (ed.). *The Zenith of European Power: 1678-79*. New Cambridge Modern History, vol. X. Cambridge: Cambridge University Press, 1968.
- Cair, P. J. & A.G. Hopkins. *British Imperialism: Innovation and Expansion, 1688-1914*. New York: Longman, 1993.
- Calhoun, Craig, Edward L. Perna & Michael Perna (eds.). *Becoming: Critical Perspectives*. Chicago: University of Chicago Press, 1995.
- Carré, Charles. «Structure after 18 Years: The Anatomy of a Cluster» *American Journal of Sociology*, vol. 93, no. 1 (1988), pp. 38-107.
- Carré, Charles & Neil Gross. «Contemporary Developments in Sociological Theory: Current Projects and Conditions of Possibility» *Annual Review of Sociology*, no. 24 (1998), pp. 453-476.
- Cardoso, Fernando Henrique & Enzo Faletto. *Dependency and Development in Latin America*. Berkeley, CA: University of California Press, 1979 [1971].

- Carrasco, Miguel & Fernando López-Alonso (eds.), *The Other Mirror: Grand Theory Through the Lens of Latin America*. Princeton: Princeton University Press, 2000.
- Chadha, Yogesh. *Rediscovering Gandhi*. London: Century, 1997.
- Chakrabarty, Dipesh. «Conditions for Knowledge of Working-class Conditions: Employers, Government and the Jute Workers of Calcutta, 1890-1940.» *Sahasrabudhi Studies*, no. 2 (1983), pp. 299-319.
- Chase-Dunn, Christopher (ed.), *The Historical Evolution of the International Political Economy*. Aldershot: Edward Elgar, 1995.
- _____. «Globalization from Below: Toward a Collectively Rational and Democratic Global Commonwealth.» *Annals of the AAPSS*, no. 581 (2002), pp. 43-61.
- Chase-Dunn, Christopher & Peter Grimes. «World-systems Analysis.» *Annual Review of Sociology*, no. 20 (1994), pp. 387-417.
- Chatterjee, Bankimchandra. *Sociological Essays: Utilitarianism and Positivism in Bengal*. S.N. Mukherjee & Marian Muddern (trans. and ed.). Calcutta: Radhakrishna, 1966.
- Chatterjee, Partha. «More on Modes of Power and the Peasantry.» *Sahasrabudhi Studies*, no. 2 (1983), pp. 311-349.
- _____. *The Nation and its Fragments: Colonial and Postcolonial Histories*. Princeton: Princeton University Press, 1993.
- Chaturvedi, Vinayak (ed.). *Mapping Subaltern Studies and the Postcolonial*. London: Verso and New Left Review, 2000.
- Chen, Esther Ngwenig. «Gender Matters: Studying Globalization and Social Change in the 21st Century.» *International Sociology*, vol. 18, no. 3 (2003), pp. 443-468.
- Clark, Terry Nicholas. *Peoplers and Partners: The French-University and the Emergence of the Social Sciences*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1973.
- Coatsworth, J.M. «The Mind of Apartheid: Geoffrey Gough (1903-1)» *Social Dynamics*, vol. 17, no. 1 (1991), pp. 1-35.
- Coleman, James S. *The Asymmetrical Society*. Syracuse: Syracuse University Press, 1982.
- _____. *Foundations of Social Theory*. Cambridge: Harvard University Press, 1998.
- _____. «The Problematics of Social Theory.» *Theory and Society*, vol. 21 (1992), pp. 261-283.
- Collins, Randall. «A Sociological Goliath Trip: Comment on Connell.» *American Journal of Sociology*, vol. 102, no. 6 (1997), pp. 1338-1364.

- Comte, Auguste. *System of Positive Policy or Treatise on Sociology*. 4 vols. London: Longmans Green, 1873-1877; [1831-1854].
- Connell, Roderic. «The Black Box of Habit on the Wings of History: Reflections on the Theory of Social Reproduction.» in: *Black Box is Up? Essays on Sex, Class and Culture* (Sydney: Allen & Unwin, 1982), pp. 140-64.
- _____. *Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics*. Cambridge: Polity Press, 1987.
- _____. «Notes on American Sociology and American Power.» in: H. Gans (ed.), *Sociology in America* (Thousand Oaks: Sage, 1990), pp. 263-271.
- _____. «The Big Picture: Masculinities in Recent World History.» *Theory and Society*, vol. 22 (1993), pp. 597-623.
- _____. «Sociology and World Market Society.» *Contemporary Sociology*, vol. 29, no. 1 (2000), pp. 190-196.
- _____. «Empire, Domination, Autonomy: Antonio Negri as a Social Theorist.» *Overland* (no. 18) (2003), pp. 21-28.
- _____. «The Best of the Problem: South African Intellectual Workers, Globalisation and Social Change.» *Sociology*, vol. 41, no. 1 (2007), pp. 11-28.
- Connell, Roderic & T. E. Irving. *Class Structure in Australian History*. Melbourne: Longman-Cheshire, 1980.
- Connell, Roderic & Julian Wood. «Globalisation and Scientific Labour: Patterns in a Life-history Study of Intellectual Workers in the Periphery.» *Journal of Sociology*, vol. 38, no. 2 (2002), pp. 187-190.
- Connell, Roderic, Julian Wood & Jane Crawford. «The Global Connections of Intellectual Workers: An Australian Study.» *International Sociology*, vol. 20, no. 1 (2005), pp. 3-26.
- Connell, M. P., E. P. Francis & E. E. Skilbeck. *Growing Up in an Australian City*. Melbourne: Australian Council for Educational Research, 1971.
- Copans, Jean. «Pour une histoire et une sociologie des études africaines.» *Cahiers d'études africaines*, vol. 11, no. 3 (1971), pp. 422-447.
- Coser, Lewis A. *The Functions of Social Conflict*. Glencoe, IL: The Free Press, 1956.
- Craig, Joan I. «Marriage, the Family and Class.» in: A. F. Elkin (ed.), *Marriage and the Family in Australia* (Sydney: Angus & Robertson, 1957), pp. 14-53.
- Cronje, Geoffrey. *Apartheidge Rasse-apartheid*. Stellenbosch: Christen Studentenvereniging/graadskapp van Suid-Afrika, 1947.

- Cook, Stephen, Jan Pakulski & Malcolm Waters. *Postmodernization: Change in Advanced Society*. London: Sage, 1992.
- Crosby, John B. *Sociology Applied to Practical Politics*. London: Longman Green, 1911.
- Darby, Phillip. «The Alternative Horizons of Latin Study» *Overland*, no. 178 (2005), pp. 53-57.
- Darwin, Charles. *Journal of Researches into the Natural History and Geology of the Countries Visited during the Voyage of H.M.S. «Beagle» Round the World*. London: Ward, Lock & Co., n.d.: [1859].
- Das, Veena. *Critical Events: An Anthropological Perspective on Contemporary India*. New Delhi: Oxford University Press, 1995.
- Devies, Alan & Neil Unwin (eds.). *Australian Society*. Melbourne: Cheshire, 1968.
- Deviz, Mike. *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles*. London: Verso, 1988.
- Duggan, Mary Jo. *Jane Addams and the Idea of the Chicago School, 1892-1918*. New Brunswick: Transaction, 1998.
- Diamond, Adrian & James Moore. *Darwin*. London: Penguin, 1992.
- Dignaw, Immanuel. «Globalization, Development Politics and Local Knowledge» *International Sociology*, vol. 15, no. 2 (2000), pp. 363-371.
- Dietrich, Gabriele. *Reflections on the Women's Movement in India: Religion, Ecology, Development*. New Delhi: Horizons India, 1992.
- Dollard, John. *Caste and Class in a Southern Town*. New Haven: Yale University Press, 1957.
- Dombhoff, William (ed.). *New Directions in Power Structure Research*. Special issue of *Immanent Sociology*, vol. 3 no. 3 (1975).
- Donaldson, Mike & Scott Poynting. *Ruling Class Men: Money, Sex and Power*. Bern: Peter Lang, 2007.
- Doolman, Ariel. *Last Walk in Santiago and Other Poems of Exile and Disappearance*. New York: Viking, 1998.
- _____. *Heading South, Looking North: A Bilingual Journey*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1998.
- Doolman, Ariel & Armand Matelart. *How to Read Donald Duck: Imperialist Ideology in the Disney Comic*. New York: International General, 1973: [1971].
- Douman, Edgar. «Marxism and the State in the Evolution of the "Proletarian Manifesto"» *CS&IC Review*, no. 75 (2011), pp. 87-102.

- _____. (ed.). *Rail Prolapse: Power, Principle and the Ethics of Development*. Boston: MIT, 2006.
- De Bois, W.F.B. *The Philadelphia Negro: A Social Study*. Philadelphia: University of Philadelphia, 1919.
- _____. «The Problem of the Twentieth Century is the Problem of the Color Line.» in: *On Sociology and the Black Community* (Chicago: University of Chicago Press, 1978, [1880]), pp. 281-289.
- _____. *Anthropology*. New York: International Publishers, 1968.
- Dumont, Louis. *Homie hiérarchique: Essai sur le système des castes*. Paris: Gallimard, 1980.
- Duncan, David. *The Life and Letters of Herbert Spencer*. London: Methuen, 1908.
- Durkheim, Émile. *The Division of Labor in Society*. New York: Free Press, 1964, [1894].
- _____. *The Rules of Sociological Method*. Glencoe IL: The Free Press, 1954, [1894].
- _____. *The Elementary Forms of the Religious Life*. London: Allen & Unwin, 1976, [1912].
- _____. (ed.). *L'Année sociologique*, vols 1-12. Paris: Alcan, 1899-1913.
- Durkheim, Gary. *A History of Social Research Methods*. London: Longman, 1971.
- Echeverri, Susan. «Globalization and Mobilization: Resistance to Neoliberalism in Latin America.» in: Mauro F. Guillén et al. (eds.), *The New Economic Sociology* (New York: Russell Sage Foundation, 2002), pp. 118-148.
- Eide, Ingrid. «UNESCO-A Personal Story.» in: Ingrid Brinnes & Hans-Jørgen (eds.), *60 Women Contributing to the 60 Years of UNESCO: Constructing the Foundations of Peace* (Paris: UNESCO, 2004), pp. 81-91.
- Flood, S. *Equality and Authority: A Study of Class, Status and Power in Australia*. Sydney: Cheshire, 1978.
- Erikson, Erik H. *Childhood and Society*. London: Imago, 1950.
- Fuchs, Arthur. *Constructing Development: The Making and Unmaking of the Third World*. Princeton: Princeton University Press, 1995.
- Frans, Peter. *Embedded Autonomy: States and Industrial Transformation*. Princeton: Princeton University Press, 1993.
- _____. «The Eclipse of the State? Reflections on Statism in an Era of Globalization» *World Politics*, vol. 38, no. 1 (1995), pp. 62-87.

- Parsons, Arthur. *Introduction to Sociology*. 7th ed. New York: Norton, 1981 [1986].
- Pedding, Harold. «The Scope and Purpose of Sociology.» *Australian Journal of Politics and History*, no. 8 (1962), pp. 78-92.
- Petit, Francis. *Struggle in a Dying Colonialism* [L'An V de la révolution algérienne]. Harmondsworth: Penguin, 1970. [1999].
- _____. *The Wretched of the Earth*. New York: Grove Press, 1968. [1961].
- Peters, Thomas J. «Review of James S. Coleman, *Foundations of Social Theory*.» *Social Science Quarterly*, vol. 72, no. 1 (1991), pp. 189-190.
- Prabhu, Mita. *Unbinding Culture: Globalization, Postmodernism and Identity*. London: Sage, 1993.
- Prebisch, Adèle K. «Women and the Islamic Revolution.» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 15, no. 2 (1983), pp. 283-298.
- Fin, Paul C. & Paul M. Hirsch. «The Discourse of Globalization: Framing and Semantizing of an Emerging Concept.» *American Sociological Review*, vol. 70, no. 1 (2005), pp. 29-52.
- Foucault, Michel. *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*. New York: Pantheon, 1977.
- Fraser, Suzanne. «‘They See You Coming’: A Comparative Study of Sexual Politics and Women Union Officials in English Canada and Australia.» *Labour and Industry*, vol. 10, no. 2 (1999), pp. 147-168.
- Friedman, Jonathan. *Cultural Identity and Global Process*. London: Sage, 1994.
- Gait, Raymond. *Remake My Father*. Melbourne: The First Publishing Company, 1988.
- Gandhi, Vandita & Vandita Singh. *The Arises of India: Theory and Practice in the Contemporary Women's Movement in India*. New Delhi: Kali for Women, 1992.
- Gane, Nicholas. «Chasing the ‘Bumway World’: The Politics of Recent Globalization Theory.» *Asia Sociology*, vol. 44, no. 1 (2007), pp. 81-89.
- García Canclini, Néstor. *Transforming Modernity: Popular Culture in Mexico*. Austin: University of Texas Press, 1993. [1992].
- _____. *Hybrid Culture: Strategies for Entering and Leaving Modernity*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995. [1989].
- _____. *La globalización imaginada*. Buenos Aires: Paidós, 1998.
- _____. *Consumers and Citizens: Globalization and Multicultural Conflicts*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2001. [1993].

- _____. *Latinoamericanas buscando lugar en our eyes*. Buenos Aires: Trilce, 2002.
- García, Manuel Antonio. *La sociedad in que vivimos: Introducción sociológica al cambio de siglo*. Santiago: LOM, 2000.
- Gathercole, Paul, T. H. Irving & Gregory McInnis (eds.). *Chiefs and Australia: Archaeology, Politics and Ideas*. Brisbane: University of Queensland Press, 1993.
- Gennep, Eugène D. *Religion, Race, The Field the Slaves Made*. New York: Vintage, 1976.
- Ghanemi-Tabrizi, Bahman. «Communist Public Religion: Two Conceptions of Islam in Revolutionary Iran.» *International Sociology*, vol. 19, no. 4 (2004), pp. 504-523.
- Giddens, Anthony. *Capitalism and Modern Social Theory*. Cambridge: Cambridge University Press, 1971.
- _____. *New Rules of Sociological Method*. London: Hutchinson, 1976.
- _____. *Central Problems in Social Theory: Action, Structure and Contradiction in Social Analysis*. London: Macmillan, 1979.
- _____. *A Contemporary Critique of Historical Materialism*, vol. 1. *Power, Property and the State*. London: Macmillan, 1981.
- _____. *The Constitution of Society: Outline of the Theory of Structuration*. Cambridge: Polity Press, 1984.
- _____. *The Consequences of Modernity*. Stanford: Stanford University Press, 1990.
- _____. *Runaway World: How Globalization is Reshaping Our Lives*. 2nd ed. London: Profile Books, 2002.
- Giddings, Franklin Henry. *The Principles of Sociology*. New York: Macmillan, 1896.
- _____. *Readings in Descriptive and Historical Sociology*. New York: Macmillan, 1966.
- Gidding, Michael. *Australian Families: A Comparative Perspective*. Melbourne: Longman, 1997.
- Gilman, Hermann. «'Survival in Justice': An Africanist Debate over Apartheid.» *Comparative Studies in Society and History*, vol. 36, no. 3 (1994), pp. 525-548.
- Gómez, José María (ed.). *América Latina y el (des) orden global neoliberal: Afirmación, contrahegemonía, perspectivas*. Buenos Aires: CLACSO, 2004.
- Good, Murray & Tim Kewin (eds.). *Made a Better Offer: The Politics of Maize*. Sydney: Pluto Press, 1994.

- Goodman, Nadine. *Burger's Daughters*. London: Jonathan Cape, 1978.
- Greenville, Kate. *The Secret River*. Melbourne: Text, 2005.
- Grieder, Jerome. *Intellectuals and the State in Modern China: A Narrative History*. New York: Free Press, 1981.
- Guba, Ranajit. «On Some Aspects of the Historiography of Colonial India.» *Subaltern Studies*, no. 1 (1982), pp. 1-8.
- _____. «The point of counter-insurgency.» *Subaltern Studies*, no. 2 (1983), pp. 1-42.
- _____. «Chandra's Death.» *Subaltern Studies*, no. 3 (1987), pp. 135-145.
- _____. «Dominance without Hegemony and its Historiography.» *Subaltern Studies*, no. 6 (1989), pp. 218-249.
- Guba, Ranajit & Gayatri Chakravorty Spivak (eds.). *Selected Subaltern Studies*. New York: Oxford University Press, 1988.
- Gutkins, Mauro E. «Is Globalization Civilizing, Destructive or Fickle? A Critique of Five Key Debates in the Social Science Literature.» *Annual Review of Sociology*, no. 27 (2001), pp. 259-280.
- _____. *The Limits of Cosmopolitanism: Globalization and Organizational Change in Argentina, South Korea and Spain*. Princeton: Princeton University Press, 2000.
- Guthrie, Ian. *Commentaries on the Reconstructing of the Social Sciences, Open the Social Sciences*. Stanford: Stanford University Press, 1996.
- Gyekye, Kwame. *An Essay on African Philosophical Thought: The Akan Conceptual Scheme*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- Hack, Michael & Antonio Negri. *Empire*. Cambridge: Harvard University Press, 2000.
- _____. *Moloch: War and Democracy in the Age of Empire*. London: Hamish Hamilton, 2004.
- Harris, William Edward. *The Asian Household, Its Structure and its Development*. Melbourne: George Robertson, 1878.
- Hochstetler, Michael. «Review of James S. Coleman, *Foundations of Social Theory*.» *Public Choice*, no. 73 (1992), pp. 145-147.
- Hosaka, Witold, Kenneth A. Zelnor & Mauro E. Gutkins. «The Worldwide Diffusion of Market-oriented Infrastructure Reform, 1973-1999.» *American Sociological Review*, no. 70 (2005), pp. 871-897.
- Hobbes, T. T. *Principles of Sociology*. New York: Harper & Row, 1933.

- Hinkle, Kenneth C. *Development in American Sociological History, 1915-1990*. Albany: State University of New York Press, 1994.
- Hobbes, L. T. *Liberalism*. London: Williams & Morgans, 1911.
- _____. *The World in Conflict*. London: Fisher Unwin, 1915.
- Hobbes, L. T., G. C. Wheeler & M. Ginsburg. *The Material Culture and Social Institutions of the Simpler Peoples*. London: Chapman & Hall, 1915.
- Hooker-Drysdale, Susan. *Harriet Martineau: First Woman Sociologist*. New York: St Martin's Press, 1992.
- Hooper, Charlotte. *Menly Issues: Masculinities, International Relations, and Gender Politics*. New York: Columbia University Press, 2000.
- Hopfl, Martin. *No Apology, No Illusion: Modernism and Postmodernism in Latin America*. Durham: Duke University Press, 2001.
- Hopkins, Terence K. «The Study of the Capitalist World-economy: Some Introductory Considerations.» in: Walter L. Goldfrank (ed.), *The World-System of Capitalism: Past and Present* (Beverly Hills: Sage, 1979), pp. 21-52.
- Horne, Donald. *The Lucky Country: Australia in the Series*. Ringwood: Penguin, 1984.
- Hortwitz, David (ed.). *Radical Sociology: An Introduction*. San Francisco: Canfield, 1971.
- Hountondji, Paulin J. *Liberty: Contribution à la Révolution Démocratique*. Cotonou: Éditions Renaissance, 1973.
- _____. *African Philosophy: Myth and Reality*. H. Doornik & J. Rée (trans.). London: Hutchinson, 1983 [1976].
- _____. «Pour une sociologie des représentations collectives.» dans: R. Horion et al., *La pensée africaine* (Paris: Presses Universitaires de France, 1980), pp. 187-192.
- _____. (ed.). *Endogenous Knowledge: Research Tools*. Dakar: CODESRIA, 1997 [1996].
- _____. «Producing Knowledge in Africa Today.» *African Studies Review*: vol. 38, no. 3 (1995), pp. 1-10.
- _____. «Intellectual Responsibility: Implications for thought and Action Today.» *Proceedings and Addresses of the American Philosophical Association*: vol. 78, no. 2 (1996), pp. 77-92.
- _____. *The Struggle for Meaning: Reflections on Philosophy, Culture and Democracy in Africa*. Athens, OH: Ohio University Press, 2002.

- Huber, Evelyn & Fred Salt. «Successes and Failures of Neoliberalism.» *Latin American Research Review*, vol. 39, no. 3 (2004), pp. 150-164.
- Hudson, Liam. *The Cost of the Fact*. London: Jonathan Cape, 1972.
- Huamán, Carlos. *Chile, un país dividido: La actualidad del pasado*. Santiago de Chile: Cúcuta, 2005.
- Hutchinson, Herman. *Old People in a Modern Australian Community: A Social Survey*. Melbourne: Melbourne University Press, 1954.
- Jacobs, Sean & Richard Callard (eds.). *Thabo Mbeki's World: The Politics and Ideology of the South African President*. London: University of Kwazulu-Natal Press and Zed Books, 2002.
- Johnson, Pauline. *Habermas: Rescuing the Public Sphere*. London: Routledge, 2006.
- Johnson, Vivian. *Race and Class*. Melbourne: Shalika Books, 1990.
- _____. *Aboriginal Artists of the Western Desert: A Biographical Dictionary*. Sydney: Craftsman House, 1994.
- _____. *Copyright: Aboriginal Art in the Age of Reproductive Technologies*. Sydney: National Indigenous Arts Advocacy Association and Macquarie University, 1996.
- Kaplan, Alexis. *La philosophie bantu-rwandaise de Léon. Bourcier: Académie royale des sciences coloniales*, 1958.
- _____. *La philosophie bantu comparée*. Paris: Peeters Africain, 1978.
- Kauf, Don. «Shifting Conceptions: Politics and Knowledge in the Globalization Debate.» *Antipodean Sociological Quarterly*, vol. 31, no. 2 (2000), pp. 147-180.
- Key, Cristóbal. *Latin American Theories of Development and Underdevelopment*. London: Routledge, 1989.
- _____. «Estructuralismo y teoría de la dependencia en el período neoliberal: Una perspectiva latinoamericana.» *Nueva sociedad* (Venezuela), no. 158 (1990), pp. 100-119.
- Keddie, Nikki R. *SeyyidJamal'ad-Din wal-afghanis: A Political Biography*. Berkeley: University of California Press, 1972.
- _____. *Roots of Revolution: An Interpretive History of Modern Iran*. New Haven: Yale University Press, 1981.
- _____. *God's Religion and Politics in Iran*. New Haven: Yale University Press, 1983.
- Kellner, Douglas. «Theorizing Globalization.» *Sociological Theory*, vol. 20, no. 3 (2002), pp. 285-300.

- Kanyatta, Jomo. *Facing Mount Kenya: The Tribal Life of the Gikuyu*. London: Secker & Warburg, 1938.
- Kidd, Benjamin. *Social Evolution*. 3rd ed. London: Macmillan, 1898 [1894].
- Kleinman, V. G. *The Lords of Human Kind: Black Men, Yellow Men, and White Men in an Age of Empire*. Boston: Little, Brown, 1968.
- Kimmel, Michael S., Jeff Gnan & Kathryn Connell (eds.). *Handbook of Studies on Men & Masculinities*. Thousand Oaks: Sage, 2003.
- Kulwar, Madhu & Ruth Vanita (eds.). *In Search of Janaki: Indian Women's Voices from Mumbai*. London: Zed Books, 1984.
- Kuhn, Thomas S. *The Structure of Scientific Revolutions*. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1970.
- Lafitte, Paul. *Social Structure and Personality in the Factory*. London: Routledge and Kegan Paul, 1958.
- Lat, Yiny. *Empire of Knowledge: Culture and Plurality in the Global Economy*. London: Pluto, 2002.
- _____. *The History of History: Politics and Scholarship in Modern India*. New Delhi: Oxford University Press, 2003.
- La Nauze, J. A. *Political Economy in Australia: Historical Studies*. Melbourne: Melbourne University Press, 1949.
- Langman, Lauren. «From Virtual Public Spheres to Global Justice: A Critical Theory of Internetworked Social Movements.» *Sociological Theory*, vol. 23, no. 1 (2004), pp. 42-70.
- Laway, O. B. & Olofemi Taiwo. «Towards an African Sociological Tradition: A Reply to Adewale and Makinde.» *International Sociology*, vol. 5, no. 1 (1990), pp. 17-33.
- Lepetit, Wolf. *Between Literature and Science: The Rise of Sociology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1988.
- Lehrmann, Charles. *Sociology: Readings in Bibliography*. London: Chapman & Hall, 1881.
- Levine, Donald N. *Politics of the Sociological Tradition*. Chicago: University of Chicago Press, 1999.
- Levi-Strauss, Claude. *The Elementary Structures of Kinship*. Boston: Beacon Press, 1969 [1949].
- _____. *Tristes tropiques*. London: Jonathan Cape, 1973 [1955].

- Lavey, Marion J. Jr. «Scientific Analysis as a Subset of Comparative Analysis.» in J. C. McKinney & E. A. Tiryakian (eds.), *Theoretical Sociology* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1970), pp. 99-110.
- Liebowitz, Harry. *Fate and Utopia in German Sociology, 1870-1933* (Cambridge, MA: MIT Press, 1988).
- Levi, Joseph L. «Rudolf Peirlich (1901-1986): His Life and Ideas.» *British Library Document Supply Centre*, 88/29488 (1986).
- Ludden, David (ed.). *Reading Subaltern Studies: Critical History, Contested Meaning and the Globalization of South Asia* (London: Anthem Press, 2002).
- Lukács, György. *History and Class Consciousness: Studies in Marxist Dialectics* (London: Merlin Press, 1971 [1923]).
- Lukes, Steven. *Emile Durkheim, His Life and Work: A Historical and Critical Study* (Stanford: Stanford University Press, 1982).
- Luthe, Günther. «25 Years of German Sociology after World War II: Institutionalization and Theory.» *Sociologie*, no. 3 (1994), pp. 511-32.
- Lyman, Stanford M. *Militarism, Imperialism and Social Accommodation: An Analysis and Interpretation of the Early Writings of Robert E. Park* (Fayetteville: University of Arkansas Press, 1982).
- Lysander, Jean-François. *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1984).
- MacDonald, Robert B. *The Language of Empire: Myths and Metaphors of Popular Imperialism, 1890-1918* (Manchester: Manchester University Press, 1994).
- MacIver, R. M. *Society* (New York: Farrar & Rinehart, 1937).
- McGee, Bruce (ed.). *Sociology* (Hemel Hempstead: Harlow Press, 1977).
- McGough, Paul. «The Changing Face of Iran.» *Sydney Morning Herald* (19-20 August, 2004), pp. 23-30.
- McMichael, Philip. *Development and Social Change: A Global Perspective*, 2nd ed. (Thousand Oaks: Pine Forge Press, 2000).
- Malaguba, Malagapan William (ed.). *African Renaissance: The New Struggle* (Tallberg: Mafube, 1999).
- Makarewicz, M. Jacek. «Akwenda Principle: An Analysis of Akwenda's Contributions to the Sociology of Knowledge from an African Perspective.» *International Sociology*, vol. 3, no. 1 (1988), pp. 61-76.
- Malik, Halim. *Sir Sayyid Ahmad Khan and Modern Modernization in India and Pakistan* (New York: Columbia University Press, 1988).

- Mahood, David. *The Great World*. London: Chatto & Windus, 1990.
- Marsden, Malcom. *When Politics Becomes Killery: Colonialism, Nationalism, and the Genocide in Rwanda*. Princeton: Princeton University Press, 2001.
- Mason, Michael. «Globalization and September 11.» *New Left Review*, no. 12 (2001), pp. 51-72.
- Mannheim, Karl. *Man and Society in an Age of Reconstruction*. London: Routledge & Kegan Paul, 1940 [1931].
- Martin, William G. & Mark Delmol. «Toward a global sociology? Evaluating Current Conceptions, Methods, and Practices.» *Sociological Quarterly*, vol. 39, no. 1 (1998), pp. 139-161.
- Martiniello, Alberto. «Global Order or Divided World?» *Current Sociology*, vol. 51, no. 2 (2003), pp. 95-108.
- Marsland, Marianna E. & Anne Simon Rasmus (eds.). *Gender and Global Restructuring: Splittings, Sites and Structures*. London: Routledge, 2000.
- Mittl, John S. *African Religions and Philosophy*. London: Heinemann, 1969.
- Mondry, Jennifer Richman. «Transnational Organizing for Mayan Workers' Rights in Central America.» in: Nancy A. Naples & Maritza Dosal (eds.). *Women's Activism and Globalization* (New York: Routledge, 2002), pp. 121-141.
- Moten, Nivedita (ed.). *Gender and Politics in India*. New Delhi: Oxford University Press, 1999 [1992].
- Morton, Robert K. *Social Theory and Social Structure*. 2nd ed. Glencoe, IL: The Free Press, 1957 [1949].
- Moyse, John W. «Globalization: Sources and Effects on National States and Societies.» *International Sociology*, vol. 15, no. 2 (2000), pp. 253-268.
- Mill, John Stuart. *A System of Logic*. London: Longmans Green, 1891 [1843].
- Mills, C. Wright. *The Sociological Imagination*. New York: Oxford University Press, 1999.
- _____. *The Marxist*. New York: Dell, 1962.
- Mingay, G. B. *English Landel Society in the Eighteenth Century*. London: Routledge and Kegan Paul, 1963.
- Mirapant, A. A. *Intellectual Discourse and the Politics of Modernization: Negotiating Modernity in Iran*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
- Mistral, Gabriela. *Selected Poems*. Albuquerque: University of New Mexico Press, 2001.

- Mintzberg, James H. *Whither Globalization? The Virtues of Knowledge and Ideology*. London: Routledge, 2004.
- Mukandavire, Thandika. «Non-organic Intellectuals and 'Learning' in Policy-Making Africa.» Paper presented to the ECRU seminar on «What do Aid Agencies and their Co-opting Partners Learn from their Experiences?» 24 August 2008.
- Mughan, Valentine M. «Transnational Feminist Networks: Collective Action in an Era of Globalization.» *International Sociology*, vol. 15, no. 1 (2000), pp. 57-89.
- Mukherji, Chandra Talpade, Ann Russo & Lourdes Torres (eds.), *Third World Women and the Politics of Feminism*. Bloomington: Indiana University Press, 1990.
- Montecinos, Sonia. «Identidades y diversidades en Chile,» in Manuel Antonio Garretón (ed.), *Cultura y desarrollo en Chile* (Santiago: Andres Bello, 2001), pp. 63-88.
- Morgan, J. Graham. «Courses and Texts in Sociology.» *Journal of the History of Sociology*, vol. 3, no. 1 (1987), pp. 42-68.
- Morales, Tere. *Chile actual: Anatomía de un mito*. 3rd ed. Santiago: LOM, 2002.
- Mushabe, V. Y. *The Invention of Africa: Oracles, Philosophy, and the Order of Knowledge*. Bloomington: Indiana University Press, 1995.
- _____. *The Idea of Africa*. Bloomington: Indiana University Press, 1994.
- Nandy, Ashis. *Alternative Sciences: Creativity and Authenticity in Post Indian Sciences*. New Delhi: Allied, 1980.
- _____. *The Intimate Enemy: Loss and Recovery of Self under Colonialism*. New Delhi: Oxford University Press, 1983.
- _____. *Traditions, Tyranny and Utopias: Essays in the Politics of Awareness*. New Delhi: Oxford University Press, 1987.
- _____. *An Indigenous Journey in the City: The Village and the Other Side/Roots of the Self in the Indian Imagination*. New Delhi: Oxford University Press, 2001.
- _____. *The Romance of the State, And the Fate of Dissent in the Peoples*. New Delhi: Oxford University Press, 2003.
- _____. *Requiem of Unity: The Essential Ashis Nandy*. New Delhi: Oxford University Press, 2004.
- Nudelmann, Hergitta & Piotr Szemplika (eds.), *Sociology in Europe*. Berlin: Walter de Gruyter, 1994.
- Nordenfossen-Petersen, Jan. *Globalization & culture: Global exchange*. Lanham: Rowman & Littlefield, 2004.

- Waller, Robert A. *The Sociological Tradition*. London: Heinemann, 1967.
- Wernick, Iwan. *Autobiography*. Edinburgh: Nelson, 1977.
- Wachtell, Hugo & María Abello. *Economic Shocks without Hoses: Reciprocalism in the Transition of Semi-Economic Systems. Lessons from the Argentine Case*. Madrid: Iberoamericana, 2000.
- O'Brien, Patrick. *Joseph Banks: A Life*. London: Collins Harville, 1987.
- Odora Hoppers, Catherine A. (ed.). *Indigenous Knowledge and the Integration of Knowledge Systems: Towards a Philosophy of Articulation*. Claremont: New Africa Books, 2002.
- Omey, O. A. & F. E. Emery. *Social Structure and Personality in a Rural Community*. London: Routledge and Kegan Paul, 1954.
- Omey, O. A. & S. H. Hammond. *Social Structure and Personality in a City*. London: Routledge and Kegan Paul, 1954.
- Olivera, José & Enrique Molero (eds.). *Revolución: Masculinidades y Feminidades: 30 Ensayos de Estudios de Masculinidades*. Santiago: FLACSO-Chile, 2005.
- Orlans, Marjorie Fendrich, Boris Thorne, Anna Choo & Wan Shun Eva Lam. «Transnational Childhoods: The Participation of Children in Processes of Family Migration» *Social Problems*, vol. 46, no. 4 (2003), pp. 572-591.
- Organisation for Social Science Research in Eastern and Southern Africa. «Publications» *OSSESA Bulletin*, vol. 2, no. 2 (2003), pp. 44-47.
- Orwell, George. *In Front of Your Face: Collected Essays, Journalism and Letters, Volume IV, 1945-1950*. London: Secker and Warburg, 1968.
- Pandey, Gyanendra. «Peasant Revolt and Indian Nationalism: The Peasant Movement in Awadh, 1919-22» *Nabobian Studies*, vol. 1 (1982), pp. 143-197.
- Parses, Vilfredo. *The Mind and Society: A Treatise on General Sociology*. New York: Harcourt Brace, 1916 [1896].
- Park, Robert E. & Ernest W. Burgess. *Introduction to the Science of Sociology*. Chicago: University of Chicago Press, 1954 [1921].
- Parsons, Talcott. *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory with Special Reference to a Group of Recent European Writers*. New York: McGraw-Hill, 1937.
- Patevi, Federico. «Authorial Intention and Illocutionary Force in Adal Adil Ahmed's *Gharabadi*» *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, vol. 18, no. 2 (1998), pp. 73-86.

- Paul, Mandy & Geoffrey Gray. *Through a Smoky Mirror: History and Native Life, Canberra: Aboriginal Studies Press, Australian Institute of Aboriginal and Torres Strait Islander Studies, 2002.*
- Parsons, Nancy L. *George Eliot and Herbert Spencer: Feminism, Evolutionism, and the Reconstruction of Gender.* Princeton: Princeton University Press, 1991.
- Payne, M. W. «Akkadian, Culture and Civilization: Approaches to the construction of an Ethnic Sociological Paradigm of Society» *Sociological Analysis*, vol. 53, no. 2 (1992), pp. 175-187.
- Poe, Octavio. *The Galveston of Solitude, enlarged ed.* London: Penguin, 1998 [1982].
- Priddy, J. B. «Ndele, Nsukuma and the Origins of the Xhosa Religious Reaction.» *Journal of African History*, vol. 20, no. 1 (1979), pp. 53-64.
- Phillips, A. A. «Aboriginal Literature.» in: W.V. Anglimson (ed.), *Editing Words: Aspects of Mid-Century Life in Australia* (Melbourne: Cheshire, 1973), pp. 78-86.
- Platte, Sol T. *War's Life in South Africa: Before and Since the European War and the Boer Rebellion.* Braamfontein: Raven Press, 1982 [1918].
- Plot, Jennifer. «The United States Reception of Durkheim's The Rules of Sociological Method.» *Sociological Perspectives*, no. 38 (1995), pp. 77-105.
- Polillo, Simone & Mauro F. Guillén. «Globalization Promotes and the State: The Worldwide Spread of Central Bank Independence.» *American Journal of Sociology*, vol. 110, no. 6 (2005), pp. 1764-1805.
- Prebisch, Raúl. *The Economic Development of Latin America and its Principal Problems.* United Nations: Department of Economic Affairs, 1950.
- _____. *Towards a New Trade Policy for Development: Report by the Secretary-General of the United Nations Conference on Trade and Development.* New York: United Nations, 1964.
- _____. «The Latin American periphery in the Global System of Capitalism.» *CEPR Review*, no. 15 (1981), pp. 143-150.
- _____. *Capitalismo periférico: crisis y transformación.* Mexico City: Fondo de Cultura Económica, 1981.
- Potey, Michael. *Economic Rationalism in Canberra: A Nation-Building State Changes its Mind.* London: Cambridge University Press, 1991.
- Quijano, Anibal. «Coloniality of Power and Eurocentrism in Latin America.» *International Sociology*, vol. 13, no. 2 (2000), pp. 215-232.
- Rabemana, A.A. *An Islamic Utopian: A Political Biography of Ali Shari'ati.* London: I. B. Tauris, 1993.

- Ritzer, George. «Rethinking Globalization: Globalization/Globalization and Something/Nothing.» *Sociological Theory*, vol. 21, no. 3 (September 2003), pp. 195-209.
- Riz, Rafik. *Field of Protest: Women's Movements in India*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999.
- Rorty, E. B. & C. W. Hart. *Introduction to Sociology*. New York: McGraw-Hill, 1953.
- Rowlands, Henry. *Aboriginal Sovereignty: Reflections on Race, State and Nation*. Sydney: Allen & Unwin, 1996.
- Ryan, David. *Principles of Political Economy and Taxation*. Amherst: Prometheus Books, 1996. [1817].
- Ritzer, George. «Rethinking Globalization: Globalization/Globalization and Something/Nothing.» *Sociological Theory*, vol. 21, no. 3 (September 2003), pp. 195-209.
- Robbins, Derek (ed.). *Power Relations*. London: Sage, 2008.
- Roberts, Helen. *Doing Feminist Research*. London: Routledge & Kegan Paul, 1981.
- Robertson, Roland. *Globalization: Social Theory and Global Culture*. London: Sage, 1992.
- . «Globalization: Time-Space and Homogeneity-Heterogeneity.» in: Mike Featherstone, Scott Lash & Roland Robertson (eds.), *Global Modernities* (London: Sage, 1995), pp. 25-48.
- Robinson, Jennifer. *Ordinary Cities: Between Modernity and Development*. London: Routledge, 2006.
- Robinson, William I. «Social Theory and Globalization: The Rise of a Transnational State.» *Theory and Society*, vol. 30, no. 2 (2001), pp. 177-208.
- Ross, Dorothy. *The Origins of American Social Science*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.
- Rostow, W. W. *The Stages of Economic Growth: A Non-Communist Manifesto*. Cambridge: Cambridge University Press, 1960.
- Roxborough, Ian. «Globalization, Unreason and the Dilemmas of American Military Strategy.» *International Sociology*, vol. 17, no. 3 (2002), pp. 529-559.
- Sader, Emir. «Hegemonía e contrahegemonía en tiempos de guerra e de reconcilia.» in: Ana Esther Cazzato & Emir Sader (eds.), *La Guerra infinita. Hegemonía y terror mundial* (Buenos Aires: CLACSO, 2002), pp. 142-158.
- Said, Edward W. *Culture and Imperialism*. New York: Vintage, 1993.

- Santos, Milton. *Por uma outra globalização: Rio de Janeiro*. Editora Record, 2000.
- Sarkar, Samit. *Writing Social History*. New Delhi: Oxford University Press, 1997.
- Sassen, Saskia. *The Global City: New York, London, Tokyo*. Princeton: Princeton University Press, 1991.
- _____. «Spatialities and Temporalities of the Global: Elements for a Theorization.» *Public Culture*, vol. 12, no. 1 (2000), pp. 213-232.
- _____. (ed.). *Global Networks, Linked Cities*. New York: Routledge, 2002.
- Saunders, Peter. *The Poverty Wars: Reconnecting Research with Reality*. Sydney: University of New South Wales Press, 2005.
- Sayad, Abdelmalek. «Abdelmalek Sayad in Interview.» in: Derek Robbins (ed.), *Pierre Bourdieu* (London: Sage, 1996), pp. 59-77.
- Schmuckens, Ulrike. «The Sociological and Anthropological Study of Globalization and Localization.» *Current Sociology*, vol. 51, no. 3-4 (2003), pp. 209-221.
- _____. «Transnational Migrations and Social Transformations: A Theoretical Perspective.» *Current Sociology*, vol. 35, no. 4 (2007), pp. 515-515.
- Schutz, Alfred. *The Phenomenology of the Social World*. London: Heinemann, 1972 [1932].
- Scott, David & Robert U'Ren. *Leisure: A Social Enquiry into Leisure Activities and Needs in an Australian Working Estate*. Melbourne: Cheshire, 1962.
- Sidman, Steven. *Contented Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era*. Cambridge, MA: Blackwell, 1994.
- Singaporean, Henry (ed.). *African Philosophy: The Essential Readings*. New York: Pantheon Books, 1994.
- Shari'ah, Ali. *On the Sociology of Islam*. Hamid Algar (trans.). Berkeley: Mosaic Press, 1978.
- _____. *Islam and Islam*. Fatollah Marjani (trans.). Houston: Free Islamic Lit. Inc., 1981.
- _____. «What is to be Done? The Enlightened Muslims and an Islamic Renaissance.» Fatang Fajani (ed.). Houston: Institute for Research and Islamic Studies, 1986.
- _____. «Shahadat.» in: Mahmud Taleqani, Mustafa Mottahhari & Ali Shari'ah, *Shahad' and Shahadat: Struggle and Martyrdom in Islam* (Houston: Institute for Research and Islamic Studies, 1986), pp. 153-229.
- Shiva, Vandana. *Staying Alive: Women, Ecology and Development*. London: Zed Books, 1988.

- Silva, Eduardo. *The State and Capital in Chile: Business Elites, Technocrats, and Market Economics*. Boulder, CO: Westview, 1996.
- Sinha, Mrinalini. *Colonial Masculinity*. Manchester: Manchester University Press, 1993.
- Sitas, Ari. «The African Renaissance Challenge and Sociological Reclamations in the South.» *Current Sociology*, vol. 54, no. 3 (2006), pp. 377-393.
- Sklair, Lynda. *The Transnational Capitalist Class*. Malden: Blackwell, 2001.
- _____. *Globalization: Capitalism and its Alternatives*. Oxford: Oxford University Press, 2002.
- Slater, David. *Globalization and the Post-colonial? Rethinking North-South Relations*. Oxford: Blackwell, 2004.
- Smart, Barry. «Sociology, Globalization and Postmodernity: Comments on the 'Sociology for One World' Thesis.» *International Sociology*, vol. 9, no. 2 (1994), pp. 149-158.
- Smelser, Neil J. «Can Individualism Yield a Sociology?» *Contemporary Sociology*, vol. 19, no. 6 (1990), pp. 775-783.
- Smith, Adam. *An Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations*. London: J. M. Dent, 1910 [1776].
- Smith, Dorothy E. *The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology*. Toronto: University of Toronto Press, 1987.
- Smith, T. W. & Leonard D. White (eds.). *Chicago: An Experiment in Social Science Research*. Chicago: University of Chicago Press, 1929.
- Sommer, Heinz R. «From the Sociology of the North-Celestian South.» *JSO Bulletin*, no. 80 (1999), pp. 21-25.
- Storsten, Patricia A. *Contemporary Sociological Theories*. New York: Harper Row, 1928.
- _____. *Social and Cultural Dynamics*. New York: American Book, 1971-41.
- Spencer, Baldwin & E. J. Gillen. *The Native Tribes of Central Australia*. London: Macmillan, 1939.
- Spurr, R. N. «Cliches and other Bad Habits in Political Science.» *Politics*, vol. 1, no. 1 (1966), pp. 3-16.
- Spencer, Herbert. *Social Statics*. New York: Robert Schalkenbach Foundation, 1954 [1856].
- _____. *The Study of Sociology*. 13th ed. London: Kegan Paul, Trench, 1907 [1873].

- _____. *The Principles of Sociology*. 3 vols. New York: Appleton, 1890-96 [1876-1877].
- Spengler, Oswald. *The Decline of the West*. London: Allen & Unwin, 1952 [1918-22].
- Stauffer, Robert B. *Kahane: How the Land was Lost*. Honolulu: University of Hawaii Press, 2004.
- Strad, Christina. *Seven Pearls from Sydney*. Sydney: Angus & Robertson, 1962 [1814].
- Stirling, William H. *Discovering the Past: A History of Archaeology*. Buffalo: Prometheus Books, 1993.
- Stiglitz, Joseph E. *Globalization and its Discontents*. London: Penguin, 2002.
- Sumner, William Graham. *Pathways: A Study of the Sociological Importance of Usages, Manners, Customs, Mores, and Myths*. Boston: Ginn, 1954 [1906].
- Tai-son, Sun. *Xun Miao (Sun J.) The Three Principles of the People*. Frank W. Price (trans.), L. T. Chen (ed.). New York: Da Capo Press, 1975 [1927].
- Suttner, Raymond. «Talking to the Ancestress: National Heritage, the Freedom Charter and Nation-building in South Africa in 2003.» *Development Southern Africa*, vol. 23, no. 1 (2004), pp. 3-23.
- Sutton, Peter (ed.). *Dreamings: The Art of Aboriginal Australia*. New York: Asia Society Galleries, 1988.
- Szwarc, David L. & Vera L. Zolberg (eds.). *After Babel: Influence, Critique, Elaboration*. Dordrecht: Kluwer Academic, 2004.
- Swingewood, Alan. *A Short History of Sociological Thought*. 3rd ed. Basingstoke: Palgrave, 2008.
- Tall, Ronald. «The Myth and Migration.» in: P. Coleman (ed.), *Australian Civilization* (Melbourne: Cheshire, 1962), pp. 191-206.
- Taylor, Ian & Paul Williams. «South African Foreign Policy and the Great Lakes Crisis: African Renaissance Meets Yugoslavidade Política?» *African Affairs*, no. 100 (2001), pp. 263-286.
- Tempels, Placide. *Being Philosophy*. Paris: Présence Africaine, 1958 [1945].
- Tharu, Sanil & Tejaswini Narayana. «Problems for a Contemporary Theory of Gender.» *Southern Studies*, no. 9 (1996), pp. 232-268.
- Therborn, Göran. *Science, Class, and Society*. London: New Left Books, 1976.
- _____. «Globalizations: Dimensions, Historical Waves, Regional Effects, Normative Governance.» *International Sociology*, vol. 15, no. 2 (2000), pp. 151-179.

- Thomas, Hugh. *The Slave Trade: The History of the Atlantic Slave Trade, 1482-1875*. New York: Simon & Schuster, 1997.
- Thomas, William I. *Sex and Society*. Chicago: University of Chicago Press, 1907.
- Thompson, E. P. «The Prevalencies of the English.» *Socialist Register* (1963), pp. 311-362.
- Thrift, Nigel. «Space and Motion or Time and Time? Anthony Giddens' Rearticulation of Social Theory.» *Sociology*, vol. 19, no. 4 (1983), pp. 609-623.
- Todd, Arthur James. *Theories of Social Progress: A Critical Study of the Attempts to Formulate the Conditions of Human Advance*. New York: Macmillan, 1910.
- Toynbee, Arnold. *Acacia, Child of All Nations*. New York: Penguin, 1996 (1978).
- Tomlinson, John. *Globalization and Culture*. Cambridge: Polity Press, 1999.
- Tönnies, Ferdinand. *Community and Association*. London: Routledge & Kegan Paul, 1993 (1887).
- Touraine, Alain. *The Post-Industrial Society*. New York: Random House, 1971.
- Troy, John & Richard Troy. *The US and Global Political Economy: Trade, Finance, and Development*. Bloomington: Indiana University Press, 2004.
- Turner, Bryan S. «Research Note: From Orientalism to Global Society.» *Sociology*, no. 23 (1989), pp. 629-638.
- Turner, Jonathan H. «Review Essay: The Theory of Stratification.» *American Journal of Sociology*, vol. 91, no. 4 (1986), pp. 968-977.
- Turner, Stephen P. & Jonathan H. Turner. *The Impossible Science: An Institutional Analysis of American Sociology*. Newbury Park: Sage, 1990.
- Turney, Clifford, Ursula Hyatt & Peter Chippendale. *Australia's First: A History of the University of Sydney: Volume 1, 1828-1939*. Sydney: University of Sydney and Hale & Remington, 1991.
- Tylor, Edward B. *Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Language, Art, and Custom*. 2nd ed. London: Murray, 1871.
- Urry, John. «Book review: The Constitution of Society.» *Sociological Review*, vol. 34, no. 2 (1986), pp. 434-437.
- Valdés, Fátima. *God and Juggernaut: Paul's Ineffable Encounter with Modernity*. Syracuse: Syracuse University Press, 2002.
- Vialls, Teresa (ed.). *El índice de composición corporal –ICC–: Una estrategia para el control evolutivo de la equidad de género*. Santiago de Chile: FLACSO Chile, 2001.

- Yamina, Jan. *Oral Tradition in History*. Madison: University of Wisconsin Press, 1983.
- Yelling, Muno. «Globalization and Neoliberalism: Economy and Society in Latin America.» *Hispanic American Studies Journal of Latin American and Caribbean Studies*, vol. 32, no. 2 (2002), pp. 25–43.
- Wallace, Alan. *Crashover: A Social Survey of Crowsnest, NSF*. Melbourne: Melbourne University Press, 1945.
- Wallerstein, Immanuel. *The Modern World-System 2: Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-Economy in the Sixteenth Century*. New York: Academic Press, 1974.
- _____. «The Rise and Future Demise of the World-Capitalist System: Concepts for Comparative Analysis.» *Comparative Studies in Society and History*, vol. 18, no. 4 (1976), pp. 347–815.
- _____. *The Capitalist World-Economy*. Cambridge: Cambridge University Press, 1979.
- _____. *End of the World as We Know It: Social Science for the Twenty-First Century*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1998.
- Ward, Lester F. *Dynamic Sociology, or Applied Social Science as Based upon Statistical Sociology and the Law Complex Sciences*. 2nd ed. New York: Appleton, 1897.
- _____. *Pure Sociology*. New York: Macmillan, 1903.
- Wider, Alan. «Developmental Tendencies in the Situation of East African Rural Labourers.» in Keith Tribe (ed.), *Reading Wider* (London: Routledge, 1989 [1994]), pp. 156–187.
- White, Louis, Stephen F. Miescher & David William Cohen (eds.). *African World, African Voice: Critical Practices in Oral History*. Bloomington: Indiana University Press, 2008.
- White, Patrick. *The Tree of Man*. London: Eyre & Spottiswoode, 1956.
- Williams, Nancy M. *The Tjupa and their Land: A System of Land Tenure and the Fight for its Recognition*. Canberra: Australian Institute of Aboriginal Studies, 1966.
- Woods, Kwasi. *Philosophy and an African Culture*. Cambridge: Cambridge University Press, 1968.
- Wittgenstein, Ludwig. *Tractatus Logico-Philosophicus*. D.F. Pears & B.F. McGuinness (trans.). London: Routledge, 1954 [1921].

- Tadine, Yasmin. «L'Algérie, matrice d'une œuvre», dans: Pierre Escuret & Rose-Marie Lagnier (eds.), *Rencontre avec Bouedine* (Paris: Flammarion, 2011), pp. 111-145.
- , «Pierre Bouedine, amoureux Kabyla ou intellectuel organique de l'Algérie?», dans: Gérard Blangot (ed.), *Rencontres avec Pierre Bouedine* (Belfort-Ste-Benoite: Éditions de Créquart, 2005), pp. 565-574.
- Tan, Eileen Janis. *The Context for Social Science: Relations and Representations of Gender and Class*. London: Rivers Oram Press, 1996.
- Tunapunga, Gudrun (ed.). *Our Land is Our Life: Land Rights-Past, Present and Future*. Brisbane: University of Queensland Press, 1991.
- Zacharia, Robert Pyle. *Indignant Ecologists: Gum Trees as Enemies*. Cape Schanck, Victoria: the author, 1976.
- Zabneycki, Jozef. *Immigrants in Australia: A Demographic Survey Based on the 1954 Census*. Melbourne: Melbourne University Press, 1960.

فهرس عام

الاضطرابات سيكول: 102	+
الاحتلال البريطاني لأستراليا: 127	أرتشر، مارغريتا: 88
أحداث 11 أيلول، سبتمبر 2001: 118، 128	أسية: 27، 122، 207، 219
238	آل أحمد، جلال: 21، 178، 183-184، 188-189
أدبي، شارون: 288	189-190، 194، 209، 282
الاختلاف العالمي: 33-34	206، 224، 249، 288، 274
أمنية، سانت لورنس، فلورنسا: 133	207، 210، 222، 230
الأزمة الاقتصادية البريطانية: 127	الإقامة الصناعية في روتشا (1884): 283
إيموري، ويليام: 42	إيموري، أرموند: 102
الأرجنتين: 111، 112، 219، 284	إين، أندرو، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد: 18، 19
الأرثوذكسية الأنثروبولوجية: 283	أبو ذر الغفاري: 204
الأسطرخانية اليونانية (التي): 284، 288	الأبوريغينز: 281، 284، 286، 288
الأسطرخانية الفرنسية: 44	282-283، 288، 298، 303، 314
أوهي، بورلايورد: 283	216
أونهم، لوك: 282، 288	أيليس، مارتين: 227
أوتو، ماثيو: 83	الاتحاد الأوروبي: 92
أدبي، ميخائيل: 183	الاتحاد السوفياتي: 213، 283
إريكسون، إريك: 70	الأنثروبولوجيا العنصرية: 84
أوكلاهوك: 223	أجوي، أسطوخود، الرابطة بين القرية القوية:
الأرمينيان، أيليني: 213	288، 288-289
الأزمة الاقتصادية (بداية ثمانينيات القرن العشرين): 228	أجوي، أسطوخود، الرابطة بين الناس الذين يعيشون معًا: 149-150، 183

أزمة المدينة القديمة في أيرلندا (1931): 248	الإصلاح البرلماني في أيرلندا: 1907-1923
إسبانيا: 112، 238، 240	إطاحة الملك في إسبانيا (1931): 182
إسرافيل: 7، 13، 18، 23، 33، 87، 89	أعمال السر في إسبانيا: 82
119، 121، 122-123، 124، 126	أفكاره: 228
126، 128-130، 132-133	الأزمات المتوالية: 133
140، 153-154، 155	أفريقيا: 8، 23، 33، 88، 113، 144
152، 159، 238-239	148، 153-154، 155، 156
158، 159-162، 290	168، 170-171، 172، 208
166، 172-174، 179	213، 215-216، 248
328	أفريقيا ما بعد الاستعمار: 12
أفريقيا البيضاء: 122	أفريقيا الوسطى: 105، 168
أفريقيا المعاصرة: 203-204	أفغانستان: 176
أفريقيا الوسطى: 288	الأفغاني: جمال الدين: 10، 49، 111
الاستعمار البلجيكي الفرنسي: 182	176-183، 188، 189، 192
الاستلاب - الاستلاب الملكي: 288	186، 199، 203، 205، 207
288-289، 328	323
استقلال أندونيسا عن الهولنديين: 50	أفول النظام الملكي في إثيوبيا: 298
استقلال الهند عن البريطانيين: 50	الاقتصاد الإسرائيلي: 48
استقلال إيرلندا: 38	الاقتصاد السياسي الفرنسي: 118، 238
الاستيطان الحي: 48	الاقتصاد العالمي الإلكتروني الجديد: 88
استيوا: 188	الاقتصاد ما قبل الرأسمالية: 81
أسطورة القليل والجميل: 187	الاقتصادات الأصلية: 211، 215، 218
أسطورة الملك آرل: 31	الاقتصاديات: سياسة عدم التدخل: 212-213
إستوكولم، أركورن: 17	ألبورن، أركورن: 148-149، 198، 199
الإسلام (الدين الإسلامي): 175، 178-	122، 123، 124، 126
182، 183، 193، 195-198	ألبورن، أركورن: 184، 185، 189
198-200، 202-203	ألبورن، أركورن: 33
الإسلام السياسي: 188	ألبورن، أركورن: 210
الإسلام الشعبي: 188	إلكن، ألبورن: 182
الإسرافيل: 148، 149-153	ألبورن، أركورن: 128
الإسرافيل (الدين الإسلامي): 48	ألبورن، أركورن: 221، 228

بريتون، دام: 33	بري، فلستور: 34
البنطاب: 242	البراقلي: 112-113، 123، 210-219،
بنديكس، رايهارت: 87	229، 244، 228
البنغال: 43، 252-253	برافيري: 247
البنك الدولي: 17، 188، 312	برافورد، فيكتور: 29
بنين: 204	براون، كلير: 138
بنغالاديش، كافيلا: 247	البرجوازية الليبرالية المتروية: 49
بنغالاديش: 283	بروزة أوروبا: 113
البنغالون: 37	بروخ، بيتر: 90
بور، فرانز: 42	بروخس، إرنست، و.: 38
بور، اشتراكي: 32	برلمان جنوب أفريقيا الأبيض: 173
بورخارد، فيكتور-فاني: 32	برونر، غوسيد، غوالين: 210
بوريل، جان: 200، 224	برونيكو، ديمير: 74
بورس، جاكسون أيتا، سيدني: 291-	بروسيا: 35
382	بريشي، داروول: 38، 389، 211-218،
بورغون، بيتر: 42، 72، 77، 83، 88،	224، 229-230، 250، 343-
322، 382، 387، 388	329-332، 378، 389، 394
بوروندي: 243	بريتاني، جون: 189
بورسطن: 84	بريطانيا، الكثير، المملكة المتحدة: 31-
بوس، مايكل: 188	32، 43، 47، 92، 124، 128-
بوليك، تشيلا: 13، 24، 140-143	327، 334، 373، 328، 327
بولينزيا: 27، 283	328، 331، 344، 348
بوستيج، سكوت: 381	بريطانيا القرن الثامن عشر: 283
بوريس، أيرس: 211، 218	بريتاني، تيريز: 87، 309
بورك، إيسوب: 40	بلاش، جيفري: 37
بورك، إيري: 23	بلاكلي، سولومون تشيكيشو: 40، 173-
بوربون، لويس: 320، 322، 323	324، 328-329
البيرو: 187	بليبيك: 221
البيرو قراوية الجديدة: 33	البيانات الدول، الأنظار الشافية: 4، 14،
بيك، أنطوني: 88، 89، 103، 108	212، 214، 217
328، 328-329، 387	بلو، بيتر: 70
بيكو، سيبيل: 140	بليبيك: 228

- بين، مارتا: 133
 بيتوشيد، أوفستور: 226
 -سيد-
 لانتشر، مارغريتا: 227
 الحاج، الرباطي: 286
 تانكوف، بيتا: 24
 تاجي: 283
 تاولي، ريتشارد هنري: 296
 تايلور، إدموند: 44، 129، 127، 128
 تايلور، إيدنا: 289
 تايور، أروليمي: 149-154
 تيريز، أندري: 288
 النتيجة الاقتصادية: 131، 132
 النتيجة: 12
 النتيجة، مدرسة النتيجة: 12، 186، 288، 211، 218-221، 226، 229، 237، 243، 248-249
 لحرور، لحرور، المرأة، النساء: 188، 189، 296
 التحليل النفسي، القروي، بيتي: 32
 تاجين، القريب: 234
 القرايت، الاتحاد الاشتراكي: 189
 لوكيا: 184
 لوري، جون: 28
 لشار، جي، بارثا: 48، 280-284، 288
 لشار، جي، باتكوف، مارتا، لانتا، تاجي: 271-279، 284
 لشار، لير، غوردنا: 131
 لشكر، لاري، غوشي: 248
 لشور، دافيد: 24
 تشيلي: 219، 221-223، 225-226
 224-234، 284، 225
 القصصيات، القروي، بيتا: 247
 القصصيات، ما بعد القروي، بيتا: 287
 تطارية، الكافكا، غوي: 284
 تعدد الأرواح في سيدا: 21
 تعليم المرأة: 281، 284
 القريب: 21، 28، 280، 188، 288
 تيلر، بلاسيد: 134، 138، 188-182، 173
 تعليم القاصدة: 189
 التهجين: 189، 113، 284
 التهجين، التتالي: 182
 القواسي: 283
 تود، أوتو: 38
 القوم، الإمبريالي: 318
 القوم، الإمبريالي: 32
 توماس، أروستو: 38
 تونس: 38
 تونكين: 38
 تونيز، فرديناند: 28، 280، 288، 124، 176
 تيد، بوللاي: 168
 -سيد-
 القار في القرون الوسطى: 32-33
 تاور، جوزي: 288
 كاتيك، كاتيك، كاتيك، كاتيك: 212
 توريون، غوردنا: 288، 188-118
 توريون، تاجي: 28
 ثقافة الأرواح، القاصدة: 32
 ثقافة الإمبريالية: 38

- الثقافة البحرمانية/الثقافة البحرمانية: 47، 249
- الثقافة السورية: 34
- الثقافة اليونانية الكلاسيكية: 18
- لومبوت، إيفارة بالمر: 283
- التورات الربطية للجناب البيني الهندوسي: 258
- الثورة الإسلامية في إيران (1978/ 175، 208، 288)
- الثروة المملوكية: 288
- الثروة الدستورية في إيران (1883-1884/ 1811)
- الثروة الصناعية: 28، 79
- ثورن، باري: 24
- جامعة أيت (جامعة أريافيس) لودلوود: 148-149
- جامعة أكسفورد: 123
- جامعة سيدني: 124، 125، 128-129، 130-132
- جامعة كامبريدج: 128
- جامعة كولومبيا: 38
- جامعة مشهد: 184
- جامعة ميلبورن: 123، 132-133
- البحر الأحمر (سيدني): 127
- جبهة التحرير الوطني البحرينية: 82-83
- جسك، راندالينا: 38، 47، 244، 246
- جسك، راندالينا: 246-248، 253-255، 263-268
- البحر في الهند: 32
- البحر (البحر): 34، 38، 42، 43
- جزر سلانديش: 27
- جزر غالاباغوس: 283، 288، 289
- الجزيرة العربية: 343
- جفرسون، توماس: 288
- الجماعات القبلية (الكاليفات): 133
- الجمعية السوسولوجية الألمانية: 38
- الجمعية السوسولوجية الأمريكية: 28، 34، 48
- الجمعية السوسولوجية الدولية: 14، 148-149، 151
- جمعية العمال الطبيعية: 131
- الجمعية الملكية في لندن: 187
- جمهورية فايمار: 32
- جناب، محمد علي: 244
- الجناب الثاني للحزب الشيوعي الصيني
- الجناب الثاني: 134
- جنيلي، جيوفاني: 32
- الجنرال الجندي (الطعام الجندي): 7
- 40-48، 49، 80-83، 118، 167، 172، 284-288، 289، 292، 293، 297، 298، 311، 328
- الجنسية: 38-39
- جنوب آسيا: 244، 247
- جنوب أفريقيا: 83، 167، 188، 170-
- 171، 174-178، 179، 228
- 326، 328
- جنوب شرق آسيا: 88
- جنوب شرق آسيا: 283
- جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى: 172
- جونسون، بولين: 138
- جونسون، هيلينا: 148
- جيبكي، فرانك: 188-189

حركة حليكة: 179-181	جيتوئزي، يوجين: 388-393
حركة الفلاحين في ألواش (حركة فلاحية ألواش بالهند): 247	جيدولي، الجمهورية الفرنسية (الجيدولي الفرنسية)، الجيدولي الفرنسي: 39-82
الحركة الهندية في السودان: 178	جـ
حركة التعريف: 189، 192، 198، 199	الحرب الباردة: 114، 183، 219، 220
حركة هاري كريشنا: 197	الحرب التحرير الهندية ضد الفرنسيين: 80
حركة الوحدة الشعبية (كشيلي): 224-228	الحرب العالمية الأولى: 1914-1918
الحركة الليبرالية: 47	191، 43، 45، 88، 184، 189
حزب ترم (إيرلاندا): 188، 194، 248	الحرب العالمية الثانية: 1939-1945
الحزب الدستوري الثوري (المكسيك): 226	119، 158، 198، 212
الحزب الشيوعي الهندي: 249	الحرب الفرنسية - البورقوية: 82
حزب العمال (أستراليا): 131	الحرب في أوروبا: 289
حزب العمال (بريطانيا): 82	الحرب في الكونغو: 188
حزب المؤتمر الوطني الهندي: 273	الحرب الباردة في إسرائيل (الغارة): 82
الحسين بن علي بن أبي طالب: 198-201	حزب النرويج: 110
188، 198، 201	حزب الاستقلال في إسبانيا: 218
حسينة إرمان (ألمانيا): 185-188	حركة استقلال الهند: 249
188، 201، 203، 212	الحركة الأفريقية المناهضة للاستعمار: 99
328	حركة التحرير الجزائرية: 88
حضارة الكلا: 318	حركة الجامعة الإسلامية: 180
الحضارة الأوروبية: 273	الحركة الجمهورية الصينية: 38
الحضارة الغربية: 122	الحركة، الحركات النسائية، الحركة النسوية في أمريكا اللاتينية: 291، 298-299
حضارة المايويون: 33	الحركة، الحركات النسائية، النسوية الهندية، حركة النساء الهنديات: 299، 298-299
الحضارة الهندية: 288	حركة حملة غابة تشينكو في شمال الهند: 287
الحزب بالاستقلال الثاني (الغاني): 288	حركة طعم الأسماع: 828
من المرأة في الصين: 188، 299	
حلبة الميجي (اليابان): 88	
حقوق الأرض: 284، 286-289	
288، 298، 301، 303، 307	
318-319	

- روكفيلر (الشركة)، 132: 54، 267
روندا، 143
روغافه، روناك، 227
رويكارنو، فهد: 282-284، 317
رو-
زاهد، أحمد علي: 183
زافر: 183
زورباكي، جورج: 133، 138
زورباوت، فرات: 33
زوروكسي، كاز: 267
زعل، جورج: 38، 40، 43، 57
زعي-
الساقي: 240
الساقي، أحمد: 273-274، 278
مأحة، تاليلو، كور: 338
مأجل، الشعب: 158
مأزاد، أرفك، كيشور: 260
مأزات، جمال، براك: 43، 82-83، 168، 267، 394
مأسن، مأسكيا: 83، 89، 103، 118، 300، 312
المأفك: 183، 193
مأونو، مأور: 23
مأوكوس، مأونو: 118
مأونو، مأور: 212، 229، 312
مأونو، مأور: 112
مأوس، مأكون: 128-130
مأوس، مأور: 27-28، 33-34، 41-43، 46-48، 51، 74-76، 80-83، 89-99، 114، 123-124، 128-137، 377، 378
مسيفك، مأوري، الشافور: 243، 252، 257
مسيفك، مأوري: 291
مسرك، مأور: 243-244، 252، 278
مسرك، مأور: 278
مسيفك، مأور: 7، 18، 184-187، 283
مسفير، مأور: 48، 183، 208
مسفير، مأور: 24
مسفير، مأور: 204
السلطة، مأور: 232، 236
مسفير، مأور: 24
مسفير، مأور: 64
مسور، مأور: 48-50
مسيفك، مأور: 83، 128، 282-284، 288
مسيفك، مأور: 317-318
مسيفك، مأور: 210
مسفور، مأور: 188
مسفور، مأور: 178
مسور، مأور: 88
المسور، مأور: 128، 134، 141، 143-147
المسور، مأور: 87
المسور، مأور: 43، 44، 134
المسور، مأور: 97
المسور، مأور: 48، 118
المسور، مأور: 92
المسور، مأور: 214
المسور، مأور: 131، 137
المسور، مأور: 133
مسور، مأور: 137، 377

السبخ: 162	السوسيونوجيا الجديدة: 53، 122
سيدني: 47، 127، 133-134، 181	السوسيونوجيا الحديثة: 28، 33، 60
181	السوسيونوجيا الحديثة (المطبخ): 71
سوزر، إيمية: 160	السوسيونوجيا الحديثة (المعرفة): 117
سينغ، فيفي: 247	السوسيونوجيا التريبيكالية: 88
سينغ، فانديتا: 133	سوسيونوجيا السكان الأصليين: 148-149
سلي-	187، 193، 195، 222
شينغلر، أوزداف: 32	السوسيونوجيا الكنتاغية: 121
شبه القارة الهندية: 287	سوسيونوجيا العالم، العالمية: 145، 154، 174
شرق آسيا: 121	سوسيونوجيا العمالة: 114، 111، 188
شرق أستراليا: 127	السوسيونوجيا القومية: 88، 89
شرق أفريقيا: 188	السوسيونوجيا الكلاسيكية: 28، 88، 89، 129
الشرق الأوسط: 8	السوسيونوجيا الكلية للمواطنة: 128
الشرق الأوسط الإسلامي: 48	سوسيونوجيا العشويين (السوسيونوجيا العشوية): 44، 183، 191
التسوق، المتعددة التخصصات، العائرية	128-133، 137، 188، 174
المطبخ، غير الوطنية: 88، 92	129
184، 188-189، 204	سوسيونوجيا المعرفة: 145-146، 148، 149، 247، 278
شركة الهند الشرقية: 288	السوسيونوجيا المقارنة: 48-47
شريعتي، علي: 28، 178، 182-183	السوسيونوجيا المتجسدة: 38
147، 148، 174، 178	السوق المتعددة الجنسية (تريبيون) -
178، 184-185، 229-	127 Suburban
128	سومر، وإليام طر أمان: 48، 49، 48
شعب الأبراشي: 130، 188	128-134
شعب المينيكويو: 188	مونتاج، هانز ر: 118
شعب الوغالي: 282	مونتاج، أرن: 28
شعب الوغالي: 282-283، 283، 284	السياسة السود في كينغز (توماس): 234
الشعوب النولينية: 283	السلي (إي): 188
شلايكل، هانز يوش: 84	سيدني، أربي: 128
شمال الأطلسي: 18، 48، 49، 128	
شمال أفريقيا: 34-33، 148، 187	
شمال أوروبا: 282	

كوندورسيه، ماري جان ألفراند نيكولا دي
كوتش: 29

الكولمبو: 153، 157

كوبل، كاتلي بترو: 24

كيشيغ، روبرت: 268، 271

كيباني، أليال: 209

كيد، بنجامين: 48، 49-48

كيسلر، شيفاس: 247

كيتو، جون ميلارد: 211، 217

كيتوري، جان: 28

كل-

كلروز، راف، رون غيليكس: 53

كلكت، جان: 245

كله، غيداي: 118، 278

كلبي، جيم: 137

الكلما (الكلما) عدم المساواة: 16، 47، 49،

118، 208، 210، 219، 284

127

لازمي: 38

لازمي، أولاف نوري دان: 149-154

ليان: 10

ليش: 84

الليونة الاقتصادية لأيرلندا الكاثوليكية

والكلريسي (اسيال) - (CCLP):

211-212، 214، 219-218

228، 239، 241، 248، 252

لغة ماريغ: 282

لندي: 44، 49، 78، 178، 200

لويفل، يوان: 28

لوتز، شارل: 80، 87، 89، 91، 94

87، 129

لورنجه، جيموري: 158

لوريس، ألفرد: 237

لوريج، جيم (جين ماري): 132، 138

لوسر، ستيف: 28

اللوشار: 278

اللوشار: 278

اللوشار الموزيري: 83

لوثر، وليم: 97

لوثر: 178، 248، 253-254، 289

لوثر، مونغلاس: 98، 182، 209-118

لوثر، مصطفى (اللوثر): 184

لويدي: 38

لويدي: 288، 289

لويسوس: 84

لويدي، جيم: 50، 56، 156، 179، 285

308

الليونة البروانتانية (اللوثرية): 185

لوثر: 213

لوثر: 112

اللوثر: 83

لوثر، لويس: 83

لوثر، جيمس: 148

لوثر، جيمس (جيمس ماري): 82-88، 78-

72، 84-84، 84-84، 281-222

اللوثرية: 8، 82-83، 87، 118

288، 274

اللوثرية: 27

لوثر، لويس: 221

لوثر، ألغيس: 19، 28-29، 36-48

88-44، 48، 87، 123، 217

لويس، ألفونسو: 361	مارفينزلي، ألفونسو: 111
لويس، فونزو: 57	مارفالد، جورج: 56
لوكاتلي، جورج: 106، 117-118	ماركس، كارل: 13، 28، 38، 43، 56، 58-59
لويد، جورج، هيليف: 124	123، 124، 125، 126، 127
لويس، بونفانت: 128	328
لويس، ميرفيلد: 37	الماركسية: 198، 204، 214، 248-250
لي، باربرا: 24	الماركسية الشيوعية: 78، 128، 248
الليبرالية الاجتماعية: 47	الماركسية الجديدة: 138
الليبرالية الاقتصادية: 47	الماركسية المتروبولية: 241
الليبرالية القومية: 47	ماسيكو، سيفو: 168-169
الليبرالية السياسية: 47	ماككث، سترونج: 213
الليبرالية الشخصية: 47	ماكدونالد، راسبي: 102، 112
الليبرالية العرقية: 47	ماكديونكل، فيليب: 115
ليبرالية القرن التاسع عشر: 46	ماكديونكل، موزس: 148-152
الليبرالية الحالية: 47	مان، مايكل: 183، 199
الليبرالية الحديثة: 47	مانديلا، نلسون: 148
الليبرالية المزدوجة: 281	مانديلا، كارل: 82، 209
الليبرالية الوطنية: 47	مانيفستو: 89
ليبتاكو، وولف: 48	مانو، جورج: 108، 167
ليفتان، مودال: 37	مانو، إلفرد: 181
ليفي، سترومي، كلوف: 78-79، 114-115	مبدأ عدم العنف: 278
115، 162، 282، 289	مبني، جورج: 188-190
ليفي، مارينا: 84	مبني، لاور: 167-168
ليفت، روبن: 184	المتروبولية: 7-13، 15، 17، 18، 33، 38، 43، 48، 51، 53، 58، 60-61
ليفت، هيلين: 134	61، 63-68، 69، 81، 87، 88، 89
لينين، فلاديمير إيليتش أولينوف: 14، 143	184-189، 190، 198، 112-113
ليونارد، جان فرانسوا: 219، 217	118-119، 120-122، 128، 133-136
لوم	136-138، 138، 141
ماتلر، أرمادو: 221-228، 238	168، 183، 187، 175، 188
ماتيو، برايميل: 241	288، 289، 222، 226، 231
مارتينو، هاريسون: 42	241، 248، 258، 259، 260

- مجلة السوسولوجيا في أستراليا واينون كندا:
128
- مجلة شهرية العلم الشعبي: 46
- مجلة دراسات معاصرة: 46
- مجلة دراسات اجتماعية: 33
- مجلة تنمية البحوث الاجتماعية في
أفريقيا (Africana - JOURNAL):
312, 164
- مجلة السبع والبحوث التي تنبأت
القرن العشرين: 213, 214, 228
- محمد رضا بهلوي (تلك إيران): 184 =
188, 189, 190, 191, 192, 204
- المحيط الأطلسي: 88
- المحيط الهادئ: 88, 114, 115, 184, 284,
285, 289, 291
- مخيمات عمال المناجم في كاليفورنيا: 31
- مدرسة دار السلام للاقتصاد السياسي: 171
- مدرسة جاكوب ليهورث (تلك): 171
- مدرسة شيكاغو: 38, 39, 40, 41, 131, =
204, 189
- مدرسة فرانكفورت: 82, 228
- مدرسة هالبر هسكي: 288
- مدغشقر: 38
- المذهب الشيعي: 173, 282
- مراكز التجارة القومية: 38
- معرض الجلام: 293
- مركز سور ينظر السوق المشتركة الجنوبية
(أفركوسور = Orlussour): 13, 138, 287, 284, 253 =
284
- المسألة الاجتماعية: 187, 281
- 384, 388, 389, 314, 319-320,
323, 327, 328
- المجتمع الإسلامي / المجتمعات
الإسلامية: 178, 181, 184, 202
- المجتمع الشيعي: 293
- المجتمع المثالي: 84-99, 181, 183-
111, 167, 328
- مجتمع المروبول / المجتمع المروبولي /
المجتمعات المروبولية: 12, 18,
38, 42, 43, 56, 86, 89, 88,
322, 318, 167, 311
- المجتمع المثالي: 95, 183, 189, 125,
281
- المجتمع المسلم المعاصر: 179
- مؤسسات الأكل في تلك: 189
- المؤسسات الاجتماعية: 32
- المؤسسات البدائية: 38
- مؤسسات العمود الوسطي: 288, 316
- المؤسسات الطرفية / مؤسسات الأطراف:
7-8, 16, 112, 114-115
- المؤسسات القديمة: 32
- مجتمعات القرون الوسطى: 32
- المؤسسات القبطية: 34
- المؤسسات المستعمر: 28
- المجتمعات النائية: 32
- مجلة إنترناشيونل سوسولوجي: 145,
148, 149, 154
- مجلة تلك والكلون حدة في اسبانيا
والكوبية: 37
- مجلة الجمعية الأمريكية لبيطال: 37
- مجلة البحرية السوسولوجية: 32-33,
81-82, 88, 129

- المساواة الإسلامية: 284
- المساواة بين الرجل والمرأة بين المسلمين: 449, 488, 489, 284, 285-284, 289
- 229
- مستعمرات الاستيطان الأسرية: 282, 269, 283
- المستعمرات الاستيطانية (كندا): 268
- مستعمرات الأفريقانيين: 173
- المستعمرات الألمانية: 35
- المستعمرات الأمريكية: 284
- مستعمرات البريطانيين: 178
- المستعمرات الشاملة بالإنجليزية: 284
- المستوطنات الروسية: 35
- المسيحية الذين المسيحي: 188, 189, 281, 281
- مسيحية الطرود الوسطى: 282
- منشأة: 34
- مصر: 34, 177
- معاهدة برلين (1885): 38
- المحور الاقتصادية الألمانية: 218
- معركة السوجة: 50
- معلقات: منشأة: 282
- معهد السوسيلوجيا الشول: 48
- المغرب: 42
- المقاومة الإيرانية: 181
- مقدس، ألسنة: 10
- مكاشفات، كاشفات: 171
- المكشبات: 211, 229, 238, 274, 228
- مكتسبات: 112, 238, 288
- مكتبات، أليفستون: 170
- مجل، جوف شوارت: 37, 39, 44, 48
- 278
- الملايين: 32
- مليون: 123-124, 132, 133
- ملكية الداجار: 184
- ممداني، محمود: 171, 173, 183
- المندى (الكتاب العالمي): 382
- منظمة البحوث العلوم الاجتماعية في أفريقيا الشرقية والجنوبية: 172
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو): 219, 229
- منظمة الصحة العالمية: 285
- منظمة المؤتمر لساء علوم الهند: 284
- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الوكدا - UNCTAD): 213-214, 214
- مؤتمر أمباليه (1848): 282
- المؤتمر الوطني الأفريقي (مؤرب جنوب أفريقيا): 188, 173
- المؤتمر الوطني الهندي: 247
- مؤتممي، فالتين: 133, 132, 285, 288
- المؤتمرات: 285-288
- موريل، روبرت: 38
- موسكفا، طابقي: 197
- موريلاند، توماس: 228
- موريلاند: 286
- موريسين، سوليا: 282, 288, 288, 288
- المؤتمرات: 27
- ميشور، القان: 288
- ميتلاك، هريديا: 288
- ميرتولد، روبرت: 37

ميرفشت، كارولين: 256-257	نيتشه، فريدريش: 227
ميسر-الد-فان-يلا: 289	نيجين: 24
ميكونداد، هيلين: 24	نيجين: 146، 158، 159
ميتز، ألفريد: 24، 28	نير-الجلال، هيجاسوني: 258
مين، هنري: 219	نيسبنت، ويليام آي: 88
مير-	نيجري، أكتوني: 88، 101، 112
ماتشي، أليس: 18، 248، 267-278	نيكلسون، مولي: 24
268، 269، 271، 279، 282	نوريلدا: 127، 128، 283
مكولي، ميشكا: 189	النوريس، القامع المعاصر: 88
المرح الضاحك في البغداد: 258	نوريلدا: 489، 488
المسلل الأثري بين القطر: 31	نور-
المسيرة البحرية: 258	الهايفوس: 28-31
نظام السبع الانفصالي: 248	هاريون، أرنولد: 228
نظام الأبوين: 288	هاريون، مايكل: 88، 101، 112
نظام سوهامو في إندونيسيا: 188	هاريون: 281-282
نظام النساء (إيرلندا): 188	هيري، داني: 87، 88، 128، 218
نظام القاجار الإيراني: 178، 181	الهجوم الياباني على القوي الغربية في آسيا: 88
نظرية النبعة: الأثرية الثلاثة: 84	هيكسلي، توماس هنري: 48
نظرية النبعة البنية الماركسية: 218	الهند: 8، 18، 12، 14، 18، 187، 112، 123، 128، 188، 207، 243-244، 248، 254، 257-263، 268-269، 284-285، 273-275، 278، 288، 308، 309، 328
نظرية الديار: 82	228، 238، 288
نظرية المعرفة (السيستمولوجيا): 84	الهند البريطانية: 248، 274
نظرية المعرفة السيستمولوجية الحديثة: 182	الهند البوذية: 82
نكروم، كوامي: 188، 188	الهند الصينية: 88
النساء: 32	الهند المستعمرة: 283
نهر النيل: 35	الهندوس: 283، 288، 272
نور، جواهر: 248	
النهضة الأفريقية: 148، 172، 228	
النهضة الثقافية الأفريقية: 178	
نهبية الكفوف: 288	
نورسفيلد، هنري: 227	

الوحدة الأثرية: 109	هرمسوث، جوف: 18
وسط آسيا: 18	هرنجلين، جازان: 228-231، 287
وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA): 118	318-319
318	هرمياوس، ليونارد، نوبلوي: 41، 43
دورمز، ديفيد: 83	41-46
دوكز، ألين: 132-133	الهرم: 282
ديلمز، بول: 289	هرليوت: 239
ديلمز، كاسي: 285، 287-288	هرنوكجي، برنيس: 33، 24، 161-
ديشلف، روسكو: 289	387، 173-172، 281، 249
ديريغو، كولسي: 143	248، 268، 312-313، 318-
ديتر، جيرالد: 41	320، 322، 327
دي-	ديج كوتيج: 89
الديك: 38، 92، 113، 285، 303	الديري: 285-286
ديك: 285، 289، 292	ديرن، وليام إدموند: 123-125، 148
الديس الفرنسي: 83، 194	الديس، الفريد في العالم الإسلامي: 179
الديس الفرنسي: 89	ديشلف، روسكو: 33
الديس، الفريد: 289	دي-
الديس، الفريد، الهندو، الديس، الهندو:	ديني، كاهن: 283، 285-286
248، 258	ديني، لهر هاروكسيري: 281
الديريته: 281	ديني، لستر: 27، 28-30، 38-39، 47
الديريته: 282، 283	89، 124-128، 130
الديريته: 282، 283	ديني، لستر، ألين: 198
الديريته، المجموعه، هرة في غرب أفريقيا:	ديشلف، جريج: 284
146، 148، 150-152، 153	ديشلف، باتريشيا: 282
ديري، ديور: 24	الديشلف، هرة: 123
ديري، ديور، الفريدوي: 214	الوحدة الإسلامية: 177